

# خالد جبار الزاوي

الاعمال الادبية الكاملة

تحرير وتقديم  
د . احمد خالد الزاوي



خالد حبيب الروا  
الأعمال الأدبية الكاملة



خالد حبيب الراوي  
الأعمال الأدبية الكاملة

تحرير وتقديم  
د. أحمد الراوي

بغداد 2006



## المحتويات

7	مقدمة
26	خالد الراوي في سطور
29	الجسد والأبواب ( مجموعة قصصية)
61	القناع ( مجموعة قصصية)
105	القطار الليلي ( مجموعة قصصية)
157	العيون ( مجموعة قصصية)
215	قصص ( مجموعة قصصية)
323	قصص بلا عنوان ( مجموعة قصصية)
334	مسرحيات
385	خواطر
423	أشعار
	ملحق
439	ملحق 1: كتابات و مراجعات نقدية
479	ملحق 2: قصص للأطفال
495	ملحق 3: خالد ... الإنسان



## مقدمة

### هذا الكتاب

خالد حبيب الرواوي (1944-1999) عمل صحفيًا وناقداً فنياً وأديباً وقاصداً وكاتباً مسرحياً ومحامياً وخبيراً إعلامياً وباحثاً ومؤرخاً وأكاديمياً ومراسلاً لعدة جرائد ومجلات. عاصر المؤلف جيل الستينيات بالأخص، وهو يصنف عند النقاد كافة ضمن هذا الجيل بالرغم من معاصرته جيل السبعينيات بكل ما فيه من تطورات واختلافات عن الجيل الذي سبقه. لذلك كان لا بد من نشر الأعمال الأدبية الكاملة للقاص خالد الرواوي خاصة بعد وفاته بأكثر من ست سنوات.

والكتاب هذا قد تم جمعه من العشرات بل المئات من قصاصات الجرائد والمجلات العراقية والعربية المنشورة في فترة الستينيات وبداية السبعينيات من القرن الماضي. وفضلاً عن ذلك، تم إدراج الكثير من الكتابات التي لم تنشر مسبقاً سواء في مجال القصة القصيرة جداً أو الأشعار. اعتمد الكاتب على نشر قصصه في الجرائد لكونها الوسيلة الأفضل والأرخص للوصول إلى الجمهور علاوة على كون الشكل الأدبي المختصر والمركز الذي يستعمله صالحًا للنشر في الصحفة. بدأ خالد الرواوي الكتابة عام 1962 عندما كان في الثانوية العامة حيث اعتمد إرسال الخواطر والتعليقات إلى الجرائد. وبعد عام 1963 أرسل بعض القصص القصيرة إلى عدد من الصحف ونشرت حينها، وتعد من القصص القليلة التي ظهرت بعد ثورة 1963. وفي عام 1964، بدأ خالد الرواوي عمله الصحفي المنتظم، حيث كتب عموداً يومياً في صحيفة (صوت العرب) باعتباره المحرر الثقافي لأن موقعجريدة (الثورة العربية) ليحمل محراً فيها، لكن سرعان ما عاد إلى جريدة (صوت العرب)

1 بلا مؤلف، "حكيائي مع الصحافة: د. خالد حبيب الرواوي"، جريدة العراق، العدد 4283، 7 شباط 1990. يذكر خالد الرواوي أنه خلال عام 1962 كانت السيدة سلام خياط تحرر إحدى الصحفات المنوعة وكانت ترسلها باستمرار، وحين انقطعت عن الكتابة إليها، أرسلت لي رسالة تحثني فيها على عدم الانقطاع عن الكتابة. وقد كان لرسالتها أثر كبير في نفسي.. ومازالت السيدة سلام خياط تناديني حتى اليوم بـ"ابني".

بعد معاودة إصدارها. وكان العديد من الكتاب والقصاصين والشعراء ينشرون أعمالهم في هذه الجريدة علاوة على الصفحات الأدبية لجريدة المغار والأنباء الجديدة والفجر الجديد ومجلة الطيران وأبناء النور...الخ.

وتكمّن أهمية هذا الكتاب في توثيق مرحلة أدبية مهمة في الأدب العراقي، لأنّه يعكس هموم الشباب وانتكاساتهم بسبب الحروب المتلاحقة والهزائم التي منيت بها الشعوب العربية. والكاتب لم يقتصر على القصة القصيرة جداً التي كان السباق والرائد في كتابتها في العراق، بل كتب أيضاً المسرحيات وخاصة العبّانية منها والتمثيليات التي تم تمثيل معظمها في التلفزيون الوطني العراقي وقصص الأطفال والخواطر والأشعار. وتتميز معظم الخواطر والأشعار التي كتبها خالد الرواوي برهافة الحس وعذوبة الكلمات وتعبر عن مرحلة الشباب التي كان يمر بها. وامتازت كتاباته اللاحقّة بالهدفية والالتزام نحو قضيّاً مصيريّاً كالمسألة الفلسطينيّة والتحرر من الاستعمار المتمثّل بالجهل والعبوديّة للتأليفات المتهّمة. لكن المؤلّف لم يكن حريصاً على جمع كتاباته وضمّها في كتاب واحد، ولم يكن يهتمّ بالسعى وراء الشهرة، حيث اقتصر على نشر بعض قصصه ضمن أربع مجلسيّات وهي الجسد والأبواب (1969) و القناع (1970) و القطار الليلي (1974) و العيون (1977).

لذلك ارتايت أن أقوم بنشر الأعمال الأدبية الكاملة وانتقاء ما هو أدب محض وإهمال النقد الأدبي والفن الذي اشتهر به في تلك الفترة، حيث تم تصنيف الكتابات المختلفة حسب الترتيب الزمني لنشرها بالرغم من أن بعض الأعمال قد أعيد نشرها في فترات أخرى، وتمت الإشارة إلى هذه التفاصيل في الهوامش. ويتضمن الكتاب مقدمة نقدية كتبها المحرر وتعرض فيها إلى طبيعة وأهمية القصص القصيرة جداً بالإضافة إلى أسلوب وهدف القصة عند خالد الرواوي. ويحوي الكتاب أيضاً صوراً منقاة للقصاص من حياته منذ صغره حتى آخر صورة التقطت له من أجل التوثيق. ويختتم الكتاب بثلاثة ملحوظ أحدها خاص عن خالد الإنسان ويشتهر كتابات متعددة تبدأ بوصية أبيه التي كتبها يوم ولادته ومقالات أخرى كتبها أصدقاؤه نشرت معظمها في الجرائد العراقيّة بعد وفاة الأديب. ولابد هنا ان اتقدم بخالص شكري الى الأستاذ ستار زيارة الذي قام بالمراجعة اللغوية وأثرى الكتاب برأيه النقدية.

1 د. خالد حبيب الرواوي، "جيـلـ الـسـيـنـاتـ" ، مجلـةـ الـفـيـاءـ، العـدـدـ 869ـ، 22ـ آـيـارـ 1985ـ، صـفـحةـ 49ـ

## القصة القصيرة والقصيرة جداً..

من الخطأ أن يقال إن القصة القصيرة هي نتاج القرن العشرين، حيث يمكن إيجاد القصة القصيرة منذ أيام السومريين والفراعنة وفي كتاب العهد القديم ومنها قصص روث ويوحنا. استمرت القصة القصيرة متداولة بين الناس في مختلف البلدان والثقافات في العالم لأنها الوسيلة المفضلة لنقل الحقائق التاريخية والعادات والتقاليد. وهي تختلف عن الرواية في الحجم وليس المضمون، حيث تتألف الرواية عادة من 20 ألف كلمة وأكثر بينما تتكون القصة القصيرة المطولة من كلمات أقل. وتحتفظ القصة القصيرة عن الرواية في التكيف اللغوي والتركيز على الشخصية أو الحدث وأمتاله الوحيدة في الموضوع أو حتى في الأسلوب. ويدرك نقاد آخرون أن القصة القصيرة تتكون من حوالي 15 ألف كلمة ومن المستحيل تمييزها عن الرواية سواء في استخدام عدد الشخصوص أو في وحدة الموضوع.<sup>1</sup> يقول الروائي الإنكليزي أي أم فورستر إن القصة مبنية على الترتيب الزمني بينما الحركة تعتمد على السبيبية بغض النظر عن طول القصة، مثلًا مات الملك، فماتت الملكة من الحزن". فهذه قصة بحد ذاتها لأن لها حركة متكاملة تتمثل بإدراج سبب ونتيجة ونرى تطوراً أو تغيراً في الشخصية الرئيسية.<sup>2</sup> أما القصة القصيرة جداً فلا يتعدى حجمها صفحة أو صفحتين يستخدم الفاصل فيها لغة مرکزة.

ويمكن أن تعد الكاتبة الفرنسية ناتالي ساروت (1900-1999) الرايدة في القصة القصيرة جداً، حيث اشتهرت بمجموعتها (*انفعالات*) 1938 والمكونة من 24 قصة. استخدمت ساروت منهج الوصف البحث للظاهرة الذي وضعه

- 
1. Sylvan Barnat, Morton Berman, & William Burto, A Dictionary of Literary, Dramatic, and Cinematic Terms, Boston: Little, Brown and Company, 1997, p.100.
  2. E.M. Forster, Aspects of the Novel, Middlesex: Penguin Books, 1971, p. 93.
  3. F. C. Hugh Holman, A Handbook to Literature, New York: The Odyssey Press, 1960, p. 458.

الفيلسوف الألماني هوسرل. فكتاب الفضة القصيرة جداً يكتب بدون مراعاة إدراج استنتاج أو استدلال أو حكم، فعلى القارئ أن يستنتاج ويستدل ويحكم بحرية. حيث قطع الفاصل صلتة بالقارئ لأن الهدف هو إثمار التجربة الإنسانية وإن كانت معقدة ورمزية لكنها تبقى تعبيراً صادقاً عن الواقع الخارجي المعمد وغير المنطقي. وما يميز كتابات ساروت هو أنها تصف انفعالات الشخص وتحاول وصف مكوناتها، لذلك "جاءت عباراتها منفصلة.. وكلماتها متباudeة. كثرت النقاط الثلاث... والمعنى المبهمة والأكارن المترنحة التي تعبر عن حالة نصف شعورية، إن لم تكون لا شعورية على الإطلاق".<sup>٤</sup>

على هذا الأساس، أنتج الكثير من الكتاب قصصهم لكنهم اختلفوا في الشكل والأسلوب، لذلك جاءت القصة القصيرة جداً لكي تعبر عن حقيقة وتركيز عليها بدلاً من تشويش القارئ بتفاصيل رواية وجموع من الشخصيات. ومتى نظر إلى القصة القصيرة جداً بالشد والتكتيف اللغوي، حيث يعتمد الفاصل إلى استخدام أقل الكلمات الممكنة وأكثرها تعابيرًا، لذلك تبدو القصة في النهاية قصيدة شعرية تكون عادة ذات طبيعة رمزية. ويعرف الناقد عباس الجبوري القصة القصيرة جداً على أنها "نط في يختزل الحديث الحسي والفكري بصورة خاطفة، محاولة في اقتناص لقطة عابرة... وهي عملية تعتمد الدقة والتركيز في اختطاف الصورة - الواقع - الإحساس. وهي وبالتالي تعتمد على قدرة الفاصل الفنية في تشكيل ضربة فكرية حادة إزاء الهدف المقصود".

ويذكر خالد الرواوي في مقال نشر عام 1966 يتعلّق بالقصة القصيرة جداً، أنها "من الأعمال الأدبية الخطيرة التي تتطلّب الدقة والفن والعلم... فقد انتهى دور السرد والتسلسل والوضوح وهي شروط كتابة القصة الكلاسيكية... وأضحى واجباً على الكاتب المعاصر أن يراعي اعتبارات معينة لكتابته القصة القصيرة... من هذه الاعتبارات.. اختيار المضمون المراد الكتابة فيه..

<sup>1</sup> ثانى ماروت، انفعالات، ترجمة وتقديم فتحى العشري، «ماروت.. والانفعالات والرواية الجديدة»، القاهرة: المطبعة الثقافية، 1971، صفة 2.

.25 نفـس المصـدر، صـفـحة

<sup>3</sup> عباس الجبوري، "مدخل دراسة (القصة القصيرة جداً)"، مجلة الطبيعة الأدبية، العدد 5-6، آيار وحزيران 1976، صفحة 29.

حيث ينطلق الكاتب اليه دون إضاعة خطأ في الجزئيات والحوادث الجانبية.. والأمر الآخر هو البحث عن شكل حديث في كتابة القصة.. هذا الشكل لا نستطيع أن نحدده سلفاً فلكل كاتب طريقته الخاصة.. إنما المهم أن يتعد عن شكل الحكاية التي شكل القطاع الأكبر في كتابة القصة.. أن يتعد عن نقل الأحداث الجاهزة التي هي حكمة الحكاية.. بالقدر الذي لا يضيع فيه المضمون أو يشوهد في التفصيلات الهامشية.. وخلوص هذه الكلمات يجرنا إلى البحث في مهمة القصة القصيرة.. إن غاية الحكاية هي تمضية الوقت بها والتسلية لسامعيها. ولكن بهذه هي مهمة القصة القصيرة أيضا؟ لا نستطيع أن نلغى الواقع وتقول ليست هذه مهمة القصة المعاصرة.. إنما نقول إن مهمتها استجلاب اللذة والتسلية إلى حد معين.. برفاقه في معاصرة المضمون الذي يدفع بماهيته عبر التسلية أو اللذة إلى القارئ.. كذلك فإن للجمالية أساسها في القصة القصيرة فالكاتب الجيد يختار وينقى ويصفى القصة و يجعلها محدودة مثل القصيدة".

ومن أبرز الكتاب العرب الذين كتبوا القصة القصيرة جداً زكريا تامر من سوريا ورشارد أبو شاور من فلسطين وجمال أبو حمدان من الأردن. أصر هؤلاء الكتاب على إدخال الشكل الجديد في القصة إلى الوطن العربي بالرغم من الانتقادات الكثيرة التي واجهوها.

#### خالد حبيب الرواوي : رائد القصة القصيرة جداً في العراق

يعد خالد حبيب الرواوي من رواد كتابة القصة القصيرة جداً في العراق، حيث حاول إدخال الشكل الأدبي الجديد من أجل تغيير الشكل التقليدي للقصة. وقد استخدم تقنيات أدب اللامعقول في كتاباته، لكنه أصر في الوقت ذاته على ضرورة وجود هدف أخلاقي أو اجتماعي وحتى سياسي من وراء الكتابة. وهو ينتقد معاصريه قائلاً "إن الأشكال الجديدة ليست من (ابتداع) الكتاب العراقيين.. بل إن جميع كتاب الدول النامية تفتقروا على الانتقالات الواسعة للأدب في الغرب (وراحوا) يختلسون الأشكال المناسبة لهم... إن الأدب العظيم لا يفاس بشكله، بل بما يرد فيه من كشوفات أصلية وعصيرية، وطالما أن أدبنا عاجز عن الاتيان بالكتشوفات، فإنه يبقى مكتسحاً وهامشياً... نحن إزاء أنس لا يشعرون بمسؤوليتهم تجاه الأدب.. كل ما

1 خالد حبيب الرواوي، "كلمة المحرر"، جريدة صوت العرب، 2-8-1966.

يقدمونه لنا مختلف، وشكلي يتذذنه وسيلة للامتياز والاستعراض. وعلى هذا ينبغي أن نفهم هذه الأشكال البراقة، المحوفة، إن تجاربنا العظيمة، وحياتنا الهائجة ستبقى خلف النواخذة في ظلام جهل هؤلاء الكتاب وبهلوانيتهم".<sup>١</sup> ويبدو أن خالد الرواوي اتبع نصيحة ميخائيل نعيمة الذي اعتاد مراسلته، حيث يقول الأخير في ما يخص هدف أدب اللامعقول: "إذا وجدت في أدب اللامعقول ما يهزك فاهتز، وإذا نفرت منه فدعه وشأنه. فالأدب، كالطعام، ما يهضمه وينتفع به الواحد قد لا يهضمه ولا ينفع به الآخر".<sup>٢</sup> اعتاد بعض النقاد على مهاجمة الكتابات التجديدية التي تقدم شكلاً غير معهود، ويعلق ميخائيل نعيمة عن هؤلاء النقاد قائلاً: "لكتب الناس ما شاؤوا - أبداً معقولاً أو لا معقولاً. فالمهم أن يكون هناك تفاعل بين الكاتب والقارئ، وأن يكون ذلك التفاعل لخير الاثنين".<sup>٣</sup>

يؤمن خالد الرواوي أن التجديد يحصل دوماً كجزء من تطور الأدب، حيث تتغير الأنواع الأدبية لكن يبقى إيصال المعاناة الإنسانية والمشاعر الصادقة الهدف من وراء الكتابات الأدبية. ويتساءل الفاصل: "ما حقيقة التجديد.. يكتفه ممثوه بأن تجدهم كان إسقاط الشكل القديم و (اختراع) شكل جديد.. ومسألة الشكل هاوية أساساً.. إذ ما أهمية إذا كان شكلاً وحسب.. فإنها يار أحد الركنين - الشكل والمضمون - في كافة الأعمال والمدارس يجعل العمل هلوسة أو بوقاً لا غير".<sup>٤</sup> ولا يعني التجديد بالنشبة للفاصل محو الأسس الصلبة للأدب، بل تشير إلى تغيير الهيكل الخارجي فقط، فهو يقول: "إن التجديد... لا يعني هدم الموجودات.. ولا تدمير المسائل المنطقية في الأشكال والصيغ والأفكار.. كذلك ليس بناء عمل أدبي من كلمات نافرة عن الاتصال الشرعي".<sup>٥</sup> وقد كانت الكتابة بشكل جديد صعبه في البداية لعدم الاعتياد على النوع الأدبي الحديث، حيث يعلق الفاصل في هذا الخصوص:

١ بلا مؤلف، "هل القصاصون العراقيون الجدد هامشيون؟"، جريدة الجمهورية، العدد 1054، 27 نيسان 1971.

٢ رسالة شخصية من ميخائيل نعيمة إلى خالد الرواوي، 10 تشرين الثاني، 1964.

٣ رسالة شخصية من ميخائيل نعيمة إلى خالد الرواوي، 3 شباط، 1965.

٤ خالد حبيب الرواوي، "صفحة المحرر"، مجلة وعي العمال، العدد 13، 7 تموز 1969.

٥ خالد حبيب الرواوي، "كلمة المحرر"، جريدة صوت العرب، 26-10-1965.

جرى التطور في "القصة القصيرة" في الغرب نتيجة عوامله الطبيعية المعروفة، أما في الشرق، لا سيما في بلادنا، فقد حدث فجأة، ولعل أهم سبب في (التطور) يرجع إلى (رغبة) الكتاب بأن يصبحوا معايشين للحضارة وأن يواكبوا مسارها ونومها، لذا كان التطور مسحًا هزيلًا، لا يملك قوة وجودة الحاضر. وبالاستطراد قليلاً، نستطيع تحديد الانقسام الموجود بين الكتابة الأصلية وغيرها معرفة حقيقة مودها أن الكتاب انفتحت أمامهم فجأة عشرات المطبوعات الأدبية المترجمة التي كانت تقصص أسلافهم. وقد نجح المقلدون في نسخ اللغة والبناء على شاكلتها. أما المضمون والموضوع، فقد ظل منحلاً ومتهاوتاً في الكتابات. وللسبب أن الكتابات العظيمة ليست شكلًا محضًا، بل هي فكر عظيم وأصيل. إن فالتطور يعتمد على الوعي والتجربة، وبدونهما لا يمكن إلا صنع نسخ مكررة ومفضوحة. وبالنسبة لي، فقد عاصرت جيلين مختلفين. جيل انقرض تقريباً كان يعتمد على الحكاية الخارجية وملامسة الأفعال من سطحها. والجيل الجديد الذي بدأ بغضبه على سلفه وما زال غاضباً دون أن يقدم، فعلاً، الأعمال الأدبية التي تجعل موقعه ثابتاً. إن دأب الكاتب لا يتعدد ولا يتغير، لذا فمهمةه هي تعريف وعيه بالتراث، بالزمن الحاضر، بالعالم، مستخدماً كل التراث الإنساني والذهني في تعين موقعه والاستمرار منه. وعلى هذا تكون علاقتي بالتطور. إن الأشكال وحتى تصصيات الذهنيات تكون تجريبية في هذه المرحلة من فترة النمو، وعلى أن أبطل الفناعات التي تجعل العمل يرتخي أو يقف عند نقطة الانتهاء.

ويقول حمدي مخالف الحديثي إن خالد الرواи "حاول أن يكون متقدراً من إباء جيله" بالقصة القصيرة جداً، فهو جزء من الاتجاه التجريبي لجيل السبعينيات الذي يعرفه على أنه يبحث في الشكلية وبرؤيا جديدة حاولت طرح أفكار ناقشت الواقع السياسي والاجتماعي والاقتصادي بإحساس ممتنع بالرمزية ذات روح نقدية حادة. وأصحاب هذا الاتجاه حاولوا تجاوز جيل الخمسينيات وعدم الاعتراف بما قدموه إلا من الناحية التوثيقية التاريخية

---

1 بلا مؤلف، "حوار مع القاص خالد الرواي"، مجلة وعي العمال، السنة الرابعة، العدد 57، 1 حزيران 1970.

لمسيرة القصة العراقية".<sup>1</sup> لكن الاعتماد على نوع أدبي جديد بعد خطوة جريئة لم تخل من انتقادات لاذعة، يقول خالد الرواوي "أعتقد أن كل مرحلة أفرزت كتابها ولكن التركيز على كتاب الخمسينات كان يأخذ شكله المركز وكان للحركات السياسية دور كبير في تسليط الضوء على بعض الكتاب والتنعيم على بعض الأسماء الأخرى ولكن في السبعينيات واتصالاً مع حركات التمرد في جميع أنحاء العالم فقد جرى تقويض الكثير من التقاليد والأعراف القديمة وظهرت موجة كتاب السبعينيات بصفاتها المعروفة عنها...".<sup>2</sup>

لكن بعض النقاد في فترة السبعينيات والسبعينيات لم يستطعوا تقبل مسألة التجديد ببساطة، لذلك عدوا إلى السخرية من أدب اللامعقول ومن كتاب القصة القصيرة جداً. يقول فاضل عباس هادي بعد نقاشه عن الأسلوب البلاغي والقصصي لخالد الرواوي في مقالته "الناشطون السياسيون والأسلوب الأدبي" (1970)، إن اللغة المجردة والمختصرة للقصاص لا تجعله فاهماً للطبيعة البشرية فهو يحلق فوق السطح مضحياً بالعمق، وهذا ما يصعب فهمه مما جعله مؤخراً عرضة للسخرية.<sup>3</sup> لكن تتساءل ناتالي ساروتليس هدف القصة هو "إحداث هزة تؤدي إلى تغيير في شعور القارئ؟"<sup>4</sup> ليس هدف الأدب إمداد رسائل مختلفة الأنواع بغض النظر عن الشكل والطريقة؟ لذلك يؤمن خالد الرواوي أن التجديد هو وسيلة وليس غاية. وفيما يتعلق بهدف الأدب بشكل عام، يقول خالد الرواوي إن "هناك نوعين من الكتاب ينشران، الأول يهدف إلى استمرار لتتبنيه إليه للمحافظة على مواقفه التي إنشاها بالنشر المركزي... وبالتأكيد أنا لا أحترم هذا النوع...إذ يحمل إدانته المتتجدد مع كل نشرة جديدة. وهذا النوع قد كشف تجوفه ولا أهميته لكنه ظل منطلقاً بروح الوقاحة الفظة في النشر. إن من كان وقحاً مغلقاً لا يحس

1 حمدي مخلف الحديثي، "القصة القصيرة جداً: جيل السبعينيات.. موقف"، جريدة العراق، 2 تشرين الثاني 1996.

2 الرحمنى، "لقاء مع د. خالد الرواوي"، جريدة العراق، العدد 3466، 15 حزيران 1987.

3 Fadhil Abbas Hadi, "Of Political Agitators and Poetic Diction," *Baghdad Observer*, No. 823, 29-09-1970.

4 ناتالي ساروت، *النفعات، ترجمة وتقدير فتحى العشري، ساروت. والنفعات والرواية الجديدة*، القاهرة: المطبعة الثقافية، 1971، صفحة 32.

بمسؤولية قط ولا تحرجاً إزاء الفكر. إنه كومة من كلمات مزورة مزينة بتفاهة، خالية من الفكر والكتوفات. أما النوع الثاني الذي يريد التخلص من مرحلة سابقة وتجاوزها إلى تقدم دائم وفتح أوسع فهو المسؤول الذي يعتقد أن مهمته تبدأ. إنه عكس وانعكاس. أن يبقى جديداً حاراً. أن يهداً وعيه ويُكف عن الكشوفات".\*

وربما اقترب الناقد شجاع مسلم العاني في تحليله لقصة القصيرة جداً وما يسميه بـ"بيار الوصف الخارجي المباشر مما تهدف إليه ساروت"، حيث يذكر أن قصصن خالد الرواوي "في اقتصادها الشديد بالكلمات"، وفي اقتصادها في وصفها للعالم الخارجي على أقل ما يمكن من الموضوعات، وفي إبرافها التئري بعيداً عن سمو الشعر أو روح التحليل، هذه الأقصوصة تقترب من (السكتش). إن القاص هنا، لا يقدم لنا أقصوصة حية نابعة بالحياة، بل يقدم لنا هيكلأ عظيمياً للأقصوصة وعلى خيان القارئ تقع مهمة إكساء هذا الهيكل العظمي باللحم والدم".<sup>1</sup> تعد العلاقة بين القارئ والكاتب إحدى مكونات الحداثة، فأصبح الاشتان يسيران معاً نحو فهم العمل الأدبي وتعريضه لتقسيرات أدبية لا متنامية.

نشر خالد الرواوي أول مجموعة قصصية عام 1969 بعنوان (الجسد والأبواب) وأمتازت برمزيتها ولغتها الصعبه وهي تمثل المرحلة الأولى لتطوره القصصي مع المجموعة التي تلتها (الفنان) عام 1971. ويشير عنوان المجموعة الأولى إلى الجسد، لأنه كيان مقدس، ويجب أن يعامل بكل تجليل حسب رؤية القاص. وتتل بعض الشخصيات على وجود اعتقاد لدى الكاتب بخصوصية جسد المرأة خصوصاً والرجل عموماً. وهو ما يشير إليه دوماً بإحساس ابن الشرق نحو المحرمات ويتتحول في بعض الأحيان إلى إحساس نرجسي نحو جسده نفسه. وتوكد رمزية العنوان أن الجسد هو باب الروح والكيان الذي يميز الإنسان ويعطيه ماهيته من خلال شكله وحاجاته الفسيولوجية. بالرغم من أن الرموز الجنسية واضحة في الشخص بشكل عام، إلا أن الكاتب يمرر دروساً وعبرًا أخلاقية ملتزمة في الوقت ذاته. على

1 بلا مؤلف، "حوار مع القاص خالد الرواوي،" مجلة وعي العمال، السنة الرابعة، العدد 57، 1 حزيران 1970.

2 شجاع مسلم العاني، "اتجاهات الأقصوصة العراقية الجديدة،" المثقف العربي، العدد 3، نيسان 1970، صفحة 82.

سبيل المثال، يحاول الرجل في قصة (مسافات) ضمن مجموعة (العيون) ممارسة الجنس مع امرأة غريبة، لكن ينتابه شعور بالقرف والضياع في الأخير. وهذا ينطبق على أغلب قصصه التي تتناول علاقات حب غير شرعية حيث تنتهي بالفشل، وهو ما يدل على البعد الأخلاقي والهادف للقصص.

وتتناول القصص في مجموعة (الجسد والأبواب) لمحات مقتضبة وقصيرة عن حياة العامة ومتاعبهم وخاصة بعض الناشطين السياسيين من الشباب. وتصور كذلك مواقف مختلفة من حياة خباز وبائع السمسم وزبال وبائع النفط وعامل البناء وصباغ الأخدية... الخ. ويطير القاص تعاطفاً مع هذه الفئات المظلومة، نظراً لأنها تكدر من أجل لقمة عيش شريفة، لكن أغليهم يصطدمون مع جشع وطمع الأرستقراطيين الأغنياء. والكاتب يمرر رسالة فحواها أن الإنسان لا يقلس إطلاقاً بطبعية عمله بل من خلال حسن معاملته للآخرين، بغض النظر عن المال الذي يمتلكه. ويشير كذلك إلى حقيقة أن الإنسان يمكن أن يكون قاسياً وأنانياً إلى درجة يفقد معها إنسانيته التي تميزه. وهناك محور قوي في قصصه لا وهو الصراع الطبقي بين الأرستقراطيين وطبقة الكادحين. والقصاص يؤكد دوماً على ذناعة الأغبياء لأنهم يتحققون الآخرين ويتحكمون بحياتهم. حيث يتناول القاص مسألة الظلم في المجتمع وبالخصوص ضد القراء الجهة الذين لا يعرفون كيف يحصلون على حقوقهم الأساسية. وعلاوة على ذلك، يعرض خالد الرواوي صوراً سينمائية من حيوانات المغضطهدين السياسيين ولو كانت منقطعة وقصيرة، لكنها تعبر عن معاناة إنسانية حقيقة. ويمكن بوضوح رؤية التفسير الماركسي للأدب عند القاص الذي يميز بين الكتاب البرجوازيين والاشتركيين الثوريين الذين يريدون تغيير وهدم كل الأصنام القديمة والعادات الرجعية من خلال أدب اشتراكي عربي يومنه أن يصل إلى مصاف الأدب العالمي. ولقد وصف أهمية الأدب في الحياة العامة والسياسية بالكلمات التالية: "إن بعض مهمة الأدب... يمكن أن يشار إليها بإسهامها بجد وصدق بترسيخ الثورة والدعوة لها... وبث المفاهيم الاشتراكية وما ينبع منها من معتقدات وأخلاقيات وغرزها في طبيعة البشر... مع احتفاظها بالطليعة في إيجاد معارك التحرر

والبناء.. مع اتصالها الكامل بالإنسان بداية ونتيجة".<sup>١</sup> لم يكن خالد الرواوي مقتناً تماماً بنتائج الأصوصرة العراقية خصوصاً والערבية عموماً لأنها كانت مرتبطة بمرحلة رجعية عانت فيها الأمة الكبير وأثرت، تبعاً، على مستوى الكتابات السابقة. يقول القاص في هذاخصوص:

إن الأديب الذي يعيش في رقعة مكانية معلومة تحكمها شرائع معينة وتحوطها عادات وروابط يكون ابن تلك الأجهزة. فعندما يمتحن وجوده الأدبي الحياة يستمد ما يعينه على الحياة والانطلاق من تلك البيئة.. فهو يرصد التحركات والغرائز والكمائن ويرصد المحيط العام.. ومن خلال عمق التقاطه لتلك الأشياء يستطيع بذلك العمق ذاته تعریغ إكسائه الشخصي لمحتوى تلك الأشياء.. وكلما كانت معاناته متفاولة كان العطاء أضيق وأفضل.. ونخلص إلى أن الأدب للشعب هو الذي يكون من الناس وينتهي إليهم.. ومن سمات الأدب الاشتراكي أن علاقته التامة بالإنسان وال العلاقات الإنسانية مما يجعلان اللذان يغترف منها الأدب معينه.. والإنسان هو قمة الموجودات في العالم وهو الملتقي الأول والأخير للأدب لذا ينبغي البحث في مجاهيله وكوامنه وإسبار علاقاته مع الناس ليتمكن هذا - الإنسان - من العثور على نفسه الثالثة.<sup>٢</sup>

ولهذا، وبسب حسه الوطني والقومي العالي، ركز القاص على ربط نفسه بالواقع الذي يعكس أبداً محدثاً وهادفاً، لكونه عاش مرحلة مضطربة. وفي جوابه عن تصوير معاناة الثوريين في قصصه، يقول خالد الرواوي:

أنا موجود ضمن أرض محددة لها حدود معلومة وتهب عليها رياح ذات روانج وألوان مميزة، فوجودي هذا أباح لي تقدير المسافة والأنواء والعوامل المؤثرة في الحياة على تلك الأرض. لقد مر معظم الشباب العراقي بتجارب سياسية، سواء حزبية أو لا منتمية. ولحلل في المسار التاريخي حصلت التباسات كثيرة وإنكسارات متعددة قدفت بالفاعل السياسي إلى خارج الفعل وجرنته تماماً من ديناميكته لقد كبر الطفل وهو مصيوب في قالب سياسي. كبير بلا طفولة، بلا مراهقة، بلا عيش، بلا أحلام. كبير ورأسه يدوى

١ خالد حبيب الرواوي، "الأدب والثورة العربية"، جريدة صوت العرب، العدد 183، 28-1966.

٢ خالد حبيب الرواوي، "علامات الخلاص والأدب العربي الحديث"، جريدة صوت العرب، 15-8-1966.

بالشعارات ومقولات الثورة. ثم اكتشف فجأة أنه وحيد. الآخرون انسحبوا أو اختروا أو صاروا جلادين يلاحقونه فليه مرارة تملأ قمه ورأسه وقلبه بعد ذلك. والغريب أن ثورة 14 تموز بدأت كبيرة ثم بدأت تصغر مباشرة بعدها باتفاقها. إن المرارة ومحاولة الجنون للبقاء في النظافة واليأس مع الأمل في الثورة هي التي دفعت إلى ارتباط النموذج الفطري. إن التملص من الأرض أو من الإنسان الذي فيها هو سقوط في الفراغ وهو الحاجز الذي تنهار عليه الادعاءات والحقائق والثقافات الموهومة. إن معاناة العيش ضمن التجارب مع قدرة كشفها ضمنوعي عصري شامل هو الذي يخلق الأدب الحقيقي. أما قدرة فرز نماذج تجريبية منفصلة فلا يحمل دلالة ابتساروعي الكاتب المholm بمقدمات رنانة.

وعلوة على ذلك، يتناول الكثير من القصص الرعب الذي ينتاب الشخصيات جراء مواجهتها الموت سواء داخل السجن أو في جهة القتل أو الحياة العامة. أما معاناة السجن، فهو هاجس دائم اعتماد الكاتب تكراره كأنه كالبوس يطبق على شخصياته. يشعر الكاتب أن الإنسان يضحي معزولاً وضعيفاً وفانياً لإنسانيته في الزنزانة، لذلك ركز مراراً على هذه التجربة الإنسانية من أجل إيصال الشعور بالألم والمرارة التي تنتاب السجين. في مقابلة صحافية مع خالد الرواوي عام 1969 وصف العالم العربي بأنه يحوي "نطماً جافة متراكمة. الإنسان فيها صفر، لا يملك حق جسده وفكره. إنه مطارد للنهاية. لا يدري ماذا تخفي له خطوطه القادمة وغير سنوات كثيرة امتصت الإنسان حتى عظامه. هذا الهول الإنساني أكبر وأكبر من أية قصة كتبت حتى الآن... والقصة عندها كما طرحت تبدو خالية تماماً من الأرضية العراقية الحقيقة..."<sup>1</sup> وقد شخص القاص الحالـة السياسية المتراكمة للعالم العربي عموماً التي تتعكس دوماً على الإنسان الذي يضحي مسحوقاً وممزقاً نتيجة الاضطهاد والدكتatorية، قائلاً: "إن تالق أي أدب.. هو ارتباطه بقضية ما.. فكيف نطلب من كاتب كان يعيش في بلد يخشى إنسانه من ظله، وهو لا يأمل البقاء حياً في خطوة تالية، ويسمح في كل صباح أمطار الدم التي تملأ

1 بلا مؤلف، "حوار مع القاص خالد الرواوي،" مجلة وعي العمال، السنة الرابعة، العدد 1، 57، 1 حزيران 1970.

2 أسامة الصالحي، "الجديد في القصة العراقية: الإنسان صفر ولا يملك حق فكره وجسده،" مجلة الأسبوع العربي، العدد 520، 26 آيار، 1969.

باحثات حياته والتي كانت تتفجر في كل ثانية.. كيف نطلب منهم ذلك ورؤيتهم كانت ابتسامة او بصفة امرأة.. لو يعيشون شبه ذلك.. إن إنسان العصر الذي يبحث عن حريةه الجسدية والمطلقة في شكلها الوجودي أو العقائدي.. أو الإنسان الفوضوي الذي يبقى تهديم كل شيء.. هو الإنسان الذي فقدناه.. وهو قضيته يشكلان الكتابة العصرية.."

ومن الموضوعات المذكورة في قصصه هي العلاقات الإنسانية المعقدة وخيانة الحبوبة وال العلاقات الزوجية المتفككة، نجدها مثلاً في قصة (المعادلة) في مجموعة (الفناء) وقصة (الانزلاق) في مجموعة (الجسد والأبواب) التي تتناول قصة امرأة أرادت خيانة زوجها، لكنها غرت رأيها في اللحظة الأخيرة.

في المجموعة الثانية (الفناء)، يركز الكاتب على موضوع الشخصية في صراعاتها النفسية مع الذات والآخر. ويشير العنوان إلى أن الناس يرتدون أقنعة في تصرفاتهم مع الآخرين وحتى مع أنفسهم. وهذا الزيف الذي بدأ ينتشر ويجمّع بين الناس وبالأشخاص الأدباء هو من أكثر القضايا التي ينتقدها الكاتب. يقول خالد الرواوي في مقالته "هوم القصة القصيرة" إن بعض كتاب القصة القصيرة "يزيفون الكلمات ويكذبون حتى على أنفسهم. يكتبون عن الحب والجنس والرغبات الحارقة والضياع والابتذال المعنوي الخ.. وينسون أنهم على أرض.. إنهم في حقيقة.. حقيقة هائلة لا تنتهي.. إن الوطن سار في بحر مائج سنوات طوالاً وهم يكتذبون وكأنهم كانوا نباماً أو مفقودين.. أهي غفالة أم تهرب؟ الجواب هو تهرب.. تهرب من وضعية خطورة.. لا يستطيع لمسها إلا من يملكون إيمان المتعصبين وتضحية الأبطال الخرافيين.. هذا التهرب مقصود ويدخل الخوف عظامهم من محاولة الاقتراب لأنهم ما إن يقفوا حتى تصفعهم الريح وتنتزع تركيزهم وأذهانهم. إنهم ينتمون إلى جيل الحكائين المستهلكين الذين لم يعرفوا ما المراد من القصة القصيرة.. إن هؤلاء الناس الذين تستغل عقولهم فتيات حسناوات أو الكتابين لأسمائهم أو من المؤسرين الذين يتسلون بالكتابة القول ينطبق عليهم.. إنهم الهرزلية التي تعيشها القصة في هذا البلد.. إنهم يكتبون عن أفكار ومضمونين دخل فيهاآلاف المرات منذ مئات السنين.. إنهم الشيخوخة التي تتعرف في هذا الزمن.. القصة القصيرة يا سادة ليست لعبة وليس لها لمساجدة امرأة وليس لها نسليه.. إنني

1 خالد حبيب الرواوي، "صفحة المحرر"، مجلة وعي العمال، العدد 13، 7 تموز 1969.

أردد مع أحد النقاد العراقيين - إن كتابنا يبدأون من بداية البداية.. وما دامت النتيجة موحشة منها، فلن يفدي هؤلاء الناس النصيحة ولا الإنذارات ما داموا يستمرون الرقص على غباء بعض البشر...”

وتمثل الكثير من القصص إلى السخرية من الذين يدعون مالبس لهم أو من الذين يلبسون الأقنعة في تصرفاتهم. ويستهجن القاص بشدة الادعاء والكذب داعيا الناس لأن يتصرفوا حسب طبيعتهم راضيا في الوقت نفسه الطبقية في المجتمع. والدلالة الأخرى للعنوان (القابع) هو أن الرمزية اللغوية لهذه المجموعة ما هي إلا قناع يستخدمه الكاتب لكي يستدل القارئ على رسالته بشكل غير مباشر. وبشكل عام، بذلك نظرة سوداوية متسلمة توعاً ما في القصص، يعود جزء منها إلى الواقع المرير الذي عاشه مع جيله، وجزء آخر يعود إلى وجهة النظر الشخصية للكاتب تجاه الآخرين.

وتتحقق رؤية خالد الرواوى من فلسفة وجودية متمثلة في تصوير الإنسان الذي يكافح في حياته محاولا التخلص والتخلص من حتمية المعاناة والآلام. وتأتى هذه النظرة من الواقع الذي كان يعيش فيه القاص وخاصة في نهاية الخمسينيات والستينيات التي اتسمت بانتشار مفاهيم فلسفية وثقافية جديدة على الواقع العربي. وهو يتسائل على لسان إحدى شخصياته: “لماذا يولد الإنسان ليموت؟”<sup>١</sup>

وتتحو بعض القصص إلى الخيال معتمدة على التحول الكينوني للشخصوس بما يسمى بالميتامورفوس. ويشير القاص هنا إلى عبادة الوجود ورؤيه سريالية نحو الإنسان جاعلا بعض قصصه أشبه بسرد أحلام ذات دلالات رمزية غير خالية من حس فكاهي. يقول الناقد عباس الجبوري إن خالد الرواوى وهو “أكثر غزارة في كتابة” القصة القصيرة جدا من بين أبناء جيله، حيث تجد عالما فنتازيا تختلط به أجواء كافكا وكامو وسارتر الضبابية، (و) تتسرح في قصصه شخصوص انطولوجية وسوداوية قائمة تذكرنا بميرسو

١ خالد حبيب الرواوى، ”هوم القصة القصيرة“، جريدة الجمهورية، 21 تشرين الأول 1966.

٢ خالد حبيب الرواوى، ”الجدار وزهور البحر“، في مجموعة الجسد والأبواب، النجف: مطبعة الغربى الحديثة، 1969، صفة 26.

الغريب، وبطل الغثيان والمسخ، والقصر.. ثم تبرز من خلال القصص علامات فكرية تجرنا إلى التمرد والوجود واللامعقول، (كولن ولسن)”。 وفي مجموعته الثالثة (القطار الليلي)، غير خالد الراوي أسلوبه اللغوي والقصصي بعض الشيء، حيث أصبحت اللغة أسهل وقل استخدامه للرموز والأسلوب البلاغي. على الرغم من هذا، حافظ الفاصل على موضوعاته المعادة ومنها معاناة السجينين والقضية الفلسطينية وتصوير حياة الفدائيين الذين يقاتلون من أجل تحرير وطنهم المحتل. وحتى أسماء الشخصيات فاما تكون كاملة، إنما على الأغلب يرمز لها الفاصل بحرف واحد، للإشارة إلى أن ليس لها كينونات ثابتة ولا تشعر بإنسانيتها وهي ممثة وبالتالي لإنسان العصر الحديث. وفي هذا المنحى التجديدي، يقول الناقد فوزي كريم إن خالد الراوي يملك ”المنهاج الشعري- الإنساني“ وهو يبتعد ما وسعه عن الاسترسال ويلتجئ إلى ملاحة الحدث والأبطال لقططات سريعة“.<sup>٤</sup>

وتبين مجموعة (العيون) 1977 تأثير ثاتلي ساروت أكثر من غيرها، وهي لاتتعامل مع شخص محدد بل نماذج من شخصوص. ويشير الفاصل هنا إلى أن الأحداث المقتضبة التي يتتلوها في قصصه قد تحدث لأي شخص في أي زمان، حيث يكون التركيز على الموقف أكثر من الشخصية. فقصة (النافذة) على سبيل المثال، تعد لوحة فنية انتعباعية بحد ذاتها.

الأدب الملترم : والقضية الفلسطينية

تبثق رؤية خالد الرواوي من الواقع الذي كان يعيشه، فقد اعتمد انتقاد الاتجاهات الأدبية السائدة في وقته والكتاب الذين يقدّمون الغرب من أجل التقليد فقط بدون وجود الهدفية. وقد ركز على أهمية الصدق والانفتاح في الكتابات التقنية، لأنّه يشعر أنّ الكتاب مهمّة أخلاقية ومسؤولية اجتماعية تتعلّقها عليه طرفة محيطه، فهو يقول: إنّ الأدب والسياسة محرّكان يدفع

<sup>1</sup> عباس الجبورى، "مدخل دراسة (القصة القصيرة جداً)"، مجلة الطليعة الأدبية، العدد 5-6، أيام وحزيران 1976، صفحة 31.

<sup>242</sup> فوزي كريم، من الغربة حتى وعي الغربية، بغداد: دار الحرية للطباعة، 1972، صفحة 242.

أحدهما الآخر حيويته فيمنه البقاء الحقيقي". وقد مر الوطن العربي في فترة السبعينيات بالأخص بمرحلة عصيبة شهدت انتكاسة حزيران 1967، التي تركت جرحا عميقا عند أبناء الجيل الملتهم في وقتها، حيث خلقت انتكاسات الحرية للعرب واقعاً مريضاً ومؤلماً عند الأجيال الشابة الوعية التي أرادت النهوض ثورياً بهذا الواقع. وبشكل عام، امتازت هذه الكتابات بالحدية والجدية المفرطة، وقد اشتمل نقد خالد الرواи على الأدب بأنواعه والفن وحتى بعض الممارسات الاجتماعية الخاطئة.

بعد انضمام خالد إلى اللجنة الإعلامية للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، كان يكلف بالذهاب إلى بيروت وعمان ودمشق في مهمات خاصة. وينظر أنه اعتاد السفر باسماء وهوية كجزء من التمويه وقد دون بعض تجاربه التي أغناها السفر في قصتي (مياه) و (الحدقة) في مجموعة (القناع) وقصة (القوس) في مجموعة (القطار الليلي). وظلت المسألة الفلسطينية من الموضوعات التي انشغل بها في كتاباته وحياته. يذكر خالد الرواي عن دور الأديب في القضية الفلسطينية:

النهر الجديد الذي اكتشفه الكتاب العرب بعد 5 حزيران.. هو دور الأديب العربي في المعركة وأدب ما بعد حزيران.. وصار الكل يرمون بهذا النهر تحطيماتهم وإبداعاتهم الفكرية الكلامية وتصوراتهم للأدب السحري الجديد وابعاده! كان الأدب اختراع وليس حياة.. وغير حديد الاستنتاج أن النكسة الحزيرانية امتداد لأنفصال فلسطين عام 1948.. وإن ذات الأسباب وإن اختلفت نسبياً- كانت منتجة الخساراة.. إن فلسطين- من خلال الأدب البرجوازي الزائف- كانت حلماً للشعراء الذين يتغذون ببرقالها وليمونها ويرثون لخيامها.. وصار الصهاينة محطات اللعنة والتهديدات باسوا المصائر.. بهذه العاطفة الحمقاء بهذا السعي الساذج، هكذا كان يواجه الأدب البرجوازي تلاقي وتفاعل الحماهير العربية المخدوعة والمخدورة بقضية فلسطين.. فخلال الكثير من السنوات.. طرحت مئات الآلاف من القصائد والموضوعات عن فلسطين.. وكانت زيفها وبطلانها كلها في حزيران.. لأنها كانت خالية من الصدق والشجاعة والأصالة.. إن الحرب هي القوة والستراتيج

1 خالد حبيب الرواـي، تموز القـائد، جـريدة الثـورة العـربـية، العـدد 301، 16 تمـوز 1965.

والسرعة..والشعر العربي هو الشعر العربي: شبك نصطاد بها أنفسنا...إن المسألة الأساسية التي أريد توضيحها، إن الأديب الأصيل لا يمكن بأي حال ان يكتب عن قضية ما الا من خلال انفعاله الداخلي بها.. وتكون عملية ربط الوعي بالإحساس هو النور النقي في ولادة الأدب الحقيقي...اما أن يقف الكتاب وينحشو عن دور الأدب في المعركةـ فهذا هو البؤس الذي نرفضهـ أين كانوا خلال عشرين سنة من المعركة!!ـ..أينهم ممثرون زاحفون من الطين البرجوازي الذي كنا غرقى الى أعنافنا فيه..

ـ إلى الأدباءـ انكم تحدون دور الأديب في المعركةـ. فلين دوركم الأدبي في المعركة!!ـ إن النغمات الفجائية الفقاعية تبقى زينة ملماً مزاجاًـ. إنها تدينـ الإبداعـاتـ التي تطلقهاـ. إنها سقوط الجبل الأدبي القديمـ. انه موته النهائي في هذا العصرـ. إن الأديب إنسان يملك من الحساسية والقدرة على التشخيص ما يفوق به غيره من الحرفيينـ. لذا فهو يعيش الحرب والنكسةـ والأملـ والثورةـ كجزء منهاـ. كفرد يتنفسـ ويعطيـ، وهو مرصدـ ومحفزـ. وعندـ الضرورةـ يحمل السلاحـ ليقاتلـ.. ومنـ هذه الأرضيةـ يكونـ الأديبـ الحقيقيـ الذي يعيش دورهـ. لاـ أنـ يكتبـ عنـ فلسطينـ ليقالـ عنهـ انهـ ملتزمـ أوـ يشاركــ بشعورـ!!ــ فيـ الأحداثـ التيـ تقعـ هناكـ!!ـ إنـ عصرـ الوعيـ الحقيقيـ ابتدأـ.. وكلـ عربـاتـ التزيفـ والاستغفالـ التيـ كانتـ تحملـ الأدبـ لشعبـناـ العربيـ خلالـ المئاتـ منـ السنينـ سيحرقـهاـ الشبابـ..الذينـ تولدـ الثورةـ منـ دمائـهمـ ويتعمـدوـ بيمـ..

ويخطئ الناقد رزاق إبراهيم حسن في وصف القاص خالد الرواوي بأنه "يهمل الكثير من المعطيات المتوفرة في الشخصية، كما يعزلها عن الواقع الاجتماعي والسياسي، و يجعلها في مواجهة نفسها فقط".<sup>1</sup> ربما احتوت بعض الشخص على تحليل نفسي مجرد لبعض الشخصيات، لكن ظلت القضية المصيرية في مخيلة الكاتب تشغله وفكره كلها وانعكست على شخصياته التي رسمها. يقول خالد الرواوي في مقابلة صحفية إن "في جميع كتاباتي كنت

1 خالد حبيب الرواوي، "دور الأديب"، مجلة الشباب، العدد 12، حزيران 1969، صفحة 35.

2 رزاق إبراهيم حسن، الشخصية العمالية في القصة العراقية، بغداد: دار الحرية للطباعة، 1977، صفحة 111.

أعبر عن نضال الإنسان ويحثه عن الحرية وقيمه الوطنية..<sup>\*</sup> وهو يأمل بخلق أدب قومي له أهدافه المتمثلة بخلق وعي عند الشباب يتعلق بالقضايا المصيرية، وهو يقول: "إن الأدب الحقيقي في البلاد العربية نما طبعنا كالأشجار ولذا فمسؤولية الشباب عسيرة لخلق أدب قومي - عالمي ولم يكشف النثر حتى الآن عن انطلاقه عظيمة".<sup>†</sup> وبكلمات أخرى، ينصح الأدب إذا ربط الإنسان بتاريخه وثقافته ودينه وهمومه، لكنه يضحي أديباً سلبياً، كما يشير إليه القاص، إذا كان "غايته تشويه العلاقة بين الإنسان والمحيط الخارجي لذاته"، ويضحي هنا "أدب مخرب.. مهما كانت روعة الأسلوب وفنية العبارات التي صنع بها".<sup>‡</sup> لكنه كان يعتقد بوجود مؤامرة كبيرة من أجل محاربة أي أدب قومي هادف، لتنتهي الجماهير عن مواصلة نضالها أو حتى تعميق الوعي بهذا النضال. ففي مقابلة مع الأديبة المصرية صافيناز كاظم نشرت في مجلة الفباء، طرح السؤال التالي: "ما مدى صحة ما يقال من أن الأدب العراقي أو الأدب العربي بصورة عامة مهم بقصد مسبق؟ ف وقالت بدهشة: كيف؟ هل هذا كلام خالد الرواوي؟"<sup>§</sup>

وتجدر الإشارة إلى أن القاص كانت له حساسية مفرطة تجاه قضايا الوطن جعلته يعكف في بداية السبعينيات وما تلاها عن التفكير في المشاركة الفعالة في الحياة السياسية نظراً إلى خيبات الأمل الكثيرة والأنظمة القمعية التي لا ترحم. لهذا فضل الصمت كردة فعل طبيعية نحو الفساد الحكومي والمصائب التي ابتنى بها الشعوب العربية، وباتت الأنظمة الدكتاتورية الناجي الوحيد بفضل الظلم والإجحاف الذي مارسته".<sup>\*\*</sup>

1 الرحماني، دفاع مع د. خالد الرواوي، "جريدة العراق، العدد 3466، 15 حزيران 1987.

2 حوار مع القاص خالد الرواوي، "مجلة وعي العمال، السنة الرابعة، العدد 57، 1 حزيران 1970.

3 خالد حبيب الرواوي، "السلبية والأدب المعاصر"، "جريدة فتن العرب، العدد 28، آذار 1966.

4 صادق الصانع، "لقاء مع صافي ناز كاظم"، ملحق الفباء، العدد (41)، 1969/4/16.

5 لمزيد من البحوث والدراسات النقدية التي تناولت القاص خالد الرواوي، انظر يوسف الحيدري، "الجسد والأبواب"، مجلة الط眸، العدد 8، آب 1969، صفحات 65-66 وحسب الله يحيى، "الأبواب الرواوي المفتوحة"، جريدة الجمهورية (العدد الأسبوعي)،

العدد 437، 10 مايو 1969 وعياس التدري، "ملاحظات عن الجسد والأبواب"، مجلة العمل الشعبي، العدد 11، 16 نيسان 1969، صفحة 33 و حامد الهيثى، "وجوه في الجسد والأبواب"، جريدة الجمهورية (العدد الأسبوعي)، العدد 409، 12 نيسان 1969، صفحة 14 و شريف الريبي، "خالد الرواوى.. العلاقة والتجربة"، مجلة الأذاعة والتلفزيون، العدد 7، نيسان 1969، صفحة 27 و شريف الريبي، "تحو بطن ثورى.. دون (فague)"، مجلة الهدف (الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين)، السنة الثانية، العدد 60، 19 أيلول 1970 و حامد الهيثى، عن القناع.. ورعب الوجه المخدوع،"جريدة الجمهورية، 1/15/1971 و موسى كريدى، كتب عراقية صدرت، "مجلة المثقف العربى، أيلول وتشرين أول 1971، صفحة 164 و أنور الغسانى "دراسة فى أمراض القصة العراقية القصيرة: من أجل إعادة علاقه القصة بالواقع" مجلة الأقلام، العدد الخامس، حزيران 1971 و احمد فياض المفرجي "مصادر دراسة القصة القصيرة في العراق" مجلة الأقلام، العدد الأول، 1972 و جهاد مجید "محاولة في الكشف عن القصة العراقية" مجلة الأقلام، العدد الرابع، 1972 و فاضل ثامر و ياسين التصbir، "محاولة في الكشف عن واقع القصة العراقية" مجلة الأقلام، العدد الثامن، 1972 وباسم عبد الحميد حودي، "هذه القصة العراقية القصيرة جداً" جريدة الجمهورية، العدد 2014، 9 مايس 1974 و غالب هتسا، "القصة فى شهر" ، مجلة لف باء، العدد 472، 5 تشرين الأول، 1977 و بلا مؤلف، "العيون" جريدة الثورة، العدد 2827، صفحة 6، 10/16/1977 و سلام كاظم، "العيون ولماذا القصة القصيرة جداً؟" جريدة الثورة، العدد 2819، 1977/10/6، صفحة 6 و يوسف نمر نياپ، "العيون" جريدة الجمهورية، العدد 3082، 1977/10/7، صفحة 6 و نقية محمد قديل، "العيون" مجلة الأقلام، العدد الرابع، السنة الثالثة، كانون الثاني 1978، صفحة 146-149 وعلى عبد الحسين مخيف، "العيون" مجلة الأقلام، العدد الحادى عشر، آب 1978، صفحة 125-129 و باسم عبد الحميد حودي، "القصة العراقية القصيرة في زمن الثورة: الثورة حلما.. الثورة واقعاً" جريدة الجمهورية، العدد 8525، 26 تموز 1993 وشكيب كاظم سعودي، "حديث عن القصة القصيرة جداً" جريدة العرب الدولية، العدد (6121)، 2001/4/18 واحمد خالد الرواوى، "خالد حبيب الرواوى: رائد القصة القصيرة جداً في العراق" ، الأطروحة، الجامعة المستنصرية، كلية المعلمين، العدد الاول، السنة الأولى، آب 2002، صفحة 32...الخ.

## **خالد حبيب علي الراوي في سطور**

- ولد في بغداد في 26/5/1944
- نشر أول مقال له عام 1962 في جريدة الأخبار
- أكمل دراسته في إعدادية الأعظمية للبنين عام 1963
- دخل كلية الحقوق / جامعة بغداد وتخرج فيها عام 1967
- سافر الى مصر ودرس الدبلوم العالي في التشريع الضريبي في كلية الحقوق / جامعة القاهرة عام 1967 وعمل حينها مراسلاً لعدة جرائد ومجلات عراقية.
- رجع الى العراق عام 1969 وعمل محرراً في مجلة الشباب وسكرتير تحرير مجلة العلم والحياة التابعتين لوزارة رعاية الشباب
- عمل مع الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين مسؤولاً عن الأبواب الأدبية لمجلة الهدف عام 1969 وسافر الى العديد من البلدان العربية بأسماء مستعارة لهذا الغرض من بينهاالأردن ولبنان وسوريا
- عمل مديرًا لقسم الإعلام والوثائق والترجمة والنشر في وزارة التعليم العالي والبحث العلمي عام 1971
- سافر الى بريطانيا من أجل دراسة الدكتوراه في الإعلام عام 1978 من جامعة كيل وكتب أطروحته عن "التلفزيون والتتمة في العراق"
- عمل مراسلاً ثقافياً لجريدة الجمهورية عام 1979 في بريطانيا
- أنهى دراسته للدكتوراه عام 1983، وبعد حصوله على الشهادة رجع الى العراق
- عين في قسم الإعلام / جامعة بغداد عام 1983 وترأس القسم أول مرة ما بين عامي 1987-1989 ولاكثر من مرة
- ترأس تحرير جريدة (الإعلام) لأكثر من مرة
- حصل على لقب الأستاذية (بروفسور) عام 1993 ليصبح أول عراقي يحمل هذه الدرجة العلمية في الإعلام بعد أكثر من ربع قرن من تأسيس قسم الإعلام عام 1964
- رشح لنيل لقب عالم عام 1993 المشمول ضمن قانون رعاية العلماء، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
- توفي في بغداد في 6/4/1999

**من مؤلفاته**

- *الجسد والأبواب*، قصص (1969)
- *القناع*، قصص (1970)
- *منظفات في الصحافة العراقية* (1972)
- *اساليب الدعاية الاميرالية* (1973)
- *القطار الليلي*، قصص (1974)
- *من تاريخ الصحافة العراقية* (1977)
- *العيون*، قصص (1977)
- *الأشاعات حرب خفية* (1986)
- *تاريخ الإذاعة والتلفزيون* (1991)
- *الصحافة العربية في بلدان المهجر* (مشاركة) الجزء الثالث - الموسوعة *الصحفية العربية* (1991)
- *موسوعة إعلام العرب* (مشاركة) الجزء الأول- بيت الحكمة (2000)
- *وسائل الإعلام في العراق* (غير منشور)
- *تاريخ الصحافة العراقية* (غير منشور)
- *الدعائية الأجنبية الموجهة الى الوطن العربي* (غير منشور)
- كتب في السبعينيات العديد من التحليقات التلفزيونية التي عالج فيها بعض المشكلات الاجتماعية في العراق. وقد جرى إنتاجها وعرضها على شاشة تلفزيون العراق مثل خط العنكبوت، الدهاليز، طفيلى الدوائر، دائرة أصولية، أبواب وشوارع وغيرها.
- له أكثر من خمسين بحثاً منشوراً في دوريات ومجلات متخصصة متعلقة بالإعلام وتاريخ العراق الحديث.

**من إنجازاته**

- اشتراك في العشرات من المؤتمرات العلمية المتخصصة في داخل العراق واحدها في جامعة العين في دولة الإمارات العربية المتحدة عام 1984.
- أشرف على عشرات طلاب الماجستير والدكتوراه وناقش الكثير من الرسائل الجامعية في مجال الإعلام والتاريخ والفنون.
- هو عضو نقابة المحامين والاتحاد العام لكتاب والأدباء في العراق ونقابة المعلمين ونقابة الصحفيين العراقيين ونقابة المحامين العراقيين.



# الجسد والأبواب\*

---

\* نشرت هذه المجموعة في عام 1969، مطبعة الغري الحديقة ، النجف .



## الرصاص: البيوت

بيست القرية فجأة : الأبواب موصدة، والشبابيك محكمة الاغلاق..  
توقف الرجل الغريب وسط الشارع الخاوي ومد عينيه في الهدوء..  
كان قد ترك المدينة الكبيرة هاربا من رجال الشرطة.. انه مطلوب - بزعمهم  
- لاخلاله بالامن : سياسي مناويء.

تساءل وهو يرفع عنقه الى الشمس المنحسرة على السطوح ماذا حدث؟  
ونقدم الى باب قديم يعرفه وقرعه ..  
رنين وحشى.  
ورجع خطوة.

ثمة ريح تتسكب في الطرق بروية..  
دفع الباب بكفه، ونقدم نحو الشباك الخشبي ودفعه.  
ثم اقترب من الباب ثانية وصاح:  
- عزيز .. عزيز ..  
وتناهت اليه من نواح ثانية إطلاقات نارية..

عاد هذه المرة بتصميم لدق الباب، لكنه انحنى بعنة الى القلب وسطح نظره..  
لم يبصر شيئاً.. لكن ظلمة ما انسحبت من الجهة الأخرى، فتكشف جوف  
البيت، ان شخصاً ما كان ينظر اليه.  
اعتدل وهو يهتف:  
- انا محمد.. افتحوا..

حق في العجوز الواقفة في فتحة الباب ودفع لها يده..  
- كيف انت يا عمتي..  
وضعت العجوز كفها الضئيل في يده..

- ليس على ما يرام يا ولدي  
- هل حدث أمر سيء؟  
- انقطعت اخبار ابني.. كان يزورنا خمسة في الليل.. اما الان، وهررت  
رأسها:

\* نشرت هذه القصة اول مرة في مجلة العمل الشعبي، 2 شباط 1969، العدد الثامن.

- فلا

عمرها بالطمأنينة وهو يتقدم في الداخل:

- انه بخير .. سمعت احد الوفدين من هناك يتحدث عنه قبل يومين.

. تمتنعت العجوز خلفه.

- الحمد لله..

وقف الرجل على باب الغرفة الداخلية وحملق في العجوز متسائلا : كانت امرأة جالسة في الزاوية تتفحصه و طفل صغير أسد رأسه على ساقها. كشفتها العجوز :

- انها جارتنا.. قتل زوجها في الجبل، ولم يبق لها احد فجاعت معى. طرح الرجل دخوله، الى وجهها الحلو - بود. وقال وهو يجلس على الأرض قبالتها..

- هل انت بخير؟

ثلت المرأة كلمات شكر غامضة..

التفت الرجل الى العجوز:

- ما بال القرية مقللة؟

- منذ أيام ورجال مجهولون يأتون من السهل، يقتحمون القرية وينهبون، ثم يغدون الى السهل. انددهش حانقا.

- والرجال هنا.. ماذا يفعلون.. ألم يبق أحد منهم؟ هزت العجوز رأسها نفيا.

كانت الظلمة تنقل في الخارج.

طلب الى العجوز:

- هل أضيء الفانوس؟

نفرت العجوز هابة:

- لا.. لا.. لا نريد ان يكتشف أولئك الرجال ان بيتنا حي.. سنتناول طعامنا في الظلمة.

وافتتحت قبرانا نحاسيا كبيرا، ن AOLته رغيفا وتفاحة:

- أعطها لها.

وقدمت المرأة المنزوية جذعها اليه.

ثم أخذ حصته.

أسد ظهره إلى الحائط وهو يقضم التفاحة، نظر بعينين نصف مغمضتين إلى المرأة المنكشة، ولحظها عبر جفنيه المنكسرتين تلمسه بعينيها.

طفر من حلقة السؤال.

-منذكم مات زوجك؟

وفتح عينيه بكمالهما في وجهها.

أجابته العجوز:

-منذ خمسة أشهر.

انه يقين المدة:

-زمن طويل..

وأغمض عينيه ثانية:

(متودحة في جبل الموت

لن تشرق شمس ما في غدتها).

سعل الصبي مررتين طويلتين - هتفت العجوز:

-اذهي به إلى فراشه - وسالحق بك - اما انت فساجيء لك بفراش.

نهضت المرأة وتلقي الطفل وهما تعبان قرب قدمه.

: (السلاح في الاكتاف

والدم يبحث عن الدم)

أسقطت العجوز فرasha مطويًا بجانبه:

مد ذراعيه.

- اتركيه.. انا سارتبه.

ووضع في اذنها قبل ان تخرج :

- ساقيم هنا زمانا ثم ارتحل لأنظم إلى الآخرين في الجبل.

وحين تغيبت العجوز سحب الغطاء إلى صدره ودس يديه تحت رأسه.

الريح في الخارج تحمل معاطف الثلج للأرض : لا شرطة ولا سجن في هذه

القرية الثانية، انه الآن يهتم بسماع نفسه حيث لم تعد عيناه تبصران

فشرتيهما.

شدت أصابع متصلة من الذعر زنده.

- محمد .. محمد

كانت العجوز منحنية فوقه، والمرأة الأخرى وسط الغرفة:

- الا تسمع؟  
شد ججمته للأعلى متسمعا.  
لقد جاؤا.

أتمنت العجوز وهي تنسحب إلى جانب المرأة.  
اقترب الضجيج من البيت وأصبح قرب الباب.  
همست العجوز : اش.

ثم ابتعدت الخطوات تماماً عن البيت.  
سحبت العجوز نفسها طويلاً مرتجلة.  
دوى أربع إطلاقات

- من السيء الحظ الذي كسر بيته.  
امتص الصمت وجوههم..

ومرت أقدام كثيرة تركض خارج الباب، وصوت نسائي يصرخ مستجداً.  
حدق العجوز بوجه الرجل.

- لقد نهيا جسداً آخر، وربما هاجمونا غدا.  
بقي الثلاثة واقفين، وانحنى الرعب مغرقاً جسد القرية مرة أخرى، والريح  
ما زالت تحمل معاطف الثلج للأرض والأحياء.

\* \* \*

## الفطار الذي لن يعود

لم يبق على انطلاق القطار، الا دقائق ضئيلة ..  
انتبه الرجل النحيف الذي يقف الى جانب القطار. رجل ينكمي على حائط المحطة القديم يرمقه.

ومن جانب آخر تعلقت به انتظار بائع يرتدي دشداشة مخططة على رأسه حلقات من السميط.

تضخت رهبة لتأخر المسافر الذي اتفق معه ..

تحرك بائع السميط وكاد يلامس الرجل النحيف راصدا الحقيقة الصغيرة التي نكلت من يده. ودفع تاحية صاحبه المنكىء على الحائط إشارة سريعة.

اعتدل المنكىء ببطء وفرك يديه.. تقدم خطوات ووضع كفه على ساعد الرجل النحيف وقال بصوت خفيض.

- افتح الحقيقة.
- أجابة النحيف.

- لن افتحها. من تكون حتى افتحها لك؟

طارت غمرة سريعة من عيني الشرطي السري مع كلماته المتفقة الخافتة.

- سار عمرك على فتحها ان لم تفعل.
- انزل البائع سميطه. ووضع كتفه في ظهر الرجل همس:
- دعه يفتحها بهدوء.

تافت النحيف في المحطة.

كان المسافرون يتشارون فوق الرصيف متاثرين.

اراد أن يجد له منفذًا ليفر منه.

ضغطت أصابع الشرطي على القفل ومد يده.

أغضض النحيف عينيه.

وأخرج الشرطي طبقة من المنشورات السياسية.

قرأ اسم الحزب ثم أعادها الى الحقيقة وأغلقها.

علقها بيده اليسرى.

ثم خنق بأصابعه ساعد الرجل النحيف.

- تحرك.

انتبه اثنان او ثلاثة من الواقفين وتابعوهما بانتظارهم وهم يخرجان من باب المحطة وبائع السمسم يمشي خلفهما كالظل.

قال ضابط المخابرات وهو ينظر اليه مستخفًا:

- تفضل اسْتَرِحْ.
- ثم أشار الى الشرطي السري:
- اخرج.

كانا وحيدين في غرفة وسيطة تضييف العتمة الى اثنائهما القاتمة نفوراً كبيراً.. استطرد:

- الله بالخير.
- لم يجب الرجل النحيف.. ظل متحفظ العينين، منتباً في رعشته : في عبور الصرخات من الاقبية السرية باذنيه عندما جيء به.
- سال الضابط..
- من أعطال المناشير؟

كان الرجل النحيف يستحضر ذهابه للمحطة حاملاً النشرات لمسافر الى البصرة، وكانوا قد كلفوه باليصالها له.. فنفذ الامر وانتظر قドوم ذلك المسافر فلم يأت.

ضحك الضابط وهو ينظر الى الحقيقة وقال واعداً:

- يبدو عليك انك شاب طيب، اذا أعلمتنا عن الذي سلمك المناشير نعفو عنك.
- هربت عينا النحيف.
- انقض الضابط صارخاً:
- اذا اعرفكم، لا نتكلمون، انكم تموتون هباء، اعطنا أسماء الذين تعرفون في تنظيمكم.
- رد النحيف:
- ليست لي علاقة بآي تنظيم.. الحقيقة عثرت عليها في الشارع.
- دوى ضحكة الضابط الساخرة ثم صرخ بسخط:
- هذا كلام أطفال، ابحث عن غيره، سنخرج اعترافك من عظامك.
- وضغط على جرس بجانبه ودخل الرجل الذي قبض على النحيل.
- ابتدره الضابط :

- منذ متى تعرفه؟

أجاب الطاريء:

- نحن نراقبه منذ زمن.

تلا الضابط : ألم يكتشف لنا المسافر الذي لم يحضر؟

- آه، أجل.

- انكم تكتبون.

ابتسم الطاريء بقسوة :

- ستنهار كالرمل، وتنفتح الأصداف العليا.

كان الرجل منقوعاً بقسوة الصمود : والضحكات تتضاءل في أذنيه وهم ينحدرون به إلى القبر.

\* \* \*

### **الحانط\***

كان البيت بعيداً عن المدينة، قرب خط الحديد على الشمال الشرقي منها، لا تحيطك به سوى أرض صلباء ينسكب فيها ظل طريق وكانت الشمس منقحة تقلّي ذلك البيت اللامتنبي.

انسرب رجل نحيف إلى الخارج حاملاً (علاقة) خوصية بصوت رفيع انقضى من نافذة مفتوحة صرخت امرأة:

- كن يقطاً لثلاً يسرفك تجار المدينة.

قهقهة بصوت متخفّب:

- يسرقونني؟!

تسطح على شاشة النافذة فما لتها.

- سينهبونك وانت تتظر اليهم.

- لا تسيئي بي الطلن.

تلا كلماته المخوّفة وهو يمسك بدراجة هوائية شد على مقودها العلاقة، ضرب مقعد الدراجة بكفه.

- وهذه الدراجة العظيمة، هل سرقت فيها. لا يحصل المرء على مثلها الا نادراً. رخيصة كالهواء.

- ما زلت مرتابة ببائعها.

هدر بضحكه طلبية وهو يسحب الدراجة عن الحانط:

- انت ترتدين أبداً.

ثم ركب الدراجة ومشى.

مسحت بعينيها خط الحديد الباهت، ومن بعيد كانت المدينة، الدور، الاشجار، أعمدة النور والهاتف.

امتلأت بالحنين:

الحدائق والصغراء. وعلى كرسي منزو يجلس عاشقان.

وهناك الأقدام التي لا تتفق، المدينة، المدينة.

ركزت في خط الحديد:

---

1 نشرت هذه القصة أول مرة تحت عنوان (جدار في الشمس)، في مجلة العاملون في النفط، 4 كانون الأول 1966، العدد 57.

.. منذ ستة أشهر بنوا المنزل واسكنتونا ليقيموا مشروعًا للدواجن، لكنهم لم يبدأوا، وخالفهم لن يبدأوا أبداً، ونحن وحيدان، إن لقمة العيش تفرض إرادتها.

تضختت كثرة المرأة في النافذة:

- هذا رجل يتغسل دراجته إلى منزلنا، ترى ماذا يردد؟

أوقف الرجل الغريب دراجته على صفحة الحائط، وتتحمّل. همس بقلق:

- لا أعرفه، ولم أره من قبل.

اندفعت إلى اندفاعة رنة طرفة.

هتفت:

- نعم.

طرقتان أخرىان.

اكتسحت هيأتها بنظرة وعدلت ثوبها.

اندفع الباب من الخارج مكتسحاً يدها الواهنة.

- السلام عليكم.

كتل من الصدا تعلو الصوت.

رجعت إلى الوراء خطوة.

- أهلاً

- سمعت أن زوجك اشتري بالأمس دراجة.

أجابته ورعبها يرتخي.

- أجل.

- كانت دراجتي، سرقها الصبي الذي يستغل عندي.

وعندما قبضت عليه دلني إلى هنا.

كلماته سقطت دون حنق.

ارتبتكت المرأة

- سيعود ما دام الأمر هكذا فتأخذ دراجتك.

أرادت أن تبني جداراً:

- عندما أطل الصبي كانت عيناه تحومان. أمسكت بزوجي وقلت له : إنه

مرير، لكنه رمقي بغضب : دراجة بدينارين ادعها نقوت؟ وأخذ يقنعني، قد

يكون محتاجاً للنقد، وإن دراجتنا القديمة قد تهرأت.

كان الرجل يتبع فمهما، ينفتح وينغلق.  
تقىم اليها.

ارتعشت اجفانها صرخت:  
- ارجع.

وثب عليها انفجرت أصابعه في ذراعها وانفاسه تحرت اذنيها : لا أريد  
الدرجة.

تجمعت قواها في كوعها وضربته في أواسط صدره.

- وركضت إلى الخارج.  
ناداها الرجل.

- لن تنجي، أين نفردين؟  
انغرست بجنور الشمس.

- اخرج، سيعذر زوجي، لا تزيد زرع الشر.  
التفتت إلى الشمس كانت ذاراً تلتهب في رأسها  
وبدأ من مسافة وسيطة من الجوف الشرقي ثلاثة فلاحين يسوق كل منهم  
حماره.

- تذهب في الحال والا ناديتمهم.  
قال - انتظري.

- لن انتظر، اذهب الآن.  
أني ذاهب

- وتلكاً قرب الباب الآخر منتظراً دخولها، الا ان الصوت دخل وحيداً-  
أسرع.

ركب دراجته وابتعد، دخلت وأغلقت البابين، كست ما تعلق بوجهها من  
عرق براحة يدها، واستندت إلى النافذة تنتظر.

كان الرجل قد توقف ثم استدار عائداً إلى المنزل.  
- انه مجنون.

سددت حنقها بنظرة غاصبة.  
اقترب من النافذة ثم صرخ:

- خبري زوجك، ساحضر عصراً لاسترجاع دراجتي.  
لم تجبه، استدار وأضحي نقطة في الأفق.

\* ١٢

كلب آخر ميت، رمقه بحيرة ثم أدار وجهه وبصق.  
وعاد ينظره وينتقصمه.

**رساصستان** : الاولى تحت الاذن والثانية في الصدر.

رفع يده من عربة القمامه وحك باظافره جلدة رأسه.  
كان الفم مفتوحاً منغرساً في التراب.

كان الفم مفتوحاً منغرساً في التراب.

ركله قلبها على ظهره ورجع الكلب يميل منقبلاً إلى الجهة ذاتها.  
- من من هولاء المترفين قتلها؟ لم يفتح اي باب حتى الان. أخذ يدفعه  
تحت الحائط، ثم توقف.

ماذا لو خرج الضابط البدين صاحب هذه الدار ورأى الكلب تحت سور بيته، سيصرخ بي إن أحمله والقيه بعيداً.  
وأسأجحبيه بإننا سنتخلص منه عندما تحضر سيارة القمامنة.

وَعِزْمَةٍ لِدُفَّهٍ عَنْ أَنْتَهٖ كَانَ الْقَلْبُ لِمَاطِنٍ (٢٢٦)

= مُؤلِّفُ المُعْتَدَلِ لَا يَرْجُلُ

مودع

(لا يعلمون الا بالضرر)

رسائل

(ما زال الكلب ليس تحت حائطه)

الإذاعة

هند الصايغ

- تامر سيدى

**همم الزبال:**

تعال هنا -

[View all posts by admin](#) | [View all posts in category](#)

میرزا ناصر، ایڈن بار، ملکی بحریہ، اسلام آباد، ۲۵ ستمبر ۱۹۶۵ء۔

ارتعش :

يريد ان يصفعني ويركلني وربما يخنِي عصا ضخمة وراء الباب.  
مد نظره في الشارع الطويل، وكانت امرأة مغطاة بعباءة سوداء آتية من  
نهاية الشارع.

كان على استعداد للاستدراة هاربا عند أية حركة مفاجئة.

ارتد الضابط قليلاً واحتفى جذعاً خلف الباب.  
تشنجت عيناً الزبال.

(سلقط العصا)

تراجع خطوة.

- احمل هذه التككة.

قد تكون خدعة، يريد ان ادخل فيغلق الباب ويضربني.

بل ربما رماني برصاصة.

- تعال، انك بطيء.

تقدم بحذر:

دفع رأسه وحدق في التككة ثم دخل:

- هل انت ميت؟

طوى الضابط حديثه.

- ماذا؟ تصلب ظهره وبقي ممسكاً بالتككة ومؤخرته النحيلة مرتفعة.

الآن تقوى على رفعها؟

ثار الضابط.

سحب الزبال نفساً عميقاً - عبر مسرعاً وافر غها، ثم مر بجانبه ووضع  
التككة على الأرض بانهاده واندفع إلى الخارج.

سؤال الضابط :

- في الليلة الفائتة كان هنا كلب؟

وأشار بيده إلى مكان الكلب المقتول.

ردد الزبال - نعم.

شزرره الضابط ثم تلتفت ناحية حائطه.

كنت نازلاً من السيارة فهجم علي، ولم أجد بدا من قتله.

ابعدت الزبال نحو عربته.

رأيته يسقط أمامي ميتاً، أين ذهب؟

سلط عينيه .

- ذلك هو

أشار الزبال .

وبيصوت ثلاثي بنى الضابط السؤال:

- لماذا ترميه هناك؟

هرع الزبال صوب الحائط وأمسك بذيل الكلب،  
وسحبه بعنف.

ناداه الضابط - اين ستدhib به؟

لم يلتفت اليه.

وكان ثمة خط متعرج يتعرى بين التراب خلفه.

\* \* \*

## \* الشاحنة

اندفعت عربة النفط الخضراء التي يجرها حمار ضامر - مترجمة وهي تعبر السدة الترابية المقوسة وقد اعٹي طرف البرميل القابع عليها - فتى كالح الوجه.

قرع القطعة المدوره المبنية بالخشبة، المعلق بها للجام، بقضيب حديدي قصير بقوه وهو يلقى انتظاره الى الاکواخ الكابية الممتدة كالمقبرة. ومن زقاق لا يتسع لممرور حصانين امتد رأس رجل ملفوف بيسماع يصعد وينزل بين السقوف متوجهها ناحيته، وممضى رجال آخرون من أزرقة مختلفة منحدرين الى المدينة الكبيرة التي تحيا في جانب السدة الثاني. تفرس باشع النفط بالرجل الآتي من الزقاق حاملا بيه صرة قماشية مكورة هتف به:

- خالي، اذك تبكر بالخروج لا زال للفجر ساعة.
  - رمى الرجل الصاعد بعينيه الذايلتين الى الفتى.
  - بالامس لم اعمل، وقبله، وفي الاسبوعين الماضيين لم استغل الا ثلاثة أيام.
  - ظل يتشربه بنظراته. اتم الرجل الملطخة ملابسه ببقع بيض ولطخ جصية.
  - الأعمال قليلة واليدي اكثر من الرمل.
- انسرب بعض الرجال وقطعوا السدة نازلين الى المدينة. فتح الشيخ كلماته :
- لم يحالفي الحظ في يوم ما بالاستمرار في عمل دائم فأخذت اتف منتظر المقاولين، وحتى في هذا لم افلح فصفوف من الشباب ينافسونني. يلقطهم المقاول. يملأ بهم سياراته ولا يراني.
  - هز الفتى القضيب الحديدي بغضب، واندفعت رخة من عواءات كلاب تراكتست بين الازرقة مبتعدة.

\* نشرت هذه القصة اول مرة بعنوان (خizer الدم) في جريدة النصر، 21 ايار 1966.  
ويجدر بالذكر ان مجلة المترج في عددها الصادر في 26 ايار 1966 ذكرت ان القاص خالد الرواقي سينشر قريبا مجموعته القصصية الاولى تحت عنوان "خizer الدم". المحرر

حرك الشيخ رأسه.

- ساذهب، ربما ساعثر على عمل في هذا الصباح.

أجابه الفتى:

- وانا ساعدو الى المحطة لأملا البرميل.

رفع الشيخ يده مودعاً وهو ينحدر من السدة رافعاً جانب (شداشته) الأيسر قليلاً:

وعلى رصيف ساحة مسورة تبعثر عدد من الرجال الحفاة، السمر الوجوه.

اندس الشيخ بين رجلين مستتدلين على الحاجز ينظران الى فوق وقد امحت النجوم وبدأت الظلمة تتضوی وثمة ارتعاشة من نور انطلقت تشفف السماء.

ترقبت عيون الرجال الطريق الذي يلد سيارات المقاول الثالث كل فجر.

همس رجل:

- حان الوقت وسيظهر في اية لحظة، لا بد لي ان أحصل على عمل هذا اليوم : سارمي بنفسى وراء اول صاعد ول يكن ما يكون.

حك مخه صوت رجل عايس.

- وانا اذا صعدت فلن انزل ولو ضربني بخجر. يكفي ما نتفاه.

- ببرود عاجز سال صوت اخر:

- الترديد اليومي الذي لا يتغير.

تصلبت حركات الرجال وهم يزدادون حدة في مراقبة الطريق. سقط بينهم صوت بوق سيارة قادمة من المنعرج. تقارب الرجال والتحموا في اول الطريق.

وانسابت سيارة غريبة.

حق بها الرجال ببرود وانفك تلامهم، لكنهم لم يتفرقوا بل ظلوا متلازمين وكل منهم يحمل صرة طعامه بيده.

ودوت ثانية بواق قريبة، فتجمعوا من جديد بتصميم.

ونبعت ثلاثة سيارات (بيكب) وتوقفت حداء الرصيف.

مد المقاول رأسه وبرزت عينه التي تعلوها غشاوة محدقا.

- اليوم يكينا خمسة عشر وانت تزيدون على الثلاثين .

حسنا سأختار.

أصعد انت.

وأشار الى رجل صلب العود، فأسرع الرجل باعتلاء السيارة.

- وانت..

- وانت..

أخذ الرجال يصعدون والشيخ لا يحس بعيني المقاول تقتربان من وجهه.  
النف من خلف الرجال الواقفين وقفز الى مؤخرة السيارة، رممه المقاول  
وصاح به:

- تمهل.. اين؟

لم يجب واحتفى بين الجالسين.

آخر المقاول رأسه بكماته وصاح:

- أنزل، من قال لك أصعد.

فتح المقاول الباب حين لم يجده، واستدار الى خلف السيارة، ثم مد ذراعه  
وأشار بأصابعه الى الشيخ.

- انت، أنزل، أنزل.

جر الشيخ جسده من بين الرجال بتخاذل، ومضى الى السور.  
وانطلقت السيارة وعاد الرجال الى محلاتهم السابقة ينتظرون من قد  
يكون بحاجة الى خدماتهم.

هصر الشيخ الصرة بين كفيه، وخداه يرتعدان.

\* \* \*

## رجمة في الضوء

انقطع المطر لكن ظلت تنهل من بطن السماء الكبيرة غيوم سوداء  
مضطربة، ترتفع ببطء نحو الشرق.  
وقرب باب مسجد تسمى شخص ناتي الوجه انحنى ظهره قليلا للأمام  
وتشابك كفاه واحتباها في بطنه.  
الريح الباردة سريعة في الدرج.  
لفت الرجل عنقه من فوق سور المسجد المظلم وقرع الباب الخارجي.  
الريح تجرف رفات طرقاته.  
اهتز جده وازداد التصاقا بالحائط.  
قبل ساعات طرده صاحب الخان الذي يسكن فيه بعد ان استولى على  
تحته الخشبية وأصياغ الاخذية :  
قال له : ما دمت لا تملك أجرة منام الشهر الفائت فهذه الأصياغ والتحفة  
رهن عندي حتى تجبيتي بالدينارين التي اطلها.  
وخرج من الخان لا يملك الا نراعيه .  
مر لوري بدوي مملوء بشرطة مقرضين، وعندما ابتعد مررت من الجهة  
الأخرى سيارة صغيرة .  
- ما بال بيت الله مغلقا .  
حك كفيه بسرعة ثم نفخ نفخات متصلة وطويلة. صاحب الخان العجوز  
الحاد العينين جرده من ادواته ولم يستمع الى تضرعاته. كان يريد إمهاله  
يومين يسددهما دينه .  
لكن العجوز اعتبرها كمماطلات الآخرين التي لم يعد يصدقها.  
البرد يدخل ذرات جسده متوجلا الى العظام .  
أراد ان يجد له مكانا آخر .  
حك اذنيه وارنبة اذنه ودس يديه في جببي سترته المتأكلة .  
ترى لماذا لم يتمهل في ارسال التقدى الى امه، لو تمهل يومين او ثلاثة  
لكان قد سدد اجرة الخان ثم أرسل ما يبقى عنده .  
كان متوجلا ومضطربا. نار الحرب غمرت قريتهم، فالتجأ امه واحتله  
إلى قرية المجاورة. وهناك كان كثيرون مثلهم جاؤوا من قرى متعددة مساحتها  
القابيل. الطعام هناك قليل ونادر وثمنه مرتفع للغاية.

البرد يتضخم ويتوارد اضعافاً.

حين عاد في المساء إلى الخان تسلل من جانب الحائط متبعاً عن غرفة العجوز المضادة بفانوس قوي والمفتوحة الباب دائماً فوارب الباب الخشبي الغليظ وأبصر في الظلمة الرجال الثلاثة نائمين فتسلل بسكون وارتدى الباب مقطعاً خلفه.

كان يحس بفرح كبير لأن صاحب الخان لم يشاهد. وبعثة اندفع الباب بعنف بعد دقائق وظهر صاحب الخان العجوز وبيه فانوسه القوي. أغمض الصباغ عينيه فوراً ولم تفت العجوز انطلاقة الجفن الخاطفة.

قال له:

- ها كاكة حسن، أين الإيجار؟

لم يجده حسن بل سحب نفساً طويلاً.

تقدماً إليه صاحب الخان وركله بقدمه.

فتح حسن عينيه باندهاش زائف وتملى باستفهام.

احت العجوز.

- الإيجار.

- اعتدل حسن في جلسته وهو يلم أصابع كفه اليمنى.

- امهلي يومين ثم أعطيك الإيجار.

أجابه العجوز:

- يومان، لا، هاتها الآن.

قال حسن:

- ليس لدى الآن شيء.

قال العجوز:

- انهض لأقتشك.

وقف حسن فوق فراشه المفقق وفتح الرجال النائمون عيونهم. دس العجوز يده في جيوب حسن ولم يعثر إلا على تسعين فلساً وضعها

في جيبه، ثم التقط التخت الخشبي والأصباغ وقال له :

- هذى عندي رهن، اطلع واجلب الإيجار ثم تعال خذها.

أراد بيأس أن يستوقفه:

من اين سيجيء بالدينارين في هذا الليل: رفاقه في الغرفة مفلسون دوماً.  
خرج يسحب خلواته مرغماً.  
اصطكك انسانه.  
الحركة توقفت في الشارع تماماً.  
رفع عينيه المرتجفتين مرة أخرى من فوق السور.  
ثم أمسك الحافة واستطاع ان ينقلب الى الفناء الخارجي للمسجد واقترب  
من الباب الداخلي وفرعه بقوة.  
لا جواب.  
رعد تنفجر في السماء وبروق تلتمع في ثنيات المطر الذي أخذ ينحدر  
إلى الأرض.  
تكور حسن قرب الباب وانكفا على جانبه وركبتاه تتصقان بصدره،  
ورحفة حادة تهتز في جسده.  
نكاثرت الرعد، والمطر أخذ يشتد.

\* \* \*

## المتربيصون\*

انحدرت شبكة من حمام رمادي قبل غروب الشمس، وقف على المئذنة،  
وانقذت تكيرة المؤذن فتاثرت هاربة الى الأفاق.  
ازاء باب وراح يقرع، وتلئى من يده الأخرى زنبيل طافت في قاعه رؤوس  
على الباب وراح يقرع، وتلئى من يده الأخرى زنبيل طافت في قاعه رؤوس  
بامياء وطمطم وقطعة لحم ملفوفة بورقة.  
طفق المزلاج الخشبي عند رفعه وصر الباب.  
سقطت عينا العجوز الملتفقة بفوطة سوداء على الزنبيل. انحنت  
والتنطنه.

صر الباب ثانية وهو ينغلق على درب ضيق خال.  
قالت العجوز بعد ان غرزت يدها الى معصمها في الزنبيل وحسست قاعه.  
- جاء سيفو اليوم وهدانا بأنه سيشرنا على حبال المدينة اذا لم نخل  
بيته ونرحل.

- ماذا يعني هذا الحوذى، مؤجر القبر.  
لملئت العجوز اطراف فوطتها وطروحت بظرفها. على كتفها.  
انزلقت كلماتها:  
- قال انه سيذهب الى المقهى ويجهف هناك بذلك تستغل في الشرطة  
السرية وانك السبب في حبس أولادهم - اذا لم تنفع له أجرة الشهور الخمسة  
الماضية.

انكمش الرجل.  
ترك أقدامه تدب الى الغرفة المظلمة.  
كانت عينا العجوز مصوبيتين عبر الباب اليه.  
قلب الفراش.  
مد يده في جارورة.  
ثم وقف على الباب، سعت اليه.

\* نشرت هذه القصة اول مرة في الملحق الاسبوعي لجريدة الجمهورية، 9 كانون الاول 1965، ملحق عدد 14، العدد 694. ونشرت مرة أخرى في مجلة البريد والبرق والتليفون في شهر آب 1966.

- ما عاد بقدورنا البقاء، لترحل.
- كانت عيناه غارقتين في الجدار المقابل، توسيع حدقاته.
- أصمتني.
- امتدت يده تسلق الباب بتسنج وثمة عرق بارز يهتف في رقبته.
- أرتعشت شفتاها.
- لا جدوى من البقاء. ولن يكلفنا الرحيل خسارة.
- تقدم نحو الباب الخارجي عابراً الممر.
- قلت لن نرحل، أصمتني.
- ثم انسد الباب على خطوات مبعثرة.
- أمسك سيفو لجام حصاني عربته على مقربة من باب محطة القطار محدقاً بالوجوه العابرة وهو متربص على فوق مقعده.
- هجمت عيناه إلى اليسار (الصوت ملوف للغاية).
- اهذا انت، والسلام عليكم.
- جئتك لتتززع ريشي.
- اي شر تلمع به عيناك في هذا المساء. اذهب ودعني واقفاً على باب الله .
- سيفو ثبت سوطك وأنزل.
- كان الرجل رافعاً رأسه وسيفو مستثير اليه بنصف ظهره وركبته مرفوعة وبيده اليسرى انتصب سوط.
- سحب سيفو اللجام معتدلاً وهو يهتف (ديخ) تحركت العربية خطوتين.
- قفز الرجل على يد سيفو وجرا الزمام بعنف ولوى عنق الحصانين.
- سنرى من سيتعرى في المدينة.
- مررت سيارة بانطلاق رصاصي رامية اشعتها على الرجلين الواقفين في الظلام.
- المحطة افترت والحارس مقرفص على الباب.
- نظر الحوذى بتقة.
- مثلما تريد لحقوقك الا تصفيع. كذلك لا اريد انا.
- ستندم.

- ستفع أجرة خمسة أشهر ، والا فسائلكوك الى الحكومة.  
- الحكومة ، ههها ، اتظن الحكومة تفتح اذنها لحوذني . وتغلق الباب على  
شرطى .  
وضع الرجل قدمه على سلم العربة الرفيع ممسكا طرف المقعد بيده  
اليسرى ، وظلّ خاب ينحدر من قبضة اليد اليمنى .  
صرخ الحوذى بفزع .  
- لا .  
انقلب الى الجهة الثانية ليفر .  
 أمسك الرجل بساقه وزحف اليه .  
بقي الحراس نائماً على باب المحطة وضفادع كثيرة تتنق بين الحشائش .

\* \* \*

## ناعور في نهر يابس\*

نهر من الناس ينحدر في دروب المدينة، يلوحون بأكفهم المنقضة.  
يسقط.  
يعيش.  
الموت. الموت.

نهر ينصلب من أول المدينة ويغيب في الطرف الآخر.  
همس صاحب مكتبة صغيرة في اذن صاحبه.  
- من اين جاء هذا البشر الغاضب.  
زم صاحبه شفتيه.  
- لا ادري.

تقدم الاول الى باب المكتبة ثم كر راجعاً الى وسطها.  
- عجباً الم يكن هؤلاء الناس انفسهم يصفون للسلطة السابقة.  
مد الثاني رقبته بلا اهتمام.  
- هم انفسهم.  
- بيتو انهم لن ينتهوا، مضى عليهم سبع ساعات.  
صحح الآخر.  
- بل اكثر من تسع ساعات.  
مسح الاول ذقنه براحة يده.  
- من الخير ان ننصرف، فلا ادري ماذا يخبيء الليل.  
انهمك الشرikan برص الصحف والمجلات وادخل قناني المرطبات في  
صناديقها، ثم مرق الاول حاملاً حقيقة جلدية سوداء يدوية.  
ولحقة الآخر.

سحب الاول القمحي الشاحب - الباب الحديدي وضغط بكفه على القفل  
ثم انصرف الاثنان كل في اتجاه.  
توقف الاول بعد امتار قرب مخزن مغلق.  
الهتافات المتشنجه دضوضى والقطع القماشية المرفوعة تهتف.

\* نشرت هذه القصة اول مرة في الملحق الأدبي لجريدة الجمهورية، 13 تشرين الاول 1966، العدد 58.

الموت للخونة.  
الموت للخونة.

رمق وجهها مألفاً لديه فارجع رأسه في العتمة:  
- من الخير الا يشاهدني هذا الصديق القديم، انه لن يتذكر الصداقة  
حتما.

ومضى الرأس المألف منحدراً في نهر الناس.  
قذف القمحي الوجه خطوة سريعة، تلاها بخطى طويلة في الظل ثم  
استدار الى منعرج وتوقف عند باب خشبي مغرق في العتمة:  
انسحب الباب شبرين فحشر القمحي الوجه جسده.  
صباح به واحد من الداخل.

- اين انت يا سليم، خشينا عليك كثيراً.

حاول سليم ان يمزق الظلمة بعينيه، أجابه.

- ها انت تراني، لا ازال حيا يا حمودي.  
قال حمودي.

- لقد قلقنا عليك ليلة امس الاول حين خرجت، وبعد ذهابك بدقائق  
انطلق مشطان من الرصاص.  
-

سمعتها ايضاً.

- لا أحد يضمن مصيره في الليل، فأقصى امنياتنا ان يمر ونبقي أحياء  
الى الصباح.  
تحركت أقدامهما.

تقدم حمودي وفتح باباً جانبياً فترنحت ظلال نور من قعر سرداد.  
وقف سليم خلف حمودي ونزل الاثنان بصمت.  
وكانت شمعة كبيرة ترمي نورها على مطبعة صغيرة رمادية اللون،  
صفت الى جانبها كومة عالية من المنشورات وفي الجانب الثاني من  
السرداد جلس رجلان ملواحاً الوجهين على تخفيث متقابلين وبينهما منضدة  
صغريرة فوقها ثلاثة مسدسات.

هتف سليم.

- مرحباً.

قال حمودي:

- تم طبع المنشور، أجابه سليم.

- اذن ستوزعه فورا، قال حمودي.
- لا تتعجل، ستأتي هذه المرة، فقد قبض في الصباح على نجم ومناضل.
- القصق ظهر سليم بالمسند.  
أتم حمودي.
- ومساء أمس فتشت الشرطة دار كامل والثلاثة يعرفون محانا.  
اهتز قلب سليم، أكد بقطف:
- لن يعترفوا ولو سلخوا جلودهم، أنا أعرفهم جيدا.  
يتحد أحابه حمودي:  
- مهما يكن فعلينا أن نتحسب لما قد يقع.
- هذا صحيح، لكن لنمض.  
وبغير اقتناع تراجع حمودي.
- لنلق في أتم حذر.  
نهض سليم والتقط ورقة من المناشير، فرأها ثم التقط طبقة ثخينة منها.
- سأخذ هذه.  
لم يتكلم الثلاثة.  
كانوا ينظرون إليه وهو يفتح حقيبته ويضع فيها المناشير.  
لفعه صوت حمودي المندى بالتصريع  
- كن حذرا.
- ضحك سليم بجفاف.
- ستراني أمامك دوما.
- ان هذا ما اريده.
- صعد سليم درج السرداد، توقف عند منتصفه وتبعه حمودي.  
استدار إلى الرجلين الجالسين.
- سلئني قريبا.  
توقفا عند الباب الخارجي، فتحه حمودي بآلة تامة.
- وحدق في الدرب.  
خمس:  
- لا احد يستطيع الخروج.

أو ما سليم برأسه.

- إلى اللقاء.

كانت ريح خفيفة تهز أشجار النبق والتوت، فتجلد ظلالها على الأسفل.  
الشارع ساكتة، عدا بعض الدراجات النارية للشرطة وسيارات جيش تعبر  
سرعاً في طرق بعيدة.

اندفع سليم في موازاة جدران الحائط والأبواب مخرجاً منشوراً من  
حقيبه، ملقياً به من فوق كل باب، وتوقف عند باب قضباني.  
دس المنشور قرب المزلج، وفتح أصابعه، صرخ صوت من نافذة  
مظلمة.

- ماذَا تفعل.

اقشعر سليم.

وسمع الصوت يصرخ بعد ثوانٍ.

-

انه منهم، قف.

كاد سليم يصل إلى نهاية الطريق، التفت. كانت أصوات الأبواب الخارجية  
تعتلق على طرف الطريق قرب ذلك البيت.  
تحسس جوف حقيبته الصغيرة،  
ولمس ورقة واحدة، أخرجها وطرح بها في حديقة منزل والصوت  
يرتفع.

- أمسكوه، الحقوا به وأمسكوه.

اندفعت تجاهه أربع دراجات.

استدار في المنعطف وقفز فوق جدار مغطى بنباتات متسلقة.  
نظر إلى المنزل النائم ثم أمسك حافة الجدار بكفيه وراح يرصد الطريق.  
انعطف راكبو الدراجات وإثنان منهمما يؤكdan:

- أجل، انه مر من هنا.

هتف الثالث.

- ذلك هو.

انكمش سليم وسقط الثلاثة على رجل يمشي قرب الجدار المقابل على بعد  
ثلاثين خطوة.

صاحب واحد منهم.

- انه هو.

هتف اثنان.

- انه هو.

دفعهم الرجل.

ماذا تريدون.

انضم الرابع اليهم.

ذاب صوت الرجل.

- انا عامل في المخز، ذاهب الى عملي .

صفعه الاول.

- لن تخدعنا ايها المتآمر.

سحبه احدهم واركبه أمامه على الدراجة واحاط به الآخرون. انفطر

صوت الرجل.

- والله انا برىء.

غاب راكبو الدراجات في المنعطف، والريح ظلت تهب رخيصة.

\* \* \*

## الانزلاق

ظل صوت الوداع يملأ الغرفة إلى أن اصطفق الباب فغمز الهدوء  
الأشياء الصغيرة البالية : حتى وجه المرأة التي سرعان ما ادارت ظهرها  
للرجل الحالس وانصرفت إلى زاوية .

حدق الرجل الكث الشاربين في ظهرها .

عندما مست يده يدها الناعمة الدقيقة بالامس - وهي تناوله قدح شاي ،  
ارتعشت عينيه بوجه زوجها الذي جلس مقدساً له .

حرك السكر في القدر وهو يضغط أصابعه ليطرد الرعشة نهائياً .

قال للزوج ليخلق أرضاً جديدة .

- هل ذهبت اليه؟

- أجل اخبرته انك موجود في بيتي وقال عليك ان تظل مخفياً هنا الى  
ان يجدوا لك مكاناً آخر ، فالشرطة السوريون اطبقوا على عدة منازل كنت  
تحتفظ إليها .

شد الرجل الكث الشاربين شفتيه بصرامة ، فصمت الثاني . كانت أصابعها  
تحرك الأوانى والقدور ، المدينة الضخمة صارت أسواراً منخفضة حال لون  
حصها إلى أسمراً وجاراً مكعباً لا ينتهي . فتركز جسده على الفراش المسطح  
على الأرض .

سمع صوتها - هل ستتم؟

حرك عينيه تجاهها ، كانت عيناها معلقتين بعينيه .  
أومأ لها - كلا .

- أنا ذاهبة لاتسوق ، وسأعود بعد قليل .

اصطدق الباب ، وبقي الجسد ممدداً ، انهم هناك يتوقون للقبض عليه ،  
وصورته في جيوب الشرطة السوريين .

(كنت متيقناً ان هناك جاسوساً في الحزب ، كان أسرع منها ، لما انحصر  
شكناً فيه . إنها نافذة مميّة تلك التي فتحها علينا : حين كشف التنظيم) .

نهض الشارب . وأطل من الشباك على نساء فقيرات يمضين إلى السوق  
ورجال مكدودين : حدق بها وهي آتية وقبل ان تلامس الباب فتحه .

سألته باندهاش :

- هل رأيتني؟

- آه.. كنت أرقب الطريق

وضع حاجياتها

سألها - متى سيعود؟

- عند انتهاء العمل طبعاً

- ها

كان الرواق الرطب والجدار الملفوفة تجذب جسده إليها.

وضع قامته بجانبها.

- دعني أساعدك.

انبهرت.

- أبداً، لا يجوز.

جسمه يحتك بها، تقدمت خطوة للأمام، وافتربت.

جسمه يتفتح في ظهرها مرتجاً.

- لابد أن أساعدك.

زم كفيه في بطنها وضمها إليه.

كان يرتجف في ظهرها.

فتحت يديه بأظافرها، واستارت.

كانت تدفعه بيد ناعمة وأخرى جسورة قاسية.

إليها تلذن كالقماش بين يديه؛ وجسدها يرتعش بين الكفين الكبيرتين.

كان الشارب يريد إسقاط المرأة إلى الأرض.

انفتح الباب بسرعة.

وانتبهت هي إلى الباب الذي انفتح.

تصلب القماش بين يديه وصرخت:

- ابعد عني يا خائن.

- ارتفع الشارب من ياقته واستطال بجانب الزوج.

- إنك حقير للغاية. تخون بيتي. تعال.

- انسحب الشارب من كمه، وصار بجانب الباب.

- لن تنهمني حياتك إليها السافل. إنك الجاسوس الحقيقي الذي طاردك

وجعلك تخنقني.

قفزه خارج المنزل :

- ليقبضوا عليك أولاً يقبحضوا، إلى جهنم.  
تقدم الرجل نحو امرأته، وكان عنكبوت صغير يركض في زاوية الغرفة  
العليا، مر بذبابة ميتة في شراكه ثم اختفى.

\* \* \*

# القناع\*

---

\* نشرت هذه المجموعة في بغداد عام 1970، مطبعة الشعب.



## الحقة خرانط الرمل

في الطريق الصاعدة، والمنخفضة في امتدادها، كانت الأقدام تحدث وبشيء من الرهبة فوائل متعددة وحادة.

- أية ساعة مخيفة تلك التي تثبت فيها مقرراً، بجراة نهائية، حياتك. في هذا الزمن الذي فقد فيه الناس جرأة الصدي لضربة غامضة. انه ذلك النور الصاعق الذي يتفجر في يقاع موحشة، ومتباعدة في العالم، يلوح جاذباً أقداماً، حذرة، تغيب في مجھولات حقيقة.

إحدى قواعد القتال:

جدارك في السحاب المواجهة هو الرصاص  
وإلا غصت في الأرض

الأقدام تسير متوازية، متباعدة. رجال يقوسون على نقطة متحركة، النقطة المتحركة تتوضّح متذبذبة، بين الحجارة والأرض الحصوية، تدخل النقطة في الفوهات تماماً، وتتصبّح خطوطاً ساكنة، مقاطعة قليلاً. ومن الجهة المقابلة ترتعش قدمان وتنثنيان على الأرض متذبذبين، وصرخة تندو مع الأقدام القافزة، المبتعدة.

( - أيها السادة لا تغبطوا كثيراً لأننا قتلنا اثنين، فقد قتل لنا رفيق).

تقرير إلى القيادة العسكرية  
قتلنا اثنين وفقدنا رفينا

لم نستطع سحبه

أطيفت الوجوه أجنحة أفواها في القاعدة، وكانت الجنة الغائبة ترجم بينهم فتكتمّ لهم فاسحين لها أقصى وسع.  
كان وأجيأ سحبها.

(العائدون قدموا تبريرهم )

انوثق الأفراد، مترددين، بالجنة البعيدة  
كدت أصرخ بالسائق مرعوباً - قف، أحسست برجفة مسنته وأنا أبصر  
رجالاً شاهق الطول يسيراً ببطء أمام السيارة غير آبه وآخر يشبهه يقف على  
جانب الطريق برافق المسافة بين السيارة والرجل دون حركة في الطريق  
الحاد المربوط بأعلى الجبال الموصلة إلى عمان.

اختفى الرجل ومضت السيارة في ليل يعمق ظلامه. وأيقنت أنتي نجوت من موت حقيقي .

الجنة في جحومتي وكنت أرقبها بألم طفيف.

- لا يجدي الحزن.

ومع ذلك كنت أرتب خطة لسحب الجنة. وكان الجميع بالتأكيد يرتبون خططاً مماثلة.

(كنت ممدداً والرفاق يبتعدون. تقدم الأداء، ينقبون في جيوبى ويأخذون أوراقي، يحيطونني بدائرة من الالام. ثم يربطون جسدي بها، وينسحبون. ثم يعود الرفاق، وعندما يرفعونى، يتأثرون في الهواء.)

صدمني صوت

- سيجعلونه فخاً لنا.. كما فعلوا دائمًا بالقتل.

- لن يصيّد الفخ هذه المرة، لكن، ترى هل تركه؟

أجاب بحزن

نعم

#### قراءة

الدم يبعث النفور. ليس لدى البشر  
استعداد لابصار المزيد منه

(أصرخ عالياً. فعندما ترفع البندقية لتكون حراً لن تخشى السفاكيين. وإذا كنت حراً لن تضطر إلى القتل أو الفرار. لكن تلك الحفنة من سفاكي العالم تأبى ترك البشر يعيشون في مساراتهم الصغيرة.)

- أعتقد أننا نستطيع رؤية الجنة من هنا، بالمنظار.

- ربما.

- تناول المنظار المعلق على الحائط وتسلل خارجاً. وعاد بعد دقيقة هامساً باكتشافه.

لقد أنصرتها. تعال.

نهضت وتبعته. ناولنى المنظار وأشار إلى الاتجاه. اكتسحت الأرض الممتدة. وثبتت بالزاوية المنفرجة لخطى العدسة المتقطعين جسد صغير للغاية، مموه لا تبدو ملامحه. تعلقت أيدٍ متعددة بالمنظار.

- دعنا نرى.

وكان الرفاق يرافقون أيديهم. قدمت المنظار. ونظرت في الاتجاه بعيني  
الجريتين فلم أجد شيئاً.  
استمر الرفاق يرافقون الجنة البعيدة.  
وعاد الدور إلى مجدداً في الروية. كانت الجنة ملتحمة تماماً بالأرض.  
أبعدت المنظار.  
واختلطت طيور كثيرة، برزت من الجهة الغربية، بالمطر الكثيف.

\* \* \*

## انقسامات الزاوية

انتهى السيد م الى اتخاذ قراره الاخير.  
اتصل بالفتیات الخمس اللواتي له علاقة بمن وحدد لهم، كل واحدة،  
موعداً منتفقاً في شقته.  
دخلن كلهن، وأجلسهن واحدة بجانب الأخرى. وجلس أمامهن.  
اضطربت الفتیات وأخذن يتأملن. وطلبت عيونهن استفساراً من السيد م .  
قال السيد م .  
- انتبهن .

### تفاصيل

ابتدأ السيد م برواية علاقاته بكل واحدة  
منهن وذكر جميع الأحداث التي حصلت  
معهن. هذه الأحداث لا تعنينا كثيراً.

واضاف بحزم بارد  
- والآن استمعن. سأسافر .  
توترن جميعهن بتأهب. لكنهن بقين رابضات ازاء السيد م الذي كان يضع  
ساقه اليمنى فوق الساق اليسرى .  
( بحار. مدن ضاجة. طائرات تنتشر في ضوء الشمس. جبال مثلاجة .  
زوارق في أنهار افريقيا. طرق مستقيمة. اشجار مزهرة. نساء لا يحصلن.  
عالم يتجدد بلا توقف )  
اكد السيد م  
- رغم وسع العالم فانه صغير لا يحتويني. اتنى اطلب عالماً أشمل ،  
لا يحد .

نهضت فتاة دحية وأشارت تجاهه :  
- لقد خدعتنا نحن الخمس سوية. والآن تهرب .  
( عربة تتقطع بسرعة نهائية وانا راقد فيها. انظر الى العالم يتقدم  
بكافة حركاته وأضاءاته وظواهره من شبابك ثم ينطفيء وتشرق العربية في  
فراغ مهجور. اصح اتجاهها فتعود الى العالم )  
رمي السيد م الفتاة الواقفة

(( لقد انتهى زمن الامتلاك. الإنسان يسعى لأن يملك نفسه وحدها. كافة الأشياء لكافحة الناس دون احتكار ودون امتلاك ايضا ))

قال لها:

- اجلسى. سنتنهى الى أجساد مجردة اذا امتلكنا بعضنا. انتي اسمع كل ذرة في بقاع العالم تتدبني، واخشى ان ينتهي زمني دون ان اتحرك.  
انبرت النحيفة مجددا  
- ساجيء معك  
ولاحقتها الآخريات  
- نحن على استعداد لمرافقتك.  
:) لكي نولد دائماً ومجدداً ينبغي المضي وحدنا، فلا فائدة من الكشوفات اذا كان هناك من يرافق).

قال السيد م:

- لن أخذ واحدة منكن.

اشترکن خمسين فجأة في البكاء فلم تعد هناك فائدة من التظاهر بكتمه أمام تصميمه ومنظر حقيقته الصغيرة المهميأة.

- لن انهرکن في اللحظة الأخيرة. سيسوى كل شيء. وأتمنى ان تخلقن لكن حياة سعيدة.

رفع السيد م حقيقته ثم نظر الى ساعته.

- بعد نصف ساعة ستقلع الطائرة.  
نهضت الفتاة النحيفة

- لن ندعك ترحل. اتنا نمنعك.

ازاحها بحقيته لكن الآخريات وضعن ظهورهن على الباب. قالت النحيفة.

- لن تسافر سانضعك تحت رقابتنا.

قال السيد م للفتيات الأربع :

- دعوني أمر.

ارددن التصافا بالباب

نظر اليهن ثم عاد الى كرسيه، أسد حقيقته على طرف المقعد.

- لتنفق اذن، هيا اجلس.

اتخذت الفتيات موضعهن السابق أمامه.

أشار بهدوء كامل  
- مازا تردن بالضبط؟  
رمقت الفتيات بعضهن بتردد وتأهبت كل واحدة للبدء في الحديث.  
اختطف السيد م حقيبه وقفز بسرعة غير مميزة الى الباب. أداره ورنّت  
خطواته وهي تبتعد.  
كان السيد م يركض صوب المطار وهو قلق لتأخره وشاكا بان الطائرة  
قد أفلعت.

\* \* \*

## انتظارات

اعتقلوني آخر مرة في حياتي وانا في الرابعة عشرة من عمري.  
وضعنوني بينهم في العربة الخضراء المدببة، وسلموني الى ضابط  
عجوز.

تفحصني ثم أسقط عينيه في ملف به اوراق قليلة.

قال لي : تهمنك خطيرة.

أراد ان يكتسحني بكلماته، لم أجبه، فانا أعرف خريطة المحققين هذه.

- مَاذَا تَخْبِئُ خَلْفَ جَلْدِكَ .. هِيَا .. أَخْلَعْهُ، وَدُعَنَا نَرَى ..

وضعت يدي في جيوبه وتفحصته .

أتم في مودة مبالغة

- سنسير قليلاً في مسافة جلدك والداخل .. ننزله ..

- ننزله بعيداً عن ايها السافل .

- (في الحقيقة لم اقل له - سافل - بوضوح)

- ليس من حقك ان ترفض : فهي رغبتي

- اطلب منك ان تطلق سراحى فوراً

- اتريد ان تكون حراً

- ( \_\_\_\_ )

- اخرج فانت حر

استدرت الى الباب وفتحته، فتشرعت حرية توسطت التجويف.  
انها مسمومة، اذا لامستك، لن ينفعك حتى الله. اقفلت الباب وعدت الى  
وجهه.

سألني :

- لماذا لا تخرج ... اتخشى ازاحة الحربة كي لا تموت؟

- فكرت بذعر - ربما-

- ستحب هذا المكان وتعتاد عليه ... المطلوب ان تفكر قليلاً  
وستصل الى نتائج مبهجة تماماً بها أيامك.

- الا تعتقد ان لعيتك هذه مملة؟

- استيقظ فانت أسير.

أغلقت عيني وأذني، وأنزلت رأسي من قمة جسدي ووضعته بين ثيابي.  
نهض من خلف مكتبه وانتزع رأسي من كفي الواهنتين وأعاده إلى  
الرقبة.

- ستموت وحدك ويبقى العالم.. ملابين قبلك ماتوا وظل العالم  
يتكون. هل تنتظر أن تكون انت مصير العالم : هيا اخرج احمل العالم بين  
ذراعيك، دعه يكون جسداك.

قرع الجرس فانفتح الباب.

أشار إلى التجويف المملوء بالنور الصناعي.  
الحرية اختفت

استدررت وقدفت خطواتي السريعة في الرواق.  
استقبلني رجل جالس في نهاية الممر.

- أين تذهب؟

- ليس هذا من شأنك

- لا بد ان أعرف

- لقد طردني الضابط وقال اذهب فانت حر.

- انت مجنون.. لا يوجد هنا ضباط.

- الضابط الجالس في تلك الغرفة؟

- انت مجنون فعلًا.. لقد مكثنا بانتظارك.. هيا ادخل هذه الغرفة.

دفعني إلى غرفة بيضاء نقية مغسلة ناصعة.

- افتح عينيك على سعثهما، وانظر إلى.

ملا يندقيبه بالرصاص.. وأخذ يطلق علي النار..

سقطت أخيراً على الأرض البيضاء قتيلاً.. ولم تخرج من جسدي قطرة

.دم

\* \* \*

## مياه

الأشياء سوداء في الليل.. العالم أسود.. الفجر أسود.. الرجال.. النهر..  
حملت خطتها الأجساد التي هرعت متسلاة، واحداً إثر الآخر،.. وكانت  
القاعدة فوهة سوداء مضيبة..  
أنا الراصد : هذه مهمتي..  
الاشان اللذان يسرعان في الأمام سيتوليلان تنفيذ المهمة.. والاشان اللذان  
يتبعانهما يتوليان الحماية..  
خضنا النهر النحيف الضحل : نفذ الماء البارد إلى عظامي وأحسست  
برعشة، ثم ارتجفت في الهواء الأسود..  
تخطينا الجرف الطيني وتوجهت تحت أقدامنا أعشاب سوداء..  
الساعة هي الخامسة صباحاً..  
(أخير زميلى في الرصد ان الجنود الأعداء يكمنون في ذلك الموقع  
في الساعة السادسة صباحاً.. رافقهم عدة أيام وتلذ من الوقت بدقة.  
كانت خطتنا : الاختباء في مواقعهم والقبض عليهم)  
سنختطفهم ونفيد من معلوماتهم..  
إذا لم تكشف موقع عدوك فلن تستطيع القضاء عليه..  
توقفت ومضى الرجال في الضباب والظلمة ولم اعد اميزهم بسهولة..  
(كانت خطواتنا تنسق سريعة في شارع مهجور..  
قلت لها : ألسنت حبيبي.. دعني أفككك.. قالت دون ان تلوي رأسها  
نحوي : لن أدعك..  
.. قلت لها : سأفككك بالعنف..  
نفت : لن تستطيع ذلك.. لا يستطيع الطرف الواحد فرض إرادته على  
الطرف الآخر..  
(دكاين مضاءة بأنوار باهرة..  
(نساء نصف عاريات في بيروت.. يسرعن  
(رجال ينامون في البرد.. ورجال ينامون في دفء المدينة)  
لم اعد أبصر الرفاق.. كان الهواء الأسود المثليج يصفر بين الأعشاب  
النحيلة.. رفعت قدمي اليمنى على صخرة مراقباً ظلمة واسعة لا نهاية..

انزلق فجأة رصاص سريع متتابع..  
رشاشات..

توتر جسدي وأصبح مركزاً في قبضتي يديّ.  
لم أبصر شيئاً.

(رجال يتحركون في مقر القيادة.. يشرحون التعليمات بهدوء وببطء  
وحيمية ... رجال يتقطعون وهم يعبرون. مدن... مدن : شوارع.. أعمدة  
ضوء في شارع خاليه)

ضباب وجند في الناحية الأخرى.  
ارجو ان تتجه عمليتنا..

تفوق انفجار خاطف على الرصاص..  
مدفعنا .. انه مدفعة الحماية  
وعاد انفجار المدفع مكرراً.

(الموت والعودة سواء. ماذا سنفقد في حياة منتهية.  
قد ننتصر فنملك شيئاً وقد نموت ولن نفقد شيئاً لأننا لم نكن نملك شيئاً)  
(دم بعيد غير مبصر.. كنت بعيداً لا أعرف هل سيعودون أم ستبقى  
جثثهم مدحمة مرمية لا أحد يجرؤ على الاقتراب منها).

توقف الرصاص  
كنت عصبياً متوتراً.. الظلام كامل أمامي، وخلفي حفرة النهر.. جلست  
على الأرض..

وكانت حرارة هائجة تغمر جسدي وانا انتظر..  
سيجيئون جميعاً.. سنشرب الشاي وندخن وننام قليلاً...  
انهما الحماية  
اثنان فقط، اين الآخرين؟

- هيا  
صاح بي أولهما  
- أسرع..  
ركضت بجانبه صوب النهر ..  
- اين هما؟  
كان يحتضن مدفعة التقليل ويركض  
صرخت به :

- اين هما؟  
 - سقطا هناك  
 ارتعشت في برودة الماء..  
 كنا نركض نحو القاعدة السرية وخلفنا رجل الحماية الآخر.  
 - هل تأكّلت من موتها؟  
 انزلقنا في فوهة القاعدة. وهب الرفاق الستة من أسرتهم الأرضية، وهنفوا  
 مستفسرين :  
 - اين ( ... ابو علي ومحمد )؟  
 - هناك  
 غيبتا الظلمة في الصمت..  
 كان المدفع بين يديه وهو جالس على الأرض.. سحبته منه وأسندته على  
 الحائط..  
 - تكلم.. كيف، كيف؟  
 - عندما وصلنا الى الكمين.. فتحوا النار علينا من مك敏ين خفيين..  
 فصوبينا بأسلحتنا الخفيفة. وكان بحوزة ( سليمان ) المدفع المضاد للدروع..  
 صرخت به : اضرب.  
 كان نائما فوق مدفعه متجمدا..  
 ناداه ( محمد وابو علي ) : اضرب  
 لم يتحرك..  
 صرخا به : قاتلنا.. قاتلنا..  
 زحفت اليه ودفعته. أخذت المدفع وصوبته الى اول كمين فأبيت ناره..  
 وصوبته الى الثاني.  
 كانت نار ( محمد وابو علي ) قد توقفت.  
 صحت : محمد.. ابو علي..  
 وسمعت همسة بطيئة : لقد قاتلنا..  
 وكانت النار المقابلة تنزل وتغيب في زبد الجسيدين الممددين وتحول  
 علينا.  
 هنفت بـ ( سليمان ) وكان لا يزال متشرحا على الأرض هيا ننسحب..  
 زحفنا لنجو.. ولم نستطع سحب الجثتين لأن نجذات العدو بدأت تصل.

لو ضرب من البداية لكننا قضينا عليهم. لا أدرى لماذا جبن مع انه اشترك  
في عمليات ناجحة سابقاً.  
دخل سليمان واحتفى في نهاية المغاردة.  
- سيعاسب..

وانصت الى الهواء الاسود وهو يعبر مصفراً خارج فوهة القاعدة.  
وفي الصباح حدق ت خارج الكهف.  
كانت الأرض المنبسطة المسطحة حادة واضحة. والبرتقال الأصفر يشع  
من بين الاوراق الخضراء الكثيفة في الوادي.. وعبر النهر .. كانت الأرض  
بعيدة وجراءه يرتفع فيها جبل .. وكانت سيارة منخفضة لكسح الانعام تنهب  
سريعة مثيرة خلفها خيطاً ترابياً أبيضاً.

\* \* \*

## الخوذة

حرك الهواء الباب الخشبي ودفعه بعنف فدوى وهو ينغلق، ارتج الزجاج  
الخشن الضخم الذي يفصل بين الغرفتين، وتذبذب الظهر الأخضر خلف  
الزجاج ثم سكن.

الأوراق البيضاء المستطيلة فوق المنضدة، وفتحة الهواء في السقف  
تقفز، من جهات سرية، عواءات غامضة، وعشرون عيون تصعد من رقبتي إلى  
ذقني وصدرى.

في الطابق الثالث، كانت غرف أيامنا الصباحية تمتد الواحدة في الأخرى..  
مملوءة برجال ونساء، كانوا يتلامسون بالغشاء والرقص والحزن ثم يذهبون  
إلى بيوتهم ظهراً ليعودوا في صباح اليوم التالي.  
- بالأمس اشتريت قماشاً.

تذبذب الآخر خلف الزجاج والتوى جسده على المنضدة الغامضة.  
وتحرك جسد آخر من الزاوية وصار بجانب الظهر المتموج على  
الزجاج. انحني ثم انسحب بعيداً وأختفى، وقعت الأوراق المترآكة دون  
اهتمام.. فقد وقعت آلاف الأوراق هنا، في هذه الغرفة، من قبل، وستاتي  
آلاف غيرها. فواجبي ان أكتب واكتب ثم ياخذون الأوراق مني.

وكانت رؤوس عديدة تمتد فوق منضدي وهي تهمس.

- كتف قوتك، يجب ان تملأ الأوراق.

أمسكت بأحد الرؤوس

- يجب ان افرغ يوماً من هذه الأوراق.

- عليك الا تفرغ منها.

- سامرها وانثرها مغطياً بها المدينة.

تداخلت خلف الزجاج أحساناً سرية عديدة، متحركة، تتوضّح ثم تغيب .  
وتعود سريعة في فتحة الضوء المتوجه في زاوية الزجاج المضلّع الخشن  
جمعت الأوراق البيضاء ووضعتها أمامي ورفعت عيني إلى عشرات  
الاذرع المشعرة.

كان رسغي ينلهب فوق المنضدة.

خارجنا يتساوى البشر، كلهم يتتشابهون.

ارتفعت ذراع مبهمة في الغرفة الأخرى وامكت، وضوضوت الأصوات.

الشاي	-
السرير	-
الحصان	-
دينار	-
التلفون	-
الحب	-

العرق يغطي حمמיתי، نهضت لأفر، وفكرت. سيمعني الحرمس من الخروج لأن الدوام لم ينته وسيقول:

اذا كان لا بد لي ان اخرج فلي الا أعود أبدا.  
اسحب شبح في الزجاج وأمسك بقبضته الباب وفتحه فاتصلت الغرفتان  
وامترجت الأصوات.

جلس الرأس الجميل بجانبي  
- ماذا ستفعل؟  
- سأفر.

مدت أصابعها النحيلة الطويلة كأفاع قصيرة وطوقت رقبتي. نزعتها  
بعدن وطردتها من الغرفة : وانتبهت إلى عواءات الفتحة الهوائية، وحين  
أغلق الباب، امترجت الأجساد المبهمة مرة أخرى في حركات مقاطعة تلتحم  
وتنفك، ثم تلاشت جميعاً.

\* \* \*

## الطيور..العشب الأزرق

انتزعت اغفامي المتباينة في الصورة الصغيرة لـ نـ ..وشعرت بعينيـ فـ تتوقدان بتركيز في رأسي .. طويت الصورة، ويرفق دستتها في جنبي .. قالت :

أرني ذلك الشيء الذي أخفيته؟

مسست ذراعها وحذقت في عينيها، برقـة:

- انها ورقة خاصة.. لا تهمك ابدا ..

- فـ شريرة ودماثتها تجاهك زائفـة، صدقـني، لست غـيرـي.

فـ ما زـلتـ تـتفـحـصـنـيـ.

أتمـتـ نـ بدونـ ضـجـةـ :ـ ثـقـ.

امـحـتـ نـ عـندـمـاـ شـدـتـنـيـ فـ :ـ اـنـكـ الرـجـلـ الـذـيـ أـصـنـعـهـ كـلـ لـيـلـةـ .

سـكـنـتـ فـ.

منذـ مـدةـ فقدـتـ قـدرـةـ التـميـزـ وـالـاحـسـارـ نحوـ فـتـاةـ وـاحـدـةـ .. الفتـياتـ سـاـواـيـنـ لـدـيـ عـندـمـاـ فـقـدـتـ الـحـبـ . وأـضـحـتـ الـواـحـدـةـ مـحـطةـ تـتـهـيـ أـثـرـاـ عـندـمـاـ أـتـرـكـهـاـ ..

هـاتـانـ الفتـاتـانـ تـرـيـدـانـنـيـ.

تـزـجـتـ فـ فـاخـتـرـقـتـهـاـ نـظـرـاتـيـ.

نهضـتـ الفتـاتـانـ فيـ السـاحـةـ التـرـابـيـةـ الـخـالـيـةـ . كـنـتـ جـالـساـ عـلـىـ الحـافـةـ أـرـقـبـهـماـ .. اـقـرـبـنـاـ .. وـوـضـعـتـ كـلـ مـنـهـمـاـ يـدـهـاـ فـيـ شـعـرـ الـأـخـرـىـ وـاشـتـعـلـ الـصـرـاعـ بـيـنـهـمـاـ .. تـخـدـشـ وـجـاهـهـمـاـ وـلـتـفـتـ علىـ الـأـصـابـعـ خـصـلـاتـ مـنـ الـشـعـرـ .. ثـمـ اـفـلـسـتـ نـ العـيـنـ الـيمـنـيـ لـ فـ ، وـتـرـكـتـهـاـ تـسـقـطـ عـلـىـ التـرـابـ الـأـحـرـ ..

حـذـقـتـ بـعـيـنـ فـ وـفـكـرـتـ :ـ اللـعـبـ تـجـاـوزـتـ الـطـرـافـةـ . صـحـتـ بـهـمـاـ:

كـفـىـ،ـ كـفـىـ.

انـكـلـتـ فـ عـلـىـ الـمـنـضـدـةـ أـمـمـيـ .. وـكـانـتـ عـيـنـاهـاـ سـلـيـمـيـنـ .. وـتـحـسـسـتـ صـورـةـ نـ فـيـ جـيـبـيـ .. الشـقـيـتـانـ :ـ تـبـاـ لـهـمـاـ ..

يـنـبـغـيـ انـ تـنـزـوـجـنـيـ ،ـ فـقـدـ اـنـقـطـعـ الـطـمـثـ .. اـنـتـ حـامـلـ ..

حـامـلـ!

ماـذـاـ يـعـيـنـيـ حـمـلـهـاـ .. رـبـماـ كـنـتـ السـبـبـ فـيـ حـوـثـهـ .. لـكـ لـنـ اـتـحـمـلـ نـتـائـجـهـ ..

مسمى الصورة في جيني

ن ايضا حملت، لكنها خابتة ورحلت به. لم تقل لي مد يدك والمسه وتأكد منه ثم التصدق به. كانت تدرك ان الطرف الاول يجب الا يزعج الطرف الثاني. لم أقل لـ فـ ذلك، فلا اريد اولا كشف علاقتي بـ ن. ثم لأنها تحمل جنتها بخوف.

- سیجیء واحد، ان لم تتوحدني، ذات يوم، ويرفع ثوبی. سیصرخ به الحنین.

حافت بالرقبة اللزجة والسكن تدخل في القصبة الهوائية مفتحة الجلد  
الإطب عميقاً. وخطير فرع أحمر يلتعمّل إزاء النصل.

فَلَنْ يَقْتَلُكَ أَحَدٌ، فَالنِّسَاءُ يَسْتَطِعُنَ إِخْفَاءَ أَشْيَائِهِنَّ.  
إِنَّكَ تَتَخَلَّصُ مِنْهُ.

الماضي هنا هو الحاضر والمستقبل: شيء مخيف أن يكون حاضرنا مستقبلاً، ما هي إستراتيجياتنا؟

الى الابد تنتهي الحركة السابقة ولا اريد ان الصق فيها. انتي اعرفك  
الآن، علاقتك الماكرة انتهت

ن في حقل للرز في الصين تحمل بطنها المتورم. ن في كوبا تغير أعاد  
القصب وبطنها منتفخة. ن تحمل مكنسة تتطف درج فندق في الولايات  
المتحدة وهي منحنية على بطنها... ن تتقى المطر الاستوائي وأمامها عشرات  
الزوجين العراة يقفون فوق أشجار افريقيا. أنها مشغولة به في نهار العالم  
ولله... وانا منفصل عنها.

**انفصل بالف، وافعل ما شئت بحذفك**

سحبت فـ الـ حـادـة صـغـيرـة وأـرـادـت اـدـخـالـهـ بـيـنـ أـضـلاـعـيـ، أـمـسـكـ

الكتابات، فقه المنفرد، ٢٥

خاتمة الخلفية من مسجدتى فى من كتفها بخطه و معرفتها بخطها

سبت الصورة، وكانت فتبكي.

- سعود ثانية لتنق، لن تتخلى عنِي، قل لي لن تتخلى عنِي.

اترکیینی و شانی۔

لن تتخلى عنِي.

وانصرفت ببطء ملوجة بكلماتها.  
نهضت في الغرفة الرمادية عابراً رياضاً صفراً.. وأمسكت بالטלפון  
المرن..  
أنا بـ.  
ـ عرفتكـ.  
ـ انتي وحيدة، هل تأتي اليـ؟  
ـ انتظريـنيـ.  
أغلقت التلفون. وارتدتني معطفـي. ثم أغلقت الباب ومضـيـت.

\* \* \*

## القارب

التاريخ طبقات من تراب متراكم.

اشتغلت بحمبة في الحفر والتنقيب. اخترت ثلاثة مخطاً بالقحوف الصينية  
الجافة المكسورة : إنها علامات الحضارة .

- الوجوه تكشف سرها، والأشياء تنفذ إليها وتزن ثقلها فتسقط  
جميعها أمامك، وتقى وحيداً شامخاً.

أشار مساعدني وهو من أهالي المنطقة.

- لخفر ثقباً في هذا المكان.  
رفعنا معلينا وابتدا الضرب، تجمعت كومة من التراب الصلب، انحنى  
مساعدني ونقلها.

قلت له :

- لقد حفرنا مئة سنة.

ضحك ببراهة، وانتشى بضاحكته قلوي معوله برفاه.

قلت:

- مئة سنة، مات فيها ملايين من البشر، ولدت ملايين جديدة.  
وفي يدي حفنة من تراب، يا للمعادلة؟

كنا منحنين عرقين والقرية التي جئت منها بهذا الرجل منسراً بعدها.

- سندفع لي اجرتي كل يوم.

- سأدفع.

- شيء ممتع أن تتقب الأرض فقط لنحصل على المال.

حجته بغضب فكف وجهه المتضمن عن الحركة.

يتساوى هؤلاء كلهم، وما عليك إلا ان تراقبهم وهم يرثون معولهم.  
أصبح الثقب عميقاً أسود. رفعت سلة التراب ورميتها فوق الثالثة الجديدة

الصغيرة، ونادي المساعد. خرج من الثقب فقلت:

- سننصب الخيمة ثم يمكنك الذهاب.

انه يبتهرج اذ يلمس النقوذ ويسمع صوتها.  
استدار المساعد ومضى نازلاً. كنت أراقبه الى ان اختفى في القرية.  
أوقدت المصباح ورقدت على الفراش النحيف.  
- أترحد الان مع التاريخ، انا متحرك وهو متحرك في سكونه  
معي.

كل شيء يهرب الى الظلام يتوحد فيه، ما عدا يدي الملمعتين.  
 أمسكت المصباح وخرجت الى القبر، دللت النور فضاعت الحافات  
المعتمة.

عدت بالمعول، ثم هبطت الى القاع.  
- أمامي الظلام بكماله.  
كنت واعياً بحده.  
وكنت أغرز بفرح ذلك التراب الذي تبلل وراح ينفتح بمعولي.  
رفعت سلالاً كثيرة، ثم رن المعول. أزلت التراب ولمست صخرة.  
- ووصلت الى موضع ما.

صعدت الى السطح وتوقفت هواءً بارداً، ثم شددت المعول وعلقت النور  
على خشبة غرزتها في جانب القبر. كانت الصخرة ترن.  
هويت عليها بعنف، انزلقت الصخرة، وكانت منتبها خلفها منسجباً في  
الظلمة.

كانت يداي مملوءتين بالتراب، نفضتهما ولمست جسدي، ثم نظرت الى  
السقف. المصباح يحيط الحافة العليا بنور أشقر غامض.  
أخذت أنفس الأرض بجانبي. زحفت الى اليسار وتصلت حافة سلم تحت  
يدي. استررت وأنزلت قدمي الاولى بحرص وضغطت على الدرجة. كانت  
صلبة فأنزلت القدم الأخرى.

هبطت درجات كثيرة وانتهى السلم الى ممر. الهواء تقبل عطن.  
- ستصببني هذه الفتنة من الهواء الفاسد.  
مدت يدي لافتتح طريقاً في الهواء التقليل. ارتطمت بجدار. رجعت  
فوجدت ممراً جديداً دخلته.

اشتد ثقل الهواء، وتحول الى قبضات تعصر رتني.  
- ينبغي أن أعود الى الفوهة.  
كنت أتخبط في المرات.  
- سأموت قبل خمسة الاف سنة.  
انغرزت في التراب البارد.  
- لن أجده الطريق. عسى ان يعود المساعد مبكراً ليعثر علي. وكان  
الهواء أحزمة معنوية تشد وتضيق على جسدي.

\* \* \*

## الساعة تفق على الصفر

- هل انت عضو؟  
كلا
- هل لديك أوراق تثبت انتمامك لهذا النادي؟  
ليست لدى أوراق على الإطلاق.
- سوى الباب بزته الرسمية وأشار بسيارته  
اتبع هذا الطريق وستصل إلى الجحيم.
- دفع الباب يقمه ليقطله، منعت ذلك بقدمي، نفذ صبره فقال:  
ألم أعلن، لا حق لك بالدخول، ماذا تريدين؟
- أنا مواطن، سمعت ان النادي مكان جميل فدعوني ادخل.  
يا بني انتبه، ينبغي ان تتمنى لتحصل على امتيازات المشاركة في  
الأشياء. خذ هذه الورقة، اقر الشروط ثم قدم طلباً فوافق عليه الاعضاء،  
وسارف يدي لك بالتحية عندما تجيء.  
امسك بالورقة فأفل الباب.  
طرنقا!
- افتح باب سيارة وزلت منها ثلاثة فتيات مرفهات. تقدمت منها مبتسمة  
وحبيتها، تحين بازدراة فمررت الى الشارع.  
- انتي صامت في مواجهتها. وإذا ما تكلمت ساجعلهن يحضرن الى  
غرفتي، عاريات، يهرعن الى من بيتوها البعيدة.  
الشمس تعكس القير الاسود وأقدامي تغوص خفقة فيه، وجسدي ينفرد  
لزجا بالعرق الكثيف.
- السيارات توقف أمام النادي، ينزل الاعضاء ثم يدخلون في قنوات  
الأصوات الشفافة،  
امتنلا جلد الحذاء بالقير وأخذت اقتلع خطواتي.  
لا اطيق ان ارى فتاة تحب رجلاً غيري. انتي اكرهها. وشرطني ان تلحق  
بى جميعها.  
فحصلت ورقة النادي.

- يا لشروطهم الفذرة.  
أسقطت الورقة.
- وعند مفترق الطرقات في نهاية المدينة خرج جندي من الكوخ الخشبي.
- تعال. أين تمضي؟  
-
- لا أدرى.  
-
- هذه الطرق تؤدي الى الخارج. أرني جواز سفرك.  
-
- لا أملكه.  
-
- ادخل هذه الغرفة، ستمر الدورية فتأخذك للتحقيق.  
-
- ههاد. ههاد.

\* \* \*

## **الخيول تركض والفرسان يضحكون**

كانوا يتقاطرون: من الواحات، وضفاف الفرات، والقرى الصحراوية.  
لوريات مملوءة باليو والفلاحين والتجار والمهربيين تزحف الى المدينة:  
طلع من رمل الصحراء المحيطة بها .  
الغتر البيض والحرم والزرق تتسلد من الرؤوس على الظهور، والبنادق  
على الاكتاف.

الخيام طويت. والجمال المضيئة تزحف.  
كانوا كثيرين. وجوههم شاحبة متوتة. ينطون في الظلام.  
- ثمة أمر مبيت وخطير.  
اندلع الكلام بين عدة رجال يحتلون سطح مقهى.  
- الجميع بالانذار.  
نهضوا وتفرقوا في الطرقات، وانطروا مع الغتر البيض والحرم والزرق.

-2-

مكبرات الصوت تعمّر المدينة بالصوت المنسق الذي يهوي من المآذن  
الثلاث.  
أيها المؤمنون. هل ترضون الله أن يسقط؟  
البنادق بجانب الأجساد المتربعة على الأرض والممتدة كالامواج في  
الباحة الضخمة.

ارتفعت الرؤوس الى القاضي مفتوحة الكفين، منفرجة الى الاعلى.  
- من يقتل يدخل الجنة.  
تطلعت الامواج وارتطم الوجوه الغربية بآلاف غيرها.  
الايدي تشد البنادق والخناجر.  
صرخة القاضي جمعتهم من قراهم البعيدة. وها هو يختتم خطبته ويترك  
المنبر فتفرج الامواج ويقدم هو بينها.  
خلع عمامته على باب الجامع ونشرها على كتفيه.  
تحفظت الامواج وصرخت أصوات.

- سعید العمامة الى رأسك.  
استطالت الامواج واختضت.  
توقف القاضي وتوقف أثرياء المدينة الكبار على جانبيه وانتظمت الامواج  
خلفهم.

-3-

كانت مقرات التجمع التي يمقوتها في منطقة واحدة متقاربة ممتدة في الشارع الرئيسي، وشمة مقاو صيفية بجانبها محشدة بالكافحين.  
تباحث رجال المقرات القلائل في الليلة الماضية عن الزحف الذي جاءهم من الصحراء.  
هؤلاء الذين لا يملكون شيئاً في هذا العالم. خدعوهم وجاءوا بهم. أما كان الأجرد بهم أن يسحقوا الذين يسلبونهم حتى أجسادهم. القراء يقتل بعضهم بعضاً.

المقرات أغلقت أبوابها، والماهية تحفظ فيها الرجال.  
زحف القاضي وخلفه الامواج ترتفع س kakinها وبنادقها الى السماء.  
القتت الرؤوس على سطح المقهي تحدق بالغتر.  
- انهم كثيرون، اذا وصلوا سيدفعون المقرات ويضرمون النار في الكتب والاثاث وسيتصيدوننا في الطرقات برصاصهم.  
كان الشارع متخركاً بالغتر الغزيرة.  
رفع أحد الواقفين في المقهي الصيفي يده، وأطلق عياراً نارياً. تركز القاضي والعتر.

حمل الهواء طلقين آخرين، ثم أربعة، ثم ستة.  
ضحك رجل في المقهي.  
- القاضي ينقلب راكضاً متذرجاً في نهاية الحشود.  
استدارت الحشود وانطوت في الأزقة وفي دروب الصحراء.  
أين بنادقهم. أين بنادقكم أيها الجناء.  
انساحت الغتر والنادق من الشارع الرئيسي. ومن مقهي آخر في نهاية الشارع مزقت الهواء الجاف الراقد رصاصات قليلة.  
استدار حشد صغير فاراً الى الخلف.

نزل الرجال من المقاهي واتجهوا نحو الحشد الذي انحصر. كانت العترة  
مبلة بالعرق والغبار متفرقة في الاتجاهات، والأيدي سقطت منها بنادقها  
وسكاكينها وهي تحمل ارتجافات متصلة.

\* \* \*

## المعادلة

انقف لسانه خارجاً، ماسحا شفتيه العليا.. وسطح صوته:

- لك علاقة بزوجتي؟
- أجبته - ذكرت ذلك.
- أقنعني.
- طيب.

أخرجت عليه صور كنت التقطتها بالله توفيته، أعطيتها له، وأخذ يفحصها ليتأكد من عدم التزوير، ثم رفع رأسه.

- ماذا تريد الآن؟
- (ماذا؟)

- لست أدرى
- إذن لم حضرت؟

دفع تجاهي العلبة.

- ضعها في جيبك، واخرج.

انه لا يثور. لا يثبت لقتلي.. ربما سيقتل زوجته؟

- سمعتها؟
- لا.

- إذن أخبرني عما سيحل بها.  
رأسه الثلجي لا يتحرك وسكونه هذا يضطهدني. لن يصرح طير الدم في رأسه، كما يقولون.

فتحت العلبة وقلبت صوراً عدّة، وضعت واحدة منها أمامه.

- انها جميلة هنا.
- صحيح.

وضفت أخرى في عينيه.

- وضع قبيح هنا.
- ليس كثيراً

انه لا يتحرك، طويت الصور ونثرتها أمامه. نظر اليها برتابة.

- ليس من رجل في العالم لا يثور لانتهاك أملاكه.

كان يلذ لي مراقبة الآخرين في ارتباكيهم، غير ان هذا الرجل جاف  
للغاية، أخذ هو يعنيني باهملاته اثاراتي.. أصبحت مضطهدأ.  
- انك تقسو عليّ.

قال:

- وحدك تقيس الألم وتتحمل المقدار الذي يلامك، كل العواطف  
خاضعة لك.

وتناول صحيحة وجعل يقرأ باهتمام.  
انه يزداد إهلاً لي.

تحركت نحوه.. رفعت الجريدة من يديه ودفعت قبضاتي في وجهه  
ورأسه.

ترافق على المسند محنياً جذعه الأعلى.  
قلت له :

- ارفع رأسك.  
لم يجب  
وخرجت ببطء شديد .

\* \* \*

## الجلد، القوس

حددت الجسد الأنثوي المضبب الذي كان يصر على التسلل راعشاً غير  
أنتي لم أستطع تفسير حركته إلى غضب أو استسلام. وعندما كانت تبتعد،  
توقف بيقظة هائجة، منقرضة يدي الزاحفة إليها. وحين تستقر كتلة جسدها  
بين أصابع المتمددة وتهتز وتزيلني.  
تنبهت إلى أننا كنا نتطارد عبئاً.  
قلت لها:

- انت تسحبيني في الفراغ، أقول لك للمرة الأخيرة : توقفي ولنذهب  
سوياً، أو لنفترق إلى الأبد.  
أطبقت جفنيها وصار وجهها جلدًا مدبباً بلا عيون..  
وأنهمكت في صمتها الكثيف الذي أنهى ذبذباتها الإنسانية..  
ما هي هذه العلاقة المتأمرة؟ إنه تماس افعله وانا مندهش منه، بل  
استغريه.. لماذا استمر في هذا التواطؤ الفذر؟  
كان الجلد المدبب واضحاً أمامي.. وضعفت كفي على ذراعها وقلت  
بحزم.

- لنته هذه المطاردة ونفترق .  
لم تتحرك.

استدرت ومضيت في الطريق الضيق إلى الخارج.  
(منذ سنوات توقف نمو الحب في داخلي، وأنهت اهتماماتي الرأسية تلك  
العاطفة حجراً صغيراً، صلباً مجهولاً)

يبدو أنها توقفت، لماذا تفعل؟  
أردت أن ألتقط لأرى ماذا سيحدث.  
- أنتي أتواطأنا من جديد اذا التفت.  
(كنتي أغرم، أحياناً، بمعرفة النتائج)  
(لا يأس ان ألغت عنقي يسيراً لأبصر بجانب عيني ما تفعل، دون أن  
أجعلها - اذا كانت ترصدني - تظن التي انظر إليها).

- لا أستطيع الا ان أبرر، واني من الضعف مع الفتيات بحيث لا أتمكن من طردهن مباشرة.
- كانت تمشي خلفي مدببة رأسها للارض.
- (استطيع ان اوكل اتفى شعرت بالانفصال يتسع بيننا ماسحا الانعطافات نحوها )
- امتدت الاشياء وأحسست بوجوداتها التقليلة المميزة، وهي تتنصب أمامي متهدية وجودي.
- وانتبهت الى ملامسة لذراعي نصف العاري.
- كانت تنزل رأسها الى جانب ذراعي وتمسه:
- (رأس أشقر منحدر، غالب)
- لماذا لحقتني.
- انها صامتة أيضا : ذلك مفرع.
- (ماذا يهمني..).
- كنت غالباً.. وكانت تسير مع جسدي، بصمت حاد.

\* \* \*

## الصيادون

استحالت قدماي الى فضاء صلب، تصعدان وتهبطان على صحراء  
شاسعة.

اختفت تقاطعات الأضواء وضجات الآلات والناس..

(كان جسدي مدبلي الوحيدة التي ظلت بعد انهيار المدن الأخرى)  
أحدهم الآن يركض، بعيداً خلفي، يبحث عن في الوجه الكثيرة،  
اختفيت وراء زجاجة مقهى وراقبت الطريق : وعبر هو مسرعاً.  
عدت من الجانب الثاني.

وجاء آخر من أمام فاتحا لي ذراعيه، استترت وفررت وقابلني آخر..  
 كانوا يتقدمون جميعاً من أمام وخلف، عشرات من الرجال والنساء  
ليحاصروني.

مئات الأذرع المشعرة والأذرع الملساء،  
آلاف من الأصابع المقوسة تجاهي.  
كنت محاذياً لفندق ما.. فقفزت على السلم ودخلت إحدى الغرف،  
حذقت في المرأة.

- أيتها السخنة، كم يودك هؤلاء القتلة.  
أففت الباب من الداخل، أمسكت وجهي وغيرت كل شيء فيه ولونت  
جلدي.

هذا لهائي.. وأخذت أغني.

انتبهت الى صوتي.

- الصوت لم يتبدل.

صرخت، همست : لم يتغير.

(- سابقى صامتاً ولن يكتشفوا سحتي الجديدة )  
تركـت الفندق ومررت بواحد كان يعرفنى، حدق بي ومضى، انتشـت  
وانتبهـت الى رجل يمشـى إزـائـى.

- كـم الـوقـت؟

- لا أدرـي

- لـمـاـذا لا تـلـبـسـ ساعـةـ، يـنـبـغـيـ انـ..

- اصمت ايها الكلب، اتركني.  
 - انك تسميه الي.  
 وأمسكتني من لبني و هو ينادي:  
 - ايها المارة، هذا الرجل يشتمني.  
 تكسوا علينا، وأخذت أتصيب عرقاً.  
 صرخ الجميع وهم يرفعون قبضاتهم.  
 - اعتذر له.  
 - لا تتعجلوا، فهو المسيء.  
 - هذا لا يقنعنا، اعتذر له.  
 واقربت من أذني فتاة سوداء الشعر.  
 - سينفكرون بكلمات قليلة، والكلمات، يا صديقي، هواء لا ينتهي.  
 كانت عيونهم تملأ جسدي وهم يتكلمون.  
 قلت له:  
 - اذا كان يرضيك الاعتذار فخذذه.  
 - الان.. اتركك.  
 توردت سحنة الرجل وانصرف، وتبعه الحشد. ظلت الفتاة السوداء الشعر  
 واقفة، وقالت:  
 - هذه هي مدینتك، لا تغفل ذلك.  
 - لا مدينة لي.  
 - انها مدینتك القيمة والأبدية، لذهب الى بيتك، هيا.  
 كانت ساقاي متخلبين ومنفصلتين عن بطني، كنت متعباً للنهاية  
 فسقطت مغمىً على بين ذراعي الفتاة.

\* \* \*

## الحقائب\*

انغرز حذاؤه في الوحل المغطى بالتين. قاس كتل الأشواك والحسائش البرية المرتفعة، ثم مد قدمه في خط نحيف عار.  
انهم هناك خلف النهر ينتظرون في لكراخهم السرية. ساقفص بندقיהם ثم نشعل النار في غابات القصب.

انه يمضي، كفاه طلبيتان دونما حقائب وجمجمته مملوءة بالأشارات.

أنزل من القطار في مدينة (س)

استقل زورقا الى النقطة لـ

(ستجد الطريق الى الكنواخ )

لقد تركه البلام في النقطة المعينة.

ستقودهم.

تعلّمهم متى يطلقوا النار ومتى يوقفونها.

(ثم تنشر الثورة )

اصدقاؤه الذين سبقوه كتبوا اليه ان الزيت بانتظار من يسكنه ويشعل النيران، وعليه الان تحويل كتب الثورة الى يديه ورأسه : الثورة الحارة التي تتناسل في جسده منذ ان تحرك الى غابات القصب.

النار هي الولادة النظيفة.

تكلف الشوك الأخضر وأصبحت الأرض أكثر ليونة، وامتدت كتلة الطين

اللزجة تقع أطرافه السفلية. بحر القصب ساكن وأيديه ساكنة.

وانتبه الى كوخ مخفي.

- وصلت أخيرا

استعجل خطاه في نشوة عنوره على الكوخ.

- سأستريح قليلا ثم أجمعهم.

تثبت حذاؤه في كومة الطين ومن خلل القصب تشرعت قيعان صفر.

- انهم ينتظرونك، ولكن ليس هنا. انما في مكان بعيد آخر.

ثقبت جسده رصاصات كثيرة.

\* نشرت هذه القصة اول مرة في مجلة المثقف العربي، آب 1969.

تقدمت القبعات الصفر والتمنت فوق جثته. حملته أيدٍ عديدة وقدفت به في  
النهر .  
كان الرجل مسافراً من جديد، ودونما حقائب أيضا.

\* \* \*

## أصبحت أقدامي طيوراً

استدعاني مدير الاستقبالات.

- في الغرفة المجاورة ثلاثة ضيوف جاءوا لزيارة مدینتنا .

- حسنا .

- سهل لهم كل شيء، فرضاؤهم يعني ان مدینتنا جميلة.

كان الضيوف الثلاثة مستغرقين في أنفسهم.

توقفت قليلا قبل ان ألقى اليهم بالتحية.

أدروا إليّ وجوهًا جافة وعرفت اثنين.

ابنهاور وسارتر.

وشررت الآخر مستقهما، فأدلى بصوت مخالٍ:

- أنا النبي بـ

أشرت إلى الباب

- تستطيعون إليها السادة إلقاء نظرة على مدینتنا.

والنقى الثلاثة على الباب برهه ثم انفكوا مبتعدين.

أشرت إلى السيدين ابنهاور وسارتر.

- إنكم لم تزورا مدینتنا من قبل. أما السيد هذا، فهو يعرف بعض الأقدام التي مررت من هنا منذ آلاف السنوات.

- إليها السادة لا أعرف لماذا جئتم، وهذا فضول مني، فهمتني أن أريك فقط.

كان الثلاثة منفصلين وانا بينهم أمد يدي أمام عيونهم.

- إليها السادة، مدینتنا لها تاريخ مهم. كانت مركز العالم في ما مضى، ثم مرت بها عصور من الظلام. كان الناس غائبين في بيوتهم وكانت بيوتهم غائبة، ثم هزتنا مدن بعيدة أخرى: هيء إليها الغاثبون أخرجوا. فسلطت الجموع لتتصدر الضوء العجيب.

- ايها السادة، أرجو ان تكونوا معي. لقد وصلنا الى الحاضر، انكم تبصرون هذا النهر الابدي الذي يكوم الشمار امام العتبات، وهذه الشمس التمورية التي تنفذ الى نهايات العتمة بدفعها البخاري. اما سكان هذه المدينة ايها السادة..

- ما هذا.

قفوا.

قفوا.

الدور اختفت، النهر اختفى.

ملايين الأجساد مطروحة على الرصيف الممدود الى غير نهاية، وثمة كتلة شفافة شاسعة من الغبار تأتي من الجهة المقابلة وتطرد نهايات الأجساد المرمية.

- ايها السادة، ثمة أمر غريب يجري. لنعد الى مدير الاستقبالات. الفت وكانت دائرة الاستقبال قد اختفت ايضا، وامتدت الأرض الصحراوية الخشنة الى الأبد.

- لنترك هذا المكان.

احتاج واحد من الثلاثة.

- هناك منهاج لنا. لقد جئنا الى المدينة ولن نتركها قبل ان نخبرها.

- ولكن يا سادة أرجو ان تلاحظوا ان الأمر قد اختلف.

- الأمر سواء لدينا. اتنا لا نعرفكم ولكنكم انتم الذين دعوتمونا.

بدأت خطواتهم تتركني.

قلت بصوت مرتفع:

- هل ابقى وحيدا؟

ونظرت الى الصحراء مغتما ثم لحقت بهم.

كان الثلاثة يفحصون الأجساد، وكانت عيون الأجساد المائلة لصيقة بأقدامهم دونما حركة.

وامترج التجدد لدى الجميع.

عبرنا آلاف الأجساد وظلت في الأفق آلاف غيرها ممتدة.

- كلهم متشابهون ايها السادة، انكم تتبعون هباء.  
لم يأبهوا بي، توقفت ونظرت الى الأجساد وصرخت.  
- ايها المسحورون انهضوا، ايها المفنيون الأموات.  
ابعد الثلاثة عنى وهم متعانقون.  
ركضت وأصبحت أقدامي طيورا.

\* \* \*

## 100 ذراع

كان السيفان الصدائن معلقين في بهو المنزل الداخلي.  
حذق بهما مليا.

منذ متى هما في موقعهما؟

كانا قد استلفتاني برغبة غامضة منذ مساء أمس.  
(ذكرت والتي منذ زمن بعيد ان جدى الذي كان ضابطا في الجيش  
العثماني قد تركهما).

قفزت فوق كرسي وتناولت واحداً منها. كان تقليلاً بعض الشيء.  
مسحت طبقة من الغبار الناعم عن نصله بحذر.  
(ملمسه يبعث حرارة مفاجئة في الدم)

أسكته من قبضته، رفعته إلى الأعلى ثم طعنت الهواء وأعدته إلى مكانه.  
البهو خال، غير أن أصواتاً نحاسية فرقعت في المطبخ (إنها أمي).  
(سيدخل أخي الكبير المفتاح ببطء ويدبر الباب، ثم يمرر وجهه  
الممعتنى وقامته المتوسطة، دون تحية سيلف إلى غرفة الطعام، ثم يرفع  
إلى غرفته في الطابق الأعلى. سأنهي اليوم القضية).  
دخل المفتاح ثم طق الباب ودخل أخي الكبير.  
وأجهني بنظرة فارغة وهو يغلق الباب وراءه.  
قلت له - تمهل.

نظر باندهاش للهجتي الآمرة.  
قلت له - سنسوبي مسألة معلقة قبل ان تتناول غداءك. تحفر وجهه  
ووضع يديه في جيبي بنطلونه.  
قلت:

- انت مسؤول عن وضعني الذي انا موجود فيه. ضحك بشغف.
- هل تورطت في قضية ما.

ثم نظر إلى فسي باهتمام.

- لقد مسحتي من خارطة الوجود الحقيقة، جعلتني ظلاماً لك ايها  
المبتز.

قفزت على الكرسي واقتلت السيفين، مدبت واحداً إليه.  
- خذ، ستيوارز.

هز حاجبيه واستدار الى غرفة الطعام.

قلت له:

- لن أتركك، ستباز بعد الطعام.

أمسكت سيفا بيدي وأسندت الآخر على الكرسي، وركزت عيني على باب غرفة الطعام.

(منذ ان توفي أبي، وكنت صغيراً جداً، أصبح أخي الكبير حاكم البيت. لم يتقنني في يوم ما. وإذا صدف فيتدخل بفظاظة وقسوة في أتفه الأمور، ثم يتركني ملينا فترات طويلة. كان ينهي هواياتي ويرغمني على الافتتاح بهوايات يخططها ويوفرها هو).

شددت مقبض السيف.

(عندما أقيس موقعي الآن، أحس ان الدنيا مختلفة عنِي. فلم يدعني هذا الأخ الاكتشف شيئاً يلغى غرابة العلاقات والاتصالات الكثيفة التي تحرك الحياة. ان فراغاً كاملاً يملأ صدري).

لقد أطال في تناول طعامه.

هذا

- الذي أنتظرك.

انه المسؤول عن تردي الدائم في النزول الى صميم حركة الحياة.

ترددت أصوات أقدامه وهي تتقدم.

أمسكت بالسيف الآخر، وقلت له:

- خذ

توترت عيناه بالغضب، ورفع يده ليصفعني:

- لقد هزرت كثيراً.

وجئت سيفي صوب صدره بثبات، تراجع خطوة متعدداً عن سيفي. أمرته.

- خذ أحذنا، فقط، سيفي.

- كن عاقلاً، الأخوة لا يقاتلون.

- اللعنة عليك وعلى الأخوة، سأقتلك اذا رفضت مبارزتي.

تناول السيف وتراجع الى الحائط.

قلت:

- ساعد حتى الثالثة ثم نهجم

ورجعت الى الحائط المقابل

تصميم  
ساملك حريتي بحياتي  
ساملكها الى الابد

واحد  
اثنان  
ثلاثة

وخطوت بسيفي نحوه. انفتح باب جانبي ودخلت أمي منتفضة :

- ما هذه الضجة؟

ثم صرخت بهلع:

- مَاذا تفعلان؟

أجابها صوته الملتصق بالحائط:

- يريد أن يقتني.

تقدمت مني.

صرخت بها:

- ابتعد

ورفعت يدي.

(ساشطرها الى نصفين)

وكانت سريعة جداً. طوقتني كالوثاق. قالت:

- اشفع على أمك المسكينة. إنها لا تملك في الحياة غير كما.

قرع السيف الذي بيد أخي ساقطاً على الأرض.

ثم خطأ الى الباب الخارجي ليهرب. صرخت به وأنا أتملص من وثاق

أمي :

- أيها الجبان. قف، لا تهرب أيها الجبان.

أبعدت أمي ذراعيها

(لقد تحررت منك أيها المبتر. أحس بقوة هائجة تضج في جسدي)

وكانت أمي في مواجهتي تردد نصائح وكلمات كثيرة لم أفهم شيئاً منها.

\* \* \*

## رجل له 7 أقدام\*

انقضى الوجه المرتفع المرتخي الذي يمد ساقيه باستقامة أمامي:  
- هل تعرف الفتاة التي كانت برفقك اليوم في المطعم؟  
- طبعاً، إنها تدرس في نفس الكلية، تعرفت عليها قبل عشرة أيام.  
- هل تعرف أنها يهودية؟  
- لم أسألك.  
- لقد أخبرتك لمنع الأمور السيئة قبل وقوعها.  
لم أجده.

اضطرب الوجه المرتخي ونهض عائراً إلى الباب وخرج.  
المكان

غرفة في بناء تابعة للجامعة  
في لندن

كنت أرتديت بالثياب التي يتلقى نثاراً خفيفاً ويتجمع حتماً على حافات  
البنية وفي الشوارع، فافروا من دباء الغرفة إلى الطرقات الخالية المغسولة  
بالمطر. قبعات منحنية قليلاً وأيدي مدسوسية في المعاطف تسرع (كانت جالسة  
وحيدة.. سحبت كرسى بجانبها. بدأت بالطريقة المألوفة: الغوص رقيقة. سترى  
الشمس. أدارت وجهها وكأنها تتضرر. سألتها - هل تحبين الشمس؟ سأله:  
أجنبي؟ أكدت لها بهزة من رأسها. وأضافت: إبني أيضاً أجنبياً. ثم سأله إن  
كنت أدرس هنا. لم أسأله عن وطنها فقد نسيت ذلك في اندفاع الأحاديث  
الكثيرة.

- كيف عرف هذا اللعين أنها يهودية.

### هامش

العلاقة لا تبدأ من جوازات السفر  
والدين. إنما تبدأ من التطلعات الإنسانية  
العامة..

قرع الباب ثلاث مرات. هفـ  
- ادخل

\* نشرت هذه القصة أول مرة في مجلة إلى الأمام ، بيروت، 5 حزيران 1970، عدد

أغلقت الباب وراءها. وجلستنا سوية على مقعد عريض متباعدتين تفصل بيننا فجوة صغيرة. أرخت ظهرها على المسند وأرخت ظهري. كان رأسها يصل إلى جانب كتفي. حدقت إلى وجهها الرقيق إلى يديها.

(هل هي مسؤولة عن الدمار؟)

أمسكت يديها. كانتا دافنتين وناعمتين. قلت :

- هل تعلمين بأنني عربي؟

بسطت يديها بين يدي وأجبت :

- نعم. عرفت ذلك من اسمك. لماذا تخربني؟

- أخبرني أحدهم أنك يهودية.

- هناك شيء سري في الداخل أقوى من الكلمتين المتجزدين. أنا دوأنت ح. إن وطني هنا في الداخل. لم نقدم لبعضنا حين تعارفنا تصارييس وتاريخ جوازات سفرنا. إننا إنسانان في هذا العالم المملوء.

(سحاية من جراد تطير في الصحراء. مدافع لانتصب)

وأضافت :

- هل تتغول العواطف والأحلام الالامحودة والشخصية إلى عنف دائم. وهل الإنسان الله حرية ترضخ لزمن محدود؟

- أحبك أنت. لكن دولتك تبدو خلفك.

تركت كرسيها

- لا زلت تربطني ببلاد وسياسة وحرب. ذلك مؤسف. قد نلتقي.

ثم خرجت من الغرفة

(بواخر تتفاخ صفاراتها في الموانئ ورجال مرهقون يعودون من سلمها الملams للمرفأ. البوادر يتبع في البحر وتغيب. والرجال يخفون في الميناء. ثلج لا ينقطع ودقات وهمية على الباب. وحروب غير منظورة. كل البشر ينهضون، يتحركون بملائين الأفعال المختلفة في لحظة واحدة)

تحسست المكان الذي كانت تشعله الفتاة وقلت:

- انتظري قليلا.

الغرفة المجاورة تتسع وتضحي مترامية لاتبصر جدرانها. رفعت الشباك لأهتف إليها من الطابق السادس أن تعود. كان الشارع لاما بالجليد الأبيض، وخاليًا تماماً.

\* \* \*



# القطار الليلي\*

---

\*نشرت هذه المجموعة في عام 1974، مطبعة الحرية ، بيروت.



## رجل ما.. دون التقاء\*

اشتبه الرجل المنعزل في عرفته بأنه سيموت.. وكان صرخ الأطفال اللاهين يصل اليه من أسفل المنزل.. وتخيل النسوة يتلقن، مشغولات بأعمالهن اليومية، دون ان يعلم الجميع بان رجلا، في غرفة عليا، يموت وحيداً.

أراد ان يزحف من سريره الى الباب، فيفتحه، ويهاق طالبا المعونة، ولم يتجرأ على الخروج من فراشه لأن الحركة شقت عليه، وتصور انه اذا صرخ فان روحه ستفصل عنه !  
كان النزل الذي يرقد الرجل في غرفة عليا منه واسعا وقديما، وجميع غرفه مليئة بعوائل مهاجرة مضنكه.

- ماذَا سبقُمُونَ لِي؟

التمس الرجل عواطف منقطعة وتذكر زوجته وأطفاله الثلاثة الذين قتلوا في نزاع قبلى منذ سنوات، وود لو يقي أحدهم إلى جانبه.. لقد هرب من قريته والتجأ إلى المدينة، واشتغل عامل تفريغ في احدى العلوي، وكانت اجوره زهيدة لم تتمكنه من الزواج ثانية.

(انفتح الباب وظهرت امرأة يلتصر بها ثلاثة أطفال.. تسللت ببطء كي لا توقظه، ومشي الأطفال على أصابعهم ووقفوا بجانب السرير ينظرون إلى الرجل ويتفحصونه).

ابتسم الرجل ومد يده إلى اقرب الأطفال وداعب رأسه.. كانوا جميعا ساكنين ينظرون إليه بتمعن.  
استقام في سريره ولمس المرأة.. نظر في عينيها ومرر يده على جسدها وهمس:

- عدتم أخيراً يهـا الاعـاء..

ولم يجـهـ أحدـ.

- انـتمـ مـتـبعـونـ.. تعالـواـ وـنـامـواـ بـجـانـبيـ.

واندفع إلى طرف السرير.

\* نشرت هذه القصة أول مرة مع قصة اشرافات في مجلة الفباء، 6 إيار 1973، عدد 245.

- تعالوا.  
ولم يتحركوا.

- زوجتي العزيزة الا تسمعين؟ وانت يا أطفالي؟  
احتد صارخا:

- تعالوا وناموا..

(استدارت الزوجة الى الباب، وتبعها اطفالها، وخرجوا)

- تعالوا ناموا، انتم متعبون، انتم متعبون.  
كانت الغرفة مظلمة، والرجل على سريره يتبع صدى كلماته الأخيرة..  
ومن خلف الباب ارتفعت ضحكة رعناء.

\* \* \*

## أفراح

اقترب خادم المستشفى من المريضة الثرية الجميلة، وهي تفقد وعيها في الطابق الثاني من المستشفى، وكانت اية فتاة جميلة حلماً مستحيلاً في حياته... انحني فوقها وقبلها، انفرجت عيناهَا وصرخت.  
ركض المرضىون والخدم ودخلوا الغرفة .  
كانت المريضة قد فقدت وعيها.  
وكانت أجساد كثيرة منحنية فوق خادم مستشفى تحطم في الحديقة عندما  
قفز مذعوراً من نافذة في الطابق الثاني.

\* \* \*

## إشرافات

نظر الشاب التحيل المتصلب الى فوهات في الأرض يسيل منها ماء.. وكانت الغرف المتينة التي شاهدها من قبل، مهدمه، وحجارتها مبعثرة على السفح الصغير المقرع.. التحم بصره بالحجارة المتناثرة وانفرج فمه حزناً.

كان يحسن بالظماء يشقق جوف فمه وأراد ان ينحني فوق الفوهات:

- هذه المياه لم تكن تتدفق سابقاً، لا بد انها باردة في هذه الجبال.  
توقف أصابعه فوق المياه والتمنت على راحة يده ونهض.. ابتعد عن المياه وراح ينظر الى الغرف التي دخلها سابقاً.. لم يبق منها شيء.. (كانوا احد عشر مقاتلاً يحرسون القاعدة عندما انقضت الفانقوم الاسرائيلية واستشهد الحراس جميعهم) برزت بقع من الدماء تشغف في زوايا الحجارة.. اقترب منها ولم يجد شيئاً.. بрезت في اماكن مقابلة.. كف عن الذهاب وانحدر قليلاً.. (لقد فجرت القذائف المياه من الأرض).

انحر طير من اعلى السفح ومر فوق القاعدة هابطا ثم عبر دون ان يقف.. تابعه... ثم وضع يديه في جيبي قفصته وبدأ يرتجف.

كانت الأرض لينة مبللة بالمطر الجديد في بداية الشتاء.. علقت بحزائمه كومة من الطين وتكاثرت وعندما انحرف الى جانب صخري ضرب حزائمه وتتحرر قلبه.

عندما وصل اول مرة الى القاعدة كان الرجال يتحركون وكانت القاعدة تبدو وكأنها تتحرك معهم وكان مقاتلو الثورة الجديدة تقipض عواطفهم وتنتوح مع القاعدة والافق والسلام.

كانت المدينة بعيدة، وكان السلام الشخصي مضمنوا فيها، ولكن هنا، ثمة هواجس وحركة أخرى، كانت المدينة تستيقظ أمام التحيل أشد سطوعاً، وتفاصيل دقيقة، ثم تعيّم وتتشاشي أمام الحجارة الحقيقة والغرف المنحوتة في الجبل.. هنا يتذكر الرجل على الأرض محدثاً في خرائط ومدن مفقودة. مدن بعيدة تصبح نقاطاً على الورق، ويذكر بعض الوجوه ويحس بالحرارة والصدق.

- لم يبق شيء في هذه القاعدة، آلامي تتحرك في كل مكان وتنذك فجأة ان ثمة أشياء تملأ المكان... هناك الدماء الخفية التي تتأثرت من أجساد الشهداء... وربما بقيت بعض الايدي تحت هذه الصخور او قطع أخرى من

اجسامهم. ونظر مرة أخرى إلى المياه المتدفقة وهي تتحول، ثم تتصلب الأرض.

أحس برأسه ثقيلاً وأمسك جبهته الملتهبة. نزل رويداً بين الصخور ماخوذًا، وغاصت قدمه في المياه المتفجرة.. كانت ببرودة الماء ترجمف قدمه وحرارة الدم تغلي في رأسه.

ترك القاعدة ركضاً، وهو ينفض قدمه نفضات متالية.

\* \* \*

## **العنكبوت**

امتدت كثلة سمراء كثيفة من خلف الزجاج. احس الرجل الراقد أنه يختنق، صرخ:  
- أغلقوا الأبواب، الغبار سيقتلوني.  
هرعت امرأة الحامل إلى سريره وهمست:  
- إنها مغلقة.  
تباطأ صوته وهو يعلق نظرته بالبطن المتفاخة:  
- عسى أن يكون صبياً.. حافظي عليه ليوم اسمى.  
تشنج الرجل الباحث عن الخلود ومات  
لحظت المرأة موتها. تحاملت على نفسها وفتحت الباب لتطلب نجدة، ثم  
سقطت على الأرض.  
كانت دماؤها تنزف والغبار المتدفق يترافق فوقها.

\* \* \*

اتكا الموظف على منضدته الخشبية القديمة : ثلاثةون سنة فقط في الوظيفة! ثلاثةون فقط !  
 الموظفون الشباب يتقلون في القاعة الواسعة، يتحاشون النظر اليه، وكانت الاوراق المكومة فوق منضدته قد رفعت في الصباح.  
 - تقاعد، كتاب شكر، مطالعات جديدة، اضافير، رائحة الاوراق العذبة،  
 الصراح كان ضحكا، مقهى، مقهى. يقولون ان الراتب سينقص دينارا واحدا، لماذا تعمل من اجل دينار؟ تكون الموظفون عليه فجأة وامتنع عشرات الال ידי تضغط على يده الرخوة اللاهية.  
 ولم يجد بداً من الخروج وهو يمسك ورقة إحالته على التقاعد.  
 كانت مناضد متهرئة تتخلع عن جسده وأوراق صفراء تتطاير من رأسه.  
 كان يبتعد ويبعد.. ثم تلاشى .

\* \* \*

## نمور من ورق

كان الهاربون مجتمعين حول مائدة في زاوية معتمة ثم أخرجوا دفاتر من جيوبهم وبدأوا يقرأون تواريهم كانت التواريخ تصطدم مع بعضها وتحدث جلة، حين فتح الباب وانتصب شرطيأخذ يدق فيهم. دس الهاربون دفاترهم خفية تحت المناضد، ثم ادخلوها بهدوء إلى جيوبهم.

تقدم الشرطي سائلاً :

- أين دفاتركم؟

تناثرت أجوبتهم :

- ليس لدينا دفاتر .. أية دفاتر تقصد؟

- هاهما. وماذا خلأتم تحت المنضدة عندما دخلت؟ لقد شاهدتكم! مدد وتنمس حبيب احدهم ثم انزع دفتره واستدار إلى الجميع وأخذ دفاترهم. كانوا يرتجفون وهم ينظرون إليه. انسحب الشرطي إلى منضدة يشع فوقها ضياء مقلبا الدفاتر. كانت الدفاتر ممزقة، بيضاء متسلكة لم يكتب فيها أي شيء، رفعها ورمها إلى منضدتهم، ثم خرج.

\* \* \*

## الاختفاء

فتحت عينيها وهي تبتسم لي بمقت.

ملائتي سخرية مشقة وانا احدق في وجهها.

ارتفع صوتها ساخطا:

- اترك هذا المكان.

لم آبه بهنافها وتناولت جريدة وأخذت قرأ.

( كانت تعتقد انتي رمز عذابها، نتيجة ملابسات افقدتها حبيبها، وجدت لها انتي السبب، ادركت هذا الامر، الا انه لم يثرني على توضيح موقفى، فالمسلسل لا تعنى اطلاقا، وبالتالي لا تهمني حالاتها).

- غادر الغرفة والاثرت حوالك فضيحة.

كانت قد تركت كرسيها ووقفت أمامي.

طويت الجريدة ونهضت، حدقت في عينيها بقسوة وقلت :

- لم لا تغادرين انت المكان؟

القطعت حقيتها البدوية وهي ترتجف، فأتممت:

- انك تصدعين رأسي وطالما تغاضيت عن الاعيبك الخبيثة. ساعديك بشدة اذا تعرضت لي مجدداً.

( لم ادر حفا كيف اعاقبها، فلم يسبق لي ان عاقبت امراة، ان ما يهمني هو التخلص منها وحسب). تركت الفتاة الغرفة، ثم الشركة.

(ينبغي ان اتبعها لأبصر ما تستفعل. النساء يستطيعن التوازن في النهاية). بدت من بعيد وهي تستدير الى النهر، فأسرعت خلفها. وقفث على الحافة ثم أسقطت حقيتها وفازت، كان الماء سريعا.

تساءلت وانا انظر اليها وهي تخرج رأسها من المياه :

( اذا تركتها تموت، سأتخلص من تنفيصها لي).

ولم ادر اي دافع اهوج جعلني افزع نحوها، فقد ازداد كرهي لها عندما ابصرت عينيها الجزعتين.

حاذيتها وضررتها بقبضة يدي على مؤخرة رأسها فأصبحت لينة، سحبتها واستطعت رفعها الى الجرف.

وانتبهت الى رجفة البعثت من جسدي، كان الهواء يضرب ملابسي المبللة، وكانت الفتاة غائبة عن الوعي.

( يبدو ان ضربتي كانت قوية ).

علقت حقيتها في ذراعي وحملتها الى الطريق العام.

أوقفت سيارة أجرة ونقلتها الى شقتي، وعندما أغلقت الباب غمرني السلام، خلعت ملابسها وأرقدتها على سريري.. تأملت جسدها العاري (أستطيع الانتقام منها الآن إنقاوماً شرقياً حاسماً) .

ولم أغبط لهذا التصور السهل فغضبيها بذمار تقبل وخرجت، وحين عدت كانت قد فتحت عينها وصرخت :

- ما الذي جاء بك الى هنا؟

قلت: انها شقتي.

انزلقت أصابعها على جسدها من تحت الدثار ثم ولدت دون ان تجرؤ على الخروج من الفراش.

- ماذا فعلت بي؟ اين ملابسي؟

- ستحف، لقد انقذتك من الغرق.

- الغرق؟؟

تساءلت باستغراب ثم انقبض وجهها :

- هات ملابسي.

سألتها بسخرية:

- هل ستترحين من جديد؟  
لم تجب.

حضرت لها ملابسها وكانت تقارب الجفاف، رميتها على الفراش وتركت الغرفة.

كنت واقفاً في الممر انظر الى الأرض المتفسخة بالبلل، ومررت الفتاة بجانبي ثم صفقـت الباب.

دلفت الى غرفة النوم وألقيت نظرة على سريري ثم مسست، محموماً، الدفء الذي خلقه جسدها العاري على فراشي.

\* \* \*

## \* القوس

السيدة، السيدة

انها تتثبت في الذاكرة، وتهبط وئيدة لتدخل في الأعصاب، لم اعد اميز ما اذا كانت قد ذهبت تماماً، انها تظهر فجأة من الماضي، كانها ستبقي دائماً، ثم تغيب من جديد.

كنت مسترخياً في الغرفة الظلية، احدق في ورقة ملتصقة بالأرض.  
( ان الحماسة للفعل تفقد حيويتها عندما تتبع ابتدال هذه الأفعال وبطلاّنها: الوضع العمومي يدمر أفعالنا اليومية ). لم تكن السيدة قد فارقتني الا منذ فترة قصيرة، ورغم إحساسي بنشوة تدخلني، الا ان عذاب علاقتي بها يتسرّخ، عندما أملتها لي تماماً تفاحت مسؤوليتي ازاء العاطفة، وكانت اهرب من أية مسؤولية، لذا انكرت، واعقبت العاطفة لكونها تحمل خضوعاً، ان وحدتي وحريتي ينبغي الا تمسا وانا الذي اقررت متى تبدأ علاقتي ومتى تنتهي:

انتي اشعر بحبِي متربقاً اقتراباً مني، وعندما اتأكد من عاطفتها، اثور غاضباً على خيانتي. لأنني بلا عاطف( ) انا والسيدة معاً.

- اخبريني، هل ستنقلي في ما بعد؟
- لا ادرى سأرحل.
- سأتعطك اينما ذهبت، ستنقلي هناك.
- لا لن اراك.

( انتي ادمي عاطفتها، لهذا تقدّفي خارجها ).

- س تكون أيام جديدة لنا.
- سافر اذا تبعتي لن أدعك تراني.

- يا صغيرتي المجنونة .

انها تذهب دون ان تتسم، كي تؤكد عزمها.

كان الهواء اللافح يتدفق من الشباك الموارب: دفعت الشباك بقدمي وأغلقته.

هذا الهواء الخانق يمدد السيدة في ذهني الى اجزاء متقطعة ثم يغيبها.

\* نشرت هذه القصة اول مرة في مجلة الاقلام، عدد 3، السنة الثامنة 1972.

السيدة لقد تربست في الرأس وأصبحت مرأة من الداخل تلوح للعينين  
بانفها الدقيق وعيونها السوداين التركيتين.

- كيف تعم هذه التفصيات اللعينة منفردة عن السيدة التي مضت؟  
انها أحداث منسية.

السيدة. انتي اعشقها بتوجس.

انتي أطفو الآن في ذاكرتي، تعجب السيدة (في تلك اللحظة لم اتنكر ان  
السيدة كانت موجودة) ان فلقي يكنن هنا : لماذا اخشى منح عاطفتني تماماً  
لامرأة ما وبمسؤولية تامة؟

ان القلق يغلق نفسه بعد انتهاء العلاقة.

السيدة انها تتبع وجودها من عدم الغرفة وتجلس الى جانب السرير،  
فامد يدي : المس كتفها وجانب بطنهما، وبطن فخذها ويوم جسدي في  
حرارته فأغلق عيني واطرد السيدة بدفعات غاضبة محتد.. وبغيض جسدها  
جزءاً جزءاً.. الا انها تبقى مع ذلك في الغرفة فأرضية وجودها على ارادتي  
الرخوة. وتبقى السيدة الطافية تحضر وتعجب بتصميم كسلول بطيء.. انتي  
انخلع من جسدي متصرفاً في قمة رأسي وارقب ذلك الشيء الذي تركني  
ليحيا مع السيدة بوجوده تائلاً وغزيراً.

- انه سعيد منفصل عن العالم.

لكنني مخنوق بالمي وجسدي يختطم.

انتي مدين لك، فقد علمتني أشياء كثيرة كنت اكتشفها بدون ان احس بها،  
وأحياناً يملأني الندم لاني تركتك ترحلين غير ان قلع الالم في زمن محمد  
اجدى من ترككه ينتشر في الجسم الى الابد.

الزمن يتركني.

انتي اندلي في صحراء جافة محقة بالشمس القرفة. (لكي انجو او احافظ  
على توازنني علي ان افر دائماً من المكان الذي يعتاد)  
نهضت واتجهت مسرعاً الى غرفة صديقي. كان رافقاً في سريره يقرأ  
كتباً.

رقدت على السرير الآخر في الغرفة : سأنتي بصوته المتعب الالامي:

- كيف هي السيدة؟

( نظرت الى وجه السيدة ولم اجرؤ على لمس يدها: أصبحت علاقتنا  
الآن واضحة).

- نحن نقول النساء متشابهات. ثم نستثني واحدة دائماً.  
تجلس جده النحيف الطويل وجلس فوق الفراش.
- يمكنك ان ترکن الى فتاة واحدة؟ لم نقل اتنا نحتاج الى اكثر من عاطفة، الى عدة فتيات لتفقد عاطفتنا كلها.
- هذا تكمن حقيقة هربنا من الفتاة الواحدة، وعدم التورط في علاقة نهاية معها، قلت:
- عاطفتنا ليست كبيرة بل صغيرة جداً الى حد نشك في وجودها، لذا نحتاج الى عدة فتيات ليؤكدنها. ان العاطفة عندما توكد وجودها تكشف نفسها وتقبل الشك.
- نحن بحاجة الى عواطف تتقدّنا من تاريخنا الدموي.  
( كانت السيدة قد ذكرت في مرة سابقة انها لم تعد تعرف كيف تواجه حاضرها ومستقبلها وانها يائسة من وضعها ولا تستطيع البقاء متوازنة في وضع اجتماعي وسياسي ينافق تكوينها وبحاصرها).
- كانت تتوقع - ربما - ان اتزوجها، لكنني كنت مبعداً الزواج عن رأسي، وكانت أوجل مباهجي وحياتي الى حين خروجي من البلاد، ورافقتني فكرة ان نرحل معاً واقرّوجها هناك، لكنني لم أقل لها ذلك.
- كان يأسى من صرورة افعالي قد خفّ حماستي ورجائي.  
لذا لم أدع عواطفني تلتهب وتلحفها.
- كنت أحس بالطمأنينة المطلقة عندما اكون بجانب السيدة، فهي مليئة بالحماسة والامل، كنت اتقن انها تشبع عمماً بعيداً ممتازاً في داخلي.
- كنا جالسين ذات أمسية في مقهى، قالت:
- ان ما ن فقد لا يعود، لكن ينبغي الا تفقد كل شيء.
- اتنا خارج الأحداث.
- وبختني، وضررتني على كتفي ضربة رقيقة.
- اتنى اعرف ياسك
- كنت احاول تيقينها من يأسى، ومن ثم اسحبها الى يأس مماثل يفضي بها الى عبّية تقارب عبّيتي.
- لا جدوى من التغيير. ان جديتنا تجعلنا خارج الاشياء.
- اقوى! اقوى!
- مطت الكلمات بفمها استهزاءً .

كنت أود لو أحيطها وأقبلها وأقول لها أيتها الصغيرة دعي عنك هذه الحساست الخاطئة.

- لسنا أغبياء يا صغيرتي، لقد تجاوزنا زمن إغماض العينين والاندفاع إلى الهاوية. إن العديد من الأغلاط نرتکبها بحماسة إزاء افتتاحات متماثلة.

انها لا تفقد املها في الامكانيات الم gioولة .  
وانتبهت إلى انى أخوض معها طریقا خطرا في الحديث. ان قناعة المرأة جذرية. وعلى ان بعد هذا الحديث بحدث آخر لکي لا اجعل التقاض يبدو. نظرت إلى وجهها الوادع بشغف.

( إلام ستمضي علاقتنا؟ كان هذا التخوف يتترع أحلامي جميعها و كنت اطريح به كلما تبادر . وكان رعنی يتذهب لسماعه من الفتاة نفسها ).

- في النهاية تكتشف انه لم يتفق لنا شيء . ولم يكن لنا شيء . ان هذه النتيجة تفرغ حمستنا وفرحنا وحاضرنا. وان الشيء الوحيد الذي نحتفظ به في هذا العالم هو نقاونا وصفاؤنا .

( آية حيلة منصوصة نبر بها هامشيتنا).

- لا يبعث الأمل سوى النضال .

كنت اتوقع ان تلقي على درسا في وجوب النضال فاعجلتها بسؤال موفق.

- اعتذر انت تأخرت في العودة.

نظرت في ساعتها ثم نهضنا ومشينا بمهل.

- لا أدرى لم اختارتك انت من بين كل أولئك الرجال. حقاً نسألت (لم اختارتنى؟).

( انه بؤس مغلق لها ان تختارنى انا ) .

وأحسست بذلك التي تقطعني بسمها فكيف لا انفذ هذه المرأة العظيمة.

كنت احس بالقفوط حين افكر بالزواج، وكان عذابي يتسع.

( لم تذكر لي سلط جبها لي. بل سمعت عنه ما ملأني فخرا).

هل يمكن ان ننفها ونغرب عن بعضنا؟

وأحسست ان وهى سيددد. وانني سألقى من جديد خارج العالم فامتزجت رغباتي مع قنوطى في القبول. قلت لها لأنقעה بوضع لا يفقد طمأنيني وحضورى الدائم لديها:

- من الخير الا نفقد الأمل. وسيحدد المستقبل شكله في ما بعد.

- انك تُقى نفسك في الوهم، عليك ان تدرك حاضرك لتكشف مستقبلك.

انني امفت اللغات التبشيرية، أيتها السيدة، لكنني اصمت على مضض، ماذا يجدي تطويرك في كل شيء، ان معارضتي لكل ما لا يوافقني مع امرأة سيديني في النهاية كلثة محشوة بالكلمات لا غير.

ان رجلاً يظهر من اتجاه، وتنظره امرأة من اتجاه آخر، فيلتقيان فجأة دون ان يكون تاریخهما مهيئاً لهما ذلك. ويشعران انهما يجب ان يرتبطا، ويبدأ تاريخ موحد يسوقهما وينفي تاریخهما المترددين.

لقد كان تاریخي معرولاً، او هذا ما كنت ألح على تصوره وبينما لي كانه حقيقة وسط الخراب الذي كنت أعيشه وكانت موقتاً ان انفرادي كان اختيارياً رغم إحساسي بعئّه وضرورته بيده.

وانكر ما حدث بعد تونق المعرفة بيتنا، انني انتشلت وانا امارس لعبة اغراقها، لقد كانت تنفتح لي افقاً كاملاً، وأخذت ارقب احتواها لي. كنت مسروراً اذ كشفت لي حقائق كنت اشك بوجودها في اعادة علاقاتي مع العالم بعد ان كنت مقرراً ان عبيداً مطلقاً يحتوي كل فعل نمارسه او نتفقى به فعلاً من الخارج.

كانت الحماسة التي تواجهني بها السيدة تهز يأسى المعتمد. وتوقفني على استلة حاسمة.

- انك تقول ان العالم باطل، لا افاقك من خلال شروطه التي تعيشها هنا. الا يتبدل العالم في شروط آخر؟ اليس شروطه مختلفة في مكان آخر؟ قد يكون. لكنني لا أستطيع رؤيته بكله من هنا الا من خلال شروطه الحالية التي أعيشها.

- عليك ان تنسف حياتك.

- هذا ما لا أستطيعه، انني محكوم، ولذلك انتظر ان تبدل الشروط نفسها لكي ابدل.

امسكتني من ذراعي وأحسست بشدة خائفة.

- لم لا تساهم انت بالتغيير. ان كل تغيير يجيء من خارجك يبعسك في الوهم.

نظرت الى انفها الدقيق وعيونها السوداون وساقيها البدينين، وأحسست ان قنوطى يدفعني للاستخفاف من حماستها فصمت.

ان عجز الإرادة يدفع للتبرير. واني ابعد مساهماتي وافتراض ادوارا مستحبة تجعلني اعيش في وهمها زمانا غير محدد.  
ملائتي الحماسة وانا ارى السيدة تتحرك نحوى دائمأ. ان وجودها يخلص وجودي. كان اهتمامها بي وبافعالى ومشاريعي محيرا لي. اذ كنت انا شخصيا لا اهتم بها مثلا. وخشيتك من ذلك الاهتمام فلم اعد ان اهتم بمسائلتي ولا ان يهتم بها شخص آخر و كنت اقبل اوضاعي الحياتية كما توجد ولا افكر بمستقبلها ولا اسعى الى تبديلها، وان كنت اشعر بالسخط دائمأ عليها و (اقرر) ضرورة تغييرها.

- لقد أصبحت تمثلاها.

وسخرت من تفكيري الذي التوى وأحال الاخلاص الى استعمال.  
ان انبطاعاتي تتناقض.

( كان قيس السيدة مفتوحا من الأعلى وكان بامكانني رؤية استداره ثدييها، وأحسست برغبة لان ادخل يدي وامسمها : ولم اجرؤ).  
وتبدل صوتها : أصبح عينا مرتفعا.

- سذهب سوية.

سألتها بخبيث وانا ادرك ما تقصده.

- الى اين نذهب؟

وأشارت عيناهما البراقتان الى مكان نذهب اليه واجبتهما بتواءٍ:

- سذهب، سذهب.

وفكرت بالحرارة التي ملأتني فضغطت اظافري في راحة يدي لأنماسك، كانت الحرارة تغمر المدينة والطرق خالية من السيارات تقريبا. كنا واقفين تحت مظلة السيارات العمومية، قلت لها :

- لنذهب الى مرسم صديقي، انه هنا قريب .

وأشارت الى نهاية الشارع المقابل، وضغطت المقتاح في جيبي متمنلا انفرادنا.

- هل صديقك هناك؟

غزنتي برودة. لم اكن قد فكرت باقامة علاقة جنسية معها، اذ كانت علاقاتي في حدود العاطفة المجردة.

ربطت الطعم المر الذي صعد الى حلقي. مازحتها :

- هيا

فضحكت بسرور منتشية وأنوثتها تدعو بلهفة (انها تخشى ان يراها).

قلت لها مطمئنا:

- كلا، انه ليس هنا.

ابعدت رأسها وقالت بغضب:

- لم ترید أخذني الى هناك؟

فوجئت بقرارها المضاد، لقد دفعتي هي الى دعوتها، وكانت رغبتها جائشة، الا انها تستوقفني الان وتلومني على دعوتها :

- كيف تريدين ان ادخل المرسم وليس فيه احد انكم لا تختفون.

وأحسست باهانة وضعى في تعيمها، وخفت من نتائج رفضها المفاجيء، ربما أحسست بذنبها او تكون رغبة المرأة في التعذيب قبل الحب.

- انتي اترکك وداعا.

قلت لها:

- انتظري، ماذا حدث؟

- كيف سوّل لك دعوتي الى هناك؟

انها تهشيلية سخيفة، لكن ان اخرج منها برغمي فكنبت عليها وكانت تعلم انه تبرير ساذج :

- كنت افضل ان نجلس عنده قليلا، انه موجود هناك.

- كلا، انه ليس هناك.

واقسمت لها انه هناك. وطبعا لم يكن موجودا في مرسمه، وكانت تعرف ذلك.

وتأنمت اضطرابي الحرج وحاولت إدراك ما تذكر به.

الا ان المفاجاة افسدت علي التفكير.

لم اقل لها انها هي التي دعنتي وهي التي وضعتني في المفاجاة، ولم اعد اعرف ما اجيب به.

( انها تترك نفckerها يتوالى بغضبه، ولم استطع الجزم انها تختبرني: ابني ابدو لها غراً معدوم التجربة، لا يعرف كيف يخدع الفتيات، بل كل ما يطمح له إمالة عواطفهن نحوه. وأحسست بمرارة من سلوكيها، وانفصلاً يقضى على الحساسات التي ينشئها في داخلي).

السيدة تستيقظ من غفلتها ووهمها وترى الفراغ يحيق بها. ربما لا ترید تلويث علاقات القلب، فالجنس يخلق ابداناً قرفة من بعضها وعواطف

مستحيلة التواصل، وفسرت لماذا ثارت وهي التي دعتني الى جسدها، لكن ايتها السيدة، العواطف كامنة في الجسد في هواء خارجه لقد نبهتني السيدة الى ضرورة الجسد بدعواتها المتكررة، لكنها رفضت الازعان في لحظة التحقيق. وثارت علي لأنني ساخر بها من طقوسها التي كرست لها وضعها. واكتشفت ان علاقتنا العطيمة انقلبت الى لعبة يحقق احدنا في المضي الى نهايتها.

سألتني السيدة:

- هل تحبني؟

انتابتي قوة مفاجئة فكنت بمهل:

- نعم.

ثم انهار تماسكنى، لماذا اكذب عليهما؟ لكنها أحسست ببرودة صوتي، فهتفت بياس.

- سأسافر.

شعرت بفرح صامت لقرارها، فدفعتها لتوثيقه وتصميمه:

- انه خلاصك الحقيقى.

ووضعت أمامها بتصميم وغد، كافة الامكانيات اليائسة التي تشدها بالأرض والبشر، وكشفت لها بمواربة خبيثة انتي ذلك الرجل الذي لا يعتمد عليه ولا يمكنه تقرير اي خلاص لإنسان آخر. لذلك لم أفاجأ حين أعلنت لي انها سترحل. وطلبت منها ان تدون لي عنوانها لاكتب اليها الى ان يمكنني اللحاق بها:

- لن تجدني.

قالت لي صديقتها:

- سافرت اليوم، ذهبت الى المطار لوديعها وكان آخر ما قالته لي ان أبلغك تحياتها وحبها.

كنت وحيداً، فلحسست بمكانها الفارغ وبوجودها الخفي يلامسني ويدخل الى أعصابي ودمي.

وأحسست بحزن حقيقي يغزوني ببطء. وبتلك الراحة المموجة التي شعرت بها بعد تخلصي منها تحال الى تعذيب احياناتي وموافقى الزانفة المدلسة.

اننا نعيش بفظاظة حياة ناقصة متواحشة بزيفها اللائق، فتيات، فتيات، انهن اليس الذي ينساق اليه أولئك الرجال الذين فقدوا شيئاً من تسامكهم وتنظيمهم.

لقد عاد وجود السيدة يحتسي على التماسك.

انني لم اعد أصلح لشيء أيتها العظيمة، لم اعد. عندما كنت فتية، كانت تهزني بطولات مهووسة وأعمال عميقة، لكنني الآن بعيد عن كل شيء. أيتها السيدة، أيتها السيدة، لا تبتعدني اني اعبدك، السيدة تقر من ذهني، لم استطع ايقافها، وأعود الى وحدتي التي اريد الخروج منها. انتي لا انتقي الى اي شيء، متتحرر من وجودي، الصفاء يتوفّر لي. لكنه يقذني الحركة ويسخنني في السكون. السيدة، اه لو كنت هنا، لتبدلت، لقد كدت أجدد انتمائي، لكنك تركتني معلقاً، كنت قد هزّت رقادي الطويل.

معادلة :

اذا اتجهت العواطف احادياً فجميع العلاقات الآتية ستقرغ من صميميتها، وتتصبّح الذاكرة آلة لترقيم الفتيات.

كانت حركاتنا محددة ومعلومة تكشف نهايتها مسبقاً. أيتها السيدة انتي اكتشفت أفالى المدمرة وفي اي كهوف خالية نمضي الى مجاهيل مبنية. انتي اختنق ... اختنق ..

لروح ساعي البريد بر رسالة أمام عيني، ثم وضعها على الطاولة.

(رسالة من الجبهة )

قفزت يدي عليها، قرأتها بعجلة وأعدتها ببطء:

- وصل الى خلاصه.

السيدة ابنتك كلية بقميصها وتورتها الأبيضين ونفتي من الأشياء، انها صامتة. تستجوبي بعينيها الفاذتين. انغررت بالسيدة... .

( هل صحيح ما كتبه؟ لا ادرى.. ربما غلبته حماسة خلاصه، لكنه وضع جديد لم يمر بنا. لو كان مشابهاً لوضع معلوم لاستطعت كشفه وتقديره). لقد هبت في "الحماسة، وأضيء ارتقابي المثل لعالم جديد.

- ساذهـ وساعـرف كل شيء.

دخلت الرسالة المطوية في حبيبي.

حلم يقفر من أغوار سحابة ليصيّب فكرنا: من كوبا والهند الصينية وافريقيا وأمريكا الجنوبية؛ هذا العالم يرتبط ويظهر دفعة واحدة يتحرك نحونا.

بدأت اتحرك نحو مكتب المنظمة في مدینتنا.

قلت للرجل الذي ظهر من بين قامات الشباب.

- وصلت منه رسالة.

كان المسؤول فتى يميل شعره الى الصفرة.

أشار الى فجلست وانسحب الرجال الى غرف وممرات جانبية.

- اردت معرفة مكانه؟

- انه في عمان.

- ماذا يفعل هناك؟

- نسب الى الجهاز الإعلامي.

- ظننت انه في القواعد مع المقاتلين.

- ليس شرطا ان يقاتل. كل يؤدي دوره في الثورة.

- وماذا يقدم في الجهاز الإعلامي؟ سألت بريبة خافتة.

كان الشاب يقرأ جرداً حسابياً. لم يجب.

كانت الكلمات الآتية منه تدوي في أحلام جديدة (انهم رائعون، حياة مغامرة لا تُنقل).

حدقت بوجه الفتى المنحنى وقلت.

- اطلب الالتحاق.

رفع وجهه ليحدد جدية كلامي فاكتد:

- يتبغي ان اذهب الى الجبهة.

- اذا كنت مصمماً، ستدبر لك ذلك.

قلت في لهفة : متى؟

أجاب : متى شئت.

اللهفة العاصفة تتربّسخ في تصميimi وتجعلني انشئي واغيب من مكاني.

- لطالما حلمنا بخلاصنا، انا نحققه.

كانت المدينة منفصلة عنى. لم اعد اشعر بتقليلها، و تلك العلاقات التي طالما جعلتها مخففة، لتجاري حياتي، نفضتها جميعاً، مرة واحدة، وشعرت

بارتياح لكوني تحررت من ارتباطات كنت مقصورة على اقامتها. الدائرة تتوضّح بعد خروجي منها، ان اللعبة مستمرة، والذين يدخلها يدفعون صراعاتهم الصامتة وغيابهم غير المحسوس. ان اللعبة لا تنتهي.. لكنهم لا يمكنون ما يؤكدون به وجودهم الا الصراط. ان فلعيتهم ان تنتهي وسيضطر كل طرف الى اسقاط الآخر باستمرار داخل الدائرة. ولن يتأتّح لهم ان يخرجوا منها الى الحرية والحب.

- انها حياة دامية بلدية. فالرغبات المحاذرة في الحياة ستقتنا الى الفراغ حيث نطفو بلا أفعال ولا مستقبل ولا ثورة، وطالما كان الإنسان صفرًا ليس له وجود، فكل شيء باطل.

السيدة. انهم يطاردونها في الطرقات، انها تعرف ما سيصيّبها لو امسكوا بها، او ايتها السيدة لو نفف معًا وانفذك منهم، سانفهم جميعاً. لكن السيدة تظير وتنعم بسلامتها في مدينة أخرى بعيدة.

- سنزودك بر رسالة وتسافر، انهم يعتمدون على تقدّمك. كان المكتب هادئاً وبارداً.

( يجب ان تأتي).

لقد خفتنا الصراعات وحيدين، لا نؤمن بالماضي ولا باليه رابطة للقناعات، لذا كانت دعوتنا للرحيل.

الحرية تغري.

تركت المكتب هارعاً بلهفة.

- سأترك هذا المكان المسمم، سأذهب الى الجبهة. كنت فرحاً انتقل من مكان الى آخر. وتنكّرت الشركة التي اعمل فيها. ان ارتياحي يتضاعف عندما سأترك وظيفتي، تلك الوظيفة الفدراة التي ارغمت عليها لا تدبر مصروفاتي، سأتخلص من نظام مدمر يقفل أفالى وأيمى، وينهى حرستي. رفعت حقيبتي المخطاء بالغبار، ومسحتها بستان ثم وضعتها بهدوء فوق كرسي.

كان مسؤولاً في المكتب يضرب على الآلة الطابعة اسماء مستعاراً لي. اخرج البطاقة الخضراء ثم الصق صورتي عليها. كنت احدق من فوق كتفه الى الورقة التي وقّعها ثم دفعها نحوه. تاملتها من جديد وأمسكتها بذر.

- انتي أعلن وجودي في الثورة باسم مستعار.

وضعت الورقة في جيبي مع رسالة، أكد على ان اسلمها الى رجل بالذات في عمان.

كانت السيارة الضخمة متهدئة، رفعت حقيبتي فوق المسند العلوى.

- أصبحت المدينة منفصلة عن تماما ولا يربطني بها سوى هيكل السيارة الخارجي الذي يتخطى الأرض، ان وطنا جديدا سينتقل معى. ان أرضي هي قدمي.

كانت فتاة صغيرة تبكي ازاء السيارة، رجعت نظري من الخارج وحدقت لاتكهن من هو المسافر الذي تبكي من اجله تلك الفتاة. كان الجميع يحدقون فيها ويحنون لعواطف مفقودة، وعندما تحركت السيارة أخذ شاب يجلس أمامي مباشرة يلوح لها، وكانت تلوح له من بين دموعها.

- سيعود اليك أيتها الفتاة! سيعود يوما. ولكن نحن من سينتظرنا، ونكن له عواطف حقيقة؟

كانت السيارة تقطع الشوارع المضدية الى خارج المدينة. وكنت احذق في الأشياء بنظرة أخيرة لا مبالية.

كان الطريق يمضي في الصحراء والشمس المدمرة تض محل وتغوص في نهاية الأرض السمراء، والهدوء الذي يبعثه الامتداد الممل يدفع تصوري اتى لل恍تاد. المدينة انها تعود.

كنت محاصرا في غرفة ما. وشعرت بانني يجب ان اخرج من جسدي والا انفجرت. ففتحت الباب وخرجت راكضا، ركضت بجانب النهر ورأيت قاربا مربوطا بجذع شجرة. قطعت الجبل وترك القارب يتمايل بي. صرخ رجل واقف على الشاطئ..

- زوري... اين تذهب به؟

مرت بطة نهرية بيضاء من جهة الثانية. لم ادفع رأسي نحوه. استدررت وكان يخلع ملابسه ويقفز جسده تحاهي. جذفت الى الجانب الآخر.. تركت القارب على الشاطئ وهبطت راكضا.

(مدينة بد菊花 للغاية ! يحاربون فيها بأفواهم !)

لقد مضت المدينة وأصبحت بعيدة جدا وملامحها بدأت تتلاشى من ذاكرتى خلا اشباح غير محددة تطفو من وجوده. ان هذه الصحراء التي يعبرها ظل السيارة تؤكد خروجي. نظرت بتعاس الى الخارج وكان الظلام

يغطي الصحراء. حاولت الا افكر بشيء الا ان حماستي كانت توقفني  
(سأجده في عمان، سيفاجأ بمجيئي) وتمثلت اللقاء العاطفي بيتنا.  
ولاحت أضواء بعيدة في أفق الصحراء.

هتف رجل من مقدمة السيارة:  
- وصلنا الحدود الأردنية.

سألت شرطياً بدويًا مشيرًا إلى أوراقنا:  
- أين نختتمها؟  
أوما إلى كوخ صفيحي مضاء:

- هناك.

كانت الريح الباردة توقف جسمي المحتر.  
ووقفت وسط الطريق الهادئ انفس عميقا.  
يا وطن

عندما يغيب الاسم، او تولد الهيئة لأول مرة بينهم، سيكون الاسم: وطن.  
قبعة من ضوء، سرية، مرمية بعيداً، على ارض ملتوية سوداء، تلوح.  
ارض صحراء دموية في السهل، حزمة هائلة من ضوء مساكن..  
نقل مدفعة الرشاش الصغير وأسندته الى الأرض.

- لا أحد، لم يحضر بعد.

لم أر لون الأرض هناك، كانت الأرض تنتهي عند الحواجز ويصبح  
لونها هواء.

(يتكسس العالم جميعه في اي فعل حقيقي).

امرأتان وصبية تمرق اطرافهن العليا خارج النافذة المطلة على الطريق.  
بيانات وصور قتلى معلقة على الحائط، غابت الاطراف العليا وأصبحت  
الفجوة المنورة ساكنة : الفراغ ثابت، والاطراف العليا تحرك من البداية الى  
النهاية وتعود من جديد.

مد (الوطن) رأسه وحدق نحوي دون تحديد ثم عاد الى الباب الأمامي.  
نهضت. وضعت ذراعي على حافة النافذة وكان مطر خفيف ينسحق على  
الأرض، والفجر الثاني يمر خارج الدار ببرده المتلألج. توقفت سيارة  
صغريرة قرب الباب، وبخط رجل.. فعدت الى كرسبي. كانت الخطوات  
الثقيلة تقترب من الغرفة.

دخل الرجل والحارس فأخرجت الرسالة، قرأها وأشار بود.

- نحن نرحب بك معنا.

القصص كرسينا.

( قبعة من ضوء، سرية، بعيدة : الهواء الأسود الثلجي يتسلل داخل السيارة المنطلقة ).

امتنالات الممرات والغرف خلال دقائق معدودات برجال ناعسين.

سألني :

- هل انت متعب؟

نفيت. فقال لي :

- هل تأتي معى؟ سأزور القواعد.

( مددت لها يدي فنظرت، ولم ترفع يدها فانسحب بدون حزن ).

- سندhib او لا الى 127

ونذكرت الطريق المترجح المحاذي للمدينة حين تطلع من اعلى المرتفع: ليس هناك إنسان واضح ولا بيت مكتشوف :

أضواء في الهواء.

نظرت اليه : هيا.

وأجاب : هيا.

استدارت السيارة فوق جبال عمان.

- سنذهب الى الغور.

كان الانحدار مستمرا والحرارة التي داهمنا اضطررتنا الى فتح النوافذ وخلع الجاكيتات. كانت الطرق والوديان خالية، أشار الى منزلق بين كتلتين هائلتين من الحجر.

- انهم يصفون هذا دائمًا، ونحن معرضون لمجيء مفاجيء في كل دقيقة.

انه يلقي كلماته بتلقائية تتناقض مع الخوف الذي أحسست به ( على المخاطر تعoid نفسه على المفاجأة ) ابتقت في الاسفل كل كثيفة من الاشجار الحمضية:

- سنصل الى اول قاعدة لنا.

انني اندمج في حقيقة محددة.

ابتسم الرجل

- هذه المنازل يسكنها رفاقنا بعدما دمرت سكانها القنابل والطائرات.

استدارت السيارة في طريق ترابي واخفاها الرجل تحت غصون شجرة ضخمة.

- سذهب إلى القاعدة شيئاً

ففر الرجل من فجوة بستان وتبعته واتجهنا نحو منزل مخفى.

- تفرقوا، انها الطائرات.

انشر المقاتلون بين الاشجار، ومررت الطائرتان، كضوئين، مز مجرتين تيرقان.

همس : أرى من الأفضل ان نذهب.

كنت أتجول الدحول في السيارة لثلا تصطادني الطائرة برصاصها.

أين هو؟ ربما أجده في اربد.

كان الفنوط يلزمني لأنني لم التق به عند وصولي، وتلمست الرسالة التي بعثتها إليه خطيبته.

كان الظلام يهبط عندما دخلنا إلى مناطق عسكرية نظامية وأحسست براحة متيبة كثيبة.

في اربد.

لم أجد صديقي. قال أحدهم: ذهب إلى دمشق في عمل عاجل. قلت للقائد - لقد ذهب إلى دمشق.

أجاب - لنعد إلى عمان.

كانت أنوار السيارات تغمر الطرقات وتقاطع بسرعة بين المدن.

كانت بقطة شاملة لجسمي وفكري تستيقظ وانا اهبط في شوارع عمان.

- السيدة تظهر شفافيتها فائزقة بهدوء وحنين إليها واحس بخطابي أكثر وقعا ورسوخا.

أيتها السيدة، اتنى أستطيع الآن التصميم والجسم.

القائد والرفاق، انهم يتحركون جميعاً وانا جزء منهم.

- صديقي كنت امتلك مفاجأة وانا ادخل المقر، لكنك لم تكن هناك. لقد سلمتني خطيبتك هذه الرسالة.

- مسنت الرسالة برقـة - وقالت بحزن ان احتـك على الكتابة.

صديقـي بقامته الطويلة ومشيـته المهلـة المخـدرـة ي فعل شيئاً ما في دمشق.

سألـت مـسـؤـلـ النـظـيـمـ : المـ يـعـ؟

- نـعـمـ.

- اين هو؟

- في المستشفى.

فر هدوئي وأخذ شيء ما ينفرغ من رأسي:

- ماذا حدث له؟

- لا أدرى.

بتر تصوراتي الفلقة بجموده.

ثم أوقفني أمام باب وفتحه بيطء. كان صديقي راقدا وبجانبه ممرضة :

- ماذا حدث له؟

- أصابته شظية قطعت ساقه.

كانت الساق ملفرفة وبارزة تحت الغطاء .

لبثت صامتاً محدقاً إلى وجهه المخدر. انساب صوت خلفي:

- كانت الطائرات تصرب سيارات المواطنين على الطريق فتوقفوا ليختبئوا فأصابته شظية. القتال لا تميز.

جلست بجانب صديقي.

( سيارة تطير في الهواء منفتحة على أجساد محترقة ممزقة، تسير ثم تهبط في الوادي وتحترق ساق مبتورة محشطة بذاتها على جانب الطريق العام. طائرة صغيرة لامعة ترمي سلسلة من القنابل والرصاص على فقراء مهاجرين. موتي، موتي. محترفون على الطرقات. انهم لا يكفون عن القتل ).

- ساق مقطوعة. ممرضة.

( وجه أصفر مذرد. صديقي نائم لا يعلم انتي قربه. انه لن ينهض لعنافي، خطيبته تسلمني رسالة. أنها تنتظره، تحلم أن يعود إليها يوماً. غبار يهب في طرقات مدينة مدمرة، أصوات تدعوه وتندعو. خطابات، اعتذارات عن الثورة. شبان صغار يكتنون في مخابئهم. الفتاة المشتاقة سارسل إليها الساق).

كلا. أنها ستمد يدها وتلمسها، ستصرخ وتوقظ صديقي، صديقي الراقد في المستشفى بساق واحدة. أصابعي تشنج. صمت. ضجة. لا شيء. رجال يحملون أنفسهم ذنوبياً لم يقتربوها كان سيفانهم جميعاً قطعت. السيدة تبكي. من أخبرك ليتها السيدة : إنك ترين ساقي وقد قطعت. كيف ستتقا جا به أمه وأختاه عندما يقرع الباب وعказاته في يده).

- انت هنا.

آخر جنی الصوت من جسدي، كان القائد واقفا قرب الباب.

- نحن جميعا بحاجة الى من يخفف عنا.

- لكنه بساق واحدة.

فتح صديقي عينيه وتصلب وجهه عندما رأني ثم ابتسم، جلست بجانبه  
أحدق فيه بالم سأله بمرح.  
- أتيت أخيرا.  
ابتسمت وانا مرتخ، ثم فاجأني:  
- سنعمل سوية.  
كان وجهه جدا ومصمما فوق السرير الأبيض.

\* \* \*

## البنادق

- تستطيع الآن ان تتحرك، بل وان تمشي قليلا. ارتخي جسد الرجل فوق السرير، ونظرت اليه الممرضة بعيونس:
- سنسمح لك بالمشي، ولكن داخلي الغرفة فقط! انها تبدي جفاءها كلما التقى عيناه بعينيها. لقد تعود عليها وهي تعوده منذ شهر : منذ أسره. أراد ان يعبر لها عن امتنانه ولكنه يصطدم بقطاعيها الصارمة. عندما خرج الطبيب العسكري تقدمت منه وسوت فراشه. رفع يده وحطها على يدها وأمسكها برفق. سحبت يدها بعنف ووبخته أعاد يده بحزن ووضعها الى جانبها وتبتسم محتذراً.
- ونكرر دخولها عليه لعيادته وكانت ثلثين يوماً بعد آخر وهو يبكيء على يدها ويخطو في الغرفة.
- وعندما ضغط على يدها وهي تعيده الى السرير لم تسحب يدها وتركته الى ان فك أصابعه.
- أبااته : انتهي علاجك.
- ونذكر لجان التحقيق الكثيرة التي زارتة.
- حق في وجهها ودفع الباب. أمسكها من كتفيها وقبلها. واحس بحرارتها وهي تحضنه.
- ابعدا عندما سمعا خطوات قرب الباب، وظهر ثلاثة جنود قال أحدهم بخشونة : هيا.
- تساءل الرجل - الى أين؟
- أجابه :
- الى السجن، هل تزيد المكوث هنا الى الأبد؟
- أدانت الممرضة ظهرها، وأحس الرجل عندما اقتيد انها كانت ترتعد.

\* \* \*

## الجدران

ضربيه ريح الليل. ارتجف وهو في مكمنه. كانت القرية العربية كتلة منحنية في الظلام. وكان معزولاً فوقها.

- كادت القرية تتحرر.

ازداد ارتجافه في الريح القارصة. خشي ان يموت من البرد. وكانت ثمة أشباح تترصد في مفارق الطرق.

زحف فوق المنحدر ملتصقاً بالأرض وأصبح قرب وسط القرية. كانت الأصوات العبرية تمر بين فترة وأخرى في الصمت الشامل.

ادرك الرجل انه محاصر ولن يستطيع النجاة اذا اكتشف. لم يعد يشعر بالخوف، استمر في زحفة واستدار خلف بيت قديم وانصت عبر الباب.

وكانت دورية معاذية ترن خطواتها قرب الجدران.. (انا وقدري) همس الرجل وقرع الباب بخفوت واستمر يقرع. سأل صوت محاذير - من؟

أجاب الرجل بهمس - افتحوا الباب، انا صديق ثم نهض على ركبتيه وولج الى الداخل.

سأله صاحب المنزل.

- من انت؟

- هل ينفذ الضوء الى الخارج؟

- كلا

أضاء الرجل عود ثقاب، ورأى الرجالان ببعضهما، وانطفأ عود الثقاب.

قال الرجل - كنا مجموعة في مهمة خاصة وعدت وحدني.

سألته هنا فترة قصيرة. ان قواتنا ستحرر القرية. اجلس الزائر

الليلى على كرسي وناوله رجل الداخل رغيفاً وجبنا ثم قال:

- لو اكتشفت، سنموت كلانا.

أجابه الثاني - اعرف ذلك.

زحف صوت نسائي:

- من معك؟

أجابها الرجل :

- هس. ثم زحف اليها.

بدأت معلم الفجر تضيء معلم القرية. وكان الرجل غافياً على كرسيه، وعندما سمع أصوات صاحب المنزل استيقظ وتناول الفطور. وكانت المرأة تخنس النظر اليه.

قال صاحب المنزل:

- لو حدث شيء، اختبئ هنا.

وأشار الى غرفة مليئة بركام من البراميل والقناني والغرارات.

- أغلق الباب وراءك وافتح الباب المؤدي الى الخارج، وقل انك سللت دون علم احد واختبأ.

قال المحارب:

- لن أعرضك لخطر.

ابتسم صاحب المنزل برصا وحذر زوجته من الإشارة الى الرجل مع الجارات.

راقب الرجل، من خلف الستارة، الجنود الأعداء وهم يمرون في القرية.

عاد صاحب المنزل ظهراً وقال:

- انهم يتحدثون عن إيقاف إطلاق النار، يقولون سيتوقف الليل في الساعة الثامنة.

كانت أصوات القذائف تشد وتتکاثر، ابتسם المحارب:

- انهم يقتربون، لن يتوقف القتال.

انقطع جري الأعداء في القرية وأقرر الطريق. وسللت بعض النسوة بجانب الحيطان وهن يحملن ارغفة خبز وحزماً صغيرة من الخضراءات. فجأة طرق الباب. نظر الرجال سوية تجاهه ثم التفت عيناهما. قفز المحارب الى الغرفة الصغيرة وأغلق بابها. وسمع المحارب رجلاً يتحدث بسرعة عن إيقاف إطلاق النار، وصوت اغلاق الباب.

هس صاحب المنزل - انه جاري .

قال المحارب:

- انها خدعة... لن تتوقف الحرب.

في الموعد المحدد لم تطلق قذيفة.

في اليوم الثاني أطلقت قذائف قليلة لكنها ليست قذائف حرب.

وعندما حل الليل، قال المحارب:

- لم تتحرر القرية، لقد حوصلت.

أجابه صاحب المنزل:

- لا عليك، امكث هنا ما دمت حياً، لم يدم احتلال الى الأبد.  
نظر المحارب بحزن الى البيوت التي انطوت في الظلام. في منتصف الليل، سمع صاحب المنزل صوت افتتاح الباب وانغلاقه، فقفز من فراشه وتقدم بحذر الى فراش المحارب. كان خالياً، ففتح ستارة النافذة وحدق في الظلام.  
كان المحارب يزحف في الليل ويصعد السفح. ظل يتبعه بنظره الى ان اخفى في شعاب الجبل.

\* \* \*

## النهوض

كان صاحب المخزن الصغير الذي يقتعد كرسيًا على باب مخزنه يغربني  
بان أمسكه واهز جسده البدين.  
تقدمت منه وأومأت اليه، فاستدار الى داخل مخزنه متمتما بترحيبات  
عديدة. بادرته :

- بع لي امرأة.

اندهش البدين :

- ماذا؟

- آه...

تقدم البدين غاضبا. فسألته بنعومة:

- أليست لديك منها؟

رأوا :

- اذهب. سأششم رأسك.

أكثت له :

- لا تغضب ولا تتحدث بيديك. سأشترى منك بضاعة أخرى.

صمت البدين. اقتربت منه وصرت بجانبه وهمست:

- أريد أن أشتريك أنت.

- أنا؟

وتجدد غضبه:

حدثه بسرعة:

- ما معنى حيائلك في هذا الدكان الصغير. تجلس فيه كل يوم وتعود  
إلى أمرائك البدينة والى أطفالك القصار البناء ثم تنام. انك تهدى حيائلك.  
لم يغضبك، بل رمقتني بنظرة، استعملتني فيها كمجون، لكن مظهرك  
العام لم يفتح له ان يقتنع انه ازاء مجون.

أجابني :

- انتي قانع بحياتي. فلا تتدخل فيما ليس لك شأن به.

- انتبه يا رجل، ماذا أسيت لحياتك طيلة السنوات الماضية، ولدت في مخزن وستموت فيه.
- رفع الرجل عصاه خفية، وضربني على ساعدي ثم على صدرني. فترجعت الى الباب قائلاً :

  - تمهل.
  - لا ترني وجهك ثانية والا قتالك.
  - مضيت ولم ينبعض في سادي. (في هذه المرارة، كلما حاولت خلق منفذ للحرية أدرك فناءه).
  - ترسخ فيّ، وانا احذق من بعيد الى المخزن، ان التاجر مسؤول مباشر عن تناقضاتي، فتقدمت منه بتصميم وهتفت به:

    - اخرج ايها النمل.

- رفع عصاه وتقدم مني فثبتت قدمي وركانه على خصبيه فسقط على الأرض.. وعدت بهدوء مطلق.

\* \* \*

## الشاهد

انحدر الصياد وسط الضباب الصباحي الى حافة النهر، وألقى سنارته الصلبة في المياه. وكانت زوارق الصياديون تعبر غائمة.

تقللت السنارة وأخذ الصياد يسحبها:

- ربما نشبت في صخرة.

ثم ظهر رأس امرأة، أمسكها من شعرها وجرها الى الجرف. كانت امرأة عارية مقتولة وممزقة، تتدلى حلية فوق صدرها.

ارتتجف الصياد والتفت. لم ير أحداً، خلص حبل سنارته واقتلع الحلية وفر راكضاً، وراحـت الأمواج تضرب الجسد الممد على الجرف.

احكم الصياد غلق باب كوخه وأخرج الحلية من جيبه، ضغط عليها فانفتحت وبرزت صورة شاب يبتسم. اقتلع الصورة باظفـره وقرأ خلفها -

الى حبيبي. الى الأبد. رمى الصورة على الأرض وابتسمـتها تتـوسع وكانت المياه الطينية تضرـب جثة المرأة الممزقة على الجرف.

\* \* \*

## العلبة

ضغط على الأكراة ودفع. كان الباب مغلقا.  
قرع الباب بقبضته فالمته، تراجع وهتف:  
- افتحوا، افتحوا، لقد عدت.  
كان قد ارتحل منذ سنوات الى الخارج ليعمل ويصبح ثريا. انتظر افتتاح  
الباب او رأسا يطل من نافذة. ثم صاح مجددا:  
- افتحوا، افتحوا، لقد عدت.  
ناداه أحد الجيران، عندما سمع صخبه:  
- لا يوجد أحد في المنزل. رحلوا منذ سنوات.  
انحني وحمل حقيبته، وسار لا يعرف ماذا سيفعل؟

\* \* \*

## العصافور الأسود

صرخ صوت:

- عبد الرحمن.

تلفت الرجل : هم!

أمره الصوت:

- قف.

سأله ببرود - لماذا ت يريد؟

- تعال هنا، بجانب الجدار هنا.

- هم!!

هبت نسمة خفيفة عبر الظل.

سأله الصوت - لماذا طلت أختي؟

- كانت تخويني.

صاح الصوت - أختي لا تطلق.

صرخ عبد الرحمن، ثم هبط ينلوى ببطء إلى الأرض والخنجر يدفعه، واستطالت ساقاه فغمزهما الشمس، ومضى الآخر عابرا الطريق، ثم اختفى.

\* \* \*

## الشاحنة

القمعت بقعة من الضوء على كتفه.. كانت تحدو بخط مستقيم من النافذة الصغيرة المنحوتة في أعلى الجدار، رفع كفه فنزلت البقعة على صدره. كان رأسه تجاه الآخرين في القاعة المربعة الرطبة، ينظرهم للمرة المليون ويستشعرهم مترسبين كخصوصة في أعماقه، متفرقين بمناماتهم الملونة، منسوجين على الأفراش الأرضية. كلهم يذوبون في بؤرة صغيرة واحدة تخترقه وتتكشف في أعماق صدره، وتجزءه عن الحركة. استدار إليه جسد طويل ممد، إلى جانبه، قائلاً:

- أعطيني سيكارا.

وكان الجسد يوازيه من الجهة الثانية، يداء معقوفات تحت رأسه، وعياته يابستان بين جفونه، والأجسام الأخرى خطوط متعاكسة مثبتة بالأرض. ( لا تملك أن تحبهم أو تكرههم. هم موجودون وانا موجود دائم ) انه ليدهش في هذه اللحظة بالذات. ان شخصا آخر يحل في جسده يتعامل مع الآخرين: يتكلم ويتناقض ويتحرك معهم، لكنه هو، في الداخل، بعيد عنهم، في مكان آخر منفصل، لا مسافة بينه وبين هذا المكان. كانت العينان اليابستان اللتان تجاورانه، تتحركان على جريدة ببعد محدد، لا يتغير، وكان يراقب وجهه، وحين اتصلت عياته بحده، في جزء من الجريدة.. سأله:

- هل من جديد؟

استمرت العينان في اتصالهما بالجزء، ثم انفصلتا وتراحت الجريدة بين يديه وهو يواجهه.

ضحك الجسد، وعاد يسأله:

- هل من جديد؟

امتدت الجريدة في يده مستقيمة، لكنه لم يأخذها، وتصلب وهو يراقب بقعة الشمس، تصل إلى عنقه، وعناقيد الدخان تجتمع في عمود الضوء الكثيف، تمتد فيه وتنتساع مسلقة ثم تتلاشى منتشرة في هواء الخارج.

انحرر وعيه، وأصبحت عيناه فجوبتين ملامستين لجميع الأجسداد المنظرحة مرتبطتين باشوبتين في أذنيه اللتين رهفتا للحاديـث الكثيرة:

- لم يعودوا يتكلـمون الا لاما عن السير الطويل في الشوارع، لم يعودوا يفكرون بالحرية.

التعـتـ عـنـاـ جـارـ وـهـسـ لـهـ

- كـفـ عـنـ أحـلـامـكـ التـقـيلـةـ بـالـحـرـيـةـ.

حقاً، كان البشر والطرقات والمباني في مدینته خطوطاً مشوشة ولم يعد يقوى على تصور أبعادها.

وأضاف: ان يدي ترتجفان كلما تمثلت نفسي المـسـ امرـأـةـ وـزـحـفـ إلى جانب أذنه - اتبعـنـيـ عـنـدـمـاـ تـنـدـأـ الـزـيـارـةـ، اـنـشـرـ الـحرـاسـ فـيـ باـحـاتـ السـجـنـ وـفـتـحـتـ أـبـوـابـ الـزـنـزاـنـاتـ وـأـخـذـ السـجـنـاءـ يـحـثـونـ عـنـ أـقـرـبـاـهـمـ وـأـصـدـقـائـمـ وـيـهـرـعـونـ إـلـيـهـمـ ثـمـ يـنـتـحـونـ بـهـمـ بـجـانـبـ أـحـدـ الـحـيـطـانـ.

بقى الرجالان جالسين، لم يكونـاـ يـنـتـظـرـانـ أـحـدـ يـزـورـهـمـ، وـدـلـفـ ذـوـ العـيـنـيـنـ الـمـتـيـسـيـنـ إـلـىـ الـمـرـاحـضـ وـأـشـارـ لـلـثـانـيـ إـنـ لـحـقـهـ، ثـمـ اـشـرـأـبـ بـعـنـقـهـ إـلـىـ النـافـذـةـ الصـغـيرـةـ وـرـفـعـ يـدـهـ إـلـيـهـ لـيـحـذـوـ حـذـوـهـ.

كان صوت نسائي يتحدث من أسفل النافذة إلى أحد السجناء بلطفة، كان صوتاً عذباً وأنثويـاً.

قال الثاني - ما الأمر؟

وضع الأول يده على فمه وقال - اسكت. ثم أخذ يرتعش.

خرج وتركه معلقاً يده في النافذة.

لم تكن لديه رغبة في الخروج إلى باحة السجن ورؤيه البقع البشرية المتتائرة فيها. ورقـدـ فـيـ مـكـانـهـ، وـعـنـدـمـ اـنـتـهـتـ الـزـيـارـةـ وـأـخـذـ السـجـنـاءـ يـعـودـونـ وـأـلـيـهـمـ مـحملـةـ بـالـأـكـيـاسـ الـمـنـفـخـةـ وـالـدـفـورـ، خـرـجـ الرـجـلـ إـلـىـ الـمـرـاحـضـ وـهـوـ يـمـسـحـ عـرـقـهـ بـكـمـهـ، وـعـادـ وـتـمـدـدـ بـجـانـبـ الرـجـلـ الثـانـيـ، وـقـالـ لـهـ - لـقـدـ ذـهـبـتـ الـمـرـأـةـ. كـانـ الرـجـلـ الثـانـيـ مـشـمـنـزاـً وـأـرـادـ انـ يـدـيرـ ظـهـرـهـ وـيـتـعـدـ عـنـ ذـلـكـ الرـجـلـ، عـنـدـمـ سـمـعـهـ:

- أليس عظيما ان تسمع صوت امرأة ليست متنبهة اليك، في الوحدة  
الجارحة التي نعيثها، انها الحرية.  
لم يجبه، كان يائسا للنهاية، والنور راجع يشحب في نافذة الزنزانة العلية.

\* \* \*

## أضواء

كان يصحو دائمًا على فقره، وحين لا يعود ينظر إلى شيء معين. ينشي بين الأرقام الضخمة للنفود ومسرات لا تحد.. كان يتوقع أحياناً أن يلقط حافظة مرمية، محشوة بأوراق نقدية كبيرة، وفي أحياناً أكثر يعثر على حقيقة مليئة باكdas الأوراق النقدية.

( حين تصبح النفود بين يديه ينتهي حاضره، ويطرأ إلى مستقبل بعيد، في مكان بعيد، لحياة لا يمكن ان يظفر بها في مكانه).

لكنه حين يذهب إلى عمله الوظيفي المستتب تأسره العلاقات المحددة وتحمي من ذهنه اكdas النفود ويصبح ضليعاً بالمسائل الصغيرة. كانت الشمس تنشر أشعها الصباحية الدافئة عندما انطلق الموظف إلى دائرته ماراً بجانب حديقة عامة. أخذ يوجه أنظاره المتتحققة إلى كتل النباتات المتكافحة وانتبه إلى شيء أسود بارز بين فسائل نخلة.

تمهل الموظف في مشيته مضطرباً وقلبه يخفق، وكان بعض الموظفين يلوحون من بعيد مسرعين إلى دوايرهم، وفيما عداهم لم يمر أحد في الطريق المنعزل بجانب الحديقة. (ستمر بضع دقائق ويدا الدوام، سيخلو الطريق من المارة وعندئذ سألقطع الحقيقة، سأقول غداً اتنى كنت مريضاً ولم استطع الحضور).

استدار الموظف حول الحديقة متباطناً وهو يرمي موضع الحقيقة لثلا يسبقه أحد إليها.

( كنت أعلم أن حلمي سيتحقق يوماً)

أصبح الطريق خالياً فلم يضع الموظف لحظة. رفع ساقه فوق السور الوطني. دانت الحقيقة المخيبة سوداء صغيرة، انتشرت من بين السعف الصغير واندفع إلى جانب السور. كان يود أن يختفي فوراً من المكان وأراد أن يركض ولكن خشي أن يراه أحد فيشك فيه.

تمهل بعد أن قطع أربعة شوارع (سأعود إلى المنزل، هناك أستطيع إخفاء النفود ثم أمرق الحقيقة وأنتفها).

استكان رعبه بعد أن أغلق منزله خلفه. ولم يستطع الانتظار وفتح الحقيقة. كان في أعلىها ثياب نسائية قديمة، ابتسم الرجل، وضغط الثياب بكله ورفعها. وأبصر في قاع الحقيقة رأس امرأة اسمر مقطوعاً، وكانت

عيتا الرأس مفتوحتين. اشتدت دقات قلبه وأعجزه رعبه عن الحركة والتفكير.

سقطت الحقيقة من يده وارتطم الرأس بالأرض. خيل إليه أنه يسمع لغطاً أمام باب منزله.. أعاد الثياب بسرعة إلى الحقيقة وأغلقها، وأرهف سمعه وذهب إلى الشباك مرتجفاً، ودفع بأصبعه جانب الستارة ونظر إلى الخارج ولم يبصر أحداً.

تساءل بربع (ماذا سأفعل؟ سيقولون أنني القاتل لو وجدوا الرأس لدى، لن تصدق الشرطة لو أخبرتها بالحقيقة. ستنتهي حياتي وسأفقد وظيفتي).

توقف الموظف (سأخرج بها ليلاً وأرميها وأنخلص منها) وعاد يحسب الوقت الطويل الذي سيقضى. ربما شاهده أحد وهو يحمل الحقيقة. سيقبض عليه بلا شك، وتساءل (ماذا لو دفنت الرأس في حديقة متزلي؟ كلا سيكتشف يوماً ما ويقبض علىي).

(اسمه وعنوان وظيفته ينشران في الصحف. القاتل؟ اللص؟ اللص القاتل).

(أني لم أقتل ولم أسرق، لكن من سيصدق؟ وهل يوجد أكثر إثباتاً من رأس مدمى مخبوءاً في حقيقة داخل المنزل؟ ربما سيغمرون على الجسد في مكان آخر. وما فائدة الجسد؟ لقد قطع الرأس لاحفاء شخصها، إذن الرأس هو المهم، والرأس هنا في المنزل).

توتر جسد الموظف. رفع الحقيقة وخبأها تحت كومة من الأفرشة والأغطية. ثم خرج إلى الطريق ليتأكد من عدم مراقبة منزله. وأبصر ثلاثة أطفال يلعبون بعيداً.

نظر إلى حائط جاره (ماذا لو قذفت الرأس إلى منزله؟ لكن صوت الارتطام سيجعلهم يقفزون ويكشفون الأمر). وعند حلول الظلام كان الموظف متباً وجائعاً وصورة الرأس المخبأة ماثلة أمامه.

(سأعدم في النهاية. لا بد من التخلص من الرأس). خرج الموظف من منزله وسار في الطريق المؤدي إلى الحديقة العامة وهو يراقب المنطادفات والزوايا بدقة. ثم عاد إلى منزله وأخرج الحقيقة وانتزع الرأس ممسكاً به شعره الطويل ووضعه في كيس ورقى كبير.

- لن يشك بي أحد. سيعتقدون أنتي أحمل بعض الأطعمة. توقف الموظف بجانب سور، وتهياً كما لو كان سيتبول اذا حدث وان ساله أحد ماذا يفعل.

لم يكن هناك اي عابر في الطريق المظلم. فتح الكيس ودفع الرأس الى ارض الحديقة ثم طوى الكيس ووضعه في جيبه.

وصل الى منزله (الحقيقة). لا بد من ازالة البصمات عنها). أمسكها ومسحها بعناية ثم رفها وخرج مسرعا. توجه نحو النهر ونزل بطريقه، المنحدر الترابي، وصار بجانب الماء.

جلس ووضع الحقيقة أمامه. وبعد ان ثافت دفعها بقدمه حتى خاصلت (ستحول المياه البصمات المتبقية). ولم يستطع الموظف ان ينام. كانت الروؤوس المقطوعة تتحقق فيه من حقائب كثيرة مصفرة حوله. وفي الصباح جلس الموظف خلف مكتبه وراح يتحقق في الاوراق التي بدأت تلتئم في أطرافها بقع الدماء.

\* \* \*

## الاتحام

كان المطر كثيفاً وسريعاً والريح تدفعه مدوياً مرتطماً بالطريق، والبيوت مقللة، وأسترة النوافذ مسللة. كان الطريق خالياً والمطر يتسطع تضييه كتل النور المرتجلة من الأعمدة الكهربائية.

أسرع رجل مبتل بجانب الحيطان راكضاً وإنزلقت قدمه في فجوة ترابية وهو نصفه الأعلى إلى الأمام، وأحس بالماء ينفذ إلى صدره والمطر ينغرز في شعره وملايه.

كانت قدمه توذه وأخذ يدفع رجليه متقدماً صعبوبة، وكان بيته ما يزال بعيداً (سأصل بعد قليل وأخلع ملابسي المبتلة ثم أضع فوقى الأغطية القليلة) والتمعت في ذهنه صورة امرأته واقفة خلف الباب تتمد رأسها بين دفقة وأخرى لتلمحه، وعندما ستتأكد من وصوله ستفتح الباب وتخطو إلى الخارج وتقول له بصوت قلق - تأخرت كثيراً، فيجيبها باعتياد : أفلنا المطعم وأقيمت مباشرة. لماذا لم تتنامي؟ فتقول له: لا أستطيع النوم قبل أن أراك. ثم يدلقان إلى المنزل.

احسن انه لا يستطيع الخطوه والمه يشتت، وكان المطر قد بل حتى ملابسه الداخلية. توقف تحت شجرة يوكالبتوس ورفع قدمه وفركها، أشتعلت فيها نار من الألم (سأستريح قليلاً ثم أمضي. البرد قاس). طوى رجله الصحيحة ومد ساقه المصابة وجلس.

كانت الريح تسوق المطر على جسده المحمي خلف الجذع وساقه الممددة (انها تقف خلف الباب ترتجف من البرد) بيلها المطر عندما تمد رأسها من الباب. سأصل بعد قليل وكالعادة يكون الأطفال نائمين) ونظر إلى ساقه المغمورة بثيثر المطر (ترى هل أستطيع العمل ؟! سيقدر صاحب المطعم حالتي ويساعدني. لكنه سيد بديلاً لي فوراً اذا لم أحضر. ترى هل يعيديني إلى العمل اذا شفيت؟) وابتسم بوثيق (طبعاً سيعيديني إلى العمل. سبع سنوات وانا اعمل عنده وتعرضت من أجله لشتائم وضرب السكارى والقساة لكنه ليس وفياً. ماذا سياكل الصغار وأمهم لو انقطعت عن العمل؟) انتابته حماسة فقلص ساقه واستقام على الرجل الصحيحة، وأراد ان يتقدم الا انه لم يستطع ان ينقل رجله خطوة واحدة. وأحس بالفزع يغمره وتضاعف البرد اللاسع لجسده (ترى ماذا سيحدث؟)؟ انه لا يستطيع التحرك (ساتجمد في

البرد) عندما وعي انه سيموت، حدق مرتابا في الطريق والى الدور المقلقة (سيمر شخص من هنا وينقني) لكن الطريق كان خالياً والوقت متاخراً، وانتظر الرجل طويلاً مرور عابر، وسرى في جسده الاعياء (لن أموت، من يطعم الصغار؟). ونظر الى بيت كبير أمامه مظلل بالظلام (سيدخلونني ويطلبون لي سيارة اسعاف وربما أوصليني الى منزلي). كان الألم يسحقه وهو ينقل خطواته البطيئة ويغوص في الماء متوجهها الى بوابة المنزل. تمعن في الجدار باحثاً عن زر الجرس، ولمحه فمد يده وضغطه ضغطة خفيفة وانتظر وهو يمسك حديد البوابة المقاطع ويتشبث به. وشعر انه يتداعي، وزحف يائساً الى الجرس وضغط بيده عليه واستطاع ان يسمع الرنين المتصل في الداخل. وبدا عبر الزجاج نور يضيء، فرفع يده عن الجرس وأمسك الباب بيده الرخوة. صرخ رجل من النافذة:

- من؟

قال الرجل نحو مصدر الصوت بإعياء:

- افتح الباب، سأموت من البرد.

صاح الصوت ساخطاً:

- هذا ليس فندقاً.

هتف الرجل متواصلاً:

- من سيطعم الصغار، أدخلني لوجه الله.

صاح الصوت : انتظر .

قوى الرجل فجأة وتماسكت يداه على الباب، ولم يلبه بالمطر الذي يغمره ولا بالرياح التي تثني جسده، وانتظر صوت الباب وهو ينفتح. لكن الباب لم ينفتح.

(ذهب ليحضر المفاتيح. لا بد انها في غرفته، سيحضر المفاتيح). انطفأ النور وبدأ الوقت القليل يقاده توازن جسده، وكانت ساقه الصحبجة مقلقة ومتعبة لا تستطيع الاستقامة. هوى الرجل على ركبتيه وجمع قبضة يده وأخذ يضرب الباب ويصرخ متواصلاً:

- افتح الباب، افتح الباب سأموت.

ولم ينفتح الباب.

وشغ فوق المياه ضوءان قويان ييرقان وصوت سيارة سريعة. كان الرجل ممداً عندما توقفت السيارة، وافتتحت أبوابها وقفز منها أربعة رجال، وجهوا نحوه أسلحتهم، وقرع أحدهم الجرس هائقاً:

- الشرطة.

أضيئت أنوار عديدة وخرج رجل سمين يرتعد وهو يمسك مسدساً بيده.

قال للشرطة :

- كان اللص يقرع الباب عندما خابرتكم.

اللست أعين الشرطة على الرجل الممد، وسألته المفوض.

- هل هو هذا؟

تقدم السمين بحذر ناظراً اليه وقال خائفاً.

- انه هو، انه هو.

رفع رجال الشرطة الرجل الملطخ بالطين، وأدخلوه سيارتهم وكان مغمياً عليه. وضعوه بينهم، وانطلقت السيارة. اللست المفوض الى الشرطة قائلاً:

- سيموت من البرد.

وكان نثار المطر يغمر زجاجات نوافذ السيارة المقفلة الدافئة المسرعة.

\* \* \*

زوجة المحارب

عادت زوجة المحارب من مقر القيادة صامتة، متذكرة وجه ضابط الاستعلامات وهو يستثنوها من صراحته :

- لا أخبار جديدة.

كان منزلها مغلقاً. وعندما فتحته، وجدت طفلها الصغير جالساً بجانب جدته العمياء وهي تقص له حكاية قديمة.

قطعت الجدة حكايتها وسألتها : ماذا يقولون؟

وَضَعَتِ الْزَوْجَةِ حَقِيقَتَهَا عَلَى الْمُنْضَدَّةِ وَأَجَابَتِ يَتَهَدَّدُ.

- أخبار جديدة.

**تعلق الصغير بها سائلاً : ماذا جلبت لي؟**

آخر جرت من جيب معطفها كيساً صغيراً من الحلوى ووضعته في يده.  
عندما تكون وحدها، وتتجوّل من عيني الطفل المتعلقين بها، تبكي بصمت  
ويتمثل زوجها الضابط بين دموعها. انه حاضر باستمرار في الغرفة. كانت  
ملابسها المعلقة وأحذينه وأدواته وعطوره وكتبها ومنفحة سجائره تجعله  
يتقى بينها ثم يوجه لها كلمة بين وقت وأخر وضحكه المرتفعة تهز  
خومدها.

انه يرتدي ملابسه ثم يضع لمسة من العطور على شاربيه، ويجلس على الكرسي يدخن، يتحدى معاً. يلتقط الطفل ويهضمه على فنهذه، يداعبه بقصه ثم يهبط، يقدم الطعام لأمه العمناء.

كم كانت تفزع عندما يبتعد ليلاً عن منزله؟ فقد اعتادت وجوده الغريب  
لأنه.

- ( لا أخبار جديدة )

عاد الضابط قبل أسبوع من عمله وقال لها - سذهب الى الجبهة.

وكانت حماسته وبهجته قد خففا فلقها وجعلها تنساق خلف حماسته وهو يحدثها عن النصر، وعن الوقت الذي حان للثبات.  
وبدا يجمع أدوات حلاقته واستبدل ملابسه ثم حمل حقيبة صغيرة وقبلهم جميماً وهو يضحك.

قالت إحدى جاراً لهم: سمعه ابن عم زوجي وهو يتحدث من راديو العدو في مقابلات الأسرى، ويبعث بتحياته لكم. وأخذت امرأة أخرى تطرق الباب مستبشرة: سمعه ابني بأذنه، وقيل لهم أنه شوهد وهو يتحدث في تلفزيون العدو وإن صورته نشرت مع مجموعة من الأسرى، لكن اسمه لم يرد في قوائم الصليب الأحمر.

كانت المرأة تتحصل والأمل يشع على وجهها متذكرة البرقية التي تلقتها قبل أيام كثيرة (وقع أسريراً بيد العدو، وسريرته العسكرية على استعداد لاجابة جميع طلباتهم).

ذات مساء حضر أحد الجنود وقال انه كان يعمل تحت إمرته. وفي ذلك الصباح أصيب بشطية صغيرة في كتفه فحملته إلى الطبيب العسكري فعالجه وطلب منه الذهاب إلى دمشق للراحة. فقال للطبيب: هل انتهيت؟ إنها لا تؤلمني كثيراً ثم خرجنَا، وقلت لسايق سيارة القيادة ان يذهب به إلى دمشق. لكنه أمرني بالعودة إلى الدبابات، ولم استطع مخالفة أمره، وعدنا إلى الميدان، حيث ركب دبابته من جديد وانطلق إلى الأمام. وفي الليل عاد اثنان من طاقم الدبابة وقالا إن الدبابة أصيبت وأنهم جميعاً قفزوا منها واضطروا تحت ضغط هجوم العدو إلى الانسحاب، وأنهما شاهدا الضابط ينكشف إلى الجهة اليسرى، لكنهما لا يعلمان ماذا حل به.

ننتظر قدومه طوال الليل، لكن العدو تقدم ووصل إلى المنطقة التي أصيبت فيها دبابته. ولم نعلم عنه شيئاً منذ ذلك الحين.

كانت الجدة العميماء جالسة، صامتة تستمع إلى رنين الجرس. قالت للزوجة:  
- من؟

قالت الزوجة - انه صديقه. يسأل عن آخر أخباره. وكانت المرأة تهان  
عند سماع صوت جرس الباب او التلفون وكانت تتوقعه عودته في كل  
لحظة وتحجج بالآباء التي تصليهم ويحب الحياة.

قالت الجدة - سيعود. قلبي يحذثني انه سيعود. وكانت الزوجة مبددة في  
التناقصات وفي الأيام التي تمضي دون ان يظهر، لكنها تحمي املها  
بشجاعتها قالت: أجل سيعود. واستمرت المرأة تفكران فيه صامتتين،  
وتنظران جرسا يرن.

\* \* \*

# \* العيون

---

<sup>\*</sup> نشرت هذه المجموعة في عام 1977، دار الحرية للطباعة، بغداد.



## العيون\*

شع ضوء مصباح (اللوكن) في باب المقهي الوحيدة على الطريق وكان المطري يهطل في الخارج، وانكمش الركاب الخمسة في زوايا التخوت، ووضعوا اقداح الشاي الى جانبهم، عندما دخل السائق وأعلن:

- محرك السيارة لا يشغل

وذهب الرجال الأربع متسائلين.. واقتصر احدهم :

- لندفعها

وابد الآخر، وخرج السائق راكضاً الى السيارة الحائمة في الظلام، وانسل الرجال مسرعين خلفه، ودفعوا السيارة عشرات الامتار، ولم تستغل، وببلغم المطر، ثم عادوا بها دفعاً، وأوقفوها أمام المقهي، ودخلوا الى الرواق الذي اعد لصنع الشاي والطعام ومضوا ينفضون ملابسهم باليديهم، ويسخون شعرهم بمناديلهم، وتجمعوا حول منقلة الفحم وهو يرتجفون، وغسل السائق يديه من الدهن، واستمرت المرأة الجالسة تنظر اليهم، لتفجر بجواب.

وعاد رجل وجلس على التخت القريب منها، واتخذ الرجال الآخرون اماكنهم متوزعين.

وصاح السائق:

- شاي للجميع

وسأله احدهم:

- ماذا ستفعل؟

وشتم السائق سيارته، واضاف:

- لو لا هذا المطر، لفعت شيئاً.. كما انتي لا تستطيع ان ارى شيئاً في الظلام.

وسأله احد الرجال:

- يعني سنبقى حتى الصباح؟

وأجابه السائق معتبراً:

- وماذا يمكنني ان افعل؟

\* نشرت هذه القصة اول مرة في جريدة الانباء، 1977/6/1، عدد 54.

ولم يستطيعوا صب سخطهم على السائق، فقد كان حائراً مثلكم، وبادر أحدهم صاحب المقهى، بعد أن تفروا جميعهم في الزاوية والتحوت:

- هل نستطيع النوم هنا؟

وأستعد صاحب المقهى لتجاذب حديث طويل:

- دائمًا تعطّب سيارات، وينامون هنا.

وأشار إلى التحوت، واضاف:

- نعم، يمكنكم ان تناموا على هذه.

وعاد الرجل يسأل:

- وهل لديك وسائد وأغطية؟

وأجابه صاحب المقهى:

- لفوا بعض ملابسكم واجعلوها وسائد، ولكن ليس لدى أغطية.  
وتحسس الرجلجالس بجانب المرأة الحصير والتخت الخشبي الصلب،  
وعلق:

- من الأفضل، ان نقى جلوساً، الى الصباح.

واقترح السائق:

- الا يوجد لديك فراش للاخت؟

واعتبرت المرأة:

- سابقى جالسة مثلكم.

ثم التقى بعياطها.

وعاد صاحب المقهى الى ركته، وأخذ الرجال يتحدثون، عن المطر،  
والسيارات العاطلة، وحوادث وقعت في الماضي.  
واصطفق الباب، ودخل رجل بدوي، ملتف بعياته الثقيلة، وحرك يديه  
من داخلها ونفخ عنها المطر، وبقي مختبئاً فيها، ونظر الى الجالسين،  
والقى السلام، ثم ذهب الى تخت خال، وجلس، ووافاه صاحب المقهى، ثم  
جلب له طبقاً من الثريد..

وأشار البدوي الى الجالسين وصاح:

- تفضلوا

واعرب الرجال عن اعتذارهم وشكراً لهم، ورمق البدوي المرأة بنظرة  
خاطفة، ثم انحنى على طبقه وأخذ يلتهم الثريد بسرعة.

وكف الرجال عن احاديثهم، وأخذوا يرافقون البدوي وهو ياتهم طعامه، وحين جيء له بالشاي، راح يتسلى فيهم وهو يرشفه وازاحوا انظارهم عنه، وتنشأوا بحركات افتعلوها، واتم البدوي تدخين سيكاره، ثم تمدد على التخت متذمرا بالعباءة، وسمعه الرجال يغض وانتظمت انصافه.

وسائل رجل باندهاش:

- من اين جاء؟ لا دور قريبة من هنا، كما انه جاء مشيا في الظلام.

وهز السائق رأسه:

- لا احد يعلم.

وظلوا ينظرون اليه فترة، ثم لم يعد يثير اهتمامهم، وانحنى رأس السائق مائلا للأسفل وراح يسخر، وأغمض الرجال الثلاثة عيونهم، وبقي الرجل الجالس بجانب المرأة يقظا يراقب وجوه الرجال النائمين، وهو يتوق الى التحدث مع المرأة، ثم نهض ورفع قطعة القماش ونظر الى الخارج، وتمتنع قائلة للمرأة:

- ما زال المطر كثيفاً

والتفتت اليه، ولم تتجه.

وعاد يتحدث:

- من الصعب الثوم على هذه التخوت.

وهزت المرأة رأسه.

وفتح رجل، يقابلهما، عينيه، ونظر اليهما برهة، ثم أغمضهما، واستطرد الرجل:

- علي ان اكون غدا من الصباح، في الوظيفة.

ولم يجرؤ ان يسألها عن اسمها، او المكان الذي تقصده، وصمت قليلا، ثم اضاف:

- لو تمر سيارة من هنا، فساذهب، فانا اول من يصل الى ناحية (ح) وهي لا تبعد كثيرا.

وتحدثت المرأة لاول مرة وسائله:

- هل انت موظف في ناحية (ح)؟

واهتز الرجل لاهتمامها المفاجيء، وأجابها برقة:

- نعم

وأضافت المرأة بعدها التفتت اليه اكثـر:

- زوج اختي موظف في نفس الناحية.

- من هو؟

- انه (ع)... هل تعرفه؟

وأجابها على الفور:

- طبعاً أعرفه، انه صديقي.

ونذكر وجه اختها، وقارن بينهما، ووجد ان المرأة التي تجلس الى جانبه اكثـر حيوية وجمالاً منها، وقال:

- انها لا تشبهك كثيراً.

وفهمت المرأة انه يقصد اختها، وأجابت:

- صحيح، هذا صحيح

واتته جسارة مفاجأة:

- انت تختلفين عنها...أعني... انك اجمل منها.

ثم ضحك وأشار بسبابته مهدداً:

- ايـك ان تذكرـي لها رأـيـ، لأنـها سـخـرـمـنيـ منـ بـعـضـ وـجـاتـهاـ اللـذـيـذـةـ، وـابـتـسـمـتـ المـرـأـةـ، وـهـيـ لـاـ تـعـرـفـ ماـ تـجـبـ بـهـ، وـأـثـرـتـ الصـمـتـ، وـشـعـرـ الـاثـنـانـ انـ شـيـئـاـ مـشـتـرـكـاـ يـخـصـهـمـ، وـيـجـعـلـهـمـ اـكـثـرـ قـرـبـاـ مـنـ الـآخـرـينـ الغـرـبـاءـ، وـلـمـ يـأـلـهـ الـاثـنـانـ لـنـظـرـاتـ الرـجـلـ المـقـابـلـ الـذـيـ اـسـتـيقـظـ وـأـخـذـ بـرـاقـبـهـماـ.

وتتبسط الرجل في حديثه:

- امضيت سنتين في الناحية، اسكن وحدي، وأخذت اجازة قضيتها عند عائلتي في بغداد، فالحياة شاقة في مدينة بعيدة، لرجل وحيد من المدينة.

وكان صوت المطر يسمع واضحاً في الداخل، في فترات الصمت المقطعة، وكان جو المقهى قد ازداد دفناً بعد ان دفع صاحبها قطعاً من الخطب في المنشقة.

ومضى الوقت طويلاً، وتبدل احساسه بالوحدة، فالمرأة تجعل الرجل يقتضاً ومتاهياً، واستطاع ان يرى قامتها المتسلقة عندما انفرجت عباءتها وفكـرـ: (لم تذهب هذه الليلة سـدـىـ، فـلـبـقـنـيـ حـتـىـ الصـبـاحـ ماـ دـامـتـ هـذـهـ المـرـأـةـ مـوـجـوـدـةـ، وـاـنـاـ اـنـدـثـرـ مـعـهـاـ، فـلـنـ تـسـطـعـ دـائـماـ اـنـ تـقـضـيـ لـيـلـةـ تـتـحـدـثـ مـعـ اـمـرـأـةـ فيـ).

مقهى منعزلة، في الطريق، نحو مدينة مغلقة وصحراوية). وانقطع صوت المطر وتضاعف الصمت في المقهى.

وقال الرجل وهو يتجه صوب الباب:

- توقف المطر

ثم عاد الى مكانه وهو يؤكد:

- توقف المطر

وأراد ان يوقف السائق، وتذكر الظلام الذي يمنعه من رؤية آلات السيارة. وحين أصوات بقعة الصباح الصراء، استيقظ السائق وكان الجميع نائسين، وخرج الى سيارته وفتح غطاءها الأمامي وانحنى فوق الآلات واكتشف العطب، وابقى المحرك دائراً، وعاد الى المقهى، فوجد الركاب قد استيقظوا بعدما سمعوا ضجة المحرك.

وقال:

- اشتغلت، لشرب الشاي ونتحرك.

ثم انطلق السائق وهو يعتذر عن تأخيرهم، في الطريق المبلل، واستدار السائق في الشارع الرئيس لناحية (ح) ثم توقف قرب كراج السيارات، وفتح الصندوق الخلفي للسيارة وآخر حقيبتي الرجل والمرأة ثم انطلق.

- سأوصلك الى بيت اختك.

ولم تمانع المرأة.. وتقاما وسط الشارع المبلل، ثم انعطفا الى زقاق تحول الى كتلة لزجة من الطين وحاذر الرجل والمرأة في سيرهما بجانب الجدار، ووصلتا الى بيت اختها، وقال وهو يقرع الباب:

- كانت سفرة متعبة.

ولم يجبه احد من الداخل، وعاد يقرع الباب بقوة، وانتظراء.. ثم استنتج :

- لا بد انها نائمة.

ونظر في الطريق الخالي، وعاد الى الشباك، ولم ينفتح الباب.

وسألته المرأة بخشبة:

- لماذا لا يفتح الباب؟

وأشار الرجل اليها، بالانتظار في مكانها، وذهب الى البيت المجاور، وسأل الرجل الذي اطل وهو يشير الى الباب:

- لا احد يفتح الباب.

وقال الجار متسائلاً:  
 - ألم تسمع؟  
 وانتبه الرجل وطلب منه ان يخفض صوته:  
 - لم أكن هنا، ماذا حدث؟  
 وهمس الجار:  
 - سرق اموال البلدية، واقتادته الشرطة الى السجن.  
 وسألته الرجل:  
 - متى؟  
 - قبل يومين.  
 وعاد الرجل الى المرأة وهو يخفى انفعالاته، وبادرته المرأة بالسؤال:  
 - ماذا يقول؟  
 - انه لا يدرى اين ذهبوا، فقد خرجا منذ يومين.  
 وقالت المرأة:  
 - لكنهما لم يجيئا الى بغداد.  
 وعلق الرجل:  
 - ربما سافرا الى مدينة أخرى. وسنعرف الى اين ذهبوا من الدائرة.  
 وعاذا يحملان حقيبتهما. وسألها في الطريق:  
 - الى اين ستداهيبين؟  
 - سأعود الى بغداد.  
 وعاذا صوب الكراج، وأجابهما صاحبه:  
 - لا تتوفر سيارة قبل العصر.  
 ونظر الرجل الى المرأة قائلاً:  
 - هل سمعت؟  
 ثم قال:  
 - سذهب الى الدائرة، وانت تستريحين في بيتي الى ان تتوفر سيارة ما رأيك؟  
 وترددت المرأة.  
 فلردد قائلة:  
 - انت متعبه، وستكونين بمفردك.

ووافقت المرأة، واتجها الى بيته، واحتدمت في ذهن الرجل صورة (ع) وهو منغمر في ليلي القمار في هذه الناحية البعيدة وكان (ع) يبررها بانها وسيلة ترفيه الوحيدة، في مدينة نائية لا وسيلة ترفيه فيها، لكن خسائر وارباح القمار لا تتناسب مع رواتب الموظفين، وقد لعب هو مرة وخسر عشرة دنانير، وقرر الا يلعب ثانية، ولاحظ ان التفود التي توضع على المائدة اكثر من الرواتب، ولم يغره الحاج مدير الناحية، الموظف القديم في ان يشاركهم اللعب، واستطاع ان ينجو منه، اما (ع) فكان يردد ان اللعب ربح وخسارة، ولكن الموظف الصغير لا يمكنه تحمل خسارة، ولو صغيرة، عندما يكون متزوجا واقتريا من البيت وهو يفكر.

- حسنا فعلت، اذ لم اخبرها بالحقيقة لانها ستحزن، وسافقد سحر الليلة الماضية.

ودخل المنزل، ووضعا حقيتيهما في الرواق، ثم ذهب واشترى طبقا من الفتسلة وارغفة من الخبر، وعاتبها حين وجدها اعدت شيئا، ثم خرج الى دائرة، واستقبله زميله في الغرفة مرحبا، ثم نهض زميله من مكانه واقترب منه:

- حدث شيء لا يصدق، في اجازتك. (ع) سرق سبعمائة دينار من البلدية..

وهمهم الرجل مندهشا، واضاف زميله:

- واحيل مدير الناحية على التقاعد، ان الاحداث لا تصدق.

ونظر الرجل اليه وكأنه لا يصدقه، وانساب حديث زميله :

- يقال ان مدير الناحية كان يعلم باختلالات (ع) لكنه غض النظر عنه، لانه زميله في اللعب، وتسربت انباء الاختلالات، وسمع بها مسؤول المنظمة الحزبية في الناحية، المعلم (م) انت تعرفه؟

- نعم اعرفه.

- وكتب المعلم تقريرا الى الحزب، وجاءت لجنة تحقيق من المحافظة، ثم وردت الاوامر بتوقيف (ع) واحالة مدير الناحية على التقاعد.

وسهم الرجل ثم سأله زميله:

- ولبن ذهبت زوجة (ع)؟

وتتابع زميله حديثه بنفس الحماسة:

- انها سالت الشرطة الى اين سيذهبون بزوجها، ثم أغلقت دارها، وذهبت خلفه الى سجن المحافظة، لكنني اعتقد انها ستذهب الى بغداد. وانتقلت افكار الرجل الى منزله، حيث تجلس المرأة، ثم سمع زميله يقول: لم يكن لديه مال، ليعد ما اختلسه.
- وضحك ثم استطرد:
- كان مدينا لمدير الناحية ومعاون الشرطة باكثر من ثلاثة دينار. ونقر الرجل على منضدته الخشبية وهو يردد: انه القمار... القمار.
- واقتراب منه وهو ينحني الى جانب اذنه:
- يقال، ويشهد الله انني لا اردد سوى ما سمعته، ان مدير الناحية اجبره على تأدية ديونه فاستحال عليه ان يفيها ثم اتفق معه على ان ينال زوجته، ويترك له الديون، ويقال انه نالها.
- واهتز الرجل بعنف، وشرست نظراته، وضج رأسه بالصخب وعاد زميله الى مكانه وهو يرفع يديه:
- انهم يهمسون بما قلته، والمدينة كلها تعرف ذلك.
- وتبث الرجل جامدا في كرسيه، ثم سأله:
- هل انت متأكد مما تقول؟
- وافسم زميله، انه لم يزد اي حرف على ما سمعه، وردد الرجل بصوت مرتفع:
- اذن كانت عاهرة؟
- و وأشار اليه زميله ان يتكلم بهدوء وبصوت خافت.
- وانبعثرت المرأة التي في بيته، في ذهنه، ولم يعلن لزميله عن وجودها، وادرك انه لو اخبره، فان الخبر سينتشر على الفور، ونهض وهو يتاذهب للخروج، وقال لزميله:
- السيارة التي اقتننا من بغداد عطلت في الليل، وسأذهب الى البيت، لأنني لم انم بالامس، وقل لمن يسأل عنى، انتي ساعود بعد قليل.
- وتوطأ زميله معه هازا رأسه مؤيدا، وانحنى على اوراقه. وعاد الرجل الى بيته، وحين فتح الباب، شاهد المرأة منحنية على الأرض تمسحها، واستقامت المرأة حين سمعته، وتراجع هو الى الباب متذررا وطلب منها ان

تکف عن مسح الأرض، واحبرته بانها اوشكت على الانتهاء، ومررت الكيس القديم المبلل على الأرض، ثم نهضت وقالت:

- يبدو ان الأرض لم تمسح منذ أشهر؟
- وأجابها:

  - من يمسحها؟ انتي لا امسحها مطلقا.
  - وجفت يديها، ثم جلسـت، ومكث الرجل في الباب وسألـته:

    - الم تعرف اين ذهبـا؟
    - وأجابـها:

      - نعم سافـر ياجـازة الى البصرـة، وصحـبـته اخـنـك.
      - وتسـاءـلتـ المرأة:

        - هل يجوز انه ذهبـا الى بيت اختـه هـنـاكـ؟
        - قالـ الرجلـ:

          - ربماـ.

وكان يـفكـرـ، لو انه اخـبرـها بالـابـاءـ التـيـ يـعـرـفـهاـ، فـماـذـاـ سـيـحـلـ بـهـاـ؟ـ وـرـدـدـ:

    - الموظـفـ يـحتاجـ الى فـقـرـةـ رـاحـةـ بـيـنـ حـيـنـ وـآخـرـ.
    - وتـنـهـدتـ المرأةـ:

      - لو كـنـتـ أـعـرـفـ اـنـهـماـ سـيـسـافـرـانـ لـمـاـ حـضـرـتـ.
      - وـوـدـ الرـجـلـ لـوـ يـجـلـسـ إـلـىـ جـانـبـهـاـ، وـيـدـاعـبـهـاـ، وـلـكـنـ خـوفـهـ وـخـجلـهـ جـعلاـهـ يـنـحرـفـ إـلـىـ مـقـعـدـ مـفـصـلـ، وـاـخـتـلـسـ الرـجـلـ نـظـرـاتـ إـلـىـ رـكـبـيـهاـ وـسـاقـيـهاـ، وـلـاـحـظـتـهـ المـرـأـةـ وـانـدـفـعـتـ يـدـاهـاـ تـشـدـانـ طـرـفـ ثـوبـهـاـ إـلـىـ اـسـفـلـ الرـكـبـيـنـ.
      - وـثـارـتـ صـورـةـ (عـ)ـ فـيـ ذـهـنـ الرـجـلـ وـالـاقـاوـيلـ حـولـ زـوـجـتـهـ، وـحاـولـ اـنـهـاءـ اـرـتـيـاـكـهـ:

        - اـنـتـ جـمـيـلـةـ، جـمـيـلـةـ جـداـ.

ثـمـ نـهـضـ وـجـلـسـ إـلـىـ جـانـبـهـاـ، وـمـدـ يـدـهـ إـلـىـ يـدـهـاـ، وـانـكـمـشـتـ فـيـ الزـاوـيـةـ وـأـرـادـ انـ يـطـوـقـهـاـ بـذـارـعـيهـ، وـقـالـتـ مـسـتـاءـةـ:

      - اـنـتـيـ اـخـطـلـتـ اـذـتـيـتـ إـلـىـ بـيـتـكـ.
      - ونـهـضـ الرـجـلـ وـأـمـسـكـهـاـ، وـحاـولـ اـنـ يـقـيلـهـاـ، وـدـفـعـتـهـ:

        - اـتـرـكـنـيـ، اـتـرـكـنـيـ.

وضحك الرجل مهتاجا، وقرر أن يدلّي لها بالمعلومات التي سمعها، لكنها تناولت عباءتها وليستها وانحنى ورفعـت حقيقتها، ورددـ:

- انتي اعترـ، ارجوك ان تبـقـي وتناولـي الغـداءـ.  
ثم أمسـك بيـدهـاـ:

- ارجوك ان تبـقـيـ، اين سـنـدـهـيـ؟  
وسـحبـتـ يـدـهـاـ بـقوـةـ، وـهـيـ تـقـولـ:  
- اـنـرـكـنـيـ.

وـخـرـجـتـ.

وهـذاـ اـهـتـياـجـ الرـجـلـ، وـتـجـولـ فـيـ الغـرـفـةـ، مـادـاـ يـدـهـ، فـوقـ المـدـفـأـةـ، فـيـ رـوـاحـهـ  
وـمـجـيـئـهـ، ثـمـ خـرـجـ إـلـىـ الشـارـعـ وـسـارـ صـوبـ الـكـراـجـ، وـشـاهـدـ المـرـأـةـ جـالـسـةـ،  
وـمـرـ مـتـهـلاـ، ثـمـ عـادـ، وـلـمـ يـحـاـوـلـ إـنـ يـقـرـبـ مـنـهـاـ، وـعـادـ إـلـىـ بـيـتـهـ مـنـتـبـهاـ إـلـىـ  
إـنـهـ وـغـدـ حـقـيقـيـ.

\* \* \*

## الرجل\*

ينحدر مركب الحمل المستطيل قرب شواطئ دجلة، من بغداد الى البصرة، ناقلا الحبوب والتمور، ولا يترك إلا ذويه الطبيء، وتلويع أطفال على الصفاف.

ويتنقل سائق المركب بين الاكياس الكبيرة على سطح المركب عندما يمر قرب القرى والمدن، محدقا في النسوة اللاتي يغسلن الملابس على الجرف او يملأن حزازهن.

وأنشد السائق ظهره على كيس من الحبوب وانطلق يغني بصوت مرتفع عن مسافر لا يتوقف الى ان يموت، وراح غناوه يتعالي، وارتقت رؤوس بعض النساء تتطلع اليه، وصاح مساعدته الذي يدير المركب:

- الله، الله.

وأخذ السائق ينمّق نغمة صوته ضابطاً لحنَه، وكانت الاشجار تقترب وتبعد عن المركب، وانكشفت امتدادات من الأرض الجافة الخالية، وتأمل السائق الجرف الذي يتحرك ببطء وهمس:

- كم هو مرير ان يقضي الرجل نهاية حياته وحيدا.  
انه الان يعيش في المركب وبقضى أيامه متقلباً بين بغداد والبصرة،  
يحمل اكياساً ويفرغ اكياساً، ولا يتوقف الا قليلاً للتزوّد بالوقود، فقد أصبح المركب بيته:

( كان متزوجاً منذ سنوات بعيدة ولكنها هربت بعد ان طالت أيام سفره )  
ولم يستطع ادراك المكان الذي هربت اليه. وكان كلما عاد يتوقع ان يجدها،  
لكن بيته ظل خالياً، ثم باع البيت والتوجه الى المركب.  
انه يحدق الى الشواطئ، في النسوة الكثیرات، لعلها تكون احداثه، لكنه  
يهجس انها ليست مع نسوة الشواطئ، انما في المدينة، في مكان ما فيها،  
ويتأمل بحزن فكرته: (البيت الذي فيه امراة يشع منه دماء خاص وساحر)،

\* نشرت هذه القصة اول مرة مع فصتي الهروب والقفزة في مجلة الاقلام، العدد الاول، السنة العاشرة ، تشرين الاول، 1974.

ويتحدى في هذا المركب مع البرد والمطر والشمس المحرقة وماء النهر  
واشجار الصفاف ويردد: (لقد شاخت الان، هي الأخرى، لو كانت حية)  
وأمن بتrepid انه لن يعرفها بعد هذه السنوات.

انه يرفع صوته مغنيا في المساءات اللطيفة وينظر الى البيوت المظلمة  
التي تلوح من ثقوب تخللها انوار ذليلة ويستمر المركب يهدى وهو ينحدر  
في الماء الأسود والرجل يغنى عاليا.

\* \* \*

## الفقرة

تقدمت الدبابات وهي تقوس قنابلها وراء القرية العربية، وكانت قنابل الأعداء تتهدر بلا تحديد، وتثارت من الأرض المرتفعة كثيل الغبار، وشكل الغبار خطأ منحنياً كثيفاً، واستمر التقدم بطيئاً ومتواصلاً، وزمرة الدبابات المرتدة تتناقض متحدة، وشعارات اللهب تصيء وتنطفئ من أعلى المنحدر وحتى امتداد الطريق البعيد، ووصلت الدبابات إلى مقدمة القرية وكانت دبابات الأعداء قد تق�티ت على الطريق الجلي ولم يدري منها سوى قنابلها التي تنفجر بعيداً.

وتوقفت الدبابات المتقدمة وأخذت التي تتلوها تبطئ تقدمها، وظهر رجل في الشارع يحمل علماً عربياً مدعوكاً، وهو يفتح دراعيه، وأخذ يضحك ويرقص وهو يلوح بعلمه للدبابات المتقدمة.  
وارتفع برج قيادة دبابة وظهر رأس حدق في الرجل ثم لوح له بيده.  
وصرخ الرجل: لقد هربوا.

وتقىم من الدبابة الأولى وراح يقبلها، وجاورزها محياً الدبابات الأخرى بعلمه، ثم استدار نحو الرأس المطل من برج القيادة وقال له:  
- كنا ننتظركم كل يوم.. ولم نصدق ان الحرب ستكون.  
وابتسم الرأس وهو ينظر إلى الأرض القصبية وركز الرجل عصا عمه في الأرض.

وصاح الرأس المرتفع فجأة:

- ابتعد عن الطريق، اختفي، أنت الطائرات.  
وانسحب غطاء البرج واختفي الرأس.  
وانزلقت طائرتان صغيرتان وهما ترميان شريطاً من الرصاص،  
وارتفعت من الدبابات فوهات ملتقطة نحو السماء، ثم اختفت الطائرتان.  
وارتفع غطاء برج الدبابة الأولى، وامتد الرأس ينظر ملتفتاً، وكان رجل العلم منظرها على الأرض والمدم ينفجر من جذعه الأعلى ويده تمسك بعصا العلم المغروسة في الأرض.

\* \* \*

## رمال

انهم يمرون وينظرون الى الناس الذين يصفقون لهم، او يحدقون في وجوههم للاحتفاظ بذكري، وسارت الشاحنات في قافلة طويلة، وعبرت القافلة المدينة القديمة بدون ان تتوقف، وتجمع رواد المقاهمي والمارة على جانبي الطريق يلوحون، ومررت القافلة، مسرعة، مسرعة..

ورفع الجنود المتكثرون على حواجز الشاحنات اذرعهم، وجلسوا على المقاعد الخشبية الطويلة، عندما تركت قافلتهم المدن، وأخذوا يمدون سيقانهم وايديهم ليشعروا بالخذر، وقد أزلوا قبعاتهم على جيابهم.. والقافلة ترتج.. وترتج.. والشمس حارقة.

وتوقفت الشاحنات، ونهض الجنود يستطيعون عبر الحدود، عليهم يصرون الحرب، وانتظارهم ترتفع الى السماء تبحث عن طائرات، وكانت الحدود بعيدة عن مرمى القذائف، وانتقلت الاصوات عبر الشاحنات تتساءل بتوتر وغضب عن سبب التوقف، وتوقفت الشاحنات من جديد، تمر فوق الشريط الممتد في الصحراء.. انهم سيصلون في اي منعطف الى الحرب.. هكذا حدس الجميع.

وابعث صوت خافت يهتف للثورة، وتصاعدت الاصوات من الشاحنة وسررت الى الشاحنات الأخرى، وامتد اليتاف متسلقا قويا في تلك الصحراء ذات التلال الرملية.

وازدادت نقاط التفتيش على الطريق، وكانت الشاحنات تبطئ ثم تتطلق بعد دقائق.

وعند النقطة الأخيرة للتقطيع نزل الجنود من شاحناتهم وهم يحملون رشاشاتهم وبنادقهم وتجمعوا حول ضباطهم.

ولأول مرة سمعوا اصوات القذائف البعيدة، والتقطوا جميعهم نحو افق الجبهة.

وهموا بالمسير نحو ذلك الافق، لكنهم انتظروا التعليمات، وانتهى اللاصمت، ودوى نشيد الثورة قويا.. قويا.. قويا.

\* \* \*

## **الطيور الجبلية\***

رصد الضابط من مكمنه سقوط القنابل المتناثرة، وشاهد جنديا يغنى  
وهو يركب حمارا والقنابل تتغير متقاربة حوله وهو يتقدم غير آبه.

وصرخ الضابط وهو يرفع رشاشته:  
- أنزل.

وقفز الجندي تاركا الحمار، وعاد متمهلا الى الخندق.. وصاح به  
الضابط :

- الا ترى القنابل؟  
وقال الجندي بثبات :  
- انتي لا تخافها.  
امتلا الضابط بالفخر لارتفاع معنويات جنوده، لكنه قطب وقال:  
ان حياتك تهمنا، لا تدع الى هذه الفعلة ثانية.  
وحياة الجندي وانسحب.

\* \* \*

قرع الجندي الباب وفتحته امرأة، شهقت ثم فتحت الباب الى نهايته  
ورحبت به وقفز ثلاثة أطفال نحوه وتسلقوا به وبحقيقة الصغيرة، وكان  
الجندي يضحك، واستمر يضحك وهو يلمس المرأة التي ركضت نحو التقر  
واشتعلت نارا تحته، ثم عادت الى جانبه.

وتمدد الجندي الى جانب زوجته، وكان الأطفال قد ناموا وهمسـت :  
- الا ننام؟ انت تعجان.

وأجابـها:  
- لا اقدر، الهدوء يجعلني استيقظـ.

---

\* نشرت هذه القصة اول مرة مع قصة رجل الممرات في مجلة صوت الطلبة، السنة الخامسة، عدد 87.

وفي أيام اجازته الخمسة لم يشعر بفرح في قريته الهادئة ذات الحياة  
الثقيلة.

وعندما عاد الى الجبهة، كان يضحك وينبغي.

ناداه الصاباط :

لم اسمعك تغنى منذ أيام.

صمت الجندي وحيا صاباطه.

وعندما ابتعد راح يغني من جديد.

\* \* \*

## مسافات

ثمة حمامه تتحرك على سطح المنزل، على امتداد نظره، وخلف  
البنيات كانت القمة تلوح، وطيور مسرعة تظهر ثم تخفي.  
وارتفق بکوعه على حافة النافذة ثم استدار وتخصص غرفته عندما سمع  
جرس الباب.

وابتسمت امرأة تحمل طفلا وهي تنتظر.. وفتح الباب بكامله وأشار  
إليها ان تدخل، ثم أغفله خلفها، وعاد نحو النافذة، وجلست هي على السرير،  
ثم انحنى ووضع طفلها على الأرض وانتظرت.

سألها مثيراً إلى الطفل:

- هل هو طفلك؟

وهزت رأسها مؤيدة، وهي ترفع مؤخرتها وتجلس في وسط السرير،  
واستطرد يسأل:

- هل له أب؟

أجابته:

- ذهب إلى الحرب.

وأخذ الطفل يتحرك ويزحف متعلقاً بحافة السرير، وكانت المرأة لا  
تشبه اللواتي يقرعن الأبواب، لكنهن أصبحن كثیرات ولم يعد التمييز بينهن  
يسيراً.

واستدار إلى النافذة، وكان الالم الغزير يتدفق في جسده ونظر إلى  
السطح العالية للبنيات، وإلى الطيور المسرعة، واستمر يحدق في الأفق  
الذي استحال إلى الاف الجثث، وكانت المرأة تنتظره.

\* \* \*

## الجسر الضوئي\*

كان الرجل ممداً على الأرض، وفوقه بطانية خارج المستشفى الذي يحترق، ولم يقترب منه أحد في بادئ الأمر، فقد ظنه المواطن العجوز الذي رأه من بعيد، ميتاً.

وتصاعد الدخان عالياً، ثم راح يخبو، وجرفته الريح السريعة، ولم تبق في اليوم التالي، سوى اللطخ السوداء حول الأبواب والشبابيك. واقترب المواطن العجوز من الرجل، ناوياً أن يحرف قبراه، وحين انحنى فوقه سمعه يتنفس.

وكان العجوز قد شاهد في الأيام الثلاثة السابقة بعض الناس يحضرون إلى المستشفى ويحملون مرضاهن ويذهبون بهم، وهرب المسلحون الذين يحتلون المنطقة، بعد أن أخرجوا بقية المرضى، وقفوا بهم إلى الشارع، ثم احرقوا المستشفى، وبقي الرجل وحده.

وعندما وجد العجوز أن عيني الرجل تحدقان به، قال له:  
- سأخذك إلى بيتي.

ونظر الرجل إليه بامتنان، وازاح العجوز البطانية وظهرت ساق الرجل الملفوفة بقطاء متسخ، ثم رفعه من تحت أبطه، واستند الرجل على ساقه السليمة وراح يهبطان الشارع.

وعندما أخذ الجنود يتقدمون في المنطقة، سمع العجوز فرعاً على باب كوخه، وشاهد ضابطاً شاباً وخلفه أربعة جنود، وارتبك العجوز، وابقى أنهم سيجهزون على المريض الذي سحب البطانية وأخفى نفسه تحتها.

ابتسم العسكري وقال:  
- أنا طبيب، هل لديكم من يحتاج إلى علاج؟

\* نشرت هذه الفصّة مع فصلٍ: الاختناق، خطوات على المنحدر، شمس بعيدة، رجال الثلج في مجلة الفباء، 5 حزيران 1975، العدد 353.

ولاحظ العجوز ان الجنود يحملون الحقائب بدل البنادق، واطمأن وأشار  
برأسه نحو المريض، وتقدم العسكري ورفع البطانية، ولمس الغطاء المتسخ،  
وفكه يرافق وهو يسأل المريض المتشنج:  
- ماذَا بك؟

وحاول المريض ان يتخفف من ذعره وهو يجيبه:  
- انها مكسورة.

وعلق الطبيب بصوت واضح:  
- ستنشفى

وازاح الغطاء وأخذ الجنود يفتحون حقائبهم ويخرجون منها اللقافات  
والادوية.

وعبر الصمت في تلك الدقائق، سمع جميع من في الكوخ، أصوات  
السيارات والمدرعات المتدفعقة، وهي تتقدم الى الأمام.

\* \* \*

## الهروب

كان البيت الأخير في القرية مظلماً، اجترت سوره وانطلقت في الصحراء، كنت منشراً، أكاد أغنى، لولا تذكرى المهمة التي اوكلت الي: قيل لي ان شخصاً مهماً سينتهي (لوري) على ان افلته عبر الحدود، لقد ساقت شهري في تحطى الحدود وتهريب الشن الأشياء سمعة خطيرة بين سكان القرية، ورغم نشوتي بأهميتي بينهم، الا انني كنت اهجن خطورة هذه السمعة، وكانت انواع طرق الليل على يابي من الشرطة الذين يزورون في وسط القرية، ثم يقذفون بي الى الابد في سجن المدينة.

أصبحت القرية بعيدة، عندما التقى وانزوى قرب تل، وسمعت هدير سيارة، ثم رأيت هيكلها يقترب، وتقدمت الى وسط الطريق، وانا انفرس فيه...أبطأت السيارة ثم أضاء وسط الطريق، وانا انفرس فيها..أبطأت السيارة ثم أضاء سائقها انوارها علي برهة، واطأا الانوار ثم المحرك، وفتح الباب وقفز ثم قال لي:

- تبدأ الان مهمتك، انت مسؤول عنه منذ هذه اللحظة.

كنت متلهفاً لرؤيه الرجل المهم، ولم يسبق لي ان شاهدت شخصاً مهماً سوى المسؤول الاداري الاول في المنطقة، حدقت الى الفراغ بجانب مقعد السائق وقلت:

- اين هو؟

واستدار السائق الى خلف السيارة وهتف:

- وصلنا يا سيدنا نحن في المرحلة الأخيرة.

دفع الرجل مجموعة من الغرارات ونهض، وكان يرتدي ملابس قديمة ممزقة، ولحيته طويلة، وراح ينظر في الظلام متنفطاً.

قال له السائق:

- ستدهب معه، وسينفك الى الحدود..استودعك.

سأله الرجل وكأنه متعلق به:

- هل تذهب؟

- سينولى ا يصلك، اما انا فعلي ان أعود.  
 ونظر الي الرجل وسألني :  
 - هل توجد شرطة في القرية؟  
 - سأخذك معى الى بيتي، ثم ننطلق في الفجر.  
 وعاد الرجل يسأل :  
 - الشرطة؟  
 - انهم نائمون الان، لا احد يخرج منهم في الليل.  
 وازداد ارجاف الرجل :  
 - لن اذهب الى القرية، يجب ان نرحل الان.  
 قلت :  
 - من الافضل ان نسافر في الفجر لكي نرى الطريق.  
 - يجب ان نرحل، الحكومة تتاردني ! قلت بتصميم .  
 - الطريق محفور، وستحطم دراجتي النارية.  
 - ساعطيك ما تشتري به دراجة جديدة.  
 وقدت الاهتمام به بعدما رأيت رعبه، ولم يعد بالنسبة لي سوى صفة  
 وسمعته يردد :  
 - ساعطيك مائة دينار.  
 وتدخل السائق :  
 - ولكنكم أعطوه عشرة دنانير لنقلك.  
 وأجلبه بازدراء :  
 - هذا ليس من شأنك  
 وصمت السائق وقلت لأخف حسده :  
 - اتنى عند اتفاقي، وقد استلمت الدنانير العشرة، وهتف الرجل :  
 - أسرع واجلب دراجتك، سنرحل الان.  
 ووافقه السائق مستسلما :  
 - يجب ان تسافر فورا.

أسرعت الى القرية واخرجت دراجتي وأخذت اسجها كيلا تثير بصوتها انتباه الشرطة، وعندما ابتعدت عن البيت الأخير، ادرت المركب وانطلقت.

كان الرجالان يدخلان ولمحت التماع الجنوبيين، وتوقفت قربهما وأسرع الرجل راعي الدراجة خلفي، وصاح السائق:

- مع السلامة.

وراح الرجل يسألني عن الشرطة، وقلت لأشعره بأهميتي :

- انهم في كل مكان، لكنني لا اكتثر لهم.

صمت الرجل وأحسست بحرارة سيارته تمر قرب كتفي.

كان سيرنا حذرا وبطيئا، واردت التحدث معه في تلك الصحراء:

- لماذا تهرب؟

- اتنى سياسي.

سألته بسذاجة :

- وهل يهرب السياسي؟

وتصلبت يده المرتعدة المتمسكة بي ورمي يده الأخرى السيارة وقال متضايقا :

- ارجوك ان تشرع.

وعدت أقول :

- حكومتهم تعادينا.

وشعرت بفمه يرتجفان وقال بصوت مداهن وكأنني ساسلمه للشرطة:

- لا لا.. ابدا، ولكنني لن اسجن، هه؟ ليس ظلما ان يسجن رجل بريء؟

وأخذ يتحدث عن نفسه وخشيته، وبيقني انه رجل فزع وكدت اقول له ان الرجل الذي يخاف، عليه ان يتتجنب السياسة، ولكن انزلاق الدراجة في حفرة وارتطامها بحافتها الحادة، رمانا على التراب، ولمست الرجل:

- هل اصابك اذى؟

ونفض الرجل ثيابه ونظر الى الدراجة :

— انتی بخیر لفستمر.

ورفت الراية من الحفة وحاولت تسفيها ولم تتحرك وقلت له

لغضب

- الم أقل لك ان نسافر في الفجر.

وأجابني، وهو ينافس:

— هل تستطيع اصلاحها؟

سأحافل -

ورفت الدرجة على مسندها وبدأت المسها في الظلام، وأصبحت منهاكاً، ولم تعد لي رغبة باصلاحها، وابصرته :

-انها لا تستغل.

سالنی، بخوف:

— وَإِنَّمَا سَافَقْتُ

احبته سود

لایه =

كان هو اَنْدَلُبُ المُنْعَشُ يَحْكُمُ ثَانِيَاً وَأَفْتَحَ حَسْبَانَ

- دعنا نذهب الى القرية لعلنا نعثث على

- هل تستطيع الحصول على دراجة؟  
وكتبت أعلم أنه لا يوجد من يمتلك دراجة في تلك القرية، وأوشك الرجل

على السكان ونذر بائساً :

— مَاذَا سَافَعَهُ؟ مَاذَا سَأَفَعَاهُ؟

تعال معى الى القرية لنظام ثم نسافر .

- كم تبعد الحدو د؟

حوالى خمسة عشر ميلاً، والطريق يمتد مستقلاً.

سالن

لما ذهبت مشياً هنا، أصلًا، قيل الصباح؟

الطريق مفتوح، وإنما مسدوا عن المصالك.

- لا عليك ساذهبا.  
وأخذ بيتعدد ويصغر في الافق والظلام.  
وسحبت الدراجة وتوجهت نحو القرية، وطرقت باب احد اصدقائي  
وكلت متقبلاً، لكنني لم استطع النوم.

\* \* \*

## رجل الممرات

كان مسلولاً ومرتخيأ على السرير، وهو ينصت الى أصوات ما، في ممرات المنزل.

منذ سنوات أصيب بشلل في رجليه، واستمرت زوجته تعلم وتفق عليه، وعمره خجل في البداية، أفسد عليه شعوره بالامتنان الخفي، لكنه اعتاد وضعه، وان راح في بعض الأحيان يفكر في حالات مرعبة: كما لو ان زوجته تتركه، او انها تموت، وببقى هو في البيت الى ان يتعرفن وتتحل جثته، وهو يتوازن في النهاية عندما تحضر زوجته وتحمييه برعايتها.

واحس منذ اسابيع، ان زوجته تتصرف عنه تدريجياً، وان بقيت ترعاه بنفس الدأب القديم، وأراد ان يكتشفها بتقابلها، وادرك وهو الملقي على حافة الهاوية، انه وحده الضحية في النهاية، وصمت، وحزنه وكتمه يكبران، وبقي غاضباً ومذهولاً لا يستطيع ان يفعل شيئاً، ولم يستطع، عصر ذلك اليوم ان يقاوم هياجه، عندما نازلته قدح شاي.. وقال:

- انك تتغيرين.

وانتبهت الزوجة وحدقت في وجهه:

- لم اتغير.

وأكيد بغضبي:

- اني احس بانك تتغيرين.

وووضعت قذحها على المائدة التي تفصل كرسيها عن سريره وقالت:

- انك تشك بي، اليس كذلك؟

صمت الرجل منتظراً، ملياناً بالارتياح، وانتظرت هي جوابه، لكنه بقي متربقاً بلهفة، وبغتة انفجرت الزوجة:

- لم تعد محتملاً، الا تدرك ذلك؟ انتي افني حياتي من اجل ميت، ثم ترمياني بلومك ووسائلك.

هلك الرجل من غضبها، وأشار اليها ان تمنحه فرصة للكلام وهو يردد:

- انك مخطئة، لا اعني شيئاً، اسمحي لي..

ولكن انفجارها لم يتوقف، وهي تستجمع كل آلام تضحيتها:

- إنك تطعني، لم أعد أطيقك، هل فهمت؟ لم أعد أطيقك.

ونهضت من كرسيها، واختطفت حقيبتها الصغيرة وتركـت الغرفة.

وسمع الرجل، الباب الخارجي يغلق بقوة، ونظر إلى اندلاح الشاي، وإلى كرسيها الفارغ، وزحف فوق سريره مستيراً وانتأ على مسند كرسيه المتحرك واستطاع أن يحرك عجلاته، وتقدم في ممرات المنزل إلى الباب

الخارجي.

وعندما فتح الباب واطل في الشارع، كانت زوجته قد اختفت.

\* \* \*

## نوافذ مظلمة

قال الرجل - لننهض.  
وأجابته - لنذهب معك.  
ومد يده عبر المائدة وضغط على كفها بقوة وحاول جرها وتقلص وجهها من الألم.  
وكانت الموائد في الطابق الأعلى من المطعم خالية إلا منها، وقال لها متسائلا وهو يتصنع الهدوء:  
- لماذا أتيت أذن؟  
ونظرت إليه وقد تحرر كفها:  
- هكذا.  
ونظر الرجل صوب السلم الخشبي ليتأكد من أن أحداً لن يرتفعه، ونهض وانحنى فوق المائدة، متوجه بجذعه نحوها، وكاد يتوسل:  
- لذهب معا.  
- إنك لا تفهم.  
- ستداهين معي، ليس كذلك؟  
ورفعت المرأة قدحها زجاجياً وقرعته بالمائدة قرعاً متواصلاً فعاد الرجل بسرعة إلى كرسيه.  
وارأى الدرج الخشبي تحت أقدام النادل.  
وكلمته السيدة : الحساب من فضلك.  
وأسرع الرجل مضطرباً، في اخراج نقوده، وهرعت المرأة تغادر المطعم بدون أن تنتظره، وغضت خطها صوب أول منعطف.  
وسمعت الرجل يقول لها وقد أصبح بجانبها.  
- إلى أين تذهبين؟  
ثم ردّ:  
- هكذا أذن؟ هكذا أذن؟  
ودفعه أمله لأن يستمر متابعاً لها، لكنها لم تعد تجيب عليه.

\* \* \*

## نواخذ مظلمة... مظلمة

بعد ان انتهيا من تناول الطعام.. قال لها:

- ما رأيك في ان نذهب الى غرفة امتلكها؟

وارتعشت، ثم تملك هدوءها وأجابته:

- انك تمزح بلا شك.

- انتي لا امزح.. وهذا هو المفتاح.

واراها المفتاح.

كان الرجل زميلها في الوظيفة، ولم تخيب رجاءه عندما دعاها لتناول وجبة طعام.

قالت له:

- الا يمكننا ان نحتفظ بصداقتنا بدون ان نذهب الى الغرفة؟

صمت قليلا، ثم قال:

- للذهب معا.

.....

.....

قرعت القدر بالمائدة، نهضت، أسرعت مستديرة في المنعطف، ولحقها الرجل، الا انها لم تعد تجيب عليه.

\* \* \*

## التصاق

تعبت العجوز من الانتظار، فزوجها لم يعد بعد، وكانت الغرفة الصغيرة باثاثها القديم المتهالك، مضاءة بمصباح صغير. الأولاد، كانوا حلمها الدائم، فهي لم ترزق ب طفل، وسواء كانت هي السبب في العقم، ام زوجها، فان النتيجة التي ناقشها طويلا، قد أصبحت سواء، لكنها لا تنخل عن الحلم، كانوا سيصبحون رجالا او نسوة، يتراءم حول أرجلهم، اطفال عديدون، وكانوا سيزورونها، ويندفعون ضاحجين الى تقليلها، فتخرج لهم من جيوبها، كانت ستخرج لهم من جيوبها، قطع الحلوى الصغيرة وتوزعها عليهم، وستأخذ موقعها الذي حددته منذ سنوات طويلة، في وسط الغرفة، بحيث ترى الجميع، ويستطيع الجميع التحدث والوصول اليها بسهولة، لكنها لم ترزق ب طفل، ولم تخل عن أحلامها، حتى بعد ان ادركت انها أصبحت عجوزا، وهي ت gala وقتها الطويل... الطويل بالاحلام، فلم تكن تملك شيئاً جميلاً غيرها، فزوجها عامل لا يكسب الا ما يتقيم لحياء، وهو الان عجوز، ولم يعد قادرا على العمل المتواصل، وهم يجوعان في أيام كثيرة، لكنهما لم يموتا بعد من الجوع، وهو يتتجول لعله يقتضي فرصة لتقديم عمل او خدمة.

\* \* \*

## التصاق... التصاق

العجوز يائس من حياته، فعليه ان يعمل ويكسب النقود، وهو يتحامل على نفسه، في كثيرون الأحيان ليخرج بالحاجة عمل، لم يعد يقبلونه، وهم ينظرون اليه، ثم يعتذرون، وتعلم منذ زمن طويل ان الأقواء وحدهم يستطيعون العيش بشكل أفضل، ولو كان لديه أولاد، لكن في هذه الدقيقة نائماً في فراشه، وعليه ان يقطع الطريق مشياً، فلم يكن يملك نقوداً، وارهقه المشي، وبقيت مسافة طويلة الى بيته، وفكر في النوم على الرصيف والذهاب الى بيته صباحاً، لكنهم سيوقظونه ويطلبون منه الذهاب.. او ربما وضعوه في السجن.

وتلاشت قواه، وسقط على جانب الطريق، وتطلع اليه بعض المارة، ثم استمروا في طريقهم.  
وكانت زوجته العجوز تغط في نومها.

\* \* \*

## شرفه في بيروت\*

سمع الاب الباب ينفتح، وقفز من غرفة النوم صارخا:

- من بالباب؟

وقف الطفل الصغير مسمرا اثر الصرخة، وصاح به الاب:

- ماذا تفعل؟ اين تذهب؟

تلجلج الطفل وهو ينظر صوب الدرج:

- الكرة، سقطت من الشرفة.

وسحبه الاب من يده وأغلق الباب، وردد الطفل:

- الكرة.

وافهمه الاب:

- ستموت ان خرجمت الى الشارع.

ولم يفهم الطفل، واتجه الى الشرفة، وشاهد كرتنه مرمية على الجانب الآخر وبكى.

\* \* \*

---

\* نشرت هذه القصة اول مرة مع قصتي الوليمة والاقاصي في جريدة الثورة، 2629/2/27، عدد 1977،

## الوليمة

تعثرت المرأة العجوز وهي تضرب الأرض بعصاها الرفيعة. ونفرت على الرصيف وعبرت إلى الجهة الثانية، وأسرعت عندما تأكدت أن دوي الانفجارات ليس بعيدا.

وسمعت صوتاً ناهراً :

- أنت أيتها العمياء؟

وتجددت العجوز في مكانها وراحت تتمدم، وضحك الصوت الناهر :

- أنت فلسطينية؟ هاه؟

وانها صوت آخر يأمر :

- أقتلها ! ماذَا تفعل؟

وانقلعت العصا من يد العجوز بسحابة سريعة، صاح بها الصوت الناهر :

- هيا اركضي وابعدني من هنا.

ومدت العجوز يديها في الهواء تتلمس طريقها.

- أركضي والا مت.

وهرولت العجوز، لكنها انफاثت على وجهها، وتمددت قرب الرصيف.

وانطلقت صبحكتان مدويتان في الشارع المهجور.

\* \* \*

### **\*نافذة\***

تحركت خمس نقاط في انحسار الشمس، وانبعث ضوء باهر باستقامه من الجهة المقابلة، والتصقت النقاط بالأرض، واكتسح الضوء الأرض باحثا عن آية نقطه بلا توقف.

ودوت أصوات الرصاص والقابيل وشعت الأصوات على النقاط الخمس، وأخذت تتراجع أربع نقاط ترکض.

ثلاث

اثنان

واحدة

وأصبحت النقطة رجلا، ومن بعيد كبرت النار.

\* \* \*

---

\* نشرت هذه القصة اول مرة في مجلة الاذاعة والتلفزيون، 14/9/1975، مع قصص: زوارق، اوئاد، المزلاج، طاحونة، والصراء.

## زوارق

جلست الصلعتان الشائيتان على مصطبة في الشريط الأخضر الممتد  
على الشاطئ، وراحتا يتبعان الفتيات العابرات.  
وقالت الصلعة الاكثر التفاسعاً:  
- آه.. لو عاد الشباب.  
وضحكت الصلعة الأخرى مواسية:  
- لا تحلم.. لا تحلم.  
- الدنيا تزداد جمالاً ونحن نبتعد عنها.  
ووجه العجوزان برهة.. ثم استمرا يتبعان الفتيات العابرات بشغف.

\* \* \*

## أوتاد

تواشب الأطفال حول المرأة العانس، الجالسة في الحديقة العامة، وكان  
بعضهم يصرخ وأخرون يتذمرون.  
ابتسمت المرأة برصانة وقالت لهم.  
– العبيوا وأصرخوا يا أولادي.  
ثم رددت بخفوت :  
( لا بد من النضجة عندما يلعب الأولاد، لن أضيق بهم مهما صنعوا )  
وأخذت الشمس تتحسر، وحين نهضت المرأة كان الأطفال قد اختفوا،  
وسارت وحدها متوجهة نحو بيتها الموحش.

\* \* \*

## المزلاج

اختفت المرأة في الرواق عندما دخل الضيفان خلف زوجها وتحتاج أحدهما بصوت مرتفع:

- احم

وحملت لهم صينية الشاي، ووقفت خلف الباب وقرعته، وخرج زوجها وتناول الصينية، وتقهقرت المرأة، وحين اطمانت إلى أن زوجها يتحدث مع الضيوف، دلفت إلى المطبخ وراحت تراقب حدائق الجيران، حيث جلس الزوجان الشابان في الارجوبة وهو يمسك يدها.

وتهدت المرأة وتمنت لو أن زوجها لمس يدها يوما، وخبرها بأنه يحبها.

\* \* \*

## العказة

أمسك صاحب معمل الطابوق بالحمار ولمسه من رقبته، ثم شدّها برفق  
وقيله على رأسه وخاصبه:  
- انت الوحيد الذي يقيت مخلصاً لي، لأنك لا تطلب بزيادة الأجر  
ولا بالضمان الاجتماعي أو التقاعد، ولست منتمياً إلى نقابة.  
وتوقف العمال المكدودون عن العمل، وشاهدوا جميعهم، دموع صاحب  
المعلم الذي أخفى في ابتزازهم، وللحظة ايقنوا انه جن، وفجأة قهقهوا من  
اعماقهم.

\* \* \*

## السكة

تخلت عنه وداعته عندما أصبح موظفاً.. انه يمشي بين البدلات الانية  
والنساء الجميلات والبيوت الواسعة، ويعود الى بيته المتداعي في اخر  
المدينة ناضباً متوجهاً، ولا يجد سوى زوجته فيوسها ضرباً.  
وقالت له زوجته يوماً بعد ان تحطمت العصا على جسدها:  
- سأموت.

وابىض وجهها وهي تنهر على الأرض، وتجمد لحظة. هل يرفسها  
ويخرج؟ او ينتظر الى ان تموت؟ لكنه جثا الى جانبها و بكى.

\* \* \*

## عزيزيتي سميرة

حمل الفتى حقيبته وغادر الزقاق الى بيت عمه في الجانب البعيد من المدينة، وسمع بعض الاشارة تتوجهه :

- هل تسافر عزيزيتي سميرة؟

وود لو ينقض على مطلكي الاشتلة ويهمشهم لكنه لم يلتفت.  
وكان الفتى قد كتب رسالة، منذ زمن، الى حارته سميرة التي يحبها بدأها بـ(عزيزيتي سميرة)، وحملت الفتاة الرسالة الى صديقاتها وانتشر الخبر، وطفق سكان الزقاق ينادونه (عزيزيتي سميرة) وظل الاسم يطارده، فحزم حقيبته وترك الزقاق.

وتوقف على الجسر، وراح ينظر الى الطيور البيض التي تعلو وتنهي  
على الماء، وسمع بفتحة صوتها هادرا :

- عزيزيتي سميرة

والنقت بسرعة، ولم يشاهد احدا.

\* \* \*

## **المنحنى**

صرخ بأعلى صوته حاثاً حصانه على الاسراع، لكنه لمح بعينيه المدربين ان حصانه انغر في الوسط، ولم يتلاش أمله الا عندما اجتازت الأفاسس الأخرى خطوط النهاية، وطفق يشتت، وشق طريقاً بين الرجال المتلاصقين وراح ينظر الى الأرض عليه يعثر على ورقة نقدية ليعود الى اللعب، واجتاز الباب الرئيسي وعادت الصرخات تعلو من ساحة السباق.. وود لو يصل الى بيته بسرعة ليوسع أطفاله الجياع صربا.

\* \* \*

## **نجمة الظهيرة**

هبت الطيور على صفحة النهر، والقى الطفل حصوة مدوره، ورافق ارتفاع الطيور وتبعثرها وتتابعها وهي تتجمع وسط النهر.

وقال لوالده :

- لم اصطد واحدا منها.

وسحبه والده من اذنه وهو يقول :

- تعال ايها الكلب.

ونفرت الدموع من عيني الطفل وهو يحاول ان يفتح قبضة والده بكفيه الصغيرتين.

واضاف الاب :

- كن عاقلا والا رميتك في النهر.

ثم ارخت أصابع الاب عن اذن الطفل، وحمل ولده بين ذراعيه، وكان مدبره كالموجة في ذهنه وهو يصدق عليه وبطرده،  
واعتصر ولده بذراعيه وهو يرتعد.

\* \* \*

## الجزيرة

استفاقت المرأة مذعورة على صوت طائرة تحوم فوق سطح المنزل حيث نائم، وكانت الطائرة الهليوكوبتر قد استدارت ثم عادت، وبدت قريبة من سريرها وأسرة أطفالها الثلاثة، وخيل إليها أنها ستسقط عليهم، وأرادت أن تنهض وتحمل أطفالها الذين استيقظوا وراحوا يتفرجون على الطائرة، لكنها شعرت بالخذر والعجز.

ومضت الطائرة بعيداً، واستيقظت في ذهن المرأة، وبهلهل صورة زوجها الضابط في الجبهة، وأصبحت دقات قلبها سريعة جداً.

\* \* \*

## شمس بعيدة

نظر الى الحلقات الحديدية المثبتة على جدار الحمام، ومس الحبل المتدلي منها، وتذكر صرخات السجناء الذين ادخلوا قبله، واحس بالاختناق. لقد قال لهم (لا) عندما طلبوا منه ان يصعد الى الجبل ويحمل السلاح، ثم اقتادوه وادرك انه في السجن حين افاق من غيبوبته.

واخرج الفتى قطعة معدنية من جيبه وحفر صورة شاب يقدم زهرة لفتاة، وتراجع ثلث خطوات وتنعلى في الصورة.

وانفتح الباب ودخل الحراسان، وأمسك احدهما يده اليسرى ورفعها وربطها بالحبل، ثم علق يده اليمنى، وتنهيا للبدء بتعذيبه، والنفت الفتى الى الصورة التي حفرها. ولم يعد يراها.

\* \* \*

## الوهج

رفع سائق الشاحنة صوته مغنيا عندما شعر بالنعاس في الطريق  
الطوويل وود لو يتوقف ويغفو قليلا.  
وشاهد بعيدا، وعلى انتاء الأرض المغبرة فارسين يطارد احدهما  
الآخر، ورأى الفارس الأول ينتفت نحو مطارده وبطلق عليه رصاصة،  
وسقط الفارس الثاني هو وحصانه، وشكل الاثنان بقعة سوداء، واستمر  
حصان الفارس الاول يعود، واحتفي في الافق.  
وكف السائق عن الغناء، وضغط على البانزين وردد مع نفسه:  
- اتنى لم ار اي شيء.

\* \* \*

السلام

## صرخ الفتى المدلل في دهليز المنزل :

- این انت یا بنت الحمار؟

وکانت أمه راقدة على فراشها ورددت بوهن :

- انتي أمومت.

ومد رأسه وحدق فيها، وقياس قوتها، ثم أمرها:

- انهضي واغسلی ملابسي.

ولم تجد.

وأفكر في أنها ستموت، وآسف لأنها لن تغسل ملابسها. وسمعها تئن

١٣

- لا استطاع.

وجذب الباب وصفقه بقوة وخرج. وكان مهموماً يفكر في ملابسه

المنسخة.

\* \* \*

## السواحل المظلمة

سمع الرجل صوت هدير بعيد، واستيقظ تماماً، وخرج ونظر في الظلام، وتاكد ان السيل يقترب، واندفع الى الداخل صارخاً بزوجته ان تستيقظ وتهرب، ثم ركض الى باب جاره وفرعه بقوة وهو يهتف محذراً، وواثب الى بيته وحمل طفنته الصغيرة واحاها الاعضب، وطلب من زوجته ان تساعد ابنها الاعرجين في الصعود الى المرتفع، والهرب الى جهة المستشفى، وانطلق الرجل وهو يبحث زوجته، التي كانت تتظر الى الاذات وتذكر في استفادتها، وحين استدار الرجل صاعداً في المطر، شاهد كتلة ماء ارتفاعها اربعة امتار، تندف حيوياً نحو بيته، وحين أصبح في اعلى الوادي، استدار وهو يستثث زوجته بصوت مدو.

لقد قال لجاره عندما هطل المطر بكثرة، ان السيل سيجيء، وأجابه

الجار:

- عندما يجيء السيل، سنسمعه ونراه، قبل ان يصللينا.

ثم أغلق بابه ونام هو وزوجته وبناته السبعة.

وبقي الرجل يقطأ، واستمر يخرج بين حين وآخر، ويلقي نظرة الى مصب الوادي في المرتفع، ولم يقترب من فراشه. وكان قد اطمان حين اقام بيته الصغير، على جانب الوادي، خلف كتلة كبيرة من الصخر، وايقن انها ستتصد المياه المندفعه لو حدث سيل، ولكن بيت جاره كان مكسوفاً للمياه وكانت قد بنيا على جانب الوادي لأن أرضه رخيصة.

وارتقطمت كتلة الماء بالصخور، واستدارت سريعة نحو المنزل، وأمسكت الام بطفلها الاعرجين، وتعرّض احدهما وسقط، وعجز عن القدم، وأمسكت الام بالطفل الآخر، وانحنىت تساعد ابنتها على النهوض، وارتقطعت الامواج الضخمة الهائمة، وافت من يدها الطفل المطروح على الأرض وحاولت امساكه حين تحرك مع الماء، وغمرتها موجة جديدة، وكانت قد افاحت في مسک ثوب ابنتها، وجرفتها الامواج الهائلة وهي تحضر طفلها وقد غاصا، وحاولت الوقوف، لكنها سقطت.. وحاول الرجل من مرتفعه ان يحدد مكانها، لكن الامواج كانت سريعة.

وانتبه الرجل الى دوي انبعث من منزل جاره، الذي هوى وأصبح كتلا صغيرة في الماء.. وصمتت الصرخات الصغيرة اليائسة، وشاهد قامة جاره، الذي افلح في الخروج من بيته، وهي تتحنى، ويجرفها الماء.. وانسحب الرجل متعداً تجاه المستشفى، وأخذ الماء يملأ مجرى الوادي. وفي اسفل الوادي، كانت البساتين المثمرة، تنتظر من يقتطفها، ومكث اصحابها فيها، خشية ان تسرق في الليل، وردد الرجل:

- وصلهم السيل.

وأمل الرجل ان تلقي المياه بزوجته وولديه على جانب الوادي ففيستطيعوا النجاة.

وارتجف الطفلان اللذان يحملهما، وغسلهما المطر، وغمerte الشفة عليهما، واستعجل الوصول الى المستشفى، واستقبلته الممرضة الخفر، وسألته بلهج عما يحدث. واندفع الى الداخل متخلصاً من المطر واتجه نحو المدفأة :

- السيل.. السيل.. لم تشاهد مثل هذا السيل ابدا.

وتتاولت الممرضة الطفلين، واختفت في رواق المستشفى، ودخل ثلاثة مرضى وانهالوا عليه بالاسئلة.

وعادت الممرضة، وقد لفت الطفلين بمفرش سرير، وقربتهما من النار وهي تدعك شعرهما بمنشفة، وتعلق المرضى بالشبابيك المطلة على الوادي، وهم يقدرون الخسائر.

ونظر الرجل الى المدينة، وسمع هتافات الناس الذين يقطفهم هدير السيل وشاهد الأضواء تتضيء متتابعة في البيوت، وخرج من المستشفى وهبط بحذر نحو مجرى الوادي الذي ينتهي الى البساتين. وتحركت سيارات من الجهة الأخرى ثم توقفت. واقترب جم من الناس، وفجأة انقطع التيار الكهربائي بعد ان جرفت المياه العمود الذي يوصل بين المحولة الموجودة قرب المستشفى وبين المدينة، وعم الظلام الجهة الأخرى.

وعلت أصوات اصحاب البساتين من اسفل الوادي، تطلب النجدة، ولم يجد الرجل يرى اي شيء، وانشق ضوء المصباح يدوبي، توجه نحو البساتين، وتلاشي الضوء بين الاشجار، والتمعت وهجه المصباح في المرتفع، ثم

أضاءت سيارة انوارها التي لم تتش سوى نهايات الاشجار العالية، ثم انطفأت، وسد صوت المطر المنهر والماء الهادر الكثيف، وكانت صرخة تعلو بين حين وأخر موجهة نحو المدينة.  
واستمر الرجل يتفرس في كثرة المياه وجوانب الوادي ثم صرخ مناديا:

- نجيبة، نجيبة.

وأجابه رجل من الجهة الثانية:

- من؟ محمود؟

وصاح محمود نوره:

- هل شاهدتم زوجتي وولدي؟

وعاد الصوت مدويا في الصمت:

- ليسوا معك؟

ونقدم الرجل خطوات نحو حافة الوادي وحدق في الصخور وهو يرد:

- اذن لا زالت في الوادي.

وهتفت رجل من أسفل الوادي:

- انقونا.

والنلت الجميع صوب الصوت، وكان الرجل يجلس فوق شجرة ضخمة، وأشار بيده، وارتفعت ست أيد تلوح، وهي تنادي مجتمعة:  
- انقونا.

وكان الرجال متوزعين فوق الاشجار، والمياه تحيط بهم، وهي تتدفع، منحدرة، ثم تستدير نصف استدارة حول كثرة صخرية، ثم تتغمر في النهر.

وناداهم رجل من فوق:

- كلكم أحياه؟

وابتاه صوت من الوادي:

- كلنا أحياه.

وازداد المطر كثافة، واقبالت سيارة المسؤول الاداري وتوقفت خلف الرجال المتجمعين، وتطلع صوب الرجال الذين يجلسون فوق الاشجار، ونحو الرجل الوحيد الواقف في الجانب الثاني من الوادي.

وأعز إلى رجل، فصاح:

- ستصل طائرات الهليوكوبتر، وتنفذكم.

ثم تحول إلى الرجل:

- محمود، من معك؟

- ولد وبنت.

وقال الرجل للقائممقام:

- فقد زوجته وولديه.

ثم صاح الرجل من جديد:

- وجارك؟

وأجابه محمود:

- لا أعرف عنه شيئاً.

- اليسوا في المستشفى؟

- لا.

واوضح الرجل للقائممقام:

- جاره لديه زوجة وست بنات.

وراحت عيون الرجل تتحسس كتل وجوانب الوادي، ومشى اثنان منهم

متوجهين فوق كتلة الوادي الصخرية الملفقة حول اليسائين، وكانا يسيران

بيطء، وهما يدقان في الكتل البارزة والمحركة، التي جرفها السيل، وفي

الأشجار المقلعة الطافية، والغاطسة، والمتكسرة، ثم عادا بنفس البطء،

وتجمعت نسوة الرجال المتسلقين وأطفالهم وأقاربهم وكبار تجمع الناس

وأصبح خطأ طويلا فوق الوادي، ومضت نسوة الرجل يصرخن واحدة بعد

الأخرى:

- ابو محمد "اشلونك"؟

ويجيبها زوجها باقتضاب :

- كما ترين.

وتبارى الأطفال في مذادة أبيائهم وأسماعهم أصواتهم، وعاد البعض إلى

المدينة بعد ان تبلى بالمطر، ومكثت عوائل الرجال المتعلقين وهم يرمقونهم

وينظرون الى القائمقام ليتحرك بسرعة ويعمل اي شيء لإنقاذهم، وركب المسؤول الاداري سيارته وعاد الى المدينة، وأقل عدد من رجال الشرطة والامن والموظفين، وراحوا يبحثون عن طريقة لإنقاذ الرجال، وبقيت المياه المرتفعة حائلا أمام افراحتهم، ثم نصح احد الموظفين الشرطة:

- اركعوا زورقا وانقذوا الرجال.

وهب مفهوم الشرطة، الذي ادرك بحذره، مدى الورطة التي يحاول ذلك الموظف زجهم فيها:  
- وهل تأتي معنا؟

وصمت الموظف وهو يراقب الجذوع الضخمة الطافية وهي تنقض مستقيمة وسط المياه، ثم ترتطم بجانب الوادي وتستدير سريعا ثم تظل تدور وهي تهبط نحو المصب.

واحاط اناس خرجوا من خلف المستشفى بالرجل الوحيد، وارتقت صرخة قريبة من زوجته، ثم تعالت صرخات من نساء اخريات، واستقر الصراخ جميع النساء، حتى نسوة الرجال المعلقين، رحن يولون ويندون، وأشار الرجال اليهن بالصمت والابتعاد، فما زال رجال أحيا يتقدرون فوق الاشجار، وابتعدت امراة صوب البيتين وهي تلطم رأسها وتتوح.

وعاد المسؤول الاداري من جديد وقال لأحد رجال الشرطة :

- اتصلت بالعاصمة، وستجيء الطائرات.  
وردد شرطي بصوت مرتفع.  
- ستجيء الطائرات.

وارتفعت جميع الرؤوس الى السماء وهي تبحث عن الطائرات.. واستمر اناس يحضرون، رجال وأولاد يركبون الدراجات، ورجال ونساء وعباءاتهن تتباير في الريح والمطر، وانصرف آخرون الى المدينة او غابوا خلف المستشفى البيضاء.

وتراجع محمود ودخل المستشفى، وكان طفله يجلسان في غرفة الممرضة وهما يلتمسان قطعا من الحلوى ويضحكان لمداعباتها.  
ونداء الطباخ :

- تعال وكل شيئا.

وأجابه بفتور :

- لا أشتهي.

ونقدم الطباخ منه وسحبه من ذراعه قائلا :

- لا بد ان تأكل .. انت جائع.

ورضخ الرجل ومشي خلفه ودخل المطبخ...

وشيعه الرجال بنظرة رثاء.

ورقد محمود مع ولديه في غرفة بالمستشفى، وهو يتأملهما، ويفكر في زوجته وولديه الاعرجين الذين غرقوا، ثم يتوقف ويعود الى مسألة نقاشه، فلابن سيدھب بعد ان يتوقف السيل، فهو لن يبقى في المستشفى، كما انهم لن يسمحوا له بذلك، والشمعت في ذهنه فكرة وهي ان يذهب الى بيت شقيقته في المدينة، ثم يبدأ حياته من جديد، ولم يستطع ان يقرر كيف سيبدأ حياته الجديدة.

وومض ولاده الاعرجان في ذهنه، وقرر انهما نجيا من حياة باسسة تتظرهما في المستقبل، وتخلص هو من عبئهما عليه، وطلب توبه ربه في لحظات المدهشة، وتشبتت فكرة تخلصه منها بعقله، وتحف شعوره بالاثم تدريجيا.

وابعث تعليق الممرضة الذي سمعه صدفة سريعا :

- الرجال لا يحزنون.

ولم الحزن على حياة قاسية؟ ولا سيما بالنسبة للفقراء الذين يقضون حياتهم المريرة بكد متصل واقصى امنياتهم ان يشعروا؟ وهمس:

- ليتني مت، وليتني لم أولد.

وحرک الابن الاعضب يده.

- هذا المسكين.

وتنظر الوالدين الاعرجين.

- انه افضل منهما، فماذا سينتظر صبي اعرج، لاستدله في هذا العالم من الحياة؟

وزحف نحوه الطفلان واستكانا قرب قدميه، وانحنى عليهما وقد انفجرت عواطف دامية في داخله، وخطبهما.

- ماذا كان سيحل بكم لو مت؟

ونظرا اليه بدون ان يفهمها، وصمت واشاح ببصره، ثم اضاف:

- لن اترككم، سأتروج امرأة تعنى بكم.

وكانت فكرة الزواج قد لاحت له منذ ان تيقن ان امراته ماتت وأصبح وحيدا، واطمأن وشعر بالتعب يملأ جسده، وود لو ينام، وأخذ جسده يتراخي.

وواصل الرجل المعلقون صرائخهم برجال الشرطة:

- اين الطائرات؟ متنا من الجوع والبرد.

وكانت الاشجار الضخمة يهزها الماء، وهم ينظرون الى كل الشمار الطافية بأسى، وكانتا قد انتزعاها من الاشجار في النهار، وكبسوها في زوابيا الاكواخ، لكن السيل داهمهم، ونجوا عندما سمعوا صرخات الرجل في اعلى الوادي وهدير السيل، ولم يستطعوا الهرب الى خارج الوادي الواسع والمرتفع، واختاروا الاشجار الصلبة واعتلواها، وتأكدوا من نجاتهم جميعا عندما تتدوا. واستمر الهدير الصاخب يصدم اسماعهم، ويفكرن في مصيرهم لو ان الاشجار لانت للسيل وانجرفت. واستمرت ايديهم تشد بقوه على الاغصان، ويحاولون الجلوس بشكل يقادون فيه السقوط.

وبحثت اصابعهم، وعلى متنقل ايديهم، عن الشمار اليابسة والمعطوبة، وحاول احدهم ان يبيث فيهم الصير، وقرأ لهم آية قرانية، ولم يحييوا عليه، ولبث خوفهم في اعماقهم وراحوا يتضرعون يائسي، واستمر الرجال المعلقون يرتجفون من البرد، وهم يتمسكون باغصان، وانصرف الجمع في اعلى الوادي تباعا، وثبت شرطي في مكانه، وبقي القائم مقام وحده يجيء بين حين وآخر، ثم يعود الى دائرة البريد، ينتظر برقة او تلفونا او إشارة تخبره بوصول الطائرات.

وبدا الوادي الفسيح الذي توسع، من اعلى، مغرقا في الظلام، عندما مررت غيوم ثقيلة.

ثم انقطع المطر وهبت الريح المثلجة من الصحراء، وبدأ الهدير يتلاشى وانتبه الرجال المعلقون، وصاح احدهم:

- توقف السيل.

وانصت الآخرون، وعلق احدهم.

- يبدو انه توقف.

واعترض آخر:

- ربما هدر من جديد.

واضاف :

- هذه الصحراء كبيرة، لا تعرف اين تجتمع فيها الامطار وتتسير، وقد يجيء السيل من مكانت آخرى، فالمطر كان كثيرا.

- لكن المطر توقف.

واستهجن رجل التعليق:

- يجوز ان المطر توقف هنا، لكنها ربما تمطر في مكان آخر في الصحراء.

وصمت الرجال، وهم موقفون بان السيل توقف، ولكن احدا منهم لم يجرؤ على الهبوط والخوض في المياه.

ونظروا الى المياه السوداء، التي تمور حول اشجارهم، ورافقوا السماء الملبدة بالغيوم والتي ينفذ من فجواتها نور القمر ويضيء كثرة الماء الكبيرة والوادي الأسود الذي يحيط بهم، ثم يختفي الضوء وتغرق الاشياء في السواد.

وظل انتباهم موجها الى الصوت المنحدر من الاعلى، وعلق احدهم مؤكدا:

- انقطع السيل.

وتشكى واحد متوجعا:

- اتنى مريض.

وأجابه آخر بصوت أعلى :

- وانا أكثر مريضا منك.

وعلق ثالث :

- كلنا مرضى.

وارتفع صوت من اعلى الوادي:

- توقف السيل.

ورد الشرطي مؤيداً.

وعلق رجل طالبا تأييد الآخرين لفراسته:

- ألم أقل لكم؟

لكن الرجال لم ينزلوا في المياه المتحركة، واشتد تعليقهم ببيوتهم وبالدافء والطعام، وأخذ اناس يقدون، وانارت السيارات الوادي باضوائها الوهاجة.

وفي الفجر زحف الكثيرون الى الوادي، وكانت المياه قد توقفت عن الجريان، ونزل الرجال من فوق الاشجار وأمسكوا جذوع الاشجار وتمطوا وحركوا ارجلهم، وغمرهم الماء الطيني الى افخادهم، وأخذوا يسيرون حذرين وبطيئين وهم يخوضون ووصلوا الى منحدر الوادي، ثم مضوا يتسلقون واحدا بعد الآخر، وحين أصبحوا في اعلى الوادي، تمددوا على الأرض، منهكين وجائعين، وحمل الناس الرجال الى السيارات، وانطلقت بهم، وركضت نسوتهم صوب المدينة، ليكن بجانبهم.

وبقي اقارب اصحاب البيتين اللذين محياء، ومجموعة من رجال الشرطة.. ومن الجهة الأخرى هبط محمود، وأخذ الجميع يبحثون عن الجثث التي جرفتها المياه، و كانوا كلما عثروا على جثة رفعوها ووضعوها في الاعلى. واستمر الرجال يخوضون متوجهين نحو الاسفل، ووجدوا آخر جثة مطمورة قرب الشاطيء.

ونقلت الجثث الى المدينة، ومن ثم الى المقبرة، وما ان سوى التراب عليها، حتى اختلطت في ذهن محمود صورة المرأة التي سبّر وجهها.

واشرقت الشمس في الظهيرة، وبدت الصحراء الممتدة عاصفة ومرورية. ومن الافق بعيد ظهرت طائرتا هليوكوبتر قادمتين، وحلقتا عاليا، ثم هبطتا في ساحة واسعة وسط المدينة

## العربية

دفع عربته الحديدية الصغيرة، وشمس الصباح الحامية تفرق جسده بالعرق، وكان يحس بخيوط باردة على رقبته التي يلامسها الهواء.  
توقف أمام بيت كبير، وتقدم من الباب وهو يشعر بدقات قلب الصاحبة، انفتح الباب وظهرت امرأة شقراء..نظرت إلى عربته، ثم إليه، وهزت رأسها داخلة.

كانت هذه المرأة الشقراء حلمه الدائم. لقد رأى نساء الحي كلهن، لكن هذه المرأة وحدها، استطاعت ان تترسخ في ذاكرته، وطالما نظر إليها يتضرع عليها تفهم نظراته، لكنها كانت لا تغيره اهتماماً.  
انه منذ ثلاثة سنوات يعمل جاماً للقمامة في الحي، وهي مهنة احقر من ان تختلقها، وقد شررته في باديء الامر بمنظرات متخصصة، لحفظ ملامح وجهه، كرجل مشبوه، يمكن تقديم اوصافه.  
انه لا يعرف كيف بدأ ولعه بها، ثم سيطر عليه، لكنه يعلم ان لهفة حياته هي رؤيتها صباح كل يوم.

وأمام الباب الداخلي، سمع صوت ارتطام ثقيل على الأرض وأنها متوجعة. نظر من فوق الحائط، وشاهد القمامنة متثرة من فوهه البرميل الصغير والمرأة تستند على الحائط وهي تمسك بأسفل ظهرها. حدق في وجهها المتلachsen من الألم، ولم يتجرأ على دفع الباب والتقدم إليها.

وزحفت عجوز من داخل البيت وسألتها :

- ماذا حدث؟

أشارت المرأة الممسكة بأسفل ظهرها، برأسها، وهمست:

- ظهيري.

وارادت ان تعود الى الداخل، ولم تستطع التحرك. وهرعت العجوز الى الباب الأمامي لتطلب نجدة، فتراجع جامع القمامنة والتصق بعربته.. مدت العجوز رأسها وشاهدته، لكنها تخاطله لتبث عن رجل آخر، وأحس

جامع القمامنة بحدر، اذ ان الطريق كان خالياً، وعادت العجوز تنظر اليه..  
ثم نادته.

تساءل متربداً - انا -؟ انا..؟

- تعال ساعدنا.

ترك عربته ودخل خلفها، ونظر الى المرأة الشقراء المتلممة وشاهدتها تنظر الى يديه، واحس بوساختها، فرفعهما ودعهما بقميصه. ثم سأله العجوز - ماذَا افْعَلْ؟

قالت العجوز - ساعدها على الدخول الى البيت.

انتظرت المرأة، الرجل، ان يساعدها. ومد جامع القمامنة يده بحذر، ولم يستطع ان يحدد اي مكان يسمح له بلمسها منه، ليساعدتها. ثم أمسك يدها برقة، وانتظر ان تتحرك، لكنها تأوهت ولم تستطع ان تتق قدمها خطوة. وقالت:

- لا أستطيع المشي.

واجهته العجوز :

- أستندها بقوّة.

ترك يدها، وبتردد، مد يده الى خصرها، ورفع يدها وادارها فوق رقبته وتمسّك بها.

تقدمت خطوة، وأحس بندها يلامس كتفه، وبعطرها الخفيف ينفذ فيه. كان دائحاً، وود لو يدخلها بسرعة. وتقدمت بها العجوز وفتحت باب غرفة النوم، وبيضاء، دخلاً. وكانت أصابعه تلتتصق على بطنهما، من فوق ثوبها.. وعندما وصلتا الى حافة السرير كان عليه ان يفلتها.. ولم تستطع التمدد لوحدها، فأمرته العجوز ان يرفها.

أحنى جذعه ووضع يداً تحت فخذيها ووضع الأخرى على ظهرها، واستطاع ان يرقدها، وبقي واقفاً بجانب السرير يتأملها.

احتضنت العجوز عليها، وسحبت ثوبها الذي ارتفع الى ركبتيها، ومسحت بكفها المكان الذي كان يمسكها منه، ثم تراجعت ومدت يدها الى جيبها واخرجت درهماً، ناولته له وهي تأمره:

- خذ.

نظر الى الدرهم، ثم الى المرأة التي كانت تراقبهما... تراجع الى  
الوراء وهو مباغت:

- لا.. لا.

وانطلق سرعا الى الخارج.. وأمسك بعربته ودفعها باستقامة، وكانت  
ضجة عنيفة في رأسه.. المرأة الحلم بين يديه، لقد لمسها وضغط على  
جسمها، وربما لن يتحقق له ان يلمسها من جديد، الى الأبد.. وهو يدور في  
وضعه المهازن.

وعاد سرعا الى مركز تجمع العربات الخالي في ذلك الصباح، دفع  
عربته وأوقفها في الزاوية، ولم يجب على تساولات الموظف، وخرج.  
كانت الشمس المحرقة والهواء الساخن، يل汗 كل شيء، ولم يجد على  
الرجل الذي كان يمشي وسط الطريق انه يحس بأي شيء.

\* \* \*



# قصص\*

---

\* معظم القصص الآتية تم نشرها في جرائد ومجلات عراقية وعربية وبعضها يمثل البدایات التي ميزت أسلوب خالد الرواى، وذكر ان قصاصات القصص موجودة في مكتبة القاسى، لكن هنالك البعض منها مفقودا. على سبيل المثال، ارسل خالد الرواى ثلاثة قصص من بينها قصة "الموت الأبيض" التي لم يمكن ايجادها الى الأدب العربي ادونيس. ففي رسالة مرسلة الى خالد الرواى من ادونيس، ذكر فيها الآتى: "الأخ خالد الرواى، اعتذر أولا عن تأخري في الكتابة إليك، قصتك "الموت الأبيض" أعجبتني. أتمنى أن ترسل لي قصصين آخرين قصيرتين منها لنشر القصص الثلاث معا، تقدير ومودة، ادونيس، 21 آب 1969".

## وشهيد يمضي\*

دق القصاب بعنف على المنضدة ليحمد الجلبة التي اعتورت جو الغرفة حين دخلها أحد الشبان وهو مصعد اليدين، يمسك به اثنان من أفراد المقاومة الشعبية. وكان الشاب طويل القامة نبيل القاطيع رغم تفرق ملابسه ورغم الدماء المتجمدة على صفحتي وجهه..

أدار الشاب وجهه في الغرفة الواسعة فشاهد زمرة من المقاومة الشعبية يقفون وهم يحملون المدافع الرشاشة في أيديهم وعيونهم تكاد تفترسه.. أما في صدر الغرفة فقد جلس على منضدة صغيرة رجل متوجه وجه عرفة الشاب حالاً..

أنه القصاب..

اذن فالقصاب سيحاكمه، ثم هز رأسه بالامبالاة..  
ودق القصاب ثانية على المنضدة.. فران الصمت الثقيل على الغرفة.  
ولم يك هناك الا بصيص من نار يشع من عيون الواقفين..  
وابعث صوت أحش من القصاب وهو يوجه حديثه الى المسكين الشاب: ما خطب هذا؟.

فبادره أحدهما: انه متآمر يا سيدى.. لقد اشتراك في الثورة ضدنا.  
فقال القصاب للشاب: أصحح ما يقوله؟.  
فلم يجب الشاب، بل انه تطلع الى أفراد المقاومة الشعبية بازدراة..  
والذين كانوا بدورهم ينظرون اليه بقصوة... وصرخ القصاب بغضبه: تكلم.  
لم تشارك بالثورة؟.  
فتكس الشاب رأسه ولم يتكلم، فاعجله احد الواقفين بلطمة شديدة على أم رأسه..  
وشعر الشاب بقواه تتلاشى، واستدار وهو يحاول تخليص يديه من الاغلال وهو ينظر بضراوة الى ضاربه. ولما يئس من عقم محاولته تكلم وقال بصوت عميق: انك جبان يا هذا..

\* نشرت هذه القصة في جريدة الثورة، 8 ذاى 1963، عدد 14.

وبين لحظة وضحاها تکوم الحاضرون في الغرفة على الشاب وأخذوا يوسعونه ضرباً وشتماً مقدعة.. وبسط الشاب راحتي يديه على وجهه ليحميه..

فهتف القصاب: كفوا ايها الرفاق.. ولنعد الى محاکمة هذا الشخص..  
قل لي.. هل انت عربي؟.

فمسح الشاب خيطاً من الدماء انساب من جانب فمه، ونظر الى القصاب نظرة ثاقبة وقال: نعم.. انا عربي.. وسأظل عربياً..  
فهو المكان بالضبط.

وصاح احدهم يقول: إبني عربي.. ها.. ها.. ها..

فصرخ الشاب: اخross ايها الكلب..

فتقدموا اليه، بيد ان القصاب أشار اليهم فتراجعوا..  
ثم قال للشاب: وتؤمن بالقومية؟.

فهتف الشاب: نعم أؤمن بالقومية.. فما تسمية العربي بالعربي اذا لم يؤمن بقوميته؟.

فقال القصاب: حسناً وهل اشتراكك بالثورة؟.

فأجاب الشاب بعد ان هز رأسه: انظر إلى لاخبرك.. إني أرى مصيري مكتوفاً أمام ناظري.. وأعرفه جيداً.. وما دمت قد عرفته فلاقل ما يجيش في خاطري ول يكن ما يكون.. نعم انا اشتراك في الثورة ضدكم وضد قاسم ايها المناجيس انكم ننستم ربوعنا.. وملائموها بشعارات الشعوبية والتحلل والضياع.. ولهذا ثرنا عليكم.. ان عروبتنا أبى علينا ان نظل مكممي الافواه والابادي تجاه أعمالكم.. ونحن نراكم تعذبون في البلاد فساداً.. ولو لا الانكلاسة الرهيبة التي منيت بها الثورة لكونتم الآن في خبر كان.. ولكن القر، ويا لسخريته المريرة، ادار الدواير علينا في الختام.. فأخذنا نقدم القوافل الطوال من الشهداء.. ولم نفت نقدمهم.. ولن نكف عن تقديمهم حتى نراكم ترقدون تحت الأديم بين أحضان الشياطين.  
فجأر القصاب وفار كالثور: صه ايها الخائن.

فقال الشاب.. أنا لست خائنا. أنا عربي أذب عن حياض امتى.. ومن كانت شيمته هذه قليلاً هو بخائن.. إنما الخائن من يستوحى مبادئه من تربة غير تربة وطنه..

فتعالت الضجة بين جوانب الغرفة وهي تنادي بإعدامه.

فأصمهم القصاب بإشارة من يده ثم قال بتؤدة: إن هذا الشخص خطر علينا.. أصدرت المحكمة حكمها بالإعدام رميا بالرصاص حتى الموت على هذا الشخص.. أخرجوه.. وهاتوا غيره..

وأخرجوا الشاب وهو يسير بهدوء ورأسه مرفوع إلى الأعلى ينظر إلى السماء..

وبعد لحظات شق السكون صوت إطلاقات نارية.. خر على اثرها جسد فتى يتخطيط بدمائه..

\* \* \*

## أرض الموت\*

قتل شاربه.. ثم مسح عليه برفق ومسده بآناة... وانبعث صوته بارداً يدل على السأم الممضر.  
إن رأسى يكاد ينفجر من الألم.. فيهل تعرفون ليها الرفاق وسيلة أسرى  
بها عن نفسي.. .  
وانبرت الزمرة تبدى اقتراحاتها.. .  
بيد أنه قال لهم.. كل هذه المفترحات لا تجدى فثيلا لما يدور في داخلي  
من سام.. .  
فبادره شاب قميء زري المنظر.. .  
أنا أعرف طريقة تدخل المرح والسرور إلى قلبك.. .  
فقال له: هاتها.. كيف؟  
فأجابه القميء: لن أحدث الديك بالتفاصيل.. هيا قم معى.. وأنتم يا رفاق  
اتبعونا... .  
وخرجوا جميعاً من الغرفة.. .  
وأنعطف القميء في أحد دهاليز السجن.. وتوقف أمام أحد الزنزانات  
ومد رأسه يتطلع من الكوة الصغيرة.. ثم التفت إلى رفاته وقال لهم.. .  
قيدوا الشاب الموجود في هذه الزنزانة واجلبوه لي.. .  
فأولج أحدهم مفتاحاً في الباب.. وصر الباب وهو يفتح.. .  
وما هي إلا لحظات حتى خرج الجميع وبينهم شاب مربوع القامة قوي  
العضلات مصعد اليدين.. .  
وهذا التفت الرئيس إلى القميء وقال له: وماذا بعد هذا.. .  
فرد القميء: لا عليك.. اتبعوني.. .  
وخرج بهم من السجن إلى الطريق.. ثم فتح باب سيارة شحن مكتشوفة  
ودلف وتبعه الرئيس ثم السائق.. بينما دفع الآخرون بالشاب المقيد إلى ظهر

\* نشرت هذه القصة أول مرة في جريدة العرب، 20 آذار 1963.

السيارة وصعدوا معه.. وأشار القميء إلى السائق ان يذهب بهم إلى (الدملاجة)..

وانطلقت بهم السيارة وهي تصدر القرقعت والضجيج.. ثم خفت الضجة وتوقف المحرك.. فنزل الجميع من السيارة.. وانصب نظراتهم جميعا على القميء..

قال لهم: اراكم في لهفة.. حسنا لا تتجلوا.. هل لديكم معول..

فأجابه أحدهم: وأي شيء تفعل بالمعول.. أنتوي ان تقتل به؟.. هذه طريقة غير مجدية.. دعني اضررها بالرصاص..

فصرخ به القميء: كلام.. لا تضررها بالرصاص، وكل ما عليك هو ان تأتي إلى بمعول..

وأنزل الشاب من الجمع وذهب إلى السيارة فاخراج منها معولاً أعطاه القميء..

وقال القميء: فكروا وثاقه..

وتحررت يد المربوع.. ثم ناوله القميء المعول وقال له..

احفر.. هنا احفر بسرعة.. وارتفع يد المربوع بالمعول وضرره بالأرض ضررة يائسة... وضررة تتناثر ضربة حتى اكتفى الحفرة.. وتقدم إليه القميء غاضبا.. بيده أن الشاب أخذ بقاومهم بيديه الواهتين.. وسرعان ما أصبح ورقة هابة في الريح بين ايادي الرفاق.. ثم تناقلوه بينهم وقفروا به إلى الحفرة، وأخذوا يهيلون عليه التراب بسرعة.. حتى لم يبق سوى رأسه فوق الثرى..

وقال له أحدهم: هه أيها المتأمر.. ما هو شعورك الآن؟.

قال لهم: إني آمنت بالله وتوكلت عليه.. فتعالت ضحكاتهم تنطر بالسموم ولابتدره القميء مفهها:.. هه.. ومن هو الله.. ها.. ها... ها...

فأجابه: من الطبيعي ان تستهزئ بالله.. وليس هذا غريباً ما دمت شيئاً عيناً لا تؤمن بالدين ولا بالعروبة...  
فتقصد منهم رئيسهم وركله بقوس على رأسه..

ثم قال له: إن لسانك يا هذا لطويل.. تعال يا كاظم واقطعه..

فتقدم كاظم وجثا على ركبتيه ثم اخرج سكينا حادة.. فحدق به المدفون  
برعب..

بيد انه لما رأى العزم والتصميم في وجه الرفاق صرخ قائلاً: لا.. لا  
تقطع لسانى قبل ان اقول كلمة.. انكم ستذبحوننى لكنكم لن تقدروا على ذبح  
الشعب كله.. انكم ستذبحوننى وسيضيع نبى هنرا في هذا الوقت.. لكن لا  
تنسوا ان هناك يوما ستتالون فيه العقاب على ما فعلتم..  
فانقض الجميع على الرأس الخارج من الأرض وأخذوا يكيلون له  
الضربات.. حتى ارتخي الرأس..

فصاح أحدهم: لقد فقد وعيه.. هيا لقطع لسانه..  
ثم فتحوا فكيه واخروا لسانه..

وفي هذه اللحظة فتح المدفون عينيه بفورة..

بيد ان كاظم حز اللسان بسرعة.. وانشق الدم ينفجر من فم المدفون ..  
وقال الرئيس للمدفون: ان لسانك هو الذي اوصلك الى هذا المصير..  
وكان من الخير لك ولنا قطعه..

ثم تقدم القمي وقال: لننهي المسرحية.. وتناول السكين من كاظم..  
واقتراب من الرأس الذي تحوطه الدماء.. وبحركة مباغة انخل السكين في  
العين اليسرى للمدفون فاقتلاها وتتجذر بنحو آخر من الدماء.. ثم أنزل  
السكين الى تحت العين وحز بسرعة لحم الخد اليسير.. ثم تحول الى الخد  
الايمن وكشط لحمه.. ثم رفع السكين وأهوى بها على رأس المدفون.. فأخذ  
الجميع يفهمنون بفرح جنوني وهم يشاهدون خيطاً أبيضاً ينساب من رأس  
المدفون..

وقال القمي: هذا يكفي فلتذهب الان نترك الرأس للغربان تتهشها.. ثم  
مسح السكين بشعر المدفون..  
ومضى الجميع والسرور الوحشي يدغدغ أعماقهم.

\* \* \*

## عربدة الجروح\*

كان كل شيء ينذر وينبئ بالتمرد.. فالسماء ملبدة بالغيوم الداكنة.. والغبار ينثر في عواصفه على المدينة.. ووجوه الناس تغدو وتجيء وهي عابسة مكفحة ولا تبدو فيها حركة خلا التماس الأعين.. وفي إحدى المقاهي الصغيرة كان يجلس شبان يتحدثان عن الأمور السريعة المفاجئة التي حدثت أخيراً.

قال الأول: حفنا ان رفع أسعار البنزين يبعد لطمة لسانقى السيارات.. قال الثاني: هذا أمر لا ريب فيه.. فأنت تعلم ان هؤلاء السوق جلهم من الفقراء المدقعين الذين لا يملكون شيئاً والذين يقع على عاتقهم اعالة عوائل كبيرة.. فإذا ما رفع سعر البنزين ستقى مواردهم حتى.. وبهذا تسيطر الحكومة عليهم وتسيّرهم وفق رغائبهما.. لأن الفقر يجعل المرء ذليلًا ان لم يؤمن بمبدأ او عقيدة..

فهز الأول رأسه وقال بصوت خافت: ليه.. ليه اني ارى بعين خيالي العواصف تهب، وارى الغليان قد وصل الى أقصى مراحله.. فالانفجار لا بد آت.. والله وحده يعلم ما سيحدث وain سترسو السفينة.. ثم انهمكا في حديثهما.. وعلى حين غرة باعثهما صوت عميق: السلام عليكم..

فالآن: وعليكم السلام.

كان القائم شاباً مربوع القامة مهيب المنظر.. وسرعان ما قال: هلم يا مؤيد فلدي كلمة أود ان أقولها لك.. ونظر الى الشاب الآخر مستائداً.. فنهض مؤيد وسار معه الى زاوية المقهى..

وهمس الشاب المربوع في اذن مؤيد: عدّا صباحاً.. عليك ان تذهب الى الساحة المقابلة لجامع الإمام الاعظم، فهناك ستجرى مظاهرة لنصر الحكومة الخامسة على ان تراجع عن رفع أسعار البنزين وستكون المظاهرة قوية.. لأن الغبن الذي لقيه الشعب منذ امد طويل أن له ان يزول ويندثر..

\* نشرت هذه القصة في جريدة الثورة، 27 آذار 1963.

فقال مؤيد: حسنا سأكون هناك وسأجلب مسدسي معي.. .

فأجابه المرهون: حسنا أني ذاهب لأنبلغ الآخرين.. لا أرى حاجة لتوصيتك بان تبلغ كل من تراه من الصحابة.. مع السلامة.

فأجابه مؤيد: مع السلامة..

ورجع مؤيد الى صاحبه وهو يفكر فيما سيحدث غدا.. وأشار الى صاحبه وقال له: هيا نخرج من هنا علنا نستطيع مساعدتهم في لصن المنشير او ما اشبه..

وخرج من المقهي الصغير، وكانت الشمس قد بدأت تكون وتنضالع، والظلام الأسود بدأ يزحف الهويينا.. وحين أخذنا يذرعان الشوارع شاهدوا مجاميع متعددة من الشباب تقف في منعطفات الشوارع هنا وهناك.. وكانوا مت天涯ين تطل العزيمة من عيونهم.. وكانت أعمدة النور وحيطان الدور مليئة بالمنشير التي تحرض الناس على الاضراب العام..

ثم انصرف الاثنان وتعاهدا على اللقاء في الغد..

انصرف مؤيد يسير الهوينا الى منزله وهو يحس فرعا في اعماقه ويحس بكيانه يختلج، عندما ترأت له في مخيلته صورة المظاهره.. وحين رقد في فراشه كانت الهواجس تنتابه والأحلام تتراءى له.. فقد حلم بأنهم سوف يكتسحون قوات الانضباط العسكري والامن حين يحاولون صدهم ومنعهم من تقدمهم.. وأنهم سوف يمضون قدما الى الدفاع ويسمعون أصواتهم لقاسيم.. .

وأخذ مؤيد يقلب في فراشه والكري لا يدنو منه..

وحين انبلاج الصباح هب مؤيد من فراشه تتنقض في بدنها القوة ويشيع في كيانه النشاط..

التقط ملابسه من المشجب وارتدتها بسرعة.. واخرج المسدس من تحت الوسادة ووضع فيه الرصاص ثم خباء تحت ثوبه يسنده الحزام.. وخرج بمهل من غرفته..

وتطلع الى الممر فلم يجد احدا من اهله فيه.. فتنفس الصعداء ودرج بخفة وخرج من الباب.. وفلاجاه نور الشمس الوهاج.. وحين خطأ في

الشارع رأى عدداً من الشباب يغدون الخطى سرعان إلى جهة الجامع.. فتبعدهم وهو ينظر إلى الشوارع وقد أغلقت مخارجها بسدود واطئة من الحجارة لمنع تقدم السيارات وسيرانها حتى يعم الاضراب ويحتاج المدينة بكافة مراقبتها..

ثم انعطف إلى الشارع العام.. كانت المحال مغلقة والشارع الطويل صامتاً من حركة السيارات خلا بضع سيارات تابعة للجيش تمر بسرعة هائلة..

ومن بعيد شاهد عشرات الشباب وكل منهم يقف في جهة ويتساغل مع زميل له بحديث وكلام.. وصل إليهم وإنضم إلى أحد أصدقائه وأخذ ينظر إلى مركز الشرطة الذي يواجه الساحة التي يقفون فيها.. ورأى على سطح البناء عدداً من أفراد الشرطة والأمن ينظرون إليهم..

واستمر تقاطر الشباب من جميع الأحياء..

وبغية هتف أحد الشباب بأعلى صوته متندداً بالسلطات.. فتحرك الواقفون والتحموا وعلا هتافهم... وتقدم ضابط وبضعة جنود وأمسكوا بالهاتف المحرض.. بيد أن الشباب انتزعوه من أيديهم وراحوا يهتفون بملء حناجرهم.. وأشار الضابط إلى جنوده فهموا على المتظاهرين يوسعونهم ضرباً بالهراوات.. فرد عليهم المتظاهرون الضرب بالمثل.. فانسحب الضابط يحف به جنوده إلى داخل المركز وأمسكوا في طريقهم بعدة شباب.. وفي لحظات معدودة دوى الرصاص من أعلى بناءة مركز الشرطة... فتثار كثير من الشباب يلوذون بanziال الفرار.. وانسحب الآخرون إلى أماكن ترد عنهم غاللة الرصاص.. وخرجوا أسلحتهم وأخذوا يبادلون الشرطة الرصاص..

كان أفراد الشرطة يختبئون خلف الحائط ويخرجون بنادقهم مخصوصة فيه.. والمتظاهرون يقفون في أماكن شبه مكشوفة.. وسقط بضعة شباب والدماء تتطاير من جراحهم..

وتسلي شاب من المتظاهرين الى سيارة عسكرية واسعل فيها النيران ..  
فتعالى اللهب في الفضاء .. وحمى سغير المعركة .. واشتدت أصوات  
الرصاص ..

وفجأة صرخ احد الواقفين: مؤيد.. مؤيد.. ارجع بسرعة.. ارجع.  
وكان مؤيد قد اندفع الى جهة المركز وجاً خلف قطعة حديدية كبيرة  
وأخذ يطلق رصاصه على المركز . وفي هذه الاونة .. حجبت الشمس غمامـة  
داكنـة كبيرة .. وتعالت في الفضاء صرخات امرأة متوجـحة ..  
كان مؤيد راقداً على الثرى وجـرح كـبير في عنقه تدفق منه الدماء  
وتـسـيل على الأرض فتصـبغـها باللون الأـحـمـر ..

\* \* \*

## عندما تنطفئ الأنوار\*

كوربيات صفر افطافها بفظاظة عصفة ريح في نهار خيفي ممض ...  
نفح الحارس الليلي في صفارته.. تعالى الصفير الاجش من تلك الصفاره  
الحديده الصغيرة.. وحين ابتلع الصدى الرنين المتنابع.. انت الى اسماع  
الرجل الهرم أصوات صفارات تتطلق من مناطق بعيدة ... حينذاك زم شفتيه  
برضا.. ومضي يجوب الحي على دراجته الهوائية... وعجلات دراجته  
تدور ببطء.. ولا يسمع لها في الشوارع المظلمة الساكنة اي صوت ...  
ان نظراته لم تفقد حيتها.. رغم انه لا يعرف سني عمره.. انها  
تطلق كوخزات ابرة الماكنة.. تكتسح البيوت.. ولا تخف عن شيء ..  
فالاشجار التي تهزها الربيع فتجعل ظلالها ترتعش، لم تعد تثير اهتمامه.. هو  
خبر كل الامور المتعلقة بعمله.. لذلك يعرف حركات اللصوص.. وقد نال  
شكرا المسؤولين في دائرة الشرطة ورفعت رتبته الى رئيس عرفاء. ومع ان  
البندقية التي يحرص على ان يضعها على ظهره بشكل خاص من مخلفات  
الحرب العالمية الاولى الا انها كثيرا ما اصابت.. وافضل مكان لديه هو  
السوق.. لم يخطيء ابدا الاصابة في السوق .. كلا .. فمن العار عليه وقد  
اقسم منذ امد بعيد على الا يقتل إنسانا ولو كان لصا.. ولكنه كان يكره  
اللصوص .. ابناء الليل .. لذلك لم يترك واحدا منهم يهرب بغيرمه الا نادرا .  
كان الحارس قد وصل الى نهاية الشارع، وحين رجع ثانية، كان  
البيت الوحيد المضاء قد انطفأ اثاره.. ان عمله يتضاعف حين تنطفئ  
انوار كل المنازل .. والمسؤولية تقل عليه .. ويحس مع كل خطوة جديدة ان  
اصابعه .. والزناد .. والمنازل .. واللصوص .. هي محوره ... انه يحيا في  
الليل وينام في النهار .. فهو ابدا يترقب الى لص .. اجل .. قد مر عليه مئات  
اللصوص .. أمسك بعضهم واصاب ببعض ..

\* نشرت هذه القصة في جريدة الجامعة ، 24/10/1964، عدد 6.

وشاهد بعضهم في دائرة الشرطة.. الذي يعيش في الظلام يرى جيدا ذلك الذي يعيش في النور. لذا فهو يعرفهم من اول نظرة. غالبا ما أمسك بعضهم وهم يجوبون الحي.. ومن كانت هذه او صافه فلا بد ان ينشر خبره في المجتمع الذي يعيش فيه.. وكثيرا ما سمع للصوص يحدثون بعضهم في السجون عن حكاياته الفدءة.. وقد حدث اربع او خمس مرات ان حاول اللصوص قتله... الا انه نجا بأعجيب ولم يصب الا بجروح ظلت اثارها الى هذا الوقت.. وهو يكشف موضعها حين ينفعس في الحديث عن ذكرياته ويتحدث عن الأيام المرة التي قضاها في المستشفى بعيدا عن الشوارع التي فيها واجبها من اعمقه.. ولا ينسى مطلقا ان يعقب على حديثه.. ان اللصوص حين فشلوا في مساعدتهم تلك.. حاولوا اغرايه بالمال ليغض عنهم النظر وعرضوا عليه مبلغا كبيرا.. الا انه أمسك رسولهم وقاده الى دائرة الشرطة..

ومن بعد سمع ساعة الجامع الكبيرة.. تقرع اجراسها لمولد الساعة الرابعة.. وانفجرت في الجهة الشمالية الشرقية رقعة باهته من الضوء.. وكمولد عالم جديد.. يأتي الصبح وينادى.. فتفقد حركات الحارس.. وحين تبدأ السيارات تترى والناس يفتحون ابواب بيوتهم وشبابيكهم.. ويكون الضوء وضاحا قويا.. يلقى الحارس نظرته الأخيرة.. ويستدير راجعا الى دائرة الشرطة.. ليعطيهم بندقيته ... ويقع في السجل ان لا حادث وقع.. ليذهب الى بيته وينام.. وهو على موعد مع الغروب.. كيما يعود..

\* \* \*

## \* القلعة\*

كان الهدوء المخيم على تلك القرية الصغيرة الهاجمة على سفح جبل..  
ومن جبال عمان.. هدوءاً غريباً.. صمتاً عميقاً.. ومن أعلى.. كان بيت  
كبير... قلعة.. تنتصب فوق البيوت بناها الانكلترا لرجلهم الموكلي بمراقبة  
الطرق.. للبلاغ عما يحدث ويريب...  
كان العميل القصير واقفاً على سطح داره وببيده المنظار المكبر يجوس  
بانظاره البيوت.. والطرق البعيدة.

أين الناس.. همس العميل.. ما بال القرية هاجمة بصمت..هذا الديار  
لم يمسها الخراب بعد.. فلين الناس.. يا ترى هل ينكثون امراً لا أريد ان  
أعرفه.. حسنا.. ساهبٍ بذاته.. لاسترقى النظر من وراء الأبواب..  
وحين شرع يهبط السالم... صاحت زوجته.. أين انت ذاهب..  
فقال - سأعود عما قريب - دعى انتبهاك متخفزاً.

وحين فتح باب القلعة.. لفحة الهواء السريع.. فلم عباءته جيداً على  
جسمه المترهل.. وشرع يخطو بتمهٍ.. نحو القرية.. وحين اضحي في  
دروبها الضيقة.. ترك خطاه تتحرك ببطء.. ومن فتحة باب رقم رجالاً  
كثيرين.. جلوساً.. متقاربين.. يهمسون.. فحاذى الباب.. واصاغ سمعه..  
كانت الصيحات المتمردة.. تنقذ من صدورهم.. ترمي كل شرارتهم  
المتقدة.

وصرخ العميل.. يا الله.. انهم يتآمرون..  
وجمع قوته ليخطو بسرعة فرمقة ادھم.. وصاح..

\* نشرت هذه القصة في جريدة الجامعة ، 24/10/1964، عدد 6.

لقد افتصح امرنا.. سيعطي أشارات للأكليز باللاسلكي..  
وصرخ آخر.. المجرم.. الجبان.. وقفز راكضا عبر الباب..  
وحين الفت العميل.. وشاهد الرجل راكضا نحوه.. أطلق ساقيه  
للرياح.. بيد ان الرجل كان أسرع عدوا منه.. فقاربته وصرخ..  
ايهما السائل.. اتبع اخوانك للانكليز..

فصرخ العميل.. صه.. ايهما الراعي.. فلطمه الرجل بجمع يده..

ترنح العميل.. فاعقه الرجل بضررية اشد منها... فتخرج العميل على  
الصخور الثالثة ... ونهض العميل ينفض ثيابه وهو يتوجه للرجل العماني..

حسنا.. ستقى مصيرك ايهما التuss...  
فقال له صمتا ايهما.. ولم يكل كلامه.. اذ طرقت اسماعه صرخات  
زوجة العميل.. فالتفت فالفاها واقفة على سطح القاعة.. وسمعها تهيب  
بزوجها..

هيا هلم.. لقد أعطيت إشارة الى الانكليز ليبعثوا قواتهم..  
فالتفت الرجل ناعيتيها وبصق في الهواء تجاهها... ثم اقترب من  
الزوج ... وطوق عنقه بكفيه.. وهو يقول ...  
ستلقى مصير الخونة.. وان شئت فأعلم ان الرجال هنا اجتمعوا.. ولن  
ترهيم كل قوات بريطانيا.. ولكنك لن تعم بايصال الخبر الى اسيادك.. ايهما  
الخائن..

واستل خنجره .... وبلغة غامرة اغمد النصل كله في صدر العميل...  
وانطلقت صرخة مجوحة من العميل.. وتداعى الى الأرض..

وخرج الرجال على أصوات الصراخ والضجيج.. وشاهدوا صاحبهم  
يمسح خنجره.. ويدخله الى غمده.. فالتفتوا حوله.. وصاح رئيسهم..  
حسنا فعلت.. فقد قررنا التخلص منه منذ وقت بعيد..

فقال لهم الرجل.. اذروا فان القوات الانكليزية تتقدم علينا..  
فصاح واحد.. ها قد جاءت الساعة.. وابتدأ الجهاد.. ارجعوا الى  
المزارع.. ولأخذ كل منكم ما يلزمك من طعام.. وذخائر.. الى أعلى الجبل.

وأندفع الرجال كل من دربه.. مسرعا.. ثم عادوا ثانية.. يصعدون  
الجبل..

حين وصلوا الى الشعاب المتفق عليها.. اتخذ كل منهم مكمنه.. ومن  
بعيد.. تناهت الى اسماعهم.. السيارات الهادرة ... تنحو اتجاههم.. فصرخ  
احدهم..

سنجعلهم يعرفون جيدا.. اي شعب عربي نحن..

\* \* \*

## \* الفرسان\*

الرمال تتوجه وتتطاير.. الريح تعصف.. والخيام تهتز.. وخارج خيمة ترابية اللون وقف رجل طوبل أسمر البشرة بلبس عقالاً رفيعاً وغترة ملقطة على فمه.. وقصيرته تتطاير في الهواء.. شاهد فتاة خارجة من خيمة أخرى.. فتقدم منها.. كان اسمه محمد.. واسمها نسمة.. هي ابنة عمه.. يحبها وتحبه.. أراد أن يتزوجها.. فلم يعطها أبوها وأخوها.. لجأات وقالت في فزع: ماذا تزيد يا محمد؟.. أسرع وإن شاهدنا أخوتى.. فقال محمد.. (أشد الرجال من هذا المكان.. وذهب إلى حيث الطمانينة والأمان.. وشعت في عينيها نظرة.. مadam أخوتها يأتون زواجهما.. لماذا لا تهرب معه فينuman بحبهما بعيداً عن العشيره؟.. وارتسمت خاجر في فكرها فهزت رأسها بيأس بينما عاد محمد يهمس من جديد ماذا ترين؟.. فقالت بحزن وتسليم.. الرأي رأيك.. فقال محمد.. سنهرب عند انتصاف الليل.. فكوني على أهبة.. وتركها الشوق يوضع من عينيه لايلوي على شيء.. ونسمة أمام خيمتها تنظر إليه بشغف وحنان..

اعطف محمد إلى طريق جاتي ودخل خيمة واسعة.. وصاح.. أماه.. ابن أنت يا أماه.. فأجابته.. أيبني.. ماذا تزيد؟.. فقال: أعدى طعاماً فراسافر الليلة.. إلى مكان أقصى.. وحين صمت أمه تمدد على أحد الأسيطة وراح يفكر.. ونهض فجأة من مكانه.. فأخرج سيفه من غده.. وأخذ يمر طرف إيهامه على حده.. وهز رأسه قائلاً: إنه والنار سواء.. وأرجعه إلى عده.. وحين حللت الساعة خرج محمد من الخيمة فحل رباط الجمل ووضع عليه خرجه الذي يحوي متابعه.. ومشى قائداً الجمل، وحصانه ينتقل خلفه.. وشاهد محمد شبحاً أسود.. فدق قلبه.. وحين دنا من الشبح قال بهمس.. إنها هي.. وهتفت نسمة بقلق: هيا أسرع.. فركب على الجمل وأردها خلفه..

\* نشرت هذه القصة في جريدة الثورة العربية، 28/10/1964. يذكر القاص بأن هذه القصة هي من الحكايات الحقيقة التي يتداولها العرب البدو في مسامراتهم والتي تتناول موضوع الحب والغدر والولاء للقبيلة. (المحرر)

كانت النجوم تتلألأ في السماء.. والريح تهب باردة تبعث النسمة في الأوصال.. والقمر يرسل أشعة الفضية..  
والتفت محمد إلى الوراء.. فشاهد خيام العشيرة تغوص في الأفق فقال:  
في أمان الله يا عشيرتي.. الحياة قصيرة وحبنا كبير.. فلماذا يريدون إطفاء  
وهج جبنا لماذا..

كان السكون مخيما على الصحراء الواسعة.. وكان الجمل يرفع رجله  
ويهوي بالأخرى.. واشتد البرد.. فالتقت نسمة بمحمد.. وقطعت رحلة  
الصمت نسمة.. وماذا لو طارتنا أخوتى؟.. أنت تعلم أنهم فرسان شجعان..  
فغماس أشهر فارس في ربوعنا... ف قال محمد.. بالله عليك.. دعينا من  
هذه الأفكار الموجعة.. فانا فارس وهم فرسان.. وعلى كل حال.. سأطلب  
الحماية من الشيخ حربان.. ورفع رأسه إلى السماء وقال.. إننا في منتصف  
الليل.. وعلى وجه الصباح تكون وصلنا إلى عشيرة الشيخ حربان.. وسمع  
محمد أصوات ركض بعيدة فأشرقت علينا.. وجاء مكانه ساحبا سيفه من  
غمده.. واقترب منه الفارس.. وقفز من حصانه.. كان القائد طويل القامة  
عربيض الكفين أسود البشرة.. إنني فداء لك يا سيدي.. هتف العبد شعلان..  
قال محمد.. ما الذي أنتي بك؟.. فاجابه.. خشيت أن يصيبك مكروه فتبعتك..  
قال محمد.. هلم بنا.. وقفزا إلى جمليهما.. وعمرا الجملين فارسعا.. وبدأ  
الظلام ينجل.. وخيوط ذهبية تلتمع في الأفق.. ومن بعيد جدا لاحت بيوت  
عشيرة الشيخ حربان.. وازدادوا اقترابا.. وحين وصلوا دخلوا دخلوا راجلين في  
المنطقة.. وشاهدوا الشيخ حربان واقفا.. فذهب إليه محمد وحياه.. فرد  
تحيته.. وبعد نفوس خاطف من الشيخ قال.. ماذ ترید يا ولدي؟.. فقال  
محمد.. مستجير بكم.. اطلب حماية.. هتف الشيخ.. حلت آهلا.. ووطأتم  
سهلا.. أنتم في حمايتي.. وصاح على رجل.. أعطهم البيت الذي يقع جانب  
بيتي.. شكره محمد.. وتبع الرجل هو وبعده وخلفهما نسمة.. وجلس الثلاثة  
في الداخل يتكلمون.. ويمضغون الطعام الذي وافاهم به رجال الشيخ..  
ومرت الأيام.. كومضات البرق.. وانقضت ثلاثة سنين ونسمة لم  
تنج.. كان هذا يحز في نفسها.. وهي تتنى لزوجها ولدا.. فأخذت تتصفح  
زوجها بالزواج من إحدى فتيات عشيرة الشيخ حربان.. بيد أن محمد رفض

طلبها.. ألحفت عليه بالرجاء.. فتزوج محمد إحدى الفتيات الجميلات.. كانت هذه الفتاة أجمل من نسمة.. بيد أن حب نسمة كان راسخاً في قلب محمد.. وحملت الفتاة.. وبعد شعة أشهر وضعت طفلاً جميلاً اسمه والده- بلال- وبعد ولادة بلال بشهرين.. همس محمد بأذن نسمة أثيري مجازة مع تلك الفتاة.. وساقسم أن أفرج كما في متزلين.. فقالت له: حسناً.. وفي ليلة ارتفع الصراخ.. وتدخل محمد مقسماً.. كان الشيخ قد حضر على أثر الصراخ.. فقال وهو يبتسم بمكر: أجل.. ارم تلك الكلبة في منزل وحدها.. مشيراً إلى نسمة..

وحملت نسمة أمتعتها ومضت إلى بيت آخر.. وحدث أن ترك محمد العشيرة ماضياً إلى إحدى العشائر لأعمال تخصه.. وفي منتصف الليل تقدم شبح أسود ملتفاً بعباءة إلى كوخ نسمة.. ودق الباب.. فخرجت إليه امرأة عجوز أسكنها محمد مع نسمة.. ولما شاهدت الطارق قالت: أهلاً بك يا سيدي الشيخ.. ماذا تأمر؟.. فقال الشيخ مدّرأيت نسمة.. وأحسائي تئور.. والآن أريد أن أجتمعها.. فارتختت أهداب العجوز.. وقالت: ولكن اليوم محيسضاً.. فقال الشيخ.. ذلك من سوء الحظ.. وانصرف يلوم المحيسض.. واندفعت العجوز إلى فراش نسمة تهزها.. فاستيقنت من نومها فحككت لها العجوز عن محيء الشيخ.. فترعرع الذعر في عينيها.. ومضت إلى جانب من البيت وجمعت كمية من الرماد ووضعتها في كيس وناولته للعبد بعد أن أنهضته من نومه.. وقالت له: اذهب بها في التو إلى محمد.. وبكل سرعة.. وركب العبد واحتفى عن ناظري نسمة.. وغد العبد في المسير.. حتى وصل منازل العشيرة التي قصدتها محمد.. ووجد بدوياناً تله على مكان محمد.. طرق العبد الباب.. فانفتح نصف افتتاحه وصوت يقول: من أنت.. وماذا تزيد؟.. فقال: أنا شعلان عبد محمد.. أريد رؤيتك الآن.. فقال الصوت: إنه دائم.. فهو شعلان: أيقظه.. وأتي محمد.. فأعطيه عبده الكيس.. ولما فتحه شاهد الرماد.. وأخذ ينظر إلى وجه عبده متقمراً.. وبغتة كر إلى الداخل مودعاً القوم.. وفك جواهه من المعلم وركبه.. لكيز محمد جواهه بقوه.. فانطلق يسابق الريح.. والعبد وراءه يحاول اللحاق به..

ومع إشعاعات الشمس الأولى.. دخل محمد بيوت العشيرة.. وربط الججاد قرب باب نسمة.. ودخل عليها.. فحكت له الحكاية.. فوجم محمد وصرخ: يا للخائن.. أطبق فاه.. ثم خرج وذهب إلى منزل أم بلال.. فلماها نائمة ويجانبها بلال.. وانحنى محمد على بلال وحمله بين يديه وخرج إلى منزل نسمة وقال لها: لسرعي واحملي الحاجيات الغاليات.. وبعد دقائق أردفها خلفه.. وخرج من بيوت العشيرة يتبعهما العبد..

طوحت أم بلال يدها حولها فوجدت فراش بلال خاليا فهبت جزعة صارخة.. وركضت إلى بيت نسمة فوجده فارغاً.. فوققت في الطريق تصرخ.. وتجمع على صوت صرائحا كل من سمعه وفي مقدمتهم الشيخ.. وقالت لهم أم بلال وهي تضرب رأسها إن نسمة وزوجها محمد سرقا ابنها بلال وهربا.. فأمر الشيخ رجاله أن يجلبوا أسلحتهم.. ففرق الجميع وعادوا بعد قليل.. وابتداط عملية المطاردة.. محمد وزوجته والعبد لا يبدون في الأفق.. والشيخ ورجاله ابتدأوا المطاردة.. قال الشيخ لأعونه: لنفترق في الأرجاء وكل يبحث في رجاء.. وإنفرد الشيخ بعشرة من أعونه.. ويدا بعد إجهاد لأعينهم محمد ورفيقاه في الأفق البعيد.. فساورهم الأمل في اللحاق به.. فاهمزا حصنهم فركضت كالشهب المارة.. والنفت محمد فرأهم فقال لأعونه: هاكم بلال احفظيه.. وقال لعده.. هيا يا شعلان لتنظني سيفينا.. وما هي إلا برهة حتى أطبق الشيخ برجاته على محمد وعده.. ودارت معركة طاحنة.. صالح فيها محمد وأسقط من رجال الشيخ ستة وعده أسقط ثلاثة.. وعندما رأى الشيخ ذلك استدار وولى الأبار وهو يصرخ.. سأليك بجيش حرار.. ففقيه محمد ضاحكا.. وعاد للمسير قائلاً لزوجته: لقد ابتنينا بهذا الشيخ الأحمق.. ولا أرى خلاصاً لنا إلا الرجوع إلى عشيرتنا.. فتفكيرت نسمة قليلاً وقالت: الإنسان يموت مرة واحدة.. هيا لنذهب.. فهمس محمد بأنن نسمة: لكل شيء نهاية.. فإن أراد الله موتنا فسنموت.. وإن لم يرد فسنحيا " قل لن يصيّبنا إلا ما كتب الله لنا" .. ولم يتبق على منازل العشيرة إلا ثلاثة أميال.. شاهدوا خربة على جانب الطريق.. فقال محمد: هيا ندخل هذه الخربة.. عسى الله يفرج الأمر.. فنزل ثلاثة ودخلوا إلى الخربة وشدوا رواحلهم في الداخل.. وعندما جلسوا النقط محمد من خرجه طعاماً

جعلوا يبلعونه بنهم وشراهة.. وأردف محمد يده في الخرج وتناول ربابة  
جعل يمرر يده عليها.

وفي الخارج نسللت أشباح تروم الخربة.. كانوا أخوة نسمة قد علموا  
بتدميهم من بعض الرعاة.. وكانوا يتأنطون سيفهم يرددون قتلهم.. وجندوا  
في أماكنهم عندما تناهى صوت محمد مع أنغام الربابة من الداخل يحكى  
قصة ظلمه من أبناء عمه وهربه مع محبوبته نسمة والتجائهم إلى الشيخ  
حردان.. وزواجهم هناك.. ثم بيان نية الشيخ الرديئة.. فهربهم ولحاق الشيخ  
لهم.. كان الصوت متهدجاً متقدلاً بالأسى.. وترفرقت الدموعات في مأقي  
أعين أولاد عمه.. وصاح كبارهم وهو يرتجف انفعالاً.. أنا معك يا محمد..  
وردد أخوه نداءه فكف محمد عن العزف.. وخيل إليه أنه يسمع أوهاماً..  
وارتعدت الفتاة وقالت: إنهم أخوتي يا محمد.. أخوتي.. وبرز على الباب  
أخوها وأعينهم كسيرة.. وسادت سكينة مؤثرة على المكان.. وطرق  
أساعهم وقع حوافر جياد.. فانتقض محمد واقفاً وقال.. لقد أتوا.. فضحك  
ابن عمه الكبير وقال: أهلاً بهم.. ستريهم سيفونا أنواع الترحيب.. وأنت يا  
نسمة اركبي داينك واذهبني إلى أمك ثم أخبرني القوم بما يجري.. واشتبك  
الفرسان.. فرسان الشيخ الذي يربو عددهم على الخمسين فارساً وفرسان  
العشيرة وهم أحد عشر فارساً.. وعلا الغبار.. وارتقت الصرخات..  
وانجلت عن نصف فرسان الشيخ على من هو بين ميت وجريح.. ومن تبقى  
منهم هرب.. وتفرد محمد جماعته فشاهد ثلاثة من أبناء عمه جرحى،  
فحملوهم.. وعادوا إلى القبيلة.. يتحدثون بمجامع قلوبهم عما جرى لهم في  
السنين الثلاث الماضية..

\* \* \*

## الطين\*

لوهم المحشو بالرجمة ينزلق في الجمجمة.. القدمان تدعوان صوب الضفة الطينية بوله.. كانت الفتاة ترفع ساقيها بسعادة بوهيمية وهي تمسك بالحبل الليفي المجدول بكف وتلتم شظايا بالكف المتحرر.. تلما على باب حديقتها.. مد رقبته الحمراء.. تركت نظرها ينحدر صوب الباب..

هتف.. من هناك.

دفع جنته متقدما.. كالاسير الجبان.. دفن وجهه في الأرض.. نزلت بغطسة تهز سوطا بيدها.. الهبت جسده.. لم ينبس بلفظة ولم تد لحنجرته آهة.. قذفت السوط..

صاحت.. الآن هيا.. رفع نظرة.. كانت فاتحة يديها مهيبة شفتيها.. انقض عليها.. سقطا في التراب.

انحدر زنور أسود كان واقفا على عشبة صفراء طويلة.. لدغ الرجل.. ارتفع في الجو وانغرز في الطين.

جاء ابو الفتاة يحمل طبقا لابنته المعززة.. كان ظهرها ملطخا بالطين.. والرجل يجرف الوحل من فوق فخذها.. فغر فاه.. أنزل الطبق بروية فوق قطعة حجر.

سأل ابنته.. ما هذا.

أجبت لا شأن لك.. املا فمك جمرا..

تحول الى الرجل مشمرا عن ذراعه.. ماذما تفعل هنا..

لا جواب.. رفع الرجل المقعى على الأرض.. سكينة علاقه.. تدحرج الرجل المقعى على الأرض.. انبطح ليقبل اثامن قدم الا بمتضرعا..

اصفح عنى.. ركله في رأسه بحذاه الخشبي.. ثم قطع اذنه واجتر قطعة من لحمه.. طرده..

اخراج ايهها البرغوث الا حول..

كان الدم يلطخ الرجل الراکض.. صوب نظرة الى المنزل المتكور نحو ابنته متسائلا

\* نشرت هذه القصة في جريدة انباء النور، 19/1/1965.

- وانت.. .

همست له.. احملني يا لي وضعني على الارجوحه..  
أجابها ساحلوك بين ذراعي الحريريتين واناملي النسيميه.. ها اني  
افعل....

وقف الرجل المدمى فوق الثالثة... صوب نظرة على المنزل المتكور  
في بطن الوادي.... كانت الفتاة تهتز في ارجوحتها.. وثمة كلب متقوس  
يزردد..

صعدت الفتاة نظرها الى رأس الثالثة. كان الرجل يمسك جراحه رacula  
عليها.. النفت اعينهما.. كان ابوها يدير ظهره اليها منشغلًا بمص عود  
قصب سكر.... تناولت رمحا منغزا في الأرض.. بقوتها ثقبت الظهر..  
انبق الرمح من الصدر.. تنفست.. هوى الاب..  
نزل الرجل من الثالثة راكضا.. خرجت الى باب المنزل.. تعانقا وسقطا  
على الأرض.. .

قال لها.. هيأ نضع المسافة في جيينا ونرحل عن هذه المدينة المعباء  
بالإنسانية البليدة ... وافقته انطلاقا بعد ان وضعوا عود ثقب ملتهب في البيت  
صوب الجهة المتالفة.. وحين انتهيوا الى الحدود.. الفتاة.  
كان المنزل زهرة نار مهجورة..

الى البحر.. قال الرجل وهو يشد غطاء الرحالة على جيئنه..  
أجابته - الى البحر. وجدا ربان باخرة سوداء. سلاه ان يقلهما الى بلاد  
الذات.. ابتسما لهم برفق.. شقت الباخرة دربها البحري..  
وذات امسية كانت الفتاة تستند برفقيها على الحاجز.. اقترب منها  
القططان ولم تفزع.. واتفقا على أمر ..  
جاء الرجل يحمل كاسا من الشراب لفتاته.. وضعاه في المنتصف..  
انحنى وقدفاه في البحر.. أخذ الرجل يصرخ مستجدا.. صعد البحارة  
يركضون.. .

قال القططان.. لا تأبهوا.. انه صوت الاسد البحري الاصلع.  
رفع الرجل الطائف في البحر رأسه.. ابصر القططان وفتاته متعانفين..  
ثم غرق..

\* \* \*

## \* نخلة الدم \*

- ابتلع رعبه.. فهقه بخوف.. لا.. لا.. صرخ به الرجل الآخر - سئلتهمه، حتى الحوافر. مسح مسدسه الضخم بقمصه.. مشيراً بقدمه نحو كومة منتفخة مصبوغة بتراب.. لا تمزح. بحق متضرع فرش جبهته مهدقاً بصمت غاضب وذليل.. كح الرجل القوي كلماته- أنا أمزح؟ هل سمعت يوماً بذلك.. تضرع الآخر - كلا.. اقتات من غضب طوح بهما الرجل الأقوى- ستحثّ لصوتي مديداً يا شعوبي. في الدليل الأسفل ارتعدت حروفه- كذابون. زرعوني في بوبويك. لم أمد لك يوماً إصبعاً سيئة.. بضحكه متصلة أجايه الرجل القوي في ذلك التيه.. الشمس تمدد الخراب الترابي.. لم يكن هناك غير الشخصين وسيارة صفراء.. عجوز وحمار منتفخ والممسوس.. دخلت في تقوب الرجل الأسفل أفاعٌ ثجيبة- أنت لا تريد الصدق.. تكلست على الكتب بيت تخشى من الحقيقة، بسوط نيرة، نيرة- صمتاً. الحقيقة هي - حقيقتي - التي عشتها.. عليها تسمرت مئات الأيام شنجت قبضة الرجل الأسفل.. بنفاذ ثاقب أعدم الرجل القوي عزيمة الآخر فهوت على التربة.. غسلت تكثيرته عنجهية الكلبة الخائبة السائلة.. ضحك ضحكات فأسية متلاطمة.

وفي فاصلة مباغنة جف وجهه.. ارتفعت جبهته- غايتي - كانت قتالك.. لم أعود أصابعي على صنعة في السجن.. دربتها على الفنك المؤكد.. انتشر الرجل الأسفل كلماته بمشقة من جوفه.. رماها إلى خلفية الرجل القوي- ستسجن حين تقتلني.. يفرغون جممتكاً.. امتلأت أطفار الرجل بدهن أسود

\* نشرت هذه القصة في جريدة صوت العرب، 1965/11/1. يلاحظ إن القاص يستخدم في هذه القصة لغة مكثفة جداً ذات مفردات صعبة نوعاً ما. وتشمل الانفعالات الحادة التركيز الأساسي في القصة بدلاً من الأعتماد على الحكمة وهذا نموذج للبدايات القصصية لخالد الرومي، حيث تختلف قصصه اللاحقة التي تتصرف بسلاسة اللغة وبساطتها. بالإضافة إلى ذلك، تمتاز هذه القصة بالعنف المفرط والذي يعكس رعب القاص من ممارسات السلطة في السجون وتشير بالوقت نفسه نحو قدرة الإنسان على التدمير والقتل. ويكثر موضوع التعذيب في السجون والمعاناة فيها ومشاهد الدماء في الكثير من القصص اللاحقة. (المحرر)

حين غرز يده في شعره.. تبرت أمري. رفع الرجل الأسفل حمالة بطنونه.. ما زالت عيناه ناعورية الدوران - أتعود بمحضك تجرك أكتنوية وضعية.. بيد سامة أوقفه.

لا تعترضني بزيفك، تببس رأسي على الثار منذ اللحظة التي التصقت بها يداي في قيد. ابتلع الرجل الأسفل لسانه.. أتم - الأول - أحد عشر عاماً.. ضحكتك تصل بين جنبي وفمك. اقبك كوة في الماضي واضطر إلى مقتل ذلك السكير. كنت ليها الخائن تلهث وراء الأصابع الممددة علي.. مد الرجل الأسفل كفه ليعرض هدر به - صه لا تتكلم.. لم يصطير.. صرخ، واهم أنت واهم.. تقائلت والمستحيل من أجلك.. إلا أنى خوبيت فال نقطك المحققون وعاثوا بك.. بصوت ميت أجايه الرجل القوي - عندما أقول سائتم أعني قولى ستأكل الجثة هذا هو الانتقام.. ضحك الآخر بيكماء متبيس، أنت مجنون.. أفرغ الرجل القوي جوايه الحدي - تقدم، ذاب نصف الرجل الأسفل عرقاً وتضاعل حتى انكمشت رقبته. كان محشوراً بين الأفاق المشمسة المعلقة.. المسدس ينبعض في جوفه الانهيار.

شم حفنة من أمل حين انحدرت من فمه حفنة كلمات بسلامة - سأقدم براهين تتفى عنك ظنونك. ردعه قد تكون طيباً وأنت بلا لسان.. آه ليتي أطرق رأسك على هذه الصخور لأنثر مخك الأسنان.. وبغم المسدس رمى إشارة إلى الجثة. رجع خطوات إلى الوراء قاذفا سكيناً - مزرق البطن. ضع رأسك فيها حتى يمتئ جوفك الخسيس. تكتفت في عيني الرجل الأسفل بقاباه - لن أفعل.. لن أفعل.. بصوت منهكم قدمه الرجل القوي - بل تفعل.. رفع المسدس بصورة أفقية تجاه الرجل الأسفل التقط السكين.. لاحنى ببطء ملقطا السكين البالية - تقدم.. هز الرجل الأسفل رأسه - هل تحصل القتل.. سالت من عينيه أشرطة غضب. أقام كوعه.. في السماء ضاعت رصاصة.. نظر الرجل الأسفل إلى السكين.. قلبها في يده.. انبطحت فوقها دمعة.. تعجله - لا تزرع قدمك في الأرض لحظة.. بفتور انكفا قرب الجثة.. زحفت الشمس حتى التصقت بحنجرة السماء.. ومن الأفق الجنوبي الغربي عبر طائر رمادي..

\* \* \*

النخلة النابضة\*

أغلق الأستاذ الباب خلفه... عبر الرؤوس المشربة.. أزاح كرسي المنضدة وأسند حقيقته بأنادى..  
وضعت رأسى على الحائط راصداً بروية سعد الذي أسند كوعه على الرحلة ومد رأسه بحياة هامساً لهالة:  
- هل تسمحين بدقير المحاضرات.

بصمت وباتزان ناولته الدفتر دون أن تبدل جلستها المتصلة. قلب سعد الأوراق بسرعة.. نظر إلى جانبيه ثم مد يده في جيب سترته وأخْتَلَسَ ورقة دسها في الدفتر .. وأعاده بهدوء.. وقبل أن تحطه قلب جد الدفتر واعدلَتْ بقوه.. ورقة متعددة وغريبة!!.. الفلتت إليه فوراً.. كان غارقاً في وجه الأستاذ.. وعادت تنظر إلى الورقة تسحب الكلمات بعينيها.. ثم تفافرت أصابعها الرقيقة على ظهر الورقة ترصها بعنف وتكرهها.. ثم وضعتها في راحة يدها وهدأت.. وحين قرع جرس الخروج.. تسللت يد هالة فوق سلة في الممر وسقطت الورقة المكوره فيها.. رصدت الممر حتى تفرغ.. انحنيت مختطفاً الورقة.. مغوصاً إياها في جيبي.. وفي زاوية من نادي الكلية نشرتها بين أوراق الكتاب.. هالة..

حين وقعت عيناي عليك لأول مرة هنفت.. ها هي خاتمة الإبخار تلوح على الشاطئ المأمول.. كنت أراقبك تمضين من وراء الزجاج تخرجين من الباب ولا تعرفين إن فارسا يذوب من الانتظار.. فارس تاه في ندى عينيك.. ثلاثة سنوات مصطوب في صحراء قلبني.. هالة.. عندما يصل اليأس إلى الهاوية.. لن يابه بشيء وها إنني أهتف.. ليس لديك قلب..

\* نشرت هذه القصة في جريدة صوت العرب، 19/1/1966. يعد موضوع القتل من أهل الثار أحد الأمور التي ينتقدها القاص على الدوام في قصصه، لأنها عادة قبلية قديمة لا تجلب سوى الدمار. في نفس الوقت، يشير القاص بشكل غير مباشر إلى أهمية تطبيق القانون في المجتمع والذي يجب أن يكون الحكم الفصل في المنازعات كافة.

رفعت عيني عن الورقة.. وكانت هالة تجلس مع صديقتها على مقربة  
مني.. كانت تحدثها بلهجتها.

- إنه لا يدري أن عمه قتل خالي.. إن صوت الدم يحول بين سمعي  
وهمسه.. صككت علبة القلب بعد كبريت.. وحين نهضت كانت تتنهش  
على المنضدة قطعة رمل حبياء..

\* \* \*

## \* الجسر

تنف من الغيوم البيض تبحر في السماء، على مدى الأفق.. وثمة يد مرتعشة، لاحت من فرجة باب موارب تقطع ورقة تقويم.. وصوت منطفيء، ينسى الليل الذي هو الليل الفايث ولا جديد.. شبك كفه تحت فخذه الإيسير ورفع ساقه.. مددها على التخت.. علق عكاذه على المسند - هذا الشلل الملعون.. يلصقه بالمنزل ليل نهار.. يلصقه بالخت وبالعكاذين.. ما عاد بمقدوره الخروج خشية سقوط الرثاءات التي تخسله من قمة رأسه إلى أخمص قدميه.. إنها الضريبة يدفعها لهذه المدينة المداهنة..

تتأثر رنين الجرس.. يبس وجهه، لعله زائر آخر.. ما بالهم يأتون واجميين.. يحكون وجيبي بنظراتهم اللثيمة المتخصصة.. يسألون عن الحادث.. وبعدئذ يلقون كلمات سريعة ومبلة ويخرجون..

لم تقترب أقدام من غرفته.. اذن فليس هو المقصدو.. بعد العكاذه عنه.. تحسس ساقه.. سأشفى.. لا بد ان يكون ذلك.. فمن الجنون ان ابقى على هذه الحال.. سأشفى.. حرك ساقه الإيسير لينزله.. لم يتململ.. رويدا.. تخر ووجهه، كانت هدى ملقاء في الطين وبقضبات ضخمة من دم أسود متغصن متجمدة حول رقبتها.. عيناها مصلوبتان فوق شعرها المدفون في الوحل.. مسح الصورة حين فتح نظره... الاحوال سامت كثيرا..

في يوم الخميس تملكه قوط متوحش.. كان عليه ان يجسم الامر بعد ان اخبرته هدى بأنهما وصلا الى حد الزواج.. والا فستقرب عنه نهاييا.. لم يجدها.. وبعد انتهاء المحاضرات في يوم السبت جرته الى خلوة.. سأله الى اين وصل.. انه يرقب لعبتها التي تمارسها بنات المدن المعمنة اللائي يعلنن فتياتها بتخويفهم من الرجال الآخرين.. لم يفزع.. إنها تتقن اللعب.. وكان جوابه الأخير:

\* نشرت هذه القصة في جريدة المنار ، 17/2/1966.

- لا تزحني.. فلن أستطيع هضم هذه الدعابات، ولستنا على عجلة من أمرنا. لنحيا إلى زمن قادم ثم ننسى.. انصرفت بوجه جديد وهي تقطف دمعها من عينيها.. وفي يوم الاثنين وجدتها في الممر يفتح وجهها طالب آخر بهمساته.. راقبها حتى انصفلا.. أسرع إليها.. اهاب بها:

- الا تعرفين هذا العربي؟؟

أجابته وهي تلجم القاعة - قال سيخطبني.. تجمد على الباب.. انحنت على كتبها ورفعتها وعادت.. هتف بها - انه يضحك عليك.. أنسىت سميرة وفخرية ونهى !! اشاحت بوجهها.

- انه لا يريد ان يعلّاني بالوعود فنحيانا معا أيام الدراسة ثم يهرب.. سيخطبني بعد أيام.

- وهل تصدقين؟. انترع كلماته الصلبة.. ومن القاعة الأخرى انفلت الرجل الجديد وابتسمة موارية.. تملأ وجهه.. تواري بعنف في ظل عمود.. وكان جسدان يهبطان السلم متوجهين إلى خلفية البناء الخارجية.. استدار منطلاقاً أثرهما.. هدى تسحب جسدها إلى الجوف والفتى يعالج الباب الآخر..

سيحسم الان... إنها تختلفت... انقض باتجاه السيارة... جر قضبة الباب.. انه مغلق من الداخل.. قرع زجاجة النافذة.. هدى.. هدى... صمت.. يد تجره من كتفه بعنف.. إنها لن تكون لغيري - هدى.. أنسلي.. قصاصات ثقيلة تراك جمجنته.. مطر من القصاصات.. لفه هدوء فتداعى إلى الأرض وعبارة الآخر تغور في جوفه.. إنها لي.. كان ممدداً في فراشه.. وبياض كثيف يصر في ذهنه ونقطة دم متجمدة على جبهته.

\* \* \*

## \* الصرير

دفع الرجل المعروق عربته في الشارع المعتم.. راميا بعنف

صوته:

- شلغ.. شلغ

فيجاوبه صوت اخر من وراء شوارع عديدة.. شلغ..

أوقف عربته الخشبية المفككة.. ورفع الغطاء عن القدر فانفجرت زوبعة من بخار مندى.. اعاد الغطاء.. لمل المواعين الصغيرة ورصها.. وجر قنينة الملح الى الزاوية.. انها تبرد.. تبرد كثيرا.. ولا بد انهم مقرضون الان خلف النواخذة المغلقة.. ينهكرون بمسح جلودهم بالدافء..الحالة ستسوء اذا وقع المطر، فمن ذا الذي يتجرأ على الخروج ليأكل الشلغ.

سيبات ويبهت طعمه وتتفحني نظرات الاستهجان في اليوم التالي.. انه شغل باش.. لكن هل اموت جوعا.. سبعة أشهر دست الطين حتى تشقق جلدي واشتغلت عاماً في البناء حتى تقبت من السباب.. وارتقت أخيراً على هذه العربية اجلب منها رزقي.. والله وحده يعلم متى سابقى خلفها - ما دامت المدينة لا تمنعه.. وما دامت لا تعرف مثنا.

- ابو الشلغ.. صاح صبي صغير يقف على باب بيت مضاء..

- تعال هنا.. كان البيت خلفه على عدة خطوات.. سحب العربية ورصها أمام الباب.. تقدم منه الصبي..

- بع لى بعشرة فلوس ... التقط القطعة المعدنية ودسها في جيده وراح يقطع الشلغ.. كانت عيناً ام الصبي الواقفة في الممر ترصدان بد البائع وهي تتذوق لأنها الماعون.. انحنى ودفع العربية.. جحظت عيناها.. اذا مر الوقت فلن أبيع بدرهمين والباقي سينكس على قلبي وأعود بساقيين يابسين وذراعين متوعبين ..

\* نشرت هذه القصة في مجلة جمعية الطيران العراقية ، آذار 1966.

العجز مرمية بوجهها الممتصوص على الحصير أمام الباب.. عيناه مفتوحان، وعلى سبع خطوات - الحرمة - مع الصغير الدامي العينين.. تسمعان الخطوات في الخارج. ماذا سيحل بهم اذا لم اعد لهم في يوم ما.. يا رب امنحني القوة..

از صفير الحراس الثاقب البعيد في الظلمة.. هبت دقات ريح واطنة.. صاح ليسحب الدفة الى قلبه المرتجف: شلغم.. شلغم ... وعبر فسحة خالية وابتعدت صفوف البيوت، امتدت أمامه خطوط من اشجار التوت.. أسرع في دفع عربته، لفمه صوت سريع ناهر.

- ابو الشلغم ... نبيس في مكانه.. لم يلتقي وحط عينه في آخر محجرها.. ولج رأسه ذات الصوت.

- لا تتعجل.. برز رجل أسمرا وجهه.. يلف رأسه بغترة بيضاء متخصة ويرتدى دشاشة داكنة اللون مهروسة شدها الى جسده بحزام جلدي عريض.. رفع الاعجف يده اليمنى مبرزا نصل الخنجر منها.. ثم بسط يده اليسرى وفتح أصابعها مشيرا اليه:

- هات ما عندك من فلوس.

رجع بائع الشلغم خطوة.

- خاف من الله - انا فقير ..

أجابه الاعجف

- وانا ايضا فقير...

أجابه بائع الشلغم

- اذن لم تسرقني؟

أجابه بيبرود :

- لا تزدد... هات...

رد البائع.. منذ خمس ساعات أصرخ ولم ابع بمائة فلس..

أجابه الاعجف - هاتها..

بصوت يائس راوده - وامي .. وزوجتي .. وابني الدامي العينين ..  
والشلغم سينام على قلبي .. من اين استدين لاشتري شلغمًا جديداً ..

قرب نصل الخنجر من وجهه

- اخرجها ..

لم يأبه بامرها .. انما هتف

- خاف الله ودعني امضي ..

لامس النصل وجهه - ستموت ..

تهاوت ارادته تحت العزيمة الدسموية ... مد يده بتخاذل الى جيده  
واخرج عدة قطع من ذوات العشرة فلوس، وضعها الاعجف في جيده  
وانصرف مستثيرا في الطريق وغاب في فرع جانبي .. تدللت يدا البائع  
ونظر الى عربته والنار تخبو في الموقف الموضوع تحت قدر الشلغام .. لم  
يتحرك .. ومرت من جانبه سيارة بيضاء طويلة تنفر منها اغنية مرفةه ..  
ظل ينظر اليها حتى غابت.

\* \* \*

## \*الوقف\*

كم أنت بائسة أيتها الوجوه المسمومة، التي تعب بصمت دروب المدينة.. في عيونك تحترق الأيام.. وعلى جبهتك ينداعي الحاضر.. وانت يا ذا العنق المنتفخ ارم ياسك على الآخرين فجسده المكود يلتهب إلى الفيء.. أين يمضون.. من أين جاءوا ولأين التقيت بهم- إنك لا تعرف.. كانوا يتدفقون من أرقة وحواري ذات ممرات عفنة معتمة وهمس ينعرف منهم- نريد حقوقنا المهدورة.. مئات الرجال.. آلاف.. خرجوا مع الصباح ليترعوا حقوقهم.. فشاهدوه وصحت ما دام هؤلاء البشر ضائعة حقوقهم فلابد أن تكون حقوقهم مهدورة.. انتظر هنديه قرب الجدار.. واسأل رأسك.. هنا ها.. أي سحابة مخزية كنت ستتفتح عليها ريحك المثلجة لتنطرها.. الناس ينصبون من الأرقة باستماتة.. وذاك الشروقى ما زال منحنيا يعلق شمعة تحت باب- أبي شيئاً- لا يابه.. جر الرجل الذي أكلت أخوات بغداد وجهه حتى انصرف الشروقى فسحق الشمعة ومضى منصرفا.. ارم عينيك الخاويتين.. فلا ينفعك أن توقد فيما الالتماع فقد التحمت خطوتك مع الدرب في لحظة لاهبة لم تدرما وراءها.. ولم تجشم قدميك عناء الاستدارة.. فلأنك سرت فلتتض.. فكثيراً ما يكاف الالقات خسارة الماضي وليذهب الحق إلى العدم.. الحق.. أي لبانة باهنة سقط طعمها يمضغها هؤلاء السايرون بانتساب وبيوسسة (إلى فتاة حسناء) حسناء.. وتذك من حداميك.. هل هما صالحان؟.

فالجسر طوبل لا يعبره الحفاة ولا الحمقى.. سيعودون إلى الأرقة.. يخبون وجوههم في الظلمة والغفونة وتأكل عيونهم القمل.. وأصواتهم المهرأة وريح سيرة تحملهم تطوحهم في برية النهاية.. وحفنة من مطر تمحو طبعات أقدامهم.. وسيهداً هذا النصف المتأرجح من المدينة.. ويمتد الليل الصافي على المنازل فتساوى جميعاً.. ولن تترافق في آذانهم إلا

---

\* نشرت هذه القصة في جريدة صوت العرب، 6/7/1966.

صيحة الرب المشقوق برمية سهم - لن تعود لكم المدينة - فماذا ستقدمون لها.. مادا.. ستتبعون الحراس وتغلقون الأبواب.. لفتوحا أبوابهم.. لقد تعبت المدينة.. شلها الترحال.. فاصمتو وخبتو خنجركم.. لعل الخير يسعى إلى بيوتنا المنكودة.. فقد ضجر منكم حتى الرب.. كان شروقي آخر يعلق شمعة لأبي شيئاً.. نظر إلى الباب المخضب بالحناء.. ثم رفع رأسه إلى أعلى البداية.. وكانت السحب تعبر مسرعة..

\* \* \*

## \*الانتظار\*

- 1944 رزق بالامس السيد لبيب ولد ذكر اسمه سرمد... خبر صغير نشر في صحيفتين يوميتين وعلى الصفحة الخامسة منهما.
- 1949 حدق معاون المدرسة الابتدائية الصبي الصغير ... ثم مد بصره الى الرجل الذي يقف الى جانبه واقتلع غطاء القلم فائلا:
- انه يبدو اصغر من السن القانونية... لكن لا يأس... سنسجله...
  - لم ينبس الرجل الواقع، بل فتح فمه وأغلقه ثم دفع اليه بصورتين شمسيتين ودفتر النفوس.. اطبق عليهما المعاون بأصابعه المليئة وطرحهما بين اوراق الدفتر الكبير. وحين أصبح الرجل خارج المدرسة هز الصبي قائلًا:
- ستجيء كل يوم الى هنا...  
وبمضمض انسحب الصغير في منتصف ظل الرجل.

## بعد تأمين قناة السويس

- المدرس يخط على اللوح الاسود كلمات علمية ... وتناثلت أصابعه.. كانت أصوات مجموعة تساق اليهم، نزلت عيناه الى الأرض وقال :
- كان هذا محظوما..
  - واستمرت الأصوات المجمعة تخطو اليهم مقتربة.. ومن الجهة الأخرى قدمت موجة ثانية..
- صمت الصف جميعه والمدرس تصلب في وقوته.. اندفع الباب الخارجي بشراسة ولم ينفتح.. كان مقوولا بسلسلة حديدية متينة.. وارتقت الأصوات الغاضبة المجنونة تقرع مرات المدرسة.
- افتحوا الأبواب ودعوه يأتون معنا.
  - نظر المدير البدين الى وجه معاونه برهبة صامتة منتظرا الجواب..

\* نشرت هذه القصة في جريدة صوت العرب ، 1966/7/13.

- بادره معاون اخر - هل نفتح لهم.. .  
 أجابه المعاون العجوز - سنتعرض للمسؤولية.. .  
 هنف مدرس رفيع - آية مسؤولية.. افتحوا الأبواب ودعوا الطلاب  
 يعملون.. .
- تنفس المدير بارتياح وأشار للفراش المتر乒乓.  
 - افتح الباب،  
 كان الطلاب يتسللون من الصفوف رغم مدرسيهم. وحين انفتح  
 الباب انطلقا لا يلرون.. وتناثرت الأصوات.. مفتقة بحق في الهواء..  
 وطاب للصبي ان يغوص بين الرجال الكبار ويهتف بصوت اعلى من  
 أصواتهم.. وان يقفز أمامهم مخرجا متذلا من جيده ملحا به في تصميم  
 وغضب.
- بعد تلك الحوادث في يوم غير معروف بال تمام.  
 صب الفتى حروفا من دمه في طريقه.. كان يهبط في درج  
 يضيق.. وابتدأ الصراع.
- 1960 بعد سنتين من السير المدمى... وقف الفتى يلقي بوعيه الى  
 المدينة ذات الرائحة العتيقة.. كانت مئات الأذرع تبت من الأرض تلوح له  
 ان يسير ومئات تدفعه.. استيقظ جبنه في قلبه، لكن لسانه استشاط غضبا  
 كالآفواه الأخرى.. وحين مضى يعدو.. سقط جاشه وتوقف ملتهبا بذرعة..
- 1964 في ليلة غير متوقعة كان يعمل ذهنه ليغطي مصروفات  
 جيده.. وفي لحظة امحت النقود. كانت عيناه هادتين شقان جدار غيبوبته..  
 اندفع فاتحا صدره بهمة ثم استرخى يحمل ويحيا. وكان يتزلق على خط  
 جليدي من الخيبة طوله سبع سنين.. يبتدىء ثم ينفت ولا شيء خلفه..
- 1966 الامور تسوء كثيرا رغم انعكاسات الامل الملتبعة.. فتح  
 وعيه باكمله.. فمنذ ان بدأ يمشي بثبات لم تترنخ في قلبه كلمات هادئة ولم  
 تمصح وجهه بسمة حقيقة.. وراح ينفصل عن المدينة وجرس يهزه.
- الصمت يأكل الخطوات والمفتر محظوظ.

\* \* \*

## الدم المرتعد\*

ارتحل كفي على جبيني يحصد ما عاشه عليه من عرق.. .  
السابلة يعبرون مسرعين.. .  
العجلات تحفر وجهها في الاسفلت اللدن.. .  
رجعت الى الوراء فظللتني غلالة ظل.. .  
- السيارة تأخرت -  
تنفست بضيق وبهدوء مرير رصدت جسد الطريق الأسود وزحفت  
كاف مقعرة مضخومة الأصابع متصلبة أمامي.. .  
- الله فلس واحد.. .  
وارتدت منكمشا من الأصابع المدببة.. لم أبصر وجهه، وعبرت  
بنظري الى الجانب الآخر وقلت:  
- ليس لدى نقود.. .  
- فلس واحد.. .  
عادت نبرته بالحاف.. يا له من سائل.. صرمت محجري مطلقا  
رصاص نظري.. .  
الوجه هذا ليس بغربيب... آه.. هتفت.  
- انت.. .  
أجلاني:  
اجل. تلمست عينيه.. ملامحه هو هو بلا ريب.. قلت:  
- لم تمت وقد غاصت السكين الى عنقها في بطنه.  
او ما برأسه ايجابا.. نظرت اليه ونظر الي.. دسست يدي في جنبي لا  
عطيه، وابتعد مسرعا وتقب عريض في اسفل دشاشته يتماوج مع خطاه.. .

---

\* نشرت هذه القصة في جريدة صوت العرب، 29/8/1966.

امتلات حنجرتي بالنداء وكدت اقذف صيحة لكن السيارة قبعت أمامي  
وكان سلمها ممها ورماح الشمس الساخنة تتغزز في أعلى رأسي.. فقررت  
واندنسست في أحد المقاعد الأخيرة، وأخذت أصبعي ترحف على ملابسي ثم  
ترتفع تتنفس ذقني الكثة.. وغرزت اظافري بين شعرى حارثا الجدة  
الرطبة..

كانت صفوف المخازن ترکض الى الوراء.المدينة.الفتيات الحسنوات..  
الناس ذوو الخطى الواسعة المتحررة.. وحولت عيني الى مؤخرة محجرها  
فأ يصلت حاربي برقن، بطرف عينه.. كورت جسدي في طرف المقعد..

بعد قليل ساكون في بيت اختي في مدينة الثورة.. اغضل كل اغفال الأيام المسجونة وامزق بعنف بطاقة القيد لامشي في الطرق كالآخرين.. ومن زجاج السيارة ابصرت وجه المسؤول فوق الحيطان وعلى مقدمات الأزقة..

قبل تسع سنين طعنت هذا المسؤول عندما كان فلاحا في مزرعة الشيخ حمد، عندما قفز واقفا أمام السركل الذي كان يراود زوجي.. اقسمت في ذلك الحين على قتله.. وعندما واجهته يحاول الدخول الى كوخى بعد ذهابي للعمل.. لم يحاول التكوص ففقررت عليه بخنجرى، الا ان ذلك التعيس نتفى الطعنتو استطاع السركل السيطرة على بمسدسه وسلمفى للسجن.

انغرس وجه السائل في جبهة الرجل الرائق في بيت اخته.. رفع الرجل رأسه الى فوق.. وكان عنكبوت صغير يركض في زاوية الغرفة العليا، مر بذيله ميته في شراكه ثم اختفى.

\* \* \*

## الطريق\*

انحدر الراعي باغنامه مسرعاً من جوف البرية، وقد خبأ ناييه وخرجه تحت حزامه.. كان المطر ينهر بشدة وادرك ان لا مكان له في تلك الأرض المنسقة للجرداء، وكان القطبيع يندفع في خط مستقيم والماء يشق صوفه متكسراً الى الأرض.

رجع الراعي خلف القطبيع وصرخ بصوت قوي صرخات متالية حاث على الاسراع، فالقرية ما زالت على مبعدة خمسة اميال.. واندفعت الاعدام في صفوف متراصه مسرعة، ولحظ الراعي تخلف حمل صغير فانحنى ورفعه بين ذراعيه ومضى به.. والنفت الى اليمين ثم توقف وصاح بخراfeه يامرها بالسكون وأشار اليها ان تتبعه. كانت تلة صغيرة على مسافة مائتي متر تتبعس من بطئها مغاره.

وقال- انها تتسع لها جميعاً رغم ما يشاع عنها انها مأوى للصوص. وتحسس خنجره، وتسللت الخراف في عتمة المغارة الطويلة. وحين دخل داس بقدمه على سعفة نخل يابسة فانقطتها وحطمتها ست قطع. ورقدت الخراف جميعاً على الأرض محركة ظهورها تنفس عنها الماء وامتنلت ذرات الهواء برائحة الصوف البيل. وقذح الراعي عود ثقب واشعل السعفة. وأمام عينيه على حائط المغارة التصقت فتاة نحيفة طويلة القامة ترتدى ثوباً أخضر ملطاً بقطع طينية صغيرة ... ووجهها شاحب مرتعداً. رفع يده ليكلمها ثم خفضها وتلاشى صوته في حنجرته. كانت عيناها تهوي في اعماقه.

وعاد بعد هنيهات قائلًا - لا تخافي - ثم هتف - ما الذي اتي بك الى هنا.

ومن بين شعرها المنسدل على وجهها الخجول تسللت كلماتها - لم احتمل البقاء في المدينة، كانت أصابع ابى تتسلل الى ذرات جسدي تعثث بها، ترید ان تدق المسامير، ولم اقو على السكوت حين

\* نشرت هذه القصة في جريدة الفجر الجديد ، 5 ايلول 1966.

أحسست بذلة المسamar ، فخفت بعباءة واستطعت ان اتسلل الى خارج المنزل في ليلة خرج فيها الى المقهى وخلا البيت الارمل الا مني، وركضت في الازقة وتخطيت القرية خارجة منها. كانت البرية سوداء، ولم ادر اين اذهب وبقيت اعدو وأبصرت هذا النيل ولم ار هب الموت فهو اعذب لي من تلك الأصوات الشرهه ...

نهض الراعي والتقط خروفا صغيرا ومضى به الى الخارج وحين عاد كان يمسح عن يديه الدم.

قال لها - عندما يتوقف المطر سارجع بك الى القرية الموجودة في هذه الجهة - وأشار الى الجهة المعاكسة لقريتها - حيث يوجد اخواي ، ستررين أيتها الفتاة.

وارتعشت الدموع في عينيها عرفانا. وحين خرجا كانت الخراف قد توقفت عن نفخن الماء عن ظهورها.

\* \* \*

## \* الانحسار\*

القصابون يمسحون دم البارحة عن ساكنيهم.. والمزارعون يكمون  
محصولاتهم فوق السدة الترابية بانتظار العربات لتحملها الى السادة في  
المدينة.

أيتها السموم هلمي مع الريح وامسحي الوجوه المتصنعة.. ادفعي أبواب  
بيوت هذه المدينة واصلي الابدان المتفقنة.. انتبه.. انتبه.. السيارة ذات  
الضوء الموضوع على مقدمة السقف تلوح من بعيد

- قف يا سائق الأجرة.. دعني اضع جسدي المتعب فوق المقعد ثم  
انطلق بي.

البارحة كانت الشرطة تطارد السمسارة في ساحة التحرير بعد الساعة  
السابعة مساء، واختبأ احدهم تحت جدار مظلم.. كنت مسرعاً وصوت  
الشرطي يتناهى صارخاً بوحد منهم يهرب.

- وبين تروح؟ وتلكللت أمام السمسير وقلت له مستخفاً:  
- أللادي؟.. زمرت عيناه في الظلمة، ثم ارتحى رعباً عندما  
استدرت إلى جهة الشرطي الذي كان واقفاً تحت الضوء... وقال بتضرع  
يائساً

- ليش ؟؟

كانت تتطلق في رأسي سبقان شيبة تقفر خفيفة.. خفيفة، ثم تلتهب  
وتشتد وامواج من الرغبات تحلم وتتمزق.. والتفت وتسلطت أمامي فتاة  
صغريرة ترتدي ثوباً نارياً تتفنّف أمام ظلين منكسرتين مع فتى انيق.

قلت لعبد اللطيف صديقي - ليست هذه مني؟  
حقّ بها وقال - لا أدرّي يبدو أنها متبدلة كثيراً.  
قلت له.. إنها مشدودة إلى هذين الرجلين من هما؟  
- أحدهما صاحب الجريدة التي تشتعل فيها والأخر لا أعرفه.  
- لدى رغبة لأنّ اتعرّف عليها.

\* نشرت هذه القصة في جريدة الفجر الجديد، 17/10/1966.

حق وجهه - لا تذكر بهذا الامر .. ابتعد عنها..

- لماذا؟

- هكذا اقول لك، فلا تسأل.

ولم افتع.. وحين جاءت السيدة البدينة تحمل اقداح الشراب تناولت واحداً، واذا بالشاب المراهق للفتاة والذي اعرفه منذ زمن قديم ينحدر علينا.. شد على يدي وهو يرفع كأس الفودكا، وانسلت مني خلفه.

قالت لي ونحن نتصافح:

- متى تصدر مجلتك؟

- عندما تمنحنا الوزارة الآذن.

ونظرت في أغوار عينيها، كانت عيناها تتراءجعان وأحسست ان فيها شيئاً اعرفه.. الجسر المحدود بيلوح غامضاً عندما تنطفئ الانوار.. انتظرت سيارة لا عبره ولم تمر، وحملت الحقيقة التي جئت بها من المزرعة، وعندما وصلت الى المنتصف انكلت على الحاجز وأبصرت من بعد الأصوات تنطفئ على شاطيء دجلة.. وعندما وصلت نهاية الجسر حدق تحته، رأيت رجلين منحنين يطبعان ظلاً واحداً.

البستان حيوان صغير اذا لم تعتن به فإنه يموت.. هكذا كان جارنا يقول لنا. وكنت أعرف ذلك حق المعرفة، فاضل فيه عندما تقبل العطلة وتتوقف الدراسة، اراقب الفلاحين وهم يعملون واستثنوهم أحياناً عندما يقعدون في الظل يلفون السياكير ويشربون، لكنني عندما جاتت الدراسة تركتهم، وعندما وصلت الى المدينة شاهدت القصابين يمسحون دم الأمس عن ساكينهم.. ولم تستقر خطواتي. كانت تستعد لتعبر مطافاً غامضاً..

\* \* \*

## صرير في الباب المغلق\*

شهقت على صدري وانا انفحص عينيها الباردتين .. وتمتنع هي:  
لن ادعك تقرن داخلي ، الفارس في هز الاشواطه يريد الاقتناص ..  
همست في عينيها: لا يهم الشرة من يأكلها .. الشرة مر غوب فيها منذ  
زمن طويل.

وانا الهث .. مددت يدي، او قفتني وقالت بهرب يسير:  
لا .. اني اقشعر من الخجل ..

كان الفراش يرتجف ... اسررت حبة عرق من جبهتي وتزحلقت الى  
جانب عيني.

الباب مقوول من الداخل بالرتاب .. وعلى جانب الغرفة امتد سرير  
حديدي اسود فوقه علقت اية - لعن شكرتم لأزيدنكم - وفي زاوية الغرفة  
ممر ينفتح على غرفة صغيرة فيها مرحاض، ويكتلى من السقف دش حمام،  
وعلى مسافة متراً باب يوصل الى غرفة تطل على الرقاد المقابل لمصنع  
تعبيئة الاوكسجين ..

هي ترقد على الفراش بمنامتها الزرقاء الشفافة فوق فراش على  
الارض ... وانا منحن فوق السرير ، اختلس اليها النظر .. ونظرت في كسرة  
المراة المعلقة أمام الممر ، وأبصرت عيني (مجهد) تومنان لي واصبعه يمتد  
إليها مشيرا .. تقدمت اليه وفتحت الباب المؤدي الى الشرفة فخرج وأغلقت  
الضوء ونسينا.

اننا ننسى أيامنا الثجية بسمة دافئة تمسنا .. هذه هي الغلطة .. لم يعد  
بوسعي ابصار شيئاً متعاكسيين ينتهيان الى نقطة منتهية .. كل انطلاقه  
تنتهي الى مطاف غريب - لكن لماذا ننكر التوافق في المسير .. بوادي ان  
اسمع الصوت الغافي الذي ينساب في عروقي مجدداً، اسمعه يهز ذراتي  
منذراً: ليست الهزيمة ان نمضي منفردين، النصر تاج المنتهيين، هذه هي  
الأية التي يجب ان تسجد لها عقولنا، لماذا نرحب في النصر وليس هناك

\* نشرت هذه القصة في جريدة المنار، 1966/11/1.

معركة، ان قلوبنا لا تمثله بالحب رغمـا.. هذه الأصوات عليها ان تقرض،  
فما دمت رجلا عصريا فينفعي ان تكون الى جانبي فتاة.. نجلس منفردين  
اهمس لها عن الحب وانصت الى قلبها.  
انصفق الباب الخارجي منغلقا وكان الهدوء شاقا عندما افلحت في فتحه  
والتنسل الى الزقاق.  
تقابـلـا..

قالـتـ كلـ منـ يـحـقـ بـيـ ضـراـ سـيـضـرـ مـهـماـ طـالـ الزـمـنـ..  
مـزـحـتـ مـعـهـاـ بـكـلـمـاتـ جـديـةـ: لاـ تـقـولـيـ مـثـلـ هـذـاـ الـكـلامـ الفـاسـيـ،ـ اـخـشـيـ  
انـ يـصـبـيـنـيـ.

وـانـشـغـلـتـ هـيـ بـقـيـاسـ الـعـبـاءـ.

فـتـحـتـ الصـوـءـ الـآـخـرـ وـصـحـتـ مـنـ وـرـاءـ الـجـدـارـ.

تمددـتـ هـيـ عـلـىـ الـفـراـشـ الـأـرـضـيـ وـجـلـسـنـاـ عـلـىـ السـرـيرـ.

قالـ لـيـ: اذاـ نـزـلـتـ فـحـيـءـ بـقـلـيلـ مـنـ الـلـجـ.ـ وـأـشـارـ الـىـ زـجاجـتـيـ ثـيـثـ..  
أـوـمـاتـ بـرـأـيـ وـكـنـتـ اـعـدـ رـيـاطـ حـدـائـيـ - لاـ تـنسـ.ـ قـالـ مـؤـكـداـ.

نـظـرـتـ الـىـ السـاعـةـ،ـ اـنـهـ الـعـاـشـرـ وـالـنـصـفـ.

قلـتـ: لاـ زـالـ هـنـاكـ وـسـعـةـ مـنـ الـوقـتـ.ـ سـأـبـقـيـ سـاعـةـ أـخـرىـ وـاـنـصـرـ،ـ  
وـعـدـهـاـ لـاـ تـتـعـجـلـ اـشـرـبـاـ بـيـطـهـ..ـ فـالـصـحـوـ مـمـدـتـ الـىـ الصـبـاحـ.  
انـزـلـقـ مـفـتـاحـ مـنـ الـخـارـجـ فـيـ ثـقـبـ الـبـابـ.

قالـ (ـمـجـهـدـ):ـ اـنـهـ لـطـيفـ،ـ وـأـشـارـ الـىـ حـقـيـتـهـ الـمـفـتوـحـةـ عـدـاـ فـوـقـ  
الـمـضـدـةـ..ـ

قالـ لـهـاـ:ـ هـلـ نـفـتـحـ لـهـ،ـ اـنـهـ مـعـلـقـ بـالـرـتـاجـ.

لمـ تـجـبـ،ـ نـهـضـتـ وـفـتـحـتـ.ـ كـانـ اـثـنـيـنـ.ـ تـرـاجـعـتـ هـيـ وـجـلـسـتـ فـوـقـ  
الـحـقـيـقـةـ الـجـلـدـيـةـ الـطـوـلـيـةـ،ـ وـانـطـرـحـتـ اـنـاـ عـلـىـ الـفـراـشـ الـأـرـضـيـ،ـ بـيـنـماـ جـلـسـ  
الـثـلـاثـةـ عـلـىـ السـرـيرـ.ـ (ـمـجـهـدـ)ـ يـنـحـسـرـ وـيـرـاجـعـ..ـ وـكـانـتـ هـيـ مـنـحـنـيـةـ وـرـأـسـهاـ  
إـلـىـ الـأـرـضـ..ـ وـنـحـنـ نـحـدـقـ فـيـ بـعـضـنـاـ صـامـتـينـ.

لمـ اـحـتـمـلـ هـذـاـ الـبـؤـسـ.ـ وـفـقـتـ مـعـنـاـ اـنـصـرـافـيـ.ـ كـانـ الـأـرـبـعـةـ يـسـلـكـونـ خـطاـ  
مـمـدـاـ..ـ وـالـفـراـشـ الـأـرـضـيـ خـالـ.ـ وـالـعـمـارـةـ لـاـ تـنـتـفـسـ.

## رجمة في ظل السكين\*

انقطع المطر.. لكن ظلت تنهل من بطن السماء الكبيرة غيوم سوداء  
مضطربة، تزحف نحو الشرق ببطء.  
وقرب باب مسجد تسمى شخص ناتي العظام، انحنى ظهره قليلا  
لللامام وتشابك كفاه واختبأ في بطنه.  
الريح الباردة سريعة في الرب.. والسيارات المقلقة النواخذ تمر بسرعة  
تتاثر من عجلاتها رشاشات من ماء طيني.. لفت الرجل عنقه من فوق سور  
المسجد المظلم وقرع الباب الخارجي.. الريح تجرف رنات طرقاته.. اهتز  
جسمه وازداد التصاقاً بالحائط.

لقد طرده صاحب الخان الذي يسكن فيه بعد أن استولى على تخته  
الخشبية وأصياغ الأحذية التي تعود إليه قال له(ما دمت لا تملك أجرة منام  
الشهر الفائت فهذه الأصياغ والمقدار رهن عندي حتى تجيبني بالدينارين التي  
اطلبها) وخرج من الخان لا يملك إلا ذراعيه.  
من لوري يدوبي مملوء بشرطة مقرنصين وعندما ابتعد مرقت في  
الجهة الأخرى من الشارع سيارة صغيرة.  
- ما بال بيت الله مغلقا!

حك كفيه بسرعة ثم نفع فيما نفخات متصلة وطويلة. عندما جرده  
صاحب الخان العجوز، الحاد العينين من أنواره.. لم يستمع إلى نصرياته..  
كان يريد إمهاله يومين يسد بعدها دينه.. لكن العجوز اعتبرها كمماطلات  
الآخرين التي لم يعد يصدقها ولم ينصلت إليه.. البرد يدخل فاتحاً ذرات  
جسمه متوجلاً إلى العظام.. أراد أن يجد له مكاناً آخر.. حك أذنيه وأربنته  
أنفه ونس بيده في جيبي سترته المتكلكة.  
ترى لماذا لم يتمهل في إرسال النقود إلى أمها.. لو تمهل يومين لكن قد  
سد أجرة الخان ثم أرسل لها ما تبقى..

\* نشرت هذه القصة في جريدة النصر، 22/5/1967، العدد 40.

كان متوجلاً ومضطرباً.. وبعد أن غمر الفيضان قريرتهم التجات أمه وأختاه إلى القرية المجاورة.. وهناك كان كثيرون مثلهم.. جاءوا من قرى متعددة اكتسحها الفيضان.. الطعام قليل ونادر.. وثنثه مرتفع للغاية.. وسمعوا من جار لهم هناك أنهما اضطروا إلى مد أيديهم للأخرين.. فار الدم في رأسه وأرسل كل ما تجمع عنده من نقود.. البرد يتضخم ويتوالد أضعافاً..

حين عاد في المساء إلى الخان سل من جانب الحائط مبتعداً عن غرفة العجوز المضاءة بفانوس قوي والمفتوحة الباب دائمًا.. وفتح باب غرفته الخشبي الغليظ وابصر في الظلمة الخفيفة الرجال الثلاثة نائمين فتسلى إلى فراشه بسكن وارتدى الباب مطقطقاً ثم صمت.. كان يحس بفرح كبير لأن صاحب الخان لم يشاهده، اندفع الباب بعد دقائق بعنف وظهر صاحب الخان العجوز الحاد العينين وببيده فانوسه القوي.. أغمض الصباغ عينيه فوراً.. لكن العجوز لم تفته انطلاقة الجفتين الخاطفة.. قال له:

- ها كاكا حسن.. وين الإيجار؟

لم يجبه حسن بل سحب نفساً طويلاً.. تقدم إليه صاحب الخان وركله بقدمه

- ميفيدك النوم.. جيب الإيجار..

- فتح حسن عينيه باندهاش زائف وتملى بالعجز باستفهام، احتد العجوز

- الإيجار.. وينه؟

اعتل حسن في جلسته وهو يلم أصابع كفه يده اليمنى

- بس انتي مهلة يومين وآتي أعطيك الإيجار

أجابه العجوز:

- يومين.. لا.. هسه جبيها

قال حسن:

- هسه ما عندي

قال العجوز:

### - كوم افتراك

نهض حسن فوق فراشه المفتق وفتح الرجال النائمون عيونهم.. مد العجوز يده في جيوب حسن ولم يعثر إلا على تسعين فلساً وضعها في جيوبه ثم القتلت الخشبي والأصباح وقال له:

- هاي عندي رهن.. اطلع جيب الإيجار وتعال أخذه.. أراد وبيلس أن يستوقفه.. من أين سيجيء بدينارين في هذا الليل.. رفاقه في الغرفة مفلسون دوماً.. وخرج يجر خطاه من غماً..

اصطكك أسنانه.. لقد توقفت الحركة في الشارع تماماً.. رفع عينيه المرتفعتين مرة أخرى من فوق الحائط.. ثم أمسك الحافة واستطاع أن ينقلب إلى القناة الخارجي للمسجد.. واقترب من الباب الداخلي وقرعه بعنف.. لا جواب..

رعود تتغير في السماء وبروق تلمع في ثنيات المطر الذي أخذ ينحدر إلى الأرض..

تكور حسن قرب الباب وانكفا على جانبه وركبته تتصقان بصدره، ورجفة حادة تهتز في جسده.

تكلاثت الرعد والمطر أخذ يشتت.. وعندما سقط المؤذن في الفجر.. وجد جسداً متصلباً قرب الباب.. قلبه بيده وهو يتلو آية قرانية.. ظل الجسد متكوراً.. وعيناه متوقفتان ومذعورتان جداً.

\* \* \*

## الأجراس\*

-1-

إنك تزرع شارتك دوماً في القمة إليها الموت.. وتختار الأقصى حينما تحسر من منعطفات خبيثة.. تتوقف ثم ترك أثرك وتنغيب..

-2-

امتد وجهه السمين يحدق بعينين خالتين.. وأرتاح عرق بارز في رقبته حينما قال:

- لا تنفس أبداً.. عندما ينقطع المطر تتيس الجذور.. شاحنة اللحم تقترب مني أكثر وهمست هي أخيراً.. فاكتُر، وتنفس لهفة الكلمات في عظامي.. واستأنفت الشاحنة.

- وستخترق العروق الظماءة.. إذن.. فليبق المطر معلقاً فوق جسد الأرض.. ولأيق منتظراً الصباح من وراء الباب المغلق..

-3-

كانت مؤجرتي تدفع الفحم في المنقلة وأنا مقرفص على حصيرة ملونة أغمس عيني في باب المنزل المسود.

- كان أصحاب المنزل قد تکرموا بالسماح لي بالجلوس معهم على دفة النار قبل يومين.. وأل بصرت قدم مؤجرتي التي تکاد تصيب الأربعين عاماً.. ببضوء يرمي عليها اللهب لمعانا مشهياً.. كان زوجها يجلس في طرف الغرفة مسترخيا واصفعاً قدميه تحت بطانية عتيقة ويسحب أنفاس نركيلة..

رفعت رجلي قليلاً.. من جانبي ألقى على نظرات سريعة وخطافة.. وغامضة.. كان الصمت يزيدني جفوة ويهرب الطمأنينة من رأسي.. طويت زوجها بنظرة فارغة..

\* نشرت هذه القصة في مجلة البريد الأدبي، 1968/1/28، العدد 14.

- لا نعرف أين تشتعل.. فانت لا توضح شيئاً يذكر.. لم اهتم كثيراً بسوالها - فقد دفعت لها الإيجار مقدماً - لكن أجيبتها ببطء:  
- آه.. وألقت بترابخ - السيكابر.  
سوت ثوبها وأنزلته إلى حافة كعبها ثم أدخلت كعبها في فتحة ثوبها وحكت كعبها وهي تتحقق عري.. غرباء متغافون..  
هكذا وجدت جسدي يضغط هذه الحقيقة إلى الأرض..  
وعندما قمت إلى غرفتي تبعتي أربع عيون جافة.. حقا عندما ينقطع المطر تثيس الجذور.

-4-

تلحقت ساعات ضئيلة ولم أسو مسألة ديون الآخرين على.. جمجمتي مكدودة.. منذ أشهر فصلت من عملي بدون سب ولم يعطوني مكافأة على خدماتي السابقة ولا أي مبلغ آخر.. كانوا يتهربون مني خشية، فتجه إليهم الشوك.. وكانتوا ينشغلون بأعمال لم أبصر واحداً منهم يؤديها طيلة سنين ولاربعة أشهر - مدة اشتغالى معهم -.

- نظرت إلى النافذة.. لا زالت كتلة الظلام تتسطع.. وسمعت كرة الباب تتحرك.. أدرت عيني وشاهدت مؤجرتي تدخل وتغلق بدهوء..  
جررت جسدي من الفراش وجلست.. قالت: تركته ينام وجئتك..  
أفسحت لها مكاناً فالتصفت بجانبي..

-5-

انحدر من خلف الباب سعال متصل.. قالت: إنه هو.. لم يكن نائماً إذن!!!.. لم أدر ماذا أعمل فقد تغلغل يأس حاد في مخي.. المطر ينقطع.. ستخترق البراعم حتى.. هبت مؤجرتي وأسندت الباب بكتفها.. دفع زوجها كلماته:

أين تفردين.. لقد رأيتكم تدخلين هنا.. سيرى عشيقك أية نهاية سيلقاها..  
أشارت بيدها أن أساعدها.. قمت إليها ووضعت كفي على الباب.. كنا ندفع.. وأنا أضحك من سخافة موقفي.. وكان هو يضغط من الجهة الأخرى.. ومن أفقية بيوت بعيدة.. ارتفعت أصوات الديكة بينما الفجر ينزل.

## صغير الرحلة\*

لقد كبرت الرحلة يا عباس.. كبرت.. وصار الجار لا يعرف جاره.. والرضيع ينكر أمه إذا فطمته.. و(تتكأ) هذه المرامة في الزاوية الموحنة لا يقترب منها الناس.. إنهم يذهبون إلى المخازن المضادة حيث يضعون لهم الطويات في علب.. قم إلى الطرق الواسعة وبع هنالك.. انهض فظامك تهراًت في هذه الأرقة الرطبة..

- لا..لا.. لن أحنى لازداء أولئك الناس الجدد الذين يرميرون بأعين نصف مغمضة..

- سلتحق بالحدار صباح مساء، وتحر قدميك اليابسين إلى كوكب الطيني خارج المدينة كل يوم.. وتلعن أحداد-كثيرة- أمراءك.. ألم تمل من الخيز والكراث والقمل؟.. لقد أكلتك نفمتك يا عباس يوم وقف تتشاجر مع أخيك الكبير وأبناء خوؤلنك على تزويج اختك من ابن عمك السارق.. أكلتك نفمتك وأنت تتبرأ منهم وتلعنهم ثم تهرب.. وهما هي رياح المدينة تطيرك ورفة ذابلة من أزقتها المهجورة.. يا عباس بعد تسع سنين تبصر الزقاق الضيق المعتم وقاعه منقوع بالطين، ورائحة زنكة تكتب رأسك..

- أين كنت يا عباس وأين صرت.. طردت نفسك من ضفة الفرات.. من الناس الطيبين الذين يقضون أوقاتهم في دواوين أ��واخهم يشربون الشاي وينحدرون عن الزرع والحج والزواج.. وحيث كل واحد ينادي الآخر باسمه. إبك الآن مدين بنصف دينار لجارك.. وامراءك عاشر محبوسة ليل نهار في الظلام..

لقد بدت فتوتك في الأرقة.. ورفضت المصانع الصارم.. بل رفضت هو، فالقرويون لا مكان لهم مهم داخل المصانع الكبيرة.. ورغم فراق أبيت أن تكون خادما.. وحملت كبرباءك مالاً بها صدرك النحيل.. ماذا حصلت بعد تسع سنين..

\* نشرت هذه القصة في مجلة الشباب، كانون الأول 1968، العدد 6.

- أين فلوس هذا الطفل - ألا تستحي - تضحك عليه وتسرقها منه؟  
رشاش من صوت خشن تجر من فم امرأة بدينة مخبأة في ملابس سود  
ووجهها حفرته أخوات بغداد ..

أرتاح عباس - ماذا يقول هذا البرميل من اللحم؟ سألها بهوادة:  
- تقصصين أنا؟

مدت يديها ضربت بظهر يدها اليمنى على باطن يدها اليسرى ضربات  
متتالية وسريعة .. وبصوت سافر قالت له:

- لا .. غيرك .. ثم احتقن وجهها المائل

- لو كنت رجلاً شريفاً - ما سرقت فلوسه .. أنت تتسرب إلى جوف  
الارض يا عباس وتغوص .. دماوك تتصب .. ووجهك يتبيس .. وذل السنين  
السبعين يطمرك ويصيرك جثة منبودة .. تشرب هذه الأفاسى وأرشف سمها  
باستكانة .. محا عباس صوته المرتعش في جوفه .. ثار:

- اذهبى من أمام وجهى وإلا هشمتك رأسك ..

- شحب برميل اللحم .. ساق الدرب أناساً كثيرين ، صغراً وكباراً و -  
حاصروهما في الزاوية .. صرخ برميل اللحم ..

- تجسر علي وأنت أوسع من الزبل !

لحظات جافة يا عباس لن تخلص منها بيسر وفيها مصيرك يتذبذب ..

- لم أجسر عليك .. أستغفر الله .. أنت سببتي واتهمنتي بالسرقة .. كانت  
عيون الواقفين مشدودة إليهما بضيق .. والتمنت عيونهم جميعاً على فم المرأة  
حين انفتح ..

- لن أكف عنك .. ولن تبقى في هذا الرب ..

تحولت العيون إلى الرجل .. ها هي لحظة الانفجار تفتح بابها فجأة  
لتغلقه وإلا سترمي منه كالنفاية .. لا تخاذل يا عباس ولا تنتبه إلى هؤلاء  
الناس الذين يقفون وراءه ..

- اسمعي، إنك لن تخيفني بصر أخاك .. اذهبى فأنت البادئة بالاعتداء ..  
شق الوقوف شرطي متكلماً بخشونة:  
- ماذا يحدث؟

بادرته المرأة:

- سبني وأراد أن يضربني..

صمت الواقعون.. والتقط الشرطي زند عباس وضغط عليه:

- هل من الرجال شتم النساء!!

وقال عباس محاولاً الانتصار:

- لم أقل لها حرفًا واحدًا.. أسأل الحاضرين.

تفرس الشرطي بوجوههم فلم يجيبوا.. غلظ صوت الشرطي:

- لا تزيد المشاكل.. اذهب من هذا المحل ولا تعود إليه.. التقط عباس التتكة وخطا بموازاة الحائط.. أنت تقوم أخيراً ومخالب العيون تمزق ظهرك.. ارفع التتكة إلى أعلى قليلاً.. واحمل الرزء يا عباس فالمدينة لا ترحم الضعفاء ولا تحاملهم.. اعبر هذا الضجيج وتخطي شريط الحديد إلى (كثيرة)..

حول عباس التتكة من حضن يده اليمنى إلى اليسرى.. ألقى نظرة واهية على الطريق وكان القطار في المحطة المجاورة يطلق صفارته إذاناً بالابداء...

\* \* \*

## في ماضٍ ما.. في الحاضر\*

أكره صوت القطار لأنه يذكرني بك. لكنني مرغمة على الاستماع إليه.  
إنه يمر أمام بيتنا في الساعة السادسة، وسيعبر بعد قليل إلى الغرب.  
كانت تتكلّم...  
- إنك لا تتحرك. جامد عندما تجيء إلى بيتنا نتكلم جميعاً وتغرب  
عيينيك عنِي. لماذا؟  
كنت أحس أنتي طفلاً صغيرة لا تثير اهتمامك. وحين تكلمنا أخيراً  
اندفعت إليك لتوثيق أكثر.. لكنك لا تتحرك.  
وكانت تتكلّم...  
- لا أريد أن أفارقك إلى الأبد.  
قلت لها - إنني مطوقة.  
- أعرف ذلك. ولكن لابد أن أراك.  
- سأتي غداً.  
- سنطفي المصعد ونبقى معلقين بين الأدوار - وحدنا. ساعات كاملة  
هل توافق؟  
- آه ليتها الصبية المبتذلة. إنك مجونة.  
- أصمت القطار يعبر. ألا تسمعه.. وكانت تتكلّم:  
- أود لو أعلقك في صليب هائل ثم أحمل سوطاً وأنهال عليك ضرباً ثم  
أنزل لك ونجلس سوية نبكي. وكانت تتكلّم:  
- إنك عملق تسد على الدنيا كلها.. وأنا ضئيلة بجانبك.. إن عينيك  
لأمراة عرفت رجلاً كثرين. وما أريده - صدفـك الكامل.. قلت ذات يوم..  
إنك لم تعرف غيري من الرجال كيف أصدق امرأة متحررة ومشاكسة لم  
تعرف رجلاً قبلـي. لم أطلب منك إيضاحات حول هذه المسألة. إلا أن الكذب

\* نشرت هذه القصة في مجلة الفباء، 12 آذار 1969، العدد 36. يبدو أن القاص  
يشير هنا إلى شخص حقيقة مثل عبد الرحمن مجید الريبيعي ومؤيد الرواوي... الخ من  
الذين كان يرافقـهم في المقاهي الأدبية في بغداد السـتينيات. (المحرر)

هو الجدار النهائي الذي لا أغفره. وها أنت تميلين في صدفتك، تطرحين  
ازدواجاً قاتلاً وتنتسخين في النهاية مع قدمي.

- هل تحبني؟ كم أنت مضحكة يا منال. إن لعبتنا صارت مملة..  
في المقهي كانا نتمدد فوق الكراسي اللينة. إنها يومنا الأبدى.. سامي  
بصلعته المبكرة يشتم محمود درويش وكل خونة فلسطين.  
شريف يطارد المزيفين بضخيه وفكاهاته.  
عبد الرحمن يهمس لمن يجاوره بحبه الأخير.  
أحمد يحسى أرقام الملاعع والأشواك التي سرقها من البارات.  
مؤيد مازال عاطلاً.. وكثيرون.. إنهم المدينة.. ونظل في المقهي..  
نناضل فوق مقاعد اللينة..  
إننا ملتصقون.. ومنفيون..

- منال: أنت طارئة ودخولك لم يكن موثقاً به.  
منال كم أود لو تفهميني.. صديقي قتل في المظاهره.. وأخرون  
سجناً..

القراء يموتون على الأرصفة وقادم الشرطة تدفعهم لتعبيهم في  
الأرقة.. والمحتكرون يملكون المدينة.  
الدماء ملء الأفواه.. الدماء ملء العيون. كم أود لو تفهميني. وأقول  
لها - لا أستطيع الخروج برفقك.. لو تفهميني..

- لا أريد أن أفهم شيئاً. إنما أريدك. أنت تقسى علي. أنا أحرص عليك  
أكثر من نفسي. الأشياء فقت شرفها. ولم أعد أحرص على شيء.. ما أكثر  
وأسهل طرق الموت في هذه المدينة.

لذلك تقدسين جسدك في قسري وحنيني.. وأهتف بها..  
- سنخرج معا. انتظري بعض الوقت. وستنافي كثيراً. وتمدين جسدك  
عبر أسلاك التلفون لأنحسنه وأغمراه.. انتظري بعض الوقت."  
كل منا يعرف على طريقته كما يبدي. كان بإمكانني أن أغمرا جسدك  
إلى مكتبي وأغلق الباب.. لكنني لن أفعل ذلك. وإنْ كنت أشتئي أن أفعله.

كنت أسرع لراك.. منذ أسبوع لم اسمع صوتك. وقد قررت أخيراً أن  
نتوقف معاً وكلياً. وجعلتك من اهتماماتي النهاية. ووقفت في المحطة أنتظر  
خروجك. وعبرت أمامي مع رجل آخر.

- منال.. لماذا كنت معه؟

- لم أكن.. إنما هو الذي مثى إلى جانبي.

- وكيف ارتضيت؟.

- لم لا.. كان.. لا أدرى.

- منال، لا تكذبي.. لو لم تريدي ذلك، لما كان يستطيع. وعرفت أنك  
كررت عليه أحديك لي.

المرأة التي تتوقف مع رجلين عاهرة. وأيامنا الفائمة تعجلني أحرص  
عليك رغم ذلك انتهيت.

- احذري أن يبعث بجسده ذلك الرجل، فتسقطين إلى الأبد. المدينة  
صغيرة وألاف الذكور ينتظرون من تعبير ليزحفوا إليها. لا تسمى بأنك  
تحببني وما زلت حبك. لم أعد أصدقك فقد رأيتك مع رجل آخر.

وبغضب نهائي مزقتها

- إنك سهلة.. سهلة.. تدعين جسدك لمن يلتفته..

- (وجه: وجع: وجع)

إنك تبكين.. لا تبكي أيتها الخائنة.. لن نلتقي بعد الآن.. ولكنك في  
دوماً.. المدينة صغيرة وألاف الذكور ينتظرون..

ملايين الذكور ينتظرون

وأنا انتظر.

\* \* \*

## الضوء والغبار\*

-1-

كانوا ينقاطرون: من الواحات، وضفاف الفرات، والقرى الصحراوية،  
لوريات مملوهة بالبدو وال فلاحين والتجار والمهربين تزحف إلى المدينة.  
تطلع من رمل الصحراء المحبيطة بها.  
 الغتر البيض والحرم والزرق تسدل من الرؤوس على الظهور،  
والبنادق في الأكثاف.. الخيام طويت، والجمال المضيئة تزحف، كانوا  
كثيرين، وجوههم شاحبة متوتة وينطون في الظلام - ثمة أمر مبيت  
وخطير.

اندلع الكلام بين عدة رجال يحتلون سطح احدى المقاهي:  
 الجميع بالانذار.

نهضوا وتفرقوا في الطرقات، وانطعوا مع الغتر البيض والحرم  
والزرق في الليل.

- 2 -

مكبرات الصوت تغمر المدينة بالصوت المتسق الذي يهوي من فوق  
المآذن الثلاث.

- ايها المؤمنون، هل ترضون الله ان يسقط  
البنادق بحانب الأجساد المتربعة على الأرض والممتدة كالامواج في  
الباحة الضخمة .

ارتفعت الرؤوس الى القاضي والعيون تهدى بالفيضانات.  
 كلا -

امتدت يدا القاضي مفتوحة الكفين منفرجة الى الاعلى، وكما الفضاض  
منزلق عن سعاده

\* نشرت هذه القصة في جريدة العمل الشعبي، 1 حزيران 1969.

من يقتل أحدهم يدخل الجنة.

قطعت الامواج وارتضمت الوجوه الغريبة بآلاف غيرها. الايدي تشد البنادق والخناجر.

صرخة القاضي جمعتهم من قراهم البعيدة: وها هو يختتم خطبته ويترك المنبر فتفرج الامواج ويتقدم بينها.

خلع عمامته على باب الجامع ونشرها على كتفيه.

تحفزت الامواج وصرخت أصوات: سعيد العمامة الى رأس القاضي. استطالت الامواج.

توقف القاضي، وتوقف برجوازيو المدينة الكبار على جانبيه، وانتظمت الامواج خلفهم.

### - 3 -

كانت مقرات المنظمات المهنية في منطقة واحدة متقاربة ممتدة في الشارع الرئيسي، وثمة مقاه صيفية بجانها.

تباحث رجال المنظمات القلائل في الليلة الماضية عن الزحف الذي جاءهم من الصحراء.

- هولاء الذين لا يملكون شيئا في هذا العالم خدعوهم وجاؤا بهم ليقتلوننا. أما كان الاجدر بهم ان يقلعوا الذين يسلبونهم حتى أجسادهم؟ القراء يقتل بعضهم بعضا وكبار المدينة وتجارها لهم كل شيء.

المقرات اغلقت أبوابها، والمقاهي تحفز فيها الرجال.

زحف القاضي وخلفه الامواج ترفع سكاكينها وبنادقها الى السماء. التم رؤوس على سطح المقهى تحدق بالغتر.

انهم كثيرون.

- اذا وصلوا سيحطمون المقرات ويضرمون النار في الكتب والاثاث وسيتصيدوننا في الطرقات برصاصهم.

كان الشارع متعركا بالغتر العذيرة. رفع احد الواقفين في المقهى الصيفي يده واطلق حيارا ناريا.

- ترك القاضي والغتر.

حمل الهواء طففين آخرين، ثم أربعة ثم ستة. —  
ضحك رجل في المقهى. —  
القاضي ينقلب راكضا متذرجا في نهاية الحشود. —  
استدارت الحشود وانطوت في الارقة وفي دروب الصحراء . —  
اين بندقهم، اين بندقكم ايها الجناء. —  
انسحت الغتر والبنادق من الشارع الرئيسي. —  
ومن مقهى اخر في نهاية الشارع مرفت الهواء الجاف الراكد  
رصاصات قليلة فاستدار حشد صغير فرارا الى الخلف. نزل الرجال من  
المقاهي واتجهوا نحو الحشد الذي انحصر. كانت الغتر مبللة بالعرق  
والغبار ، وتفرقوا في الاتجاهات والايدي سقطت منها بندقها وسلاسلها وهي  
تحمل ارجافات متصلة.

\* \* \*

## ارتفاع رابع للحركة الحجرية في الجمجمة\*

حرك الهواء الباب الخشبي ودفعه بعنف فدوى وهو ينغلق، وارتاج الزجاج الحشن الضخم الذي يفصل بين الغرفتين، وتذبذب الظهر الأخضر خلف الزجاج ثم سكن..

الأوراق البيضاء المستطيلة فوق المنضدة. وفتحة الهواء في السقف تتفاوت من جهات سرية عوائات غامضة.. وعشرون عيون تصعد من رقبتي إلى ذقني وصدرني..

في الطابق الثالث كانت غرف أيامنا الصباحية تمتد الواحدة في الأخرى، مملوءة برجال ونساء ملؤنن. كانوا يتلامسون ويربطون رؤوسهم، يغدون ويرقصون ويحزنون ثم يذهبون إلى بيوتهم ليعودوا في اليوم التالي:  
- بالأمس اشتريت من السوق قماشا..

- تذبذب الآخر خلف الزجاج والتوى جسده على المنضدة الغامضة:  
- كان غداء البارحة غير ناضج..

تحرك حيد آخر من الزاوية وصار بالجانب الملائق للزجاج. انحني ثم انسحب بعيداً واختفى.. وقعت الأوراق المترانكة دون أن أهتم بها.. فقد وقعت آلاف الأوراق في هذه الغرفة من قبل.. وستأتي آلاف غيرها.. فواجبي أن أكتب وأكتب ثم يأخذون الأوراق مني.

كانت رؤوس عديدة تمتد فوق منضدي وهي تهمس:

- شد قوتك. يجب أن تمتلا الأوراق. وأمسكت بأحد الرؤوس  
- يجب أن أفرغ يوماً من هذه الأوراق.  
- عليك ألا تفرغ منها.  
- سأمزقها.

\* نشرت هذه القصة في مجلة العاملون في النفط ، اذار 1970. يستخدم القاص هنا أسلوب تيار الوعي حيث يدون كل الأطباعات والآفكار الواردة بدون الرجوع إليها خالقاً جوا سرياليًا للقصة بالاستعالة أيضاً بالتشبيهات والأساليب اللغوية. (المحرر)

ونقاطعت خلف الزجاج أجساد سرية متحركة، تتوضّح ثم تلاشى،  
وتعود سريعة في فتحة الضوء المتعلق في زاوية الزجاج المصلع الخشن.  
جمعت الأوراق البيضاء ووضعتها أمامي ورفعت عيني إلى عشرات الأذرع  
المشعرة.

كان رسمى يلتهب فوق المنضدة.  
في الخارج يتساوى البشر.. كلهم متشابهون.. ارتفعت ذراع مبهمة في  
الغرفة الأخرى وامتدت ضوضاءات الأصوات.

- الشاي.
- السرير.
- الحذاء.
- الحسان.
- دينار.
- التلفون.
- الحب.

العرق يغطي جمجمتي.. ونهضت لأفر.. وفكّرت.. سيمعني الحراس  
من الخروج لأن الدوام لم ينته. وسيقول:  
إذا كان لي أن أخرج فعلي ألا أعود أبداً.  
انسحب شبح في الزجاج وأمسك بقبضه الباب وفتحه واتصلت الغرفتان  
وامتزجت الأصوات.

جلس الرأس الجميل بجانبي  
- ماذا ستفعل

- سافر. ستفتنني هذه الأجسام المغزوة.  
- عليك أن تموت من أجل هذه الغرف.  
- كلهم ضحايا.. الجلد والقتيل.. ضحايا وهمهم الأجوف.  
وطردت الرأس الجميل من الغرفة. وانتبهت إلى عوائط الفتحة  
الهوائية. وحين أغلق الباب، امتزجت الأجسام الخامضة في حركات  
منقطعة.. تلتحم وتتفاكم.. ثم تلاشت جميعها.

## **\* خطوات على المنحدر\***

ارتجلوري نازلاً في الطريق المنحدر، أمام نقطة الحدود، وهبط من بابه الخلفي رجال ونساء وأطفال، وتجمعوا متلاصقين ببعضهم وهم يحدقون في الضابط الذي اقترب منهم وأخذ يصافحهم.  
وتقىمت امرأة فتية، وانحنىت والتقطت حفنة من التراب قبلتها وهي تبكي:

- قيل لي سنتين عندما تعودين إلى العراق. لأمنت الف مرة في العراق ولا أحياناً خارجه.

وكانت الربيح الباردة تهب، فيما التمعت التلوج على قمم الجبال.  
وأشار الضابط بيده، وراح الجميع يتقدمون صوب المدينة المهجورة.

\* \* \*

---

\* نشرت هذه القصة في مجلة الفباء، 5/6/1975، العدد 353 ، مع قصص: اختناق، شمس بعيدة ، رجال الثلج، والجسر الضوئي.

### \* الأقصاص \*

طلت تحدق من زاوية النافذة الى جثة زوجها المرمية وسط الشارع العريض، وايقنت ان الجميع هبطوا الى الملأ، وارتعدت عندما شاهدت الزاوية العليا من قبص زوجها تتحرك.

ونظرت الى البناء البعيدة وحاولت ان تعرف النافذة التي يغزو منها القناص الرصاص في جسد زوجها الميت. وابتق في ذهنهما جارها الذي ركض لسحب جثة زوجها، لكنه اصيب في فخذه واختفى في البناء المقابلة.. وهزت رأسها لكنها لم تستطع البكاء.

\* \* \*

---

\* نشرت هذه القصة في جريدة الثورة، 27/2/1977، عدد 2629، مع قصتي الوليمة وشرفه في بيروت.

## المخيم - ١ \*

تعالى صراخ طفله في المخيم من بين صرخات أطفال عطاشى عديدين، ونظر الى صنایير الماء التي خربها الأعداء من الخارج، ولمس الاناء الزجاجي الذي جمع فيه النقاط الأخيرة من الماء عندما هز الصنبور بيده واستطاع ان يرقب ست او سبع نقاط تراشق على زاوية الاناء ولم تسقط اية نقطة فيما بعد.

وركز انتظاره على البئر البعيدة وجثة رفيقه المنطرحة بجانبها منذ ساعات ولده المتخرج. ولم يعد يسمع صراخ طفله، وسقط الاناء من يده.

## المخيم - 2

انهم الرصاص قربه وانفجرت ثلاث قنابل في الزاوية البعيدة من المخيم، وأتاه صوت الرجل المدد خافت:

- آه

وضغط بيده على مسند بندقيته الرشاشة وهو يسمع رفيقه الذي اصيب بشظية في بطنه عندما أراد العبور والوقوف الى جانبها. وصرخ رفيقه من الالم عندما اشتد الدوي. ونظر الرجل الى طريق المخيم الذي يغمره صفير الرصاص وردد:

- انه يموت

ورفع بندقيته غاضباً ووجه ناره صوب جهة الأعداء، واستمرت يده تهتز الى ان نفر صاصه. وغمراه الاعياء وهو يرى جسد رفيقه يتقلص ثم يسترخي.

---

نشرت "قصص من المخيم" في مجلة الأديب المعاصر، العددان 22-23، السنة الخامسة، آذار وابريل 1977.

### المخيم . 3

ضغط على عصاه وهو ينتقل بين بنايات المخيم ويتأمل الجدران  
التي هدمتها القنابل، وهمهم وهو يميل إلى جانب فتى:

- لهم يقتلون الجميع

واراد ان يتوقف ويتحدث عن صورة القتلة المشابهة ولكن زخات من  
الرصاص انهمرت على المخيم، ورأى الفتى عصا تطير في الهواء،  
والعجوز يهتز ثم يهوي على الأرض.

وصدق الفتى في وجه العجوز وارتजف من نظرته الثابتة الحزينة  
الموجهة إليه.

\* \* \*

## الزهور الضوئية\*

خفتت كافة الأصوات وتلاشت الضجة التي لاحقته منذ ساعات، وتأمل السرير الذي نقله صديقه ووضعه في غرفته، ونظر إلى الكتب المكومة في الزاوية والى زهور الستارة المسدلة، وانتظر ان يعود صديقه الذي هبط الى باحة الدار ليجلب له العشاء، وسمع صوت أقدامه ترتفق السلم، ثم دلف وهو يحمل طبقين ويضغط تحت ابطه رغيف خنز، واعتذر احمد:

- لا اشتئي.

ووضع سلمان الطبقين على المنضدة وامرها برفق:

- هيا، لا اقبل اعتذارك، ونهض احمد.

ومع ارتفاع الملعقة البطيء والتصاقها الطويل بالطبق، تذكر المطاردة التي جرت منذ ساعات.

كان جالسا في غرفته عندما سمع رنين الجرس المتواصل، متاهبا وهو يستمع الى صوت ابيه يسأل القادر. وايقن من الضجة المتبعثة عند الباب الخارجي انهم آتون ليقبضوا عليه. وتسلل وخرج من الباب الخلفي الى الحديقة.

وسمع صوت تدفق الرجال الى البيت وصوت يصرخ:

- انه هنا كنا نراقبه.

وحين اعتلى السياج الخلفي أصبحت غرف البيت جميعها مضاءة، وركض في الطريق المظلم واستدار الى منعطف، ثم واصل ركبشه، وشاهد ثلاثة شباب تنقل من اقصى الشارع، فتوقف وراح يمشي ويتدا، وحين مرروا به وابعدوا، عاد يركض من جديد. وأصبح قريبا من بيت سلمان ونظر في امتداد الشارع ولم يشاهد احدا، والتطرق بالباب وهو يفكر ان هذا البيت هو ملاذه الوحيد في وقته العصيب ... وقرع الباب.. وامتد رأس امرأة عجوز وعرفت احمد. وخرج سلمان مسرعا ودخل الى ممر المنزل.

وروى احمد حادثته ثم اضاف:

\* نشرت هذه القصة في جريدة الجمهورية ، 14 تموز 1977، عدد 3009 .

- هل انت مستعد لايواني؟

وسحبه سلمان من ذراعه وادخله المنزل. واعادت الام الترحيب  
وانكمشت اخت سلمان في كرسيها وراحت ترافقه.  
وحاول احمد في تلك الاوسمة ان يراقب مدى الذعر الذي يخلفه وجوده  
بيneathم، لكنهم تعارفوا على تهيئة ظروف مريحة له.  
واستدار الى سلمان:

- ليس بوسعي بعد ان اتناول لقمة واحدة.

وفي الصباح هبطا الى الصالون وتلولا الاقطار. وذهب سلمان الى  
الكلية وعاد احمد الى الغرفة، وأخذ يقرأ كتابا، ولم ينزل الى الصالون الا  
حيثما عاد سلمان.

ومضت الايام متعاقبة، متماثلة، واحمد ينتظر الظهيرة ليقرأ  
الصحيفة التي يجلبها سلمان. وفي الامسيات يكون الجميع في الصالون،  
يستمعون الى الراديو، ويتبادلون الاحاديث. وبين فترات متباينة كانت ام  
احمد تزوره وتجلب له شيئا تحت عباءتها. ولاحظت ام سلمان ان احمد  
يخفض بصره دائما عندما يتحدث مع ابنته او حين تصبح أمامه، وكانت  
الفتاة هالة مقدسة، يستطيع ان يراها بدون ان ينظر نحوها، ولكنه يحب  
صورتها ويحبها، وحين يصل صوتها أحيانا اليه في الغرفة، يمعن في  
القراءة ويحس ان دفقا من الامان يحوطه.

وفي صباح مبكر، اسرع احمد وسلمان بالخروج من المنزل، ثم  
سمعت الفتاة تصبح وهي قرب الراديو:

- الثورة... انها الثورة.

ونظرت الام الى ابنتها، وازاء الفرج، تملكتهما معا لحظة هلح.  
وفكرتا بالرجلين اللذين خرجا للمشاركة بالثورة، وعاد سلمان وحده في  
المساء وهو يحمل بندقية، وسألته امه:

- اين احمد؟

وانتظرت الفتاة جوابه، وضحك سلمان:

- مر على منزله، انه لم ير اسرته منذ ثلاثة اشهر.

وفاجأت أم سلمان ابنها بعد أيام:  
البيوم جاءت أم احمد خاطبة لاحمد.  
وخفض سلمان رأسه وأجاب:  
- أعلم ذلك.  
- ما هو رأيك؟  
ورفع سلمان رأسه ونظر إلى أمه وإلى أخته التي اختفت:  
- أبني موافق.  
وانبتقت افراح عديدة..

\* \* \*

### \*أشنات\*

ابتسم الاقطاعي لبنات الفلاح الثلاث، الذي مات منذ شهرين،  
وكان مساؤمنه معين قد نجحت، واتين راضخات لشروطه وقليل ان يكن  
خادمات في بيته مقابل ان يعيشن في أرضه.  
وتأملهن برضاء وتخييل اشكال اطفال سيكونون بعد شهور.

\* \* \*

---

\* نشرت هذه القصة في مجلة الفباء، 24 آب 1977، العدد 466، مع قصص:  
الوهج، الأحمداء الخشبية، الاقتحام، دروع، بيت بعيد، وثقوب.

### **الأحمدة الخشبية**

جلس في الشرفة المرتفعة وكان البحر يمتد متقوساً وبدا من بعيد أعلى من الساحل، ورمق الشارع الجميل ثم عاد ينظر إلى البحر.  
وتذكر صديقه في مدینته البعيدة الذي حاول أن يتمنيه عن الانتماء إلى  
منظمة ذاتية، وذكره بالبيت والأسرة والأصدقاء، لكنه سافر وبقي صديقه  
في يقينه بأنه لن يعود حياً، ولن يفترق جسده عن التابوت.  
وابتسم بسرور.

\* \* \*

### الاقتحام

تحرك شبح أمام النافذة، ولم تواته شجاعته على النهوض والتفرس في الظلام. واقترب الشبح من النافذة ووضع يديه على الزجاج ونقر باصبعه. ولاح له ان للشبح شعرًا طويلاً، واتضحت الصورة تدريجياً، لكنها ظلت مختلطة فلم يصدق وهو في خوفه، ان يكون الشبح امرأة. واستمرت الإشارة تدعوه، ونهض مرتعداً واقترب من النافذة، وشاهد جارته التي تيقنت من نوم زوجها.

وقفزت من فوق الجدار الذي يفصل بين منزليهما. كبر حقده نحوها، وسحب الستارة وهو يرتجد وحجب تماماً. وعندما تعدد على فراشه، لم يزوله خوفه، رغم انقطاع النقر على النافذة منذ وقت طويل.

\* \* \*

## دروع

فتح الرجل العجوز عينيه وشاهد اقاربها المحظيين بسريره بعيدين  
جداً.  
وأغضض عينيه، ثم مات.

\* \* \*

## بيت بعيد

لم يكن الرجل يحمل ضغينة لزوجته عندما ضربها بالمطرقة، لكنه ثار فجأة عندما شتمته، وها هي ذي راقدة في المستشفى حيث اقتادته الشرطة. ووقف الطبيب في الجانب الثاني من السرير يراقب وجه الزوج. ولم يقل الزوج شيئاً، وانتظر مع الآخرين تعلق الزوجة على سؤال المحقق:

- لماذا شتمته؟

وأجابت بوهن:

- أكرهه

وعاد المحقق يسألها عن سبب كرهها له، ولم يظهر عليها أنها تابه للزوج وأجابت:

- لأنه يحبني

وتراجعت الانصاف العليا المنحنية للرجال إلى الوراء ثم انحنت تتبع صوتها:

- انتي أكرهه لأنه يحبني، لهذا شتمته.

صمت الجميع وهم ينظرون إلى المرأة التي تهشم رأسها وهي تطبق علينا.

وأشار الطبيب إليهم أن ينسحبوا لأنها أصبحت متعبة لا تستطيع الكلام. خرج الجميع وأغفت المرأة.

\* \* \*

## ثقوب

في المرة الاولى التي ذهبت فيها الى حفل، هلت عندما رافق زوجها ابنتهما، ورضخت في المرة الخامسة للاحاج الاصدقاء عندما طالبوها ان تشرب قدح بيرة وهي تتذكر بمرح كيف ضربها ابوها قبل ان تتزوج حين رفضت ان تلبس النقاب واكتفت بالعباءة.  
ومالت نحو زوجها وهمست:

- سأسكر.

وكان الزوج لا هيا يرافق الشباب الراقصين وبيدو حريصاً على الا تفوته متعة فيما بعد، وأجابها:

- اسكنري

وكان الرجل ينظر الى الفتيات، وكانت هي تنظر الى الرجال، ولو لا ابنتهما التي تجلس بينهما، لاعتقد من يراهما انهما لا يعرفان بعضهما.

\* \* \*

## الفقص

انت تذكر ايها الرجل، امرأة، كنت حميم العلاقة بها قبل سنوات ولم ترها بعد ذلك أبداً. آه، انك تخبئ بين اطفالك وامرائك سليطة اللسان، انك تخبئ كالقبيلة، لكنك لا تدري ماذا تفعل ايها النصب الوديع.  
وينظر الرجل الى امرأته وأطفاله الصاحبين وعجب من تورطه في آلامه.

آه ايها السادة والسيدات، كم منكم انقلب الى نصب وديع بعد زواجه؟  
ويبقى يحلم وسط غابة الذئاب الوديعة.

\* \* \*

## **أبواب مضاءة.. أبواب مغلقة**

عندما فتحت باب السيارة أخيراً، وقبلت أن تمضي مع الرجل، لم تابه بنظرات صديقتها التي رمقتها وراحت تصفر .  
ومضت ترتب أوجبة عن الأسئلة التي تطرح عليها وهي تختصر في ذهنها الرجل الذي لاحقها بسيارته حتى أصبحت معه ونظرت إلى جانب وجهه المبتسم، وارتعشت. وإنني ندم عميق في داخليها لمجيئها معه، وأرادت أن تهرب، لكن السيارة أصبحت بعيدة عن المدينة.

\* \* \*

## طاحونة

تثاءب الحارس وهو يحمل بندقيته، وينظر الى الحدائق السوداء  
ويتشمّع. وتوقفت سيارة أمامه، وفتح سائقها الضوء الداخلي وشاهد امرأة  
جميلة. ناداه السائق وهو يشير الى المرأة:

- خذها

وفتح الباب ثم دفعها وتحركت السيارة وصرخ الحارس:

- قف، قف

ورفع بندقيته ولكنه تذكر الاوامر فخفضها ونظر الى المرأة حائرا.  
وسمع صوت السيارة تدوي بعيداً.

\* \* \*

## رجل الثلوج\*

كان الجنود معزولين في القمة، بين الثلوج منذ أربعة أيام، ومضى الضابط يتسلق الجبل زاحفاً ويدوس الثلوج برفق، وأصبح بين جنوده الذين حاوا من الجنوب المغلق بالشمس الحارقة.

وتذكر مدینته الفراتية التي زارها قبل أيام والنهار الأخضر الغامق العفن وأسراب الدود الأصفر على سطحه الراکد وزهوره اليابسة في حديقة منزله الصغير.

وعبر مرح جنوده المعزولين في القمة، سمع بغتة الماء المتدقن ورأى الظہور الملونة تتفتح في كل الامتدادات. ولمس العراق.

\* \* \*

---

\* يذكر ان القاص خالد الرواى اراد ان يسمى مجموعته الرابعة رجال الثلوج بدلاً من العيون.

## صدى

هدرت الاغاني الحماسية في مكبرات الصوت ووصلت صاحبة الى  
العجز الذي ابتسما ساخرا والفت الى زوجته قائلا:

- الى ابن سندل؟

وهزت زوجته رأسها مؤيدة، وان لم تسمع ما قاله بوضوح.  
وكان العجوز لا يخرج من منزله ولا يزوره سوى بعض اصدقائه  
القديم ويدور حديثهم عن ذكرياتهم في العهد القديم ويقارنون بها كل احداث  
العالم التي تخطر ببالهم.

وعاد يصبح بصوت اعلى:

- ابن نذهب؟

وبادلته زوجته نظرات الفلق والانزعاج، وحملق العجوز في  
زوجته ثم سد اذنيه بسبابتيه وفعلت هي مثله.

\* \* \*

## تهجات

انحنى القاضي منصتاً الى الفتاة وهو يسألها ان كانت تقبل بالسيد ب. ع زوجاً لها، وسمعها تردد بخافت وحياة:  
- نعم، واستدار عائداً الى الغرفة ومضى يوقع في دفتره، وتبادل الجميع التهاني.

ورن جرس الباب ونادي والد الفتاة ابنه الكبير:

- انظر من بالباب؟

- وعاد الابن الكبير هلعاً:

- انهم الشرطة

وقفز والد الفتاة مذهلاً وهو يتسائل:

- ماذا يريدون؟

- وردد ابنه:

- لديهم أمر بالقاء قبض.

وارتسم الذعر على الجميع وشحب وجه العريس. ووقف ضابط الشرطة في باب الغرفة ثم اتجه صوب السيد ب. ع وقال له:  
- انت مقوض عليك.

ونهض الشاب محاولاً ان يجد منفذًا له، لكنه أذعن أمام العيون المحدقة به. وسأل والد الفتاة الضابط:

- ماذا فعل؟ ماذا فعل؟

- وضحك ضابط الشرطة:

- ألا تدري ماذا فعل؟ ييدو عليك انك تحاول ان تسخر مني..  
انه... إنه امة عربية واحدة!

ثم أمر السيد ب. ع:

- تقدم

وابتسم ب. ع. وخرج من الغرفة وسمع صوتاً نسائياً يتعقب رجال الشرطة:

- يا قتلة الأفراح  
وجمع القاضي لوراقه، وهو يتمتم، بفرع، آية قرآنية.

\* \* \*

## الفرن

انسعت حدقتا السائق في الاصطدام المباغت للحظة واحدة ثم  
انطفأتا، واخرجوا جسده من سيارة الأجرة التي يسوقها.  
وحام صاحب السيارة حولها وراح يحسب ما سيكتبه اصلاحها ولعن  
سائقه الميت.  
وفي منزل مهدم، وقفت امرأة السائق وأطفاله بيكون حول الجثة.  
واستمرت الحياة في بغداد.

\* \* \*

## **الشبكة**

حاولت الفتاة ان تزوج من ابيها، لكنه ارغماها بنظرته الصامتة  
الصارمة:

- ادخلي وحبيبه.

ودنفت الفتاة الى الغرفة وجلست بجانب الرجل الذي وافق عليه  
الاب زوجا لها، وإنشا الاب يرقبها متوعدا.. وسمعت الرجل:

- ما شاء الله.

ووضعت اصبعها في فمها، وضحك الرجل:

- تحدي يا امرأتي.

واستدارت وأصبح وجهها قريبا من الرجل، وبغنة تقليت على  
وجهه واندفعت هاربة.

وقف الاب يعودي وسط الغرفة..

\* \* \*

## دوائر

حاول السائق العثور على الطريق الذي اضاعه في الصحراء الشاسعة ثم أعلن عن نفاد الوقود، واطأ المركب. وانقق الركاب الخمسة على السير في اتجاهات مختلفة، وعند عثور احدهم على علامة تدل على الطريق يعود إلى السيارة. وانطلق الركاب واختنقا جميعاً في الأفق، ثم عادوا تباعاً، بعد ساعات، وهو يلهثون من العطش، وارتموا واحداً بعد الآخر على ظل السيارة ثم أزدادوا التصاقاً والشمس النارية تحوطهم. وراح سراب كل واحد منهم يخترق سرابات الآخرين.

\* \* \*

## **المدخنة**

تحص الشاب الآتي من القرية الصغيرة النائية فتيات العاصمة  
بأسى، وتذكر فتيات قريته اللائي لا يمكن مقارنتهن بهن.  
وأمن الشاب المعدم انه لن يعرف فتاة جميلة وانيقة او يتزوجها في  
يوم ما.  
وانعطف الى درب خال وخلع حذاءه وراح يضرب به رأسه بقوة.

\* \* \*

## شرارة

فتش الهارب عن مخبا يتوارى فيه، وأصوات ونداءات تطارده في الازقة المتشابكة وهي تعلو خلفه كلما ابعد عنها، ووجد بابا مواربا فدلف عبره وأفلنه، وتوقف في الممر المعتم يستجمع انفاسه اللاهثة، وارتاعت امرأة لمحته من باحة المنزل وهتفت:

- من بالباب؟

ونقدم الرجل خطوات ثم توقف وأعلن:

- أنا.

ونادت المرأة زوجها الرائد في الغرفة، وسلله بربطة:

- ماذَا تَرِيدُ؟

- انهم يطاردوني.

ونقدم منه الزوج

- انت هارب؟ هنا اخرج.

وهز الهارب رأسه يائسا، وطوقه الزوج واندفع به صوب الباب وقدفه إلى الخارج.

وتعالت الصيحات المنتصرة قرب الباب وعاد الزوج إلى سريره ضاحكاً.

\* \* \*

## الفرق

كان مجده في الحياة انه أصبح مديرًا قبل ان يحال على التقاعد،  
ولا يبني عن ثناء جهوده في تلك الأيام الصعبة ويردد دائمًا انه وضع اسس  
مديرية ما زالت تعمل حتى اليوم.

- عشرون سنة.

كم هي طويلة تلك السنوات التي جلسها في بيته وكم راودته فيها  
الاضافير والتواقيع والاوامر والنصائح.  
وتقى قبل ثلاث سنوات الى زيارة (مديرية) لكنه تاه في اروقتها،  
ولم يعرفه احد سوى فراش عجوز، ولم يبح لنفسه ان يتوقف ويتبادر معه  
الذكريات.

وخابت امانيه في ان يسمع يوما بابه يطرق ويستشار في معاملات  
الدائرة. لقد نسيه الجميع.

\* \* \*

## رياح ليلية

تمر الأجساد بطيئة ملتفة عبر الجدار، لتبصر شيئاً وتنcka متعددة بسقوط شيء، او اختلال يسير في الثياب، ثم تمضي، وتود لو يتاح لها ان تضع مرافقتها على الحائط وتراقب المنزل الى الابد، ولكن هناك انظمة واعرافاً، تجعلها تتحرك متعددة، ثم تعود مرات أخرى.

في الدار امرأة حسناء وحيدة، يقال انها ممكنة بالرغم من ان احداً لم يصل اليها. وهي تبدو أحياناً في الحديقة بثوب شفاف. وعندما تخرج الى الشارع تتجمع الاعين على فتحة صدرها، وأجساد تتحرق الى ان تنقض عليها، وأحياناً يقرع بابها، ويسأل جسد سؤالاً باهتاً، فتجيب عليه ببرود فيمضي. وأحياناً يقرع في الليل ويتنقى الجسد بصفة على وجهه فينصرف مذلاً.

\* \* \*

## رياح ليلية ، رياح ليلية

المرأة في المنزل، تتحرك بين الغرف، او تتفرج على مجلة، ثم تستمع الى الصوت الذي يملا المنزل، فتلتقي نظرة من الشباك الى الشارع، وتنصر أحد المتكئين قرب الجدار، وهي تعرفهم جميعهم، فقد مروا مئات المرات، مئات المرات، مئات المرات..

وأصبح مرورهم عادة. وهي تتنشى عندما يطيل احدهم الترصد، لكنها تكره أجسادهم، ولعلها تكره اي شيء مألوف لديها ويتقصدها.

وهي تعرف بدقة، الاوقات التي تمر فيها أجساد كثيرة، فتخرج الى الحديقة بثيابها الشفافة، ولا تنظر أبدا الى جهة الجدار. وعندما تتأكد ان العيون تملت بها، تدخل الى الدار وتختبئ خلف النافذة وتراقب بشغف، الأجساد الهائجة المتوثبة وراء الجدار.

\* \* \*

## رحلة فوق القلال

رأيت عبر باب التلفون الزجاجي، امرأة ، في نصف عمرها تبسم بعد ان كانت تتصلت الى الحديث المتسرب من فتحة الباب العاطل، وسحبته هي الباب وقالت متسائلة بعث :

- كنت تتغازل؟

وفاجأتني عباره المرأة التي لم اكن اعرفها سابقا، وتحول احتجاجي الى يدي فقرصتها في فخذها وترجعت خطوة الى الوراء، وقالت:

- ما هذا؟

ولم يكن غضبها صادقا كما انتي لم اخاف... وترجعت المرأة، وغادرت مبني البريد بدون ان تستعمل التلفون، وليث انظر الى الموظفين المنهكين وراء المناضد العالية والستارات الزجاجية وتيقنت ان احدا لم ينتبه الى فعلتي، وغادرت المبني.

فتماسكت وانا انوقف بجانبها وبادرتني:

- كيف جرأت على ذلك؟

- انت اثرتني

وتلفقت ثم سألت بعجلة:

- هل لديك مكان نذهب اليه؟

وتحركنا، وانا أتأمل ملامح وجهها، لاكتشف ذلك الملحم المشترك الذي يرسم على وجوه العاهرات.

وانتبهت وحدرتني:

- انتي امرأة محترمة

فكانت هي سيدة فعلا بمشيئتها المتندة ووجوها الوقور ، ولكن فضيحتها في صوتها الأربع.

وصعدنا سلم العمارة، ووقفت خلفي عندما قرعت الجرس.

وقلت لصديقي:

- معى امرأة  
 وأدخلتها غرفة النوم، وعدت الى صديقى المرتبك وبادرته:  
 - انها صديقتي  
 وضحك ساخراً:  
 - من اين لك هذه الصديقة، لم أشاهدها من قبل ولم تتحدث عنها يوماً  
 وهي أكبر سنًا منك.  
 ورجوته:  
 - انها صديقتي  
 وأذعن بخيبة وعدم تصديق.

\* \* \* \* \*

وذات يوم، ونحن نمشي في الطريق قلت لها:  
 - تعالى هنا، هذا بيت صديق.  
 وتبعتني. وحين أصبحنا في الباب، وجذنا مجموعة من الرجال الريفيين  
 متкорبين بعباءاتهم، ولم نستطع التراجع. وسمعت صديقى يهمس:  
 - انهم أقاربى .. هل هي ..  
 واعجلته:  
 - انها صديقتي  
 وخفت صوته:  
 - احضر منهم، فهم يبحثون عن امرأة.  
 ونهض أحدهم وأمسكها من ذراعها، ودفعها نحو غرفة النوم فتعاقت  
 بعجافته:  
 - الى اين؟  
 وأجاب ببرود:  
 - المسألة واضحة.  
 فأجبته بحده:  
 - انها صديقتي، ولن أسمح لك بلمساها

ونظر الى ثم الى جماعته، وأطبق علىَ واحد بدفعي.  
ولفت مستجداً بصديقِي الذي اخفي.

وفتح الرجل الباب ودفعني الى الخارج. ولمحت من خلال الباب قبل ان يُقفل، الرجال الخمسة ينهضون وينقضون على المرأة. وتساهي صوتها المتردّي يستجد بي. وأمنت ان الباب لن يفتح مهما فرّعْتُه. وابتعدت دائماً بالهوان والغضب.

ثمة حياة جديدة، غير مألوفة، تتبّق في المدينة، والأخلاق الزائفة المستهترة تعلّن عن تحديها، ومن يستطيع وقف الانفجار داخل الإنسان؟  
وحين ذُبّت اليها، معترضاً، ابسمت وقالت أن لابد لي في الأمر.  
وكانت قد لاحظت النظارات المختلسة بيني وبين الصغيرة المعدبة، ودفعتي لتوثيق علاقتي آملة ان أتزوجها.

وهجست، فيما بعد، ان الفتاة ترتاب بعلاقتي مع أمها، رغم أنها لم تشاهدنا في وضع يتعدى جلسة الجيران الأليفة.  
وذات يوم منحتي الفتاة فرصةً في اتخاذ موقف حين عادت عصراً من درستها. كنت جالساً مع أمها في الصالة، وبعد ان دخلت ثلثة قليلاً معنا ثم أعلنت انها ذاهبة الى الحمام.  
وسمعنا باب الحمام ينفلّ، وهرعت الام الى باب الصالة وأوصدته ثم تمددت الى جانبي.

وفجأة، اندفع باب الصالة، ووقفت الفتاة منذهلة، تحدّق علينا ثم صرخت بهستيرية:

- ماما، ماما

وهوت مغمياً عليها.

وتخطّيت جسد الفتاة وصممت على قطع علاقتي بهذا المنزل الى الأبد..  
وعندما ابتعدت أحسست انّي أتحرّر من قرفي المستجد.

\* \* \*

### **انهماكات**

تدلى الفتى في أساس المجاري المحفورة حديثاً، وهبط إلى القاع وسوى  
كمية من التراب وجعلها وسادة ثم فرش فوقها جريدة، وتمدد. وشعر ببروده  
أرخت جسده. وكانت المجاري ملائلاً بعد أن خرج من أسرته.  
وتوقف حارس ليلي بجانب الأساس وراح يتغول فوقه، وانتفاض الفتى  
وانزوى مبتعداً.  
وعندما انصرف الحارس بقى الفتى متصلباً في جلسته.

\* \* \*

## الفرق... الفرق

أقفل الموظف القديم باب داره، وتشدد مع أفراد عائلته في الخروج عندما سمع نبأ تأميم شركة النفط التي يعمل فيها.  
وتناثرت إليه أصوات المظاهرات التي تطوف في المدينة ولعلة الرصاص الذي يطلقه المتظاهرون ، غزيراً لا يتوقف.  
وانبعض خوف ارتج من أعماقه عندما تذكر التقارير التي كتبها حول عمال عددين ، فصلوا وسخروا إثراً لها.  
وعندما انتبهت زوجته في الصباح إلى أنه لم يصح في موعده، حاولت إيقاظه، ولم يستيقظ، وكان قد مات قبل ساعات بالسكتة القلبية.

\* \* \*

### مشرع...

فتح الراكب بباب الباص الأمامي ونزل وانحنى انحناءة خفيفة لرجل الدين  
وطلب منه ان يأخذ محله، واعتذر رجل الدين وهو يلتفت في رحبة  
السيارات، ووافق عندما وجدها خالية.  
وتراجع الراكب الى الظل ينتظر سيارة أخرى الى الجنسوب. وانطلق  
الباص وركابه.  
وارجع رجل الدين عمامته قليلا الى خلف رأسه، وارتفعت دعاءات  
الراكب.  
وانسرب الهواء اللافح داخل الباص المتموج في سيره. وحين مرت  
السيارات فيما بعد ، وجدت الباص منسحقاً ومقروباً على الجهة الأخرى،  
وثمة لوري تهشمته على جانب الطريق.  
وقال رجل شرح للعابرين أن سائق الباص أصيب بنوبة قلبية قبل  
الاصطدام.  
وحدق الراكب الذي تخلى عن مكانه، في الجثث المهمشة، ورأى جثة  
رجل الدين.. وغمره حزن وفرح هستيريان.

\* \* \*

## سحب

وضع حقيقة السفر على الأرض ونظر إلى المدينة:  
إلى المحلات والشوارع والسيارات والعبارات وبحث عن وجوه النساء.  
كان متعباً وعرقاً، ورفع حقيبته ومضى يبحث عن فندق، ثم دفع باباً  
وصعد.

وحين دخل الغرفة ارتدى على الفراش بملابسها.  
وتنطلع من خلال النافذة إلى العمارة التي تواجهه وإلى شبابيكها المفتوحة  
والملونة.. وبدأ يتذكر وطنه الذي تركه وهو لا يعرف ما سيفعله.  
وانتبه إلى نافذة انفتحت وأطل منها وجه طفل نظر إلى أسفل ثم تراجع  
وأقفل الشباك.  
وانقلب الرجل إلى الجهة الثانية وحدق في الجدار، وغمراه إحساس عنيف  
بانه تائه.

\* \* \*

## اختناق

جلس العجوزان، الرجل وزوجته، صامتين على الدكة العليا، وحدهما  
الرجل مكدوّاً في الوجه التي تمر أمامه، ثم خفض رأسه عندما خلا  
الطريق في الليل، والتفت إلى زوجته وقال لها برقة:  
- لتدخل.

وتوجهت المرأة إلى غرفة طينية ملحة بالمقهى هيئت كغرفة نوم.  
وجلس الرجل على نخت يقابل الباب الأمامي ينتظر عودة أولاده الذين  
انجروا مع آخرين واخترقوا الحدود إلى الخارج.  
وعندما أقبل المقهى نهض العجوز وتلمس طريقه،  
ثم تعدد إلى جانب زوجته، وظل يقطأ يتسمع الأصوات في الظلام.

\* \* \*

## الصحراء

دوت مكبرات الصوت بالأغاني الحماسية ووصلت صاخبة إلى العجوز  
الرجعي الذي ابتسם ساخراً ونفت إلى زوجته قائلاً:  
ـ انهم يهدعون البلد.

وهزت زوجته رأسها مؤيدة وإن لم تسمع ما قاله بوضوح.  
وكان العجوز ينفر من الصحف المحلية والتلفزيون وينصت إلى محطات  
الإذاعات البعيدة، ولا يزوره سوى بعض أصدقائه القدامى ويدور حديثهم  
عن ذكرياتهم في العهد الملكي ويقارنون بها كل أحداث العالم التي تخطر  
ببالهم.

وعاد يصبح بصوت أعلى:  
انهم يؤذوننا، أين نذهب؟  
ويادلته زوجته نظرات القلق والانزعاج.  
وحملق العجوز في زوجته ثم سد أنفه بسبابتيه.

\* \* \*

## \* انحناءات\*

تمشي في الممر متربقاً انطفاء الضوء الأحمر الذي طال اشتغاله فوق باب صالة العمليات وتذكر انه سمع مرة ان حذاء الإنسان اذا كان مقلوباً فمعناه انه سيسافر ، فهل ستسافر زوجته؟..وكان قد شاهد احد نعل زوجته مقلوباً قبل اجراء العملية، وعجز عن السخرية من فكرة الحذاء المقلوب، وأسرع يقطع الممر جيئةً وذهاباً، وود لو ينحني ويقلب الحذاء، ثم ردّ:

- لن يتغير شيء.

وظلت طفلته التي وضعها في بيت اخته، ماثلة في ذهنه، تنتظر تيتمها.

وانفتح باب الصالة أخيراً، وخرجت ممرضة تحمل شيئاً ملفوفاً، واندفع يتفرس في اللفة وبادرته الممرضة وهي تسرع:

- ولد... مبروك... والام بصحة جيدة.

وانتسع فرحة وهو يراقب اختفاء الممرضة بالطفل. ونظر الى الممر

الخالي والى الحذاء المقلوب وتمنى ان يرفعه ويقبله.

\* \* \*

\* نشرت هذه القصة في مجلة الفباء، 9 كاتون الثاني 1985، العدد 850.

## طوير\*

أزت الريح وهي تعب من فوق مكمنه المرتفع على رأس جبل،  
وازداد القفافا ببطانيته وهو يرهف سمعه، ونظر إلى الغيوم المقطعة التي  
بدت وكأنها تقترب منه. وتذكر ابنته الصغيرة التي تشبث به وتوسلت إليه  
ان يأخذها معه، ولم يستطع ان يتخلص من قبضتها الصغيرة التي تمسكت  
بسترته. والحفت الصغيرة في توسلها به، واستجذبالمها لكي تأخذها بعيدا،  
فقد أزف موعد الرحيل. لكن الأم اختفت في غرفة أخرى.  
قال لها - ساخذك في مرة قادمة.

ورفضت الصغيرة، وذكرته بأنه وعدها بذلك في المرة السابقة. ولم  
يكن يمقدوره ان يقتلع قبضتها من سترته او ان يؤنبها، وجاءت الأم  
واحتضنتها وانطلق الرجل إلى السيارة التي تنتظره.  
نظر مرة أخرى إلى الغيم الذي يقترب من مكمنه ولمس طرف  
سترته وودد لو يقبل طفلته.

## ارتطامات

نظر إلى الأفق البعيد. كان الصمت عميقا في تلك اللحظات، وحتى  
الهواء والشمس والأرض كانت تبدو صامتة.  
ونظر إلى الأرض. وكانت آليات ما زالت تحترق: دبابات ولوربات  
وعجلات صغيرة، ومناث من الجثث مسطرة وممتدة إلى نهاية الأفق. وكان  
رفاقه يحدقون صامتين سويا وباتجاه واحد، وكان الرجال متبعين.. متبعين.

---

\* تتناول القصص الثلاث التالية موضوع الحرب العراقية- الإيرانية ونشرت في جريدة الثورة، 1985/1/12.

## اقمار

عادت المرأة وهي تحمل لعبة صغيرة لابنتها، وتلقتها الصبية  
الصغيرة وراحت تستعجل فتح العلبة. وقالت لها أمها:  
- سأجيء لك كل يوم بلعبة.  
ولمست شعر الصغيرة وأحسست بدموع تترسخ على خدها.  
- لقد رحل الأب: استشهد قبل أشهر.  
واحتجشت طفلتها، وكانت الطفلة متشغلة بلعبتها الجديدة ولم ترفع  
رأسها إليها.  
ودللت الأم ونظرت في المرأة ومسحت دمعاتها، وانتظرت أن  
يطفو بياض عينيها.  
لكنها بكت من جديد.

\* \* \*

## قصص عن المعركة\*

### 1. النابض

مضت ارتال الشاحنات العسكرية تدوي وتشير زوجة من التراب على الطريق الممتد في أفق الأرض المتوجة، وهي تحمل دبابات إلى الجبهة. وحاول سائق الشاحنة الأولى أن يحدد استقامة الشاحنات التي تتبع شاحنته، وكان يرى حزماً من التراب المقفر يعلو ويعلو، ثم يعود بینظر إلى السيارة (الجيبي) التي تقودهم وراح يندن باغنية يجدها ونقر عدة مرات على مقود السيارة، وتحسس جيب قميصه ولمس صورة أطفاله الثلاثة، وكف عن الغناء برهمة حين انتقدوا في ذهنه وسرعان ما انتبه إلى أنه اقترب كثيراً من السيارة (الجيبي). وعاد يغني من جديد وببطء ومضى يرمي الشاحنات التي تسير خلفه.

واستدارت السيارة الصغيرة في منعطف طويل وتبعتها الشاحنات. ووجد الرجل نفسه أمام ارتال من الشاحنات والدبابات والسيارات المصفحة. وسمع دوي الانفجارات يأتي من بعيد ومضى يبحث عن مكان يقف فيه، وعاد يغني من جديد.

### 2. الرفاق

لم يتمكن من تجنب المرور في ذلك الطريق الذي يضم بيت رفيقه الذي استشهد منذ أسبوع. احتاز الطريق لكنه عاد والقف من الطريق التالي ودخل من الجهة الأخرى، وكانت خطواته تقوده. لقد عاشنا سوية في نفس الوحدة العسكرية، وكانا صديقين متلازمين وقاتلنا سوية وكان أحدهما يرعى الآخر.

\* نشرت القصص الثلاث التالية عن الحرب العراقية-الأيرانية في جريدة الجمهورية، 5846، العدد 1985/9/7

اشتت دقات قلبه وهو يقترب ورأى ابن صديقه الوحيد يقف عند الباب ولم يستطع التحرك. وأشار إلى الصغير أن يقترب وقال له:

- احمد، تعال.

ارتجف الرجل وهو يلتقط الطفل بين ذراعيه وفجأة اجهش بالبكاء وهو يجلس على الأرض والطفل بين يديه. ومررت سيارة ضخمة يعلو منها الغناه وهي تتبع فتاة وحيدة في الطريق.

وظل المقابل ينسج.

### 3. أمسيات أخرى

أقفلت الباب وكانت متعبه لا تكاد تقوى على الوقوف فقد امضت وقتا طويلا تنتظر أمام الباب ابنها الذي حان موعد عودته الشهيرية من الجبهة لكنه لم يظهر بعد.

قالت بصوت مرتفع:

- سيجيء، سيجيء.

ولم تققتع بما تقول. وشعرت بشيء من القلق، وصاحت ابنتها من غرفة جانبية :

- هل ناديتي؟

ولم تحفل بالرد عليها، فقد كانت مشغولة تترصد الطريق من جديد.

- ربما لم يجد سيارة، سيأتي غدا حتما. ولم ينخفف قلقها.

- بل سيجيء الليلة.

وجاءت ابنتها وقالت لها :

- انك تعليين نفس الشيء كل شهر. انت تعلمين انه سيجيء.

وارادت الام ان تبهرها، لكنها لن تقوى على ان تكون فاسية. وسحبتها ابنتها من يدها واجلسها على كرسي في الصالة .

وسمعا صوت سيارة تتوقف في الشارع، وهرعت المرأةن الى  
الباب، كانت جارتهم تهبط من تلك السيارة.  
وعادت المرأةن الى الصالة، وكان الوقت يمضي بطئا وهما  
تستمعان لآصوات السيارات.

\* \* \*

### **شطط\***

وأخيراً وجد نفسه يمشي تاركاً المدينة المضيئة وهو يحمل حقيبته الصغيرة التي وضع فيها كل ما يمتلكه في الدنيا، ووصل النزل القصبي الذي كان يعرفه منذ أمد بعيد، واستأجر آخر غرفة في الممشى. أغلق الباب ووضع حقيبته على الأرض. واستمتنع بالملائكة والهدوء وهم يملان الغرفة، وكاد يعني لانه اطمأن لأول مرة بعد ان ابتعد عن الناس الذين يعرفهم والذين تحولوا مع الوقت الى مطاردين له ليل نهار، كانوا ينتظرون الى ساعته ليعرفوا الوقت ويدونون ايديهم في جيوبه ليحصوا نقوده ومنهم من كان يقلب ملابسه وأخر اوراقه واحس ان الكثرين منهم يتمنون لو كان نفق يكتفي بهم ليدخلوه ويرروا ما في عقله ومعدته واحشائه وتتجاوزيف عظامه واعماقه..

واقترب من الستارة ورفعها لكي ينعم بنظرية الى أيامه الجديدة، ورأى جميع من يعرفهم يتکسون تحت النافذة وبعضهم يوشّر بيدهيه والآخر يتحدث ومنهم من يضع السالالم لكي يصل الى النافذة.  
اسدل الستارة، وأغلق الباب، وارتدى على السرير.

---

\* نشرت هذه القصة والاثنان اللاتان في مجلة الفباء ، العدد 1118 . 28/2/1990

## افق مستطيل قد يشبه التابوت

قال لصديقه وهو ينظر الى ساعته حاسبا الثانية والمسافة المتبقية الى بيته، يجب ان اكون هناك بعد سبع دقائق، فهي لا تفهم اي تبرير للتأخر.

ضحك صديقه ومازحه: لقد انتهت أيامك الجميلة، وافترقا، وابتسم الرجل وكلمات صديقه تتبعث في رأسه وتتملا حنجرته: انتهت أيامك الجميلة، لقد انتهت منذ زمن طويل. واقترب ببطء من المنزل واعتقد للحظة ان المنزل يبتعد عنه، ودمدم بمرارة.

اخشى ان تقضم اذني ذات ليلة وانا نائم او تنهش كتفي.. متى كانت لي أيام جميلة؟

ونظر الى ساعته، وتبقى أمامه دقيقة واحدة. وأصبحت امرأته أمامه، ولم تعره اهتماما واتسعت شفاهه بابتسامة، وكان يتمنى في اعماقه ان تمحى.

## غابات بعيدة

احس انه متعب الى الحد الذي تمنى فيه ان تنتهي حياته فجأة، وكان  
جالسا على مصطبة حجرية يتأمل السيارات الفارهة والمارة والبيوت..  
وكانت الشمس تتوجه في السماء، كانت السيارات تعبر وفيها نسوة جميلات.  
ولم يستطع ان يت肯هن اين ستتوقف تلك السيارات وain سيدذهب ركابها؟ وكان  
المارة يعبرون منقطعين من جهتي الشارع، ولم يتمكن ان يعرف اين  
سيذهب كل هؤلاء الناس؟ وكانت البيوت تبدو هادئة لا حياة فيها.  
وشعر ان رأسه يحترق، وأسف لانه لم تكن لديه مظلة في يوم من  
الايات.

\* \* \*



# قصص بلا عنوان\*

---

\* معظم هذه القصص كتبت في التسعينات ولم تنشر على الأطلاق، ربما لخيبة القاص من أسباب تفسيرها خاصة وأنه تعمد الإشارة في بعض منها بشكل غير مباشر إلى الممارسات الخاطئة في وقته.



(1)

كان الرجل الذي يعتقد بأنه حكيم يخطط لأن يستمتع بحياته أكثر من الآخرين، فترك القراءة لكي لا يض محل بصره قبل الأولان ولكي يرى أجمل ما في الحياة، ولم يعد يعبأ بأن يسمع الأشياء التي لا تعنيه حقاً لكي يحافظ على قوته سمعه، وحاول قدر الإمكان أن يأكل ما يلزمـه ولا يتعب معدته وهكذا بنى منهجه في الحياة.

وفجأة تغير كل شيء، فحين كان يسوق سيارته عبرت سيارة من الجهة الثانية وضررت سيارته، وحين أفاق في المستشفى وجـد أنه فقد أصابع يديه وكسر ظهره ولم يعد يقوى على إمساك شيء أو يتحرك. وحين فكر في مستقبله، أيقـن أن كل شيء قد ضاع. وتمـنـى لو عادـت له أصابع يـدـ واحدة.

\* \* \*

(2)

لم يكن يحب أن يؤذى الآخرين لكنه كان مولعاً بالضحك عليهم حين يربكهم ويرتبا لهم مصائب صغيرة، وكان يبالغ أحياناً فيؤذن لهم من حيث لا يريد لهم ذلك.

وتبرع أحدهم ذات يوم ناصحاً له أن يكتف عن مزاحه التقليل، وفوجئ بكلمة (مزاح) إذ لم تخطر له على بال، وغضب كثيراً على صديقه وأراد أن يضر به لكنه خشي أن يفسر الضربة على أنها مزاح، وتركه، ثم ذهب إلى منزله في منتصف الليل وناداه، وحين خرج، أطلق خلفه عشرة كلاب هائجة راحت تطارده في المدينة الخالية.

\* \* \*

(3)

كانت القرية برمتها ترمق ذلك المنزل الهائل على التل البعيد، وتحاول أن تصل إلى أحربة واضحة عن الرجل الغامض صاحب ذلك المنزل والذي لم يره إلا قلة من أهل القرية مرة أو مرتين عندما جاء قبل سوأتو شرع ببناء ذلك المنزل المسور والمعزول والذي لم يسمح لأحد أن يدخله.

ومما يثير استغرابهم أن العمال الذين جيء بهم من مكان آخر لم يدخلوا القرية ورحلوا جميعاً وانفروا بعد إكمال البيت. وتتقاضت التكتبات بشأن صاحب البيت الغامض الذي كان يخرج بسيارته ويهب بها في الاتجاه المعاكس ثم يعود في آخر الليل. وقد أهل القرية صبرهم من كثرة الأسئلة والتكتبات التي ملأت حياتهم واتفقوا على أن يذهب ثلاثة من أكابر القرية لزيارة الرجل واستكناه أمره، وحبست القرية أنفاسها وهي تتبع الرجال الثلاثة وهم ينعدمون صوب البيت الكبير، ويطرقون الباب وذهل السكان حين انقلب الرجال المتربيين راكضين بأقصى سرعتهم. ونتحرج أحدهم وهو يتجهون صوب القرية وكانت صدورهم تكاد تنفجر حين هب اليهم أهل القرية. وبعد أن استطاع أحدهم أن يلقط أنفاسه ليجيب عن أسئلة الجميع عما حدث.

الثالث مذعوراً صوب البيت الكبير وهو يقول - عندما قرعنـا الـباب، فـفتحـهـ حـيـوانـ مـرـعـبـ الشـكـلـ لمـ نـرـ شـبـيـهاـ لـهـ، وـفـتحـ فـسـهـ وـأـرـادـ أنـ يـقـضـ رـأـسيـ. وـهـزـ قـبـضـتـهـ غـاضـبـاـ وـلـعـنـ أـولـئـكـ الـذـينـ وـرـطـوهـ بـالـذـهـابـ.

\* \* \*

(4)

كان الجمع المتشابه في ملابسه وسخناته يربت على كتفي الرجل، وبعضاهم يضغط على عضلاته ويشدّها بحنو، وراح اثنان يربطان تحت قدميه حذاء ترافق.

امتلاً الرجل من كلمات الاطراء التي كتبت له، وصار ينظر إلى الأمام، في الطريق المنحدر الذي يستثير خلف صخرة شاهقة ثم يختفي. كان لا يعرف ماذا يكمن خلف الصخرة، وسمع البعض يقول له: مع السلامة.

و قبل أن يرد عليهم، دفعه الجمع بقوة، وانطلق الرجل في الطريق، والفتت ليودعهم، لكنهم كانوا قد اختفوا. استدار الرجل خلف الصخرة، ولم يكن ثمة طريق، بل هاوية سحيقة. والتَّأم الجمع من جديد فوق الصخرة، وراحوا يتراهون حول المكان الذي تلاشى فيه الرجل.

\* \* \*

(5)

ارتج وهو يتلقى صفعه لم يعرف لها مثيلا طيلة حياته، وظل مسمر العينين على الجدار ، قال له الصافع: انظر اليه .  
وأشار الي رجل مكوم مرعوب ، وحاول أن يدير رأسه بالقوة نحوه ،  
وعاد الرأس ينظر إلى الجدار .  
وابتسم الصافع وقال له: من المناسب أن تنظر داخل رأس ذلك المكوم .  
وتتاول من زاوية الغرفة مطرقة ومسمارا كبيرا . وضع المطرقة في الكف اليمنى للرجل والمسمار في كفه اليسرى ، وسحبه نحو الرجل  
المرعوب الذي نكور .  
وضع المسمار على رأس المرعوب وأمر :  
انقب رأسه .  
ورفع الرجل المطرقة وهو بيه ، واندفع المسمار وكسر قحف الجمجمة واندلقت سوائل .  
وكان الرجل يحدق في عيني المرعوب الجاحظين ، وصرخته تنكسر ،  
ولم يجد ثمة ما يمكن رؤيته داخل رأسه .

\* \* \*

(6)

نهض الرجل من سريره وسط الظلام، وهرع الى المرأة بعد ان ضغط على زر الضوء، قرَّب وجهه من المرأة ووجد أن عيناً جديدة قد ظهرت في جبهته، ولم يعد عقله يعمل، بل راح يراقب ظهور أنف في خده الأيسر وإنْ في خده الأيمن.

ورأى عدة أيد تثبت من صدره وظهره وصار يتسع.  
واستدار ليذهب الى الباب ويطلب نجدة، ولكنه لم يقو على الحركة.  
وانطفأ الضوء ولم بعد برى أي شيء.

\* \* \*

(7)

جلس الرجل الذي يشبه المستطيل الصغير البدين ناظراً إلى الرجل الآخر الذي يتحدث من بعيد.  
وكان الرجل يحاضر عن فرصة استثمار أراضي الكواكب الأخرى في توفير غذاء كثير للحياة، وتململ الرجل الذي يشبه قطعة (الدومينو) وراح يتصور نفسه بأنه خروف وسط المراعي الخضراء في الكواكب الأخرى.  
وشعر بخدر يسري في جسده ولم يستطع أن يسحب نفسه من أيدي الذين سحبوه ولم يترك البدين في القاعة سوى (معمرة) متلاشية.

\* \* \*

(8)

علق حقيبته الصغيرة على كتفه، وانطلق يمشي تاركاً القرية، عازماً على المضي إلى أمام لكي يكتشف الأراضي البعيدة التي لم يسبقها إليها أحد من تلك القرية، وكان منتشياً مليئاً بالعزز للتقدم، وتحسن حقيبته ولم يمس زجاجة الماء والغذاء، ولم يمس مسدسه الذي وضعه تحت حزامه.  
واستمر يلتفت خلفه كلما ابتعد، وكانت معلم القرية تتضاعل وتتضاعل.  
وأصبحت الأرض أكثر انساطاً أمامه، وأخيراً اختفت معلم القرية واستطالت الأرض وانتهت في الأفق البعيدة.  
وكان طير ضخم يطير ويحط بعيداً عنه، وتذكر قصته عن طير مفترس انقض على مسافر وصعد، وتلمس مسدسه وراح قلبه يخفق بقوة وهو يمضي إلى أمام والطير الضخم يطير ويحط بعيداً عنه.

\* \* \*

(9)

الذي لم يعد يمتلك أي شيء سوى كرامته انقضى الرجل غاضباً  
وصاح:  
لن أسمح لك ان تهيني،  
وصدق اليه الرجل المقابل صاحب الغفران بنظره باردة وأجابه:  
وماذا ستتعلّم لو مسحت بك الأرض؟  
أجابه الرجل:  
سترّي ماذا سافعل.  
ولم يصدقه المقابل، ومد يده ليمسكه من أذنه ويسحبه، لكن الرجل هجم  
على سبابته وعضها وأدار رأسه حتى قطعها.  
وأمام صرخة المقابل، دخل الغرفة رجال كثيرون، بعضهم انحنى  
ليخفف ألمه وبعض الآخر ليجمع أشلاء الرجل الذي كان معترضاً بكرامته.

\* \* \*

(10)

أراد الرجل المتندذ القاسي أن يزيد من متعته، بعد أن استمع في صبيحة، كان مزاجه فيها رائقًا، إلى بليل يغدر من حدبة الجيران، فأسر إلى سكرتيره المؤمن برغبته في الحصول على بليل، ودبر له السكرتير بليلًا في قفص، وحدق المدير في البليل وسأل سكرتيره:  
هل يغدر البليل داخل القفص كما يغدر في الحدائق؟  
ولم يجرؤ السكرتير أن يجزم وأجاب بتردد:  
اعتقد.

ومضت أيام والرجل المتندذ ينتظر أن يملأ البليل البيت بصوته لكنه ظل صامتاً. واقترب من القفص وهو ضجر وحدق في عيني البليل بشزر وسأله بصوت غاضب هامس:  
لماذا لا تغنى؟  
ولم يهد على البليل اكتراش.  
وازداد غضب الرجل المتندذ وتمني لو كان البليل أحد مرؤوسيه لعاقبه عقاباً لا ينساه طيلة حياته. وشzer البليل ثانية، وحين وجده لا يكترث، قلص قبضته ودمدم:  
أيها البليل الحقير.\*

\* \* \*

---

\* ذكر أن القاص أعتمد في فقرة قصته هذه من حكاية حقيقة رواها له حميد المطيعي في السبعينات. وتروي الحكاية طبيعة مدير الأبن العامة في السبعينات، ناظم كزار، الذي كان يتلذذ بقتل المحتجزين بسبب شعوره بالقص نعد قدرته على الأذاجب. ويدرك أن كزار كان معتاداً على رفة تمسيده للقطط، لكنه يلوى بعدها رقبها ويدفعها بيده مما يولد له شعوراً بالأرتياخ. وقد حدد القاص على إيدال القطط بالليل لكي لا يثير الشكوك نحو الشخص الذي ينتقده. (المحرر)

\*(11)

ضغطت على جبهتها وهي تعاني من ألم في مقدمة رأسها، ولم ييرحها الألم رغم ذهابها إلى عدة أطباء وتناولها أنواعاً عديدة من الأدوية. وكان الألم يكاد يندلع من عينيها.

تنكرت نصيحة إحدى صديقاتها بأن تترك غرفتها المعتمة وبيتها المنعزل وتخرج. واتجهت إلى حديقة واسعة، وبينما هي تمشي بين الأشجار سمعت لغطاً، والتفت فوجدت جمعاً من الرجال يخرجون من الأرض وبهمون عليهما. فركضت. وكانت تطير من الركض. وحين عادت إلى غرفتها اختفت أوجاعها.

\* \* \*

---

\* نشرت القصص الثلاث الآتية في جريدة بابل، 13 تشرين الثاني 1993.

(12)

كان بوده أن يتعلم السباحة منذ سنوات لكنه لم يفعل، وفجأة وجد نفسه في زورق صغير بلا مجداف في وسط نهر واسع والماء محاط بزورقه المتارجح.

وهبت عاصفة من بعيد وصارت تقترب من زورقه الذي ازداد تارجاً. وراح يصرخ بأعلى صوته طالباً النجدة من أنس ربما يكونون على الشاطئين.

وكانت العاصفة شديدة تميد بزورقه ولم يعد هو نفسه يسمع صراغه.

\* \* \*

(13)

ارتفق بكافله على سياج سطح العمارة العالية، وكانت الأنوار تتلاها في المدينة، وأصوات السيارات تتقاطع هنا وهناك، ولم يستطع أن يرى أحداً تحت.

وقال إن المدينة تبدو في الليل جميلة وهي بلا بشر، وأحس بيد تجذبه بقوة وصوت يسأل: - ماذا تفعل؟ وكيف وصلت إلى هنا؟ وحاول أن يتملص منه وهو

يجيبه:

- جئت لأنفرج على المدينة الجميلة.

وفاجأه الصوت:

- هل تحاول أن تخدعني.

ورفعه من وسطه وقذفه من أعلى العمارة ولم يعد أحد بعد ذلك الرجل يستمتع بجمال المدينة من سطح العمارة في الليل.

\* \* \*

(14)

انزع الشاب المنفخ وهو يكح موقف سيارته الغارهة، بعد ان ارتجت  
فجأة، واصطدمت بشيء لم يره.  
ولولت امرأة عجوز ولدي الوحيدة.  
فتح الشاب المنفخ باب السيارة، وراح الناس يسحبون جثة الفتى.  
قال احدهم مؤكداً:  
- مات.  
وارتفعت أصوات النساء صارخات بقوة. ونظر الشاب المنفخ الى  
مقدمة السيارة ليرى اضرارها، ولم تكن واضحة، وعاد راضياً خلف المقود.  
انطلقت السيارة وبقي القراء يصرخون في الطريق.

\* \* \*

(15)

انفجارات، انفجارات. بروق من لهب ضيائي. أصوات طائرات تتقاطع وتنضي. هدير متصل، دوي، دوي، حزم من أنوار تنفجر. ويحل الظلام الدامس، ولا تعود الأنوار تبدو سوى في أعلى السماء، مصحوبة بانفجارات متعددة.  
يهب الرجل من فراشه، وينظر عبر النافذة إلى السماء، ولا يسمع هدير الطائرات، ويرى آلاف الإطلاقات المتوجهة ترتفع عالياً.\*

\* \* \*

---

\* أستوحى خالد الرواوى هذه القصة من ذكرياته عن حرب الخليج عام 1991.

(16)

كان الرجل الثري يهلك عندما يده الى محفظته ويستخرج قطعة من النقود لتدهب الى الآخرين.  
في ليلة، شعر بالألم في صدره ولم يقاوم هذا المرض فذهب الى الطبيب، وحين فحصه الطبيب امره ان يأخذ سيارة أجرة ويدهب فورا الى غرفة الانعاش في المستشفى العام.  
والمته فكرة ان يصرف نقودا، وقدر ان المسافة الى المستشفى العام ليست طويلة، فقرر ان يذهب مشيا. وحين وصل الى مدخل المستشفى لم يعد يقوى ان ينقدم خطوة واحدة. فسقط ومات.

\* \* \*

(17)

شعرت الفتاة المحاصرة بأن انفاسها تضيق وهي تتقل نظرها الى افراد اسرتها وهم يتخلصونها وكأنها ستخنق فجأة او تذهب بعيدا الى الابد.  
وهممت مع نفسها لا تخافوا علي.  
ونهضت لتأخذ نفسها منعشا في الحديقة، وتبعها افراد عائلتها وتحلقوا خلفها وهم يبدون ملاحظاتهم.

- لا تخسي قدمك فهناك حفرة صغيرة.
- اياك ان تلمسي الوردة ففيها شوك.
- يبدو ان الهواء ابرد مما يجب، سيؤثر ذلك عليك.

وراحت الكلمات تلطمها، وعادت الى الغرفة لتحاصر نفسها من جديد.

\* \* \*

(18)

كان الطالب قد انجز كتابة اطروحته وجلس في قاعة المناقشة لينال الشهادة العالمية. واتخذ استاذه مقعده قربه. وكان الاستاذ يستمع الى لجنة المناقشة وهم يبدون ملاحظاتهم على الاطروحة. والتفت الى تلميذه ورأى ان اذنين طويلين تسبحان اذني الحمار قد بدأتا تتمونان بدلا من اذنيه. وأغمض عينيه وعاد ليتأكّد مما رأى، فوجد الاذنين قد استطالتا وأصبحتا بحجم اذني الحمار. وحدق طويلا في تلميذه وأراد ان يفتر من القاعة هاربا، لكنه تهالك على الكرسي ولم يعد يسمع سوى نهيق تلميذه.

\* \* \*



مسرحيات



## الرائي\*

(أصوات قديمة وحديثة، علنية وخفية تتحدث دائماً)

(المسرح مليء بالضوء ، وعلى جانبه الأيسر سلات زهور ، وجذع شجرة  
ضخم.. وثمة رجل وحيد يتكلم ببطء)

الرجل: أطوف في فراغي الواسع  
وأدور بلا توقف  
وفي قبضتي أزهار متيسة  
ـ صمت -

أطوف حول نوافذكم المغاغة  
وأهتف يا حبيبي  
وتشيل حماساتي في الظلام  
ـ صمت -

أصبح يا امرأتي المحزونة  
ضئيلي نورا  
فقد أضعتك .

ـ صمت -

الذاكرة تمثلت بالعشب  
ونكون الصحراء طيوراً مهاجرة تحلق حولي  
وتدعونني لأسفار عميقه  
ـ صمت -

آه.. أينها الحببية

---

\* يستخدم الكاتب في هذه المسرحية، التي هي أشبه بمسرح العبث، طريقة الإلقاء المنفرد حيث تناجي الشخصية شبح الحببية التي تخلى عنه، بسبب جبه الذي لا يستطيع التحكم به. (المحرر)

إنتي أنتاثر

اجمعيني بافراحك العنة

فربما أمسك شيئاً

(تمر فتاة من الزاوية مع حبيبها، وتشير الى الرجل ثم تتساءل)

الفتاة: مع من يتكلم هذا الرجل؟ لا أحد هنا

حبيبها: لا أعلم ، وليس مهما أن نعلم، فله أذنان تستطيعان سماع صوته في  
النهاية.

(يختفيان)

الرجل (يتكلم من جديد) :

الليلة تتبع الذكريات المحطمة تاريخها المنقطع

فترتجف عاطفتي من بروتها.

— صمت —

كانت تلقى يأسها الى يأسى

بعرس منتحل

لحب دام لا يرى

— صمت —

حينما شمس في الريح

لا يلمس منه القلب

سوى الدفء المضطرب.

— صمت —

إنتي أختنق

أتكرس لفرح ناء يغطيوني بعربيه

ويقفلني في عدمي

(يقطع الرجل المدرج ويمشي صوب الجذع وينظر الى بعيد ثم يعود)

الرجل: حبك يفتح حبي

مرجعاً فيه

يقطنات خطرة

وأتعلق خارج جسدي

بين الذاكرة والضوء  
 وألوه تماماً  
 - صمت -  
 إبني القاتل الآتي  
 من صيوان متناقضة  
 أحمل براعتي  
 (يصرخ صوت بعيد)  
 الصوت: قاتل .. قاتل ..  
 (ينظر الرجل صوب الصوت .. ثم يقول)  
 الرجل: أعود إلى البحر  
 بأعراضي الثانية  
 المنفردة بويلاتها  
 صمت -  
 وأنت تهبطين معى  
 من حلم الأسرة  
 إلى البحر  
 صمت - -  
 نهبط معاً من السقف  
 إلى أفراسنا الهائجة  
 فتركتين أمامي  
 في صحرائي  
 وفي عطشى الفتاك  
 صمت - -  
 إبني أهبط إلى شهوتك  
 إلى البحر  
 وأغرق في حبي القاتل  
 (يصرخ الصوت البعيد مجدداً)  
 الصوت: القاتل .. القاتل ..

(ويشير الرجل بيده الى اتجاه الصوت منفرداً.. ثم يقول )

الرجل: قاتل؟ من هو القاتل؟ أنا قاتل؟

أه أيتها الأقمعة الفاجرة، لتخلعك واحدة، واحدة.

أيتها القوانين الفخمة الخلطة

أيها القلب المتنزع بأكاذيبك

إنني لست وحيداً

(يمر عجوز يبدو عليه الشراء، فيستوقفه الرجل سائلاً )

الرجل: هل يبدو علي إنني أقاتل؟

(يجهل العجوز ويسرع خطواته بدون أن يلتفت الى الرجل أو يجيبه،

ثم يختفي)

الرجل: شتاء للحياة

وصيف للموت

شتاء للموت

وصيف للحياة

لا شتاء. لا صيف. لا حياة. ولا موت.

— صمت —

نكر متسعين في الهواء ثم نغيب

— صمت —

أنا في الدائرة

وأنت خارجها

أخطاب ذوبك اليقظة

(يقرع الرجل الأرض بقدمه، ويشرق نور بعيد من زاوية المسرح).

الرجل: إنني أستيقظ على حلم شامل وأنحصر في ثلج أسود ينغرم من

مجهولات

أكون في الربح. في العبار. في الضياء

وأغسل في مياه الآخرين

أكون في الربح. في الخط المتوازي في الدائرة. في الربح والخساره.

في الثورة

في الخيانة . في الحرية .  
 في الطاقة . في الدمعة . في الخوف والهزائم .  
 إنتي أنتسم . أهرب أجسادي .  
 (تعود الفتاة مع حبيبها . ويجدان الرجل في مكانه ، فتسحب الفتى الى  
 خلف الجذع وينصتان )  
 الرجل : العالم ينفتح لي في حراري لك  
 اتخطي اوهامي المتلازمة المتتجدة وأغوص في بحرك الدامي الأبدى  
 — صمت —  
 كل النساء باطلات إلا أنت  
 كلهن افراح محرفة  
 وأشباح تبتعد . تبتعد .  
 إلى عدمها المؤكد  
 — صمت —  
 أنت حقيقي . حلمي . قدرتي  
 وبعدي الذي يمتد إلى فنائي .  
 آه . أنت تملئين لي العالم بحبي الذي لا ينتهي .  
 صمت —  
 تتشرين في الضوء الأزلي  
 وتخلتين في دمي  
 (تهمس الفتاة لحبيبها )  
 الفتاة : إنه مجنون . لا يبدو عليه ذلك .  
 حبيبها : من يعرف ؟ عندما يكون الإنسان حقيقياً  
 يعود الآخرون مجنوناً .  
 الرجل : آه هذا التمزق  
 ضوء يكبر ويتبعاد في أعماقي  
 وتتكسر حدته بالفاظي  
 صمت —  
 إنتي أسمع نظرك

وأشم نبضك المطرد  
وأمس رقتك المتمهلة  
إنها تلتقي بحراري  
فتتعزل إلى الأيد بفرحتنا الدامية  
الفتاة (لحيبيها) :

إنه يكلم امرأة ما، حبيبته؟ أم امرأة وهمية؟  
(تضحك)  
(الرجل ينتقض ويحدق إلى الأمام)  
الرجل: ها هو سحرك يبني  
يتقدمك معنا  
عن وجودك  
صمت -

أتقدم مضطرباً  
وانزليق عبر زجاجك الكثيف الوهاج  
إلى حبك المنطفئ.

- صمت -

في الغرفة المضلعة  
المغلقة بعيون الأوغاد  
كنا نختلس نظرة لحبنا  
نظرة صغيرة محطمة  
ثم نخشاها ونفترق

- صمت -

هل أصبحت عاطفتي مستحيلة؟  
إن حزني يكبر ببساطه المطلق  
ماحيا كل اللذات  
ويقيني يتناثر .

- صمت -

كتبت ورقتي ورميتها في الهواء

- صمت -

وحتى تقسمين  
تنسمع امرأة سرية  
ترن خطواتها الغامضة في غاباتي  
امرأة لا لون لها، لا تحفل، لا تمسك،  
لا تجيء ولا تزور.

- صمت -

ماذا التنس من امرأة مفصولة  
أية حرارة مزورة يمكن أن تملأني

- صمت -

أنحني على زمني  
ضاماً حالاتي الضاجة  
ملوحاً لأمرأة تأخرت  
(تطهر امرأة وتصل إلى جانب الرجل )  
الرجل (يهتف) : أتيت أخيراً

(توقف المرأة وتنتظر إليه )

الرجل: أغمض عيني لحظة هادئة وأقول  
أيتها الفرحة العظيمة، اقترب رويداً  
واحميني.

احمي وحدتي من التكرار.

(يقرب الرجل منها أكثر )

الرجل: انتظرتك طويلاً

المرأة: لماذا تطاردني؟ ألم نفترق؟ إبني لا أعرفك الآن  
(وتتضنى ويقفز الرجل خلفها ويمسكها من ذراعها  
يطبق الرجل بأصابعه على عنقها ويقول ):

الرجل: ليمترج الحب بالموت

(تصرخ المرأة وتخرج الفتاة، يتبعها حبيبها من وراء الجذع  
ويركضان نحوهما، ويمسك الفتى بالرجل وينتزع أصابعه، وتحرر

المرأة وتلمس عنقها، ويسأله الشاب وهو متمسك به :  
الشاب: هل أنت مجنون؟ كنت تقتلها.

(يضحك الرجل ضحكة طويلاً وعميقاً ويقول له)  
الرجل: أنت لازلت صبياً. كيف أفلتها؟ إن العواطف الخطرة يقظة دائماً  
عندما تكون حقيقة.

الفتاة (تكلم المرأة):

عودي إليه فهو مغرم بك  
إنه يرفضني أحياناً. وهذا ما يدفعني لأن أهرب منه.  
الرجل: تعالى أيتها المرأة . فسنحرق كلانا في النهاية  
وإذا كان سيحدث شيء . فسنحرق كلانا في النهاية.  
(تنزع المرأة لعاطفته وتبتسم له .. وينحنى الشاب والفتاة ويحملان  
سلسلتين من الزهور إلى الرجل والمرأة .. وتتلذذ الأنوار ثم يسود  
الظلام.).

\* \* \*

## رجلان في الشمس\*

### المشهد الأول

المكان: سفينة تعرق..

المرئيون: رجال ليس لهما وجوه

الأول - الشمس سحابة مختلفة تمطر جمرا..

الثاني - والبحر انهكه الغضب.

الأول - بالأمس لم أنم.. كانت الامواج تتفجر تحت نافذتي..

الثاني - وانا كنت امحو الملح المقدوف على الزجاج..

الأول - ثم تذكرت رسالة لم افضها..

الثاني - من اين انتك؟

الأول - من خطيبتي المنتظرة في قريبتنا الثانية..

الثاني - عليها وضعت قلبي فيها ليحرسك.

الأول - كانت الدموع تحدو من الكلمات..

الثاني - السفينة تحر الى القرار .. ناولني الرسالة..

(يعطيه الرسالة).

الثاني - يقرأ - هواي المغارب.. تذكرت عينيك حين كنت امرح فيهما

بالامس، وانا واقفة تحت النافورة.. وكان الفرات يحمل بسمتك الي..

وغسلت دم الفراق المتجمد على جنبي حين سمعت جدي العجوز

يقول:

لا بد للجذر ان يغوص ويحيا.. ولا بد للبرعم ان ينفتح يوما.. ولا

بد للقلب ان يسعد بلقاء المحبين.. .

ومغاربيين -.. انك ستجد دما على الورقة.. انها بعض دم قلبي الذي

سانظرك به..

---

\* نشرت هذه المسرحية في جريدة صوت العرب، 1966/1/25

( صمت موجز ، الماء يرتفع الى أقدامهم )

الثاني - خذ هذا القلم و اكتب اليها .. بينما اهليء قنينة ..

الاول - وما يفيدها قلب غريق ؟

الثاني - ينبغي ان نتعجل .. فالماء يتسللنا الى الاصلاح .

الاول - ملما اقول لها ..

الثاني - اكتب - سأعود -

( يكتب الاول .. ثم يجاهدان للبقاء على سطح السفينة ريشما يسدان

فوهة القنينة .. ثم تختفي السفينة بكمالها ).

#### المشهد الثاني

صفحة الماء تلتمع .. وليس عليها سوى قنينة مترنحة تائهة .

\* \* \*

## الحقيقة تصفو في ظل الرصاصة\*

(أشعة القمر الخافتة تمسح بقعة منزوية انتصب عليها قبران.. الصمت داج.. تخفت الأشعة وتغدو ظلاماً.. ترتفع جمجمة مرتكزة على عظم هو رقبة من القبر الأول.. تتنحنح كأصوات المطرقة المرهقة.. ثم تهتف..)  
- إنني أهبط إلى الأسفل بازدياد.. وكلما قاومت تدليت بشراسة.. إنني أبذل منتهاي لارتفاع.. ولكن مفاصلني تستفكك حنما ويسقط نصفى الأسفل.. إن محاولة الارتفاع تفتدني بقائي الرخو..  
(تبرز جمجمة من القبر الثاني.. نفتح شدقها متثانية بصوت مجروش متكسر.. ثم ترد)  
- إنك تتالم دوماً.. إلا تراني فقدت القدرة على استيعاب تهداك المصحررة..  
**الجمجمة الأولى:** المسألة تختلف.. إنها تختلف.. إن فراغاً يتمطى تحت أقدامي.. يتمدد وينتفخ.  
**الجمجمة الثانية:** إنها توهماتك التي تتوددها.. فيها قد مضى علينا ألف عام وكانت كل ليلة تخرج وجهك الغباري للتجار.. ثم تنسه قبل أن تصل إلى حروفك.. وحين أنظر إليك ولا أجدك أفال إنني فتشرد كلماتك تائهة بائسة.  
**الجمجمة الأولى:** لا ترسم لي صورة سيئة.. فصنعي لم يكن مقننا..  
**الجمجمة الثانية:** إذن لأذر ظهوري إليك مما وجدت لأحمل ثار جهاتك ولأرهن ارتكاري الصافي إلى الدعاء..  
**الجمجمة الأولى:** إنك تتملص من الواقع المجرد لتتفلت بلا جواز..  
**الجمجمة الثانية:** يكن فهذا ما أتيق إليه سبيلي.. فقد سقط المنطق.. وما عادت النتائج إلا أتوناً يخرجها الرجال الخوشن من

\* نشرت هذه المسرحية في جريدة الفجر الجديد، 11/3/1966.

جيوبهم ويبثونها متى شاعوا.. وهي متوافرة لهم  
كوجودهم..

**الجمجمة الأولى:** لا تهرب وتدعني أسقط.. فلا بد من مساعدتي.. إنني  
أصرع إليك أن تندلي ولو همسة دافئة اتمسك بها.

**الجمجمة الثانية:** إنك انتهيت فما عاد يفتك الترقيع ولا الطلاء.. وستنلق  
نهائتك الأخيرة..

**الجمجمة الأولى:** إنها المعركة التي هربت منها.. وها إني مقود إليها..

**الجمجمة الثانية:** إنه العقاب على عوilyك الاعجف..

**الجمجمة الأولى:** إنها غلطة.. سأصلاحها إذا ساعدتني..

**الجمجمة الثانية:** (يضحك بغضب فيضاني) – إنه المفتاح الذي ضاع وتركت  
في سجن لا منفذ فيه..

**الجمجمة الأولى:** إذن ما العمل.. أكاد أنفصل..

**الجمجمة الثانية:** ستتفاك مفاصلك وتسقط.. وتケف عن تأرجحاتك فأستطيع  
أن أهدأ.. الوداع..

(تدخل الججمة الثانية في قبرها.. تبقى الججمة الأولى مرتفعة.. ثم تخفي بعثة تاركة  
صرخة مدوية في الفضاء.. تمحي ظلال القر وتحظر لك الظلمة).

\* \* \*

## الصيحة

المسرح رومانسي الأضاءة. في المنتصف وقرب الجدار كرسي انتصب فوقه الرجل المرقوم بـ (1). يضع فوق ساقيه عصا ضخمة. منهك بقراءة جريدة. أمامه وبالضبط وضع مقدم مرتفع المسند يخفى امرأة غارقة في جوف عباءة. ترقم بـ (2). هناك شباك على بعد متراً من الرجل.

- صمت لمدة نصف دقيقة بعد أن تنفتحستاراً.

2. الساعة، خبرني، كم مضى من الوقت ونحن نضع ايدينا اليمنى على ايدينا اليسرى.

.....1

2. اثنتا عشرة ساعة تقرأ في نفس الصفحة، هل تسمرت عيناك وتيس نظرك؟ ام هناك أشياء تنهج غير الصالحين.  
اني ارى عروق رأسك تلتهث، دعني ارى المخازى (لا تجشم نفسها عناء الوقوف، تظل جالسة) دعني اراها.

.....1

2. لن تزنيها اذن - بلوجه باكية - منذ روح من السنين لم تست قلبك وانت نائم فوجدته بارداً. في تلك اللحظة نزعـت خفي وسرت حافية القدمين حتى الشاطئ، اطافت رأسي المحموم فيه وما زلت في كل ليلة اذهب لأنثى، لكن حارس الغابة الابوص رمانى بتنية من بين الصخور فاخافى، استحلفك بالله ان تفتقـه.

1. ....

2. ان تفعل، استمع اذن ليها الخنزير المطلي.

---

\* نشرت هذه المسرحية اول مرة في مجلة العاملون في النفط ، شباط 1966، واعيد نشرها في مجموعة الجسد والأبواب، 1969.

بالأمس رأيت عينيه داخل ملابسي، وحين صرخت نهض الاف الرجال من وراء التلال يمطون ويحلمون بي، وكان الإبرص يمتص قصب السكر بجنون.

1. هل افطرت:

2. في امتصاص قصب السكر؟ لم انتبه، انما كان يحشو الرجال بالفتى، يقول لهم سأخذكم حتى تبپض عظامي فتجفل منها الكلاب، فقط اغرقوا هذه الملتهبة عجرفة في هوة العجائز الدسميات.

1. الوغد، نسي كلبنا الذي التقطه من المزبلة فحملهلينا بعد ان التهمت البكتيريا ساقا ونصف ذراع منه (صمت ضئيل) انك ترافقين لي حين اراك بسبعة اعشار وربع العشر من بصرى، اكاد اغدو مسمارا في الكرسي.

2. (تتهجد) انك تبهجي حتى اطرافي.

1. اذن فلتزقنى، اعرف رقصة كنا نترقصها على دقات الصفيح اسمها، اسمها.

2. لتعلق باطراف الشيطان.

1. (بعصبية) انسىت ان الذى تقاطعنيه هو سيف الكون (صمت ضئيل). حقا ان خميره الأرض بدأ يدب فيها الفساد.

2. يبدو انك نسيت حلمك يا سيدى في قارورة الهدوء بغرفة التفكير. هل اذهب لأنك به؟

1. انت اليوم شديدة الطراوة، تنزلقين من اذنى بانسيابه ارجو الا تكون مفتعلة، اصمتى، بدأ قلبى يشحن بالحرارة وما اظننى الا سابكي.

2. يا زوجى، ضع الجريدة جانبا، لأرى وجهك الناقوسى الحزين.

1. هل اعددت الاغطية، الليلة تمطر وفرا كما تقول هذه الاخبار.

2. انهم كذابون بالأمس قالوا عجولا وفراخا، فصفقتنا نبول التراب بينما خرجنا نعد الاقفاص والمخازن.

1. ما هذا السيل الكثيف من الضياء، يا للعنة، اقذفي بعضه خارجاً، افتحي الشباك، سأتمزق حالا. سأتمزق حالا.

2. انتظر لحظة (تنهض من المقعد وعباءة سوداء تلتها باحكام تذهب الى النافذة فتفتحها، يرتفع صوت متشنج بردد).  
**الصوت** - يا أم العباءة، حلوة عباعتك.
2. (تفهور الى كرسيها دون ان يرى منها لمحه) - انه هو يعني لي.  
 1. (بعصبية) من يكون هذا الاحمق؟  
 2. جارنا، بائع الصرافэр.
1. عليه اللعنة، ساقذه بالمقعد (يظل جالسا لا يتحرك).  
 2. انه يرصد الشباك منذ اعوام كثيرة، لن احملك على العبرة فانا امقت رأسه العصفوري.  
 (صفير يرتفع من النافذة، ذات الصوت يعود).  
**الصوت** - اطلي ثانية يا حلبي النادر، لا ترتعدي من زوجك المسلط بالهوان.
1. الأفاق المجدوع الانف، ساقته (لا يتحرك).  
**الصوت** - اركليه في رأسه، صبي جردا من الماء في انفه.  
**صمت ضئيل** - قفي في النافذة لاختطافك.
1. يختطافك ! اسمعي؟  
 2. انهض، اجلب البندقية، واتقب جسده مائة تقب.  
 1. حسنا ساقته توا (لا يتحرك).
- الصوت** - يافانتني المتلائمة، يا فوري الصوفي، هلا سمعت؟  
 1. دعيه يعوي في الظلمة، ساجعل ججمته قيثارا.
- الصوت** - انبذى هذا الجدي المصبوغ للحية، هلمي الي.  
 2. (تنهض) انظر، ساجله بتقريعاتي الفاسية (تصل الى الشباك وتطل من).  
**الصوت** - مبهج، مبهج، لم يخب ظني هاتي يدك.  
 كنت متيقنا اذك مغرمة بي.  
 2. اذهب بعيدا ايها الحشرة الصلعاء.

الصوت - يالنبرة البدعة التي اشاعت في قلبي الاطمئنان وفي جسدي المكود الراحة، انطقي ثانية يا حسناي، لمنتهى اعمقى بالفرحة.

2. قلت كفى، احمل وجهك المسخ وضعه في صفيحة.

الصوت - لا تكوني مكابرة ان عينيك رائعتان حين تلتمعان في فضة القمر، افزني على حصناني الاشهل، انه لا يصهل حين يudo في الوديان المقفرة فوق الجبال المتوجة.

سيعبر بنا الغابة قبل ان يطرف رمش وحش من وحوشها.

1. انه يدعو حماره المجنون فرساً، ان الفملة تدب أسرع منه.  
الصوت - من هذا المكابر الذي لا يعرف كلامه.

2. انه زوجي المقدى، انت لا تعرف اي الرجال هو.

الصوت - هيع، هيع هاع (ضحك متشنج).

2. الا تصدق انه يحسو البن دقية.

الصوت - هيع، هيع هاع (ضحك متشنج).

2. اتنا نشقق على ارضية الممر التلويرية من ان تتلوث بدمائكم الفانية، فاذهب الى حيث يعسكر صيادو الرؤى فيشفون امانيك المتوجهة.

الصوت - ليس بمقدوري، فانت معطفى الابدي.

2. سأغلق النافذة.

الصوت - سأرغمك على فتحها.

2. لن تستطيع.

الصوت - لا تكوني مغفلة، فعود ثقاب يندس تحت الباب يحرق المنزل الا يجعلك تفتحين؟

1. نiron.

الصوت - اراك تتطاين، هل ترهينه.

.....2

الصوت - خذى هذا الخنجر وانبجيه.

1. لا تأخذنه.

الصوت - ليصفو لنا البقاء، ونحيانا كما نهوى، خذى.

1. القائل : لا تتحصي اليه.  
 تبدأ الأصوات بالخفوت والتلاشي وتحل الظلمة التامة.  
 تعلو صرخة، ثم تبدأ الأصوات ثانية بالانطلاق. الرجل رقم (1) ما زال  
 ممسكاً بجريدة في نفس الوضع السابق.
- اختفت المرأة ولم يبق من آثارها سوى العباءة ممتظية النافذة.
2. (من اسفل النافذة) النجدة.  
 الصوت - قلت لك اهدأي لن أمسكك الا بيد من حرير.
2. عباعتي.  
 الصوت - دعيعها.
2. (تصرخ ثانية) زوجي.  
 1. (پتساؤل) اجل.
2. الى، انتي اساق الى الغموض، انجدني.  
 1. لا تجهشى بالبكاء ساقته (لا يتحرك).
2. الصوت - انا القشر الذي سيحميك أيتها الخلية الطاهرة.  
 تضحك بصوت مرتفع.
- الصوت (مبعداً) - وداعا يا ظل النسر الهرم.

\* \* \*

## الهارب أمام المرأة

المسرح مظلم.

صرخة - لا توغل كفك في ججمتي، انك تمزق يقيني.

أصوات بعيدة- حين يعود الغريب مشلولة دماوه في عروقه من اللوعة،

ستصرعه الأفعى المختبئة في فراشه منذ ان رحل.

(تندفع النافذة، تند منها يد مشرعة سيفاً طويلاً.

ترتضم عليها سحابة نور موجزة، تنسحب اليه ببطء وتحتفى.

ثم تمتليء الغرفة بالنور. في جانب منها رجل يجلس على منضدة يحدق

في النافذة وعلى مقربة منه انكأ قارب مزخرف له جناحان، يستمر في

النظر باندهاش ثم ينهض الى النافذة).

(في همس)

- الموت يغسل اغدام القرية. ودموع الراعي تقبب بياض عينيه، وهذه الريح الغادرة تدفع طواحين النهاية لتجرشنا.

يغلق النافذة - الموت هو اللعبة التي يتبعي الا يمارسها المرء.

يعود الى مجلسه خلف المنضدة، دقات واهية على الباب يرفع رأسه قائلا:

- ادخل.

انفتح الباب ودخل رجل ملثم يلبس ملابس الجيل السابق. ينظر متفحصا

ثم يقول:

- اراك لا تزال حيا.ليس هذا مداعاة للفخر.

- ماذا تقول ايها الرجل الملثم - من انت؟

- أنا، يخلع لثامه.

- أبي.

الاب - لا تصرخ بصوت مرتفع لنلا أنداعي متهدما

الآن - لم تمت منذ عشرين سنة.

\* نشرت هذه المسرحية اول مرة في مجلة العاملون في التفط ، آيار 1966، عدد 51، السنة السادسة. ثم اعيد نشرها في مجموعة الجسد والأبواب، 1969.

- الاب - دعنا الان، قم وانظر من النافذة، هل من(ما) تحتها.  
ينهض الابن.
- الابن - بعض الفرسان يعبرون محملين بالاسلاط التي اغتصبوها من القرى التي اقتلعت رجالها الزوابع.  
صوت يصرخ من خارج الباب.
- ادركتني، البرد يصفر بين اضلاعي.
- الاب - هذا حارسي، هل تاذن له بالدخول؟  
الابن يهتف مزانيا - هلم ادخل ايها الحارس.  
يدخل هيكل عظمي مجلو العظام مادا كفه الى الابن ليصافحه.
- الابن - بانكماش - : يكفي ان نهز رأسينا بالتحية، يمكنك الارتخاء.  
ينسحب الهيكل العظمي ويرتكر في زاوية.
- الاب - ارى سواؤلا يتضمن في عينيك منذ قومي.
- الابن - حقاً فبأناملی المرتجفة اسلبت جفنيک، وبعینی رأیت الحجارة  
والتراب تغيب تابونک، وحفرتا اذني امتلأت من الكلمات المحزونة.
- الاب - عبرت انهر الزمن المتيسة، وقناطر السحر المخدرة علني أصل  
إلى الغد الذي بلا نهار ولا ليل. وما زالت  
أقدامي الثانية راحلة بي، وعندك ارتيميت لاخبرك بـ.
- الابن - لي perpetr فنك القدسی الكلمات مهمما كانت.
- الاب - كنت استجتمع قواي ذات امسية فسمعت أصواتاً تذكر اسمك في  
قرار باتَّ لها بانهاء وجودك.
- الابن - عجباً لم ينکروا علة سقوطهم على.
- الاب - يبدو انه أمر محظوظ عليهم ومجهول.
- الابن - بعد صمت - لن يهمني امرهم وسأفتح كل من يتجرأ على التقدم  
مني.
- الاب - لكنهم مخلوقون من أجساد لا تعرف الموت ولا يعرفها.
- الابن - حسنا. ليأتوا فأغسلهم بالتجربة.
- الاب - ثبت رأسك على عنقك جيداً وبالتالي اجزم.

الابن - انتي وانت.

الاب - حين يخلو المرء بفكرة يشق وبينني امثل ما يريد، وعندما يصل الى الواقع يفقد القدرة على التقدم.

الناس يرون السماء بعيونهم، لكن السماء لا تحتاج الى عيون.

الابن - ان باطنني هو خارجي، وخارجي باطني، انتي وانت.

الاب - بحنان - انت بذرتني الميمونة التي لا تقدم للانواء اي مجاملة. واي رجل انت يقصد العزم من جيبك، انك تملأ قلبي.

الابن - وانت العبادة المباركة التي نفسي، وان اليدين اللتين فتحتا اجفاني ستبلاها بفخر.

(الشباك يقرع، يفرز الحضور، الهيكل العظمي يتتصق باقصى المكان ) صوت اجش من الخارج - افتح.

لا ينتظر بل يدفع الشباك بعنف ويفتحه، يدخل رجل ضخم قوي يرتدي ملابس الجيل الاسبق.

الاب - يا الغرابة، اى تدبير غامض قدفك علينا؟

انه جدك يا عزيزي، انكما لم تتعارفا من قبل.

يتناصف الاثنان بدبلوماسية فائقة واحترام كامل، ثم صمت.

الجد - لابنه - هل انت متأكد منه، بصيغته الكاملة.

الاب - أجل.

الجد - اذن لا بد اني وقعت في غلطة ما.

الاب - ما هي؟

الجد - لا شأن لك بها.

الاب - لا بد لي ان اعرف.

الجد - حسنا - سأنزل عند اصرارك : كلفت بانتزاع روحه.

- يوميء الى حفيده المرتجف.

الحفييد - هلا اخبرتني عن هذا الاصرار اللافح على.

الجد - نحن اجدادك، نبقي في الزمن : كل منا يملك أرضه ولن نرضى للآخرين، شرقين ام غربين بالدخول فيها.

رغم اننا نحب الملائكة.

لنا سماونا الخاصة، كما قديماً ونبقى، اننا منتشرون مثل الأرض.  
اما انت فكنت تعطي دمك لفكرة يمزق الأرض المساوية. لذا قرروا طمس وجهك عن ضوء العالم.

الاب - يتذمّر - انك لن تصاحع لهم.

الجد - (تحديق).

الابن - لن تغسل يديك بدمك.

الحفيد - لن تخزز اظافرك في قلبك.

الاب - لن تسليخ جدك. استحلفك.

الجد - وماذا سيقولون، انهم وافقون وراء الاشجار ينتظرون.

الاب - دعهم يملعون انتظارهم المر، فال العاصفة تلوح وسيغيبون فيها.

الجد - اذن فلنصل عليهم أولاً، ثم أقرر.

الاب - ماذا تقول؟

الجد - سأخذكم الى دار لن يقرع باليها، ولا يصلها نداء وليس فيها نوافذ  
كي تنجو أنتين.

يهزان رأسهما بالإيجاب.

أصوات بعيدة - ذو الوجهين يهرب في المرأة، ثم يسقط في البئر، وجوه  
كثيرة تهرب في طرق مختلفة لكنها أخيراً  
تسقط في البئر ويظل القارب واقفاً.

آه. لا تموتوا ايها المسافرون سيحضر البحارة غداً.

\* \* \*

## سهرة تحت غيوم الصباح\*

المشاهد..

ساحل على بحر ممتد، الساحل والبحر عاريان بصفاء، وثمة رجل مغطى جسده بالرمل ورأسه منتصب تجاه البحر عكس المشاهدين.

الرجل المغطى - تكون سعيداً، ايهما السامع، وغير الموجود في الوقت نفسه، اذا انتبهت فجأة وانصرت نفسك، وحيداً صافياً الى ما لا نهاية.. نقبا كمجنون، ومسحت المسافة التي تفصلك عن الآخرين، وأحسست بطول السنتمتر الهائل الذي يبعدك.. (صمت قصير)

ايهما السامع غير المرئي.. يا من تملك كتلة تماثل كلتي وتمتك وعيها واحساساً يضار عائني.. انت غريب على وانا غريب عنك ولن يعرف احدنا الآخر ابداً مهما أفصحاننا عن أفكارنا وأسقطناها في مرآة الموضوع.. ومهما فتحنا أبواب قلاعنا لتدخلكم منها، فهناك أبواب سرية تظل مغلقة: شئنا ام أبيتنا. (صمت)

اذن، ما بقيت تلك الأبواب محربة فلن يعرف احدنا الآخر.. ونبقى غرباء ايهما السيد السامع، غير المرئي. (صمت). كل منا يقاتل كي لا ينتهك.. الافراح والهموم نطويها في أعمالنا ونحرسها لأنها ماتاعتانا الروحي ايهما المتع الغفن، بك يقيد الإنسان وبفقد حركته.. (صمت) يدك هي القيد.. مدها الى أحدهم فإذا استلمها فقد سقطنا معا.. التفصيلات هي الدوامة التي تجمع في مقرها كل أجسام الأرض.. الأجساد المؤهلة للنار.

ايها السامع، غير المرئي.. ان مؤامراتك الفنرة الصغيرة التي تخلقها مع الآخرين تبقيك جسداً "حقيراً" معدوداً برقم.. في هذا المنزل ستة.. في الشارع منه.. في المدينة مليون.. في الدولة عشرة ملايين.. اذن فرقك قد يكون 526,101.. (صمت)

\* نشرت هذه المسرحية اول مرة تحت اسم "سهرة تحت الغيوم" في ملحق جريدة "النور" ، 14 تشرين الثاني 1969، ثم اعيد نشرها في مجموعة القناع، 1970.

لقد تجردت تطلعاتك الإنسانية ووجودك وأصبحت جسداً وجداً غير مميز : الأجسام تتساوى في الظلام.(صمت)

ايها السامع : نحن بعيدان.. قد نحقق ببعضنا في منعطف او في سيارة عامة.. لكننا سنغيب، وبينما اكون رافعاً رأيت تكون انت بلا راية، بلا تاريخ يؤهلك لان تكون مواجهاً لي .. ايها السامع غير المرئي : ربما اشتفت عليك هنا من الدقاقيع.. فهل يجدي؟؟

انك تذكر بان ظالك الذي تجره خلفك تصنعه الانواء الجوية ولا تفك  
بانك انت الذي يصنعه.. انه انت وليس الفوء.. هكذا يجب ان تكون والا فلن  
نلتقي.. (يشق نهاية البحر زورق مملوء بحشد من الاجساد.. يقترب من  
الرجل المغطى، يصل الى الساحل ويقفز منه رجال ونساء كثيرون يواجههم  
الرجل المدفون).

واحد من الحشد - أبصروا هذا الرأس النابت من الأرض .

هل انت حي ايها الرأس؟

المدفون - (سکوت)

امرأة - هل لك أطراً؟

الهدف

أصل أمة = لزعجه من الأرض، وبما كان له حضرة

رجل - قد يكون بلا اطراف فخجل من وضعه بين الناس فجاء الى هنا  
و دفن نفسه.

أصل آلة - د. نما

رجل - كنت أعرف رجلا سحقت أطراقه عربة.. ضجرت منه زوجته فحملته في حقيبة ضخمة وطلحت به في النهر.. ربما كانت زوجة هذا رقيقة فدفنته ليتأمل البحر قبل ان يموت.

هل تحب البحر كثيرا؟

- ضمك -

- تتحدى امرأة وتزلق أصابعها في شعره -

المرأة - انه جميل، عيناه جميلتان وعميقتان.. ليتني اعرف حيا مثله  
لکنت أحببته. هل انت آخرس ایها الرفیق المثبت.

رجل - انك تتكلمين حجراً يابساً. أنا أعرف هؤلاء. ان عاھاتهم تخولهم  
امتیازاً خرافياً يابذائنا. ایها الشفیق التعیس يا حثالة افراح البشر ، انتی لن اشفع  
عليک. لکنني اخاطبک بالله معینة وان کانت ضئیلة.. هل ترید ان تأتي معنا.  
لن تتكل علىنا، اذا ضجرت فاطلب منا ان نرميك في البحر وسنفعل.

المدفون - (سکوت)

الرجل - سيخلق المنا لموت إنسان وحيد على ساحل بحری مهجور . هل  
اخترت موتك ام أجرت عليه؟

امرأة - انه ينظر اليانا بازدراء.. ويخليل الى انه قد فهمنا.. هو يستطيع  
الكلام، لماذا لا يتكلم؟

- تحبني عليه وتقرصه من شفتيه وخدّه -

المدفون (يصرخ) : ارفعي يدك أيتها العاهرة .

المرأة - بفرح -: انه يتكلم، يتكلم.  
امرأة ثانية - لنعمل على انقاذه. سأرتعب اذا كانت له رقبة فقط تحت  
التراب. هيایها الرفاق انقذوه.

(ينحنى الرجال عليه)

المدفون - أبعدوا أيديكم الملوثة ... أبعدوها ايها الخونة. لا اريد ان  
تلمسوا ما يخصني.

رجل - لكنك تدفن نفسك... ستموت بيضاء.

المدفون - ماذا يهمك من أمري .. أنا وضعت خصوصياتي فلا  
تلمسها.. هب انك لم ترني، فهل كنت مستشفق علي وتنفذني، اذا اردتم  
مساعدتني فدعوني وانصرفوا.

رجل - انا واثق من جنونه.. انصرف.

رجل آخر - ما دام الأمر قد كشف نهاية سيئة وما دام قد رفض معونتنا  
وطلب منا تركه على حاله، فالنضرف.

رجل اخر - هيایها الرفاق، ان البحر يدعونا وشمة متعددة في  
مرافقه كثيرة تتضرر.

- يتحول الجميع الى المركب.. تخاف امرأة -

رجل - يناديها - هيا يا فتاة، أسرعي.

الفتاة - سأمكث هنا.

الرجل - هذا شائك، تذكرى انك ستتدفين فلن يرجع أحد الى هذا الساحل  
المغزول، ستقطعين عن حركة العالم.

الفتاة - وداعاً

(شق الزورق البحر متضائلاً)

الفتاة (تنادي الرأس) - ما يدهشنى أنجذب فيه، وانت ملاتي بالدهشة :  
الأشياء الممكنة التفكك الى رموز تعجلنى أحنى رأسي وأدخل فيها ولغى كل  
اللاقات المانعة والحواجز الجاهزة لصدى من تحقيق تقدمنا في شيء الى  
نهايته..

المدفون - يبدو بامكاننا ان نتكلم سوية.

المرأة - ذلك ما تدفق في عندما شاهدتك.

المدفون - من هم هؤلاء الذين جئت معهم ثم مضوا؟!

المرأة - انهم فتيان يعيشون بتتفهم وعضلاتهم أسطعوا تاريخهم  
وعواليهم القيمة ومدنهم، رفضوا انتظار المستقبل. انهم يعيشون حاضراً  
خلداً، يعملون ما يستهويهم ويتركونه ينبع اذا ما ضجروا منه، غرباء  
يجمعهم الزورق، اذا ابحروا كانوا فيه، اذا غرقوا غاصوا جميعهم. يا لها من  
وحدة قاسية غير اختيارية كنا نعيشها. هل انت بخير؟

المدفون - طبعاً

الفتاة - هل وضعتم نفسكم بنفسكم تحت التراب؟

المدفون - يقيناً

الفتاة - لماذا؟

المدفون - الخطأ. اعتقادهم انى سأقتل تحت التراب. فحتى في هذا لم  
يعرفني احد. لقد دفنت نفسى اختياراً اختر قرتى على فحص قوتى. قررت  
انما حبس نفسى أسبوعاً في التراب لاكتشف فرة جوعى وعطشى وجنسى. لم  
افكر أبداً بالانتحار. (صممت). عندما ينتحر الإنسان يفقد نفسه ويبقى العالم كما

كان، لن يتغير شيء، فلماذا ندمر أنفسنا هباءً، ولستا نملك غير أنفسنا:  
الأغبياء هم وحدهم الذين يقدمون أنفسهم بتناهية إلى الموت.(صمت). ان  
التفصيلات التي نعيش في حركتها وما تخلق من متاعب لهي أصغر من  
وجودنا، انتا تستطيع طرحها ونستمر. (صمت). نحن الذين نخلق ونحن الذين  
نفرز الواقع ونلهمها بخيالاتنا.

الفتاة - هل وجدت شيئاً؟

المدفون - أحاول أن أبعث لحيويتي قوى جديدة في هذا العالم الذي  
تنشئ الأجساد فيه لبناء إمجادها الزائفة : رغم اثنى امتحن الجوع والعطش  
والحرمان.. أحيا لكنني لا أجد ما أفعله سوى الاستمرار في الحياة.  
الفتاة - ستنضطر إلى السير في الازفة العتمة التي يخشى الاعتيادي  
المرور فيها وتعيش في غرف تمنع الأصوات والمقابلات ستختسر منعزلاً  
تحمل أثقالك وحيداً.

المدفون- أن لك أن تصممي ساضطر لرميكي في البحر.

الفتاة - لماذا؟

المدفون - لأنك بدأت تخرجين لسانك من الدستور !  
( صمت ) في الوحدة المقدسة يكتشف الإنسان كيانه برمته ويكتشف  
موضعه ويكتشف العالم الموجود فيه .. حينئذ ستنهلوا المؤامرات والطموحات  
البايسنة. (صمت). سينفرد راقياً ممتنعاً بالوهبة جامحة.  
(دودة ضخمة تثبت من ثقب، وتمر بيطء فوق وجه المدفون ثم تتحرر إلى  
الجهة الأخرى وتتضى في التراب )

الفتاة - ألم تر،إنك لم تستطع الدفاع عن نفسك حتى تجاه دودة.  
المدفون - هذا ما أردت أنا قوله، إنها لا تختلف عن معظم أجساد هذا  
الأرض، تمر بك وتكاد تسحقك لكنك لا تملك إلا أن تبعدها برفق لثلا تلتصق  
بك بذاتها الأبدية.ان عذابي يمكن في أن اعيش في مستقبل الحاضر، لا في  
الحاضر .

الفتاة - هل تاذن لي بازالة التراب عنك.

المدفون - لا يأس.

(تلع التراب عن ذراعيه ويأخذان سوية بخلع الكثلة عنه - ينهض  
بملابسه الكاملة المتسخة)  
الفتاة (مع نفسها) - كما كنت أحلم به.  
المدفون - ماذا قلت؟  
الفتاة - سأجعل لك كياني غرفة سرية تنتشر فيها، تصخب، تغنى، تمرح،  
تحزن بصفاء، وتقام فيها.  
المدفون - لماذا أمانع؟ الأمور كلها سواء.  
الفتاة - إنها تختلف وستجد ذلك.  
- المدفون يضحك مستخفًا ثم يقول -  
- إنك جدية وهذا ما يزيد المسألة بلبلة. لن أقع في التباس.  
الفتاة - هل نعود إلى المدينة؟  
المدفون - هيا

(يطبقان كفيهما ويسيران ببطء، يهبطان من المسرح ثم يمران بين المشاهدين بثوذة وهم مشغولان لا يحسان بأحد ثم يختلطان بالجميع)

(صمت)

\* \* \*

## الجدار وزهور البحر

دائرة ضخمة من الماء راكدة، ابعادها الأفاق. مركب خشبي صغير ساكن،  
ورجلان شاحبان يتكلّمان على الحاجز ينظران في البحر الخامد.  
الاول — لا ندع قلبك يتقدّم ريح الخلاص..  
الثاني — صمتنا يا رفيقي، لا تخلي عن الامل، فالشمس مهما رمت أشعتها  
فستصطدم وتوقف.  
الاول — انك لم تطل على حل المسألة يا عزيزي، المركب ثقيل والريح واقفة،  
لا خلجان، لا مرافئ نحن في البحر، هذا السرداد المظلم الذي  
تنزلق فيه إلى حتفك رغم مشيتك.  
الثاني — لا تكم أنفاسك بأصابعك الوجلة، قد تنشط الريح وتقدّمنا إلى شاطيء  
مغيب عن أعيننا.  
الاول — ارتدي من هذه الخيالات الفتية واحش جحمتك التعبي بها (بغضب  
فجاء). قم إلى سطح المركب دعه ينفض ويسيّر إلى بر النجا.  
الثاني — (يتململ) ستسقط علينا المتعان من محريهما ان ظلت تصرخ،  
لم قواك واحفظها. (صمت).  
صوتوك الصحراوي يسربني مع ارتخاء الريح العتلأشية:  
ليكن صدرك المرتّش مملوءا بالعزيمة وعامرا بالفتوة.  
انتا ستبقى ما دمنا ساكتين مسخرين لإرادة البحر، البحر الذي لا  
يعرف لهفة الفرحة ولا نشوة الخطوة الواثقة.  
الاول — حسنا سأنتقل إليك خطوة واحدة وأضع بين كفيك هذا السؤال، أين  
نحن؟  
لقد خرجنا متجهين إلى وطننا، ومنذ أيام هاج البحر وحط  
اتجاهنا وأصبحنا معلقين في دائرة ضخمة من عيون الصمت  
المترقبة:  
هيا افعل شيئاً

\* نشرت هذه المسرحية في مجموعة الجسد والأبواب، 1969.

مد ذراعيك في البحر وجذف الى شاطئ ما، والا هل تترك  
 أجسادنا تضمر وتلفها كلماتها؟  
 الثاني — الياس يهدى في وحشتك  
 ايهما الثنائي : ايها الثنائي.  
 لا تنقف صوتك المحنو من الالم، فانه يتبدد في غربة لا اذن فيها.  
 الاول — امنح حروفك لكلاب البحر ايها الرفيق فستذهبن بها عيونها المتعطشة  
 للينا، هيا للغن، (في حق موغل في الياس).  
 هيا:  
 ايها الموت المنتظر خلف الامواج  
 اعطي زورقا لأجيء به اليك كي لا اجسمك عناء الانتقال، فلن  
 ندع الزمن يتبعك من اجلنا لحظات عاشرة تلقط بها ارواحنا  
 وتتضي. .  
 الثاني — ستزول ذرات وجهك الراسخ من التساقط يا رفيقي الجائع الى  
 الخلاص.  
 انصت الا تسمع شيئاً ينحدر علينا، خفيفاً وسريعاً.  
 مررتداً كرفيف خفافيش اطار صوابه نور متوجه  
 الاول — لا اسمع شيئاً سوى صوت قلبي  
 الثاني — قلبك!  
 الاول — انه يجرأ:  
 أيتها الريح لا تسقطي على شاطئ البحر ميتة.  
 انتي انحب اليك، هلمي الى كياننا المتعب، ضميه وانطلقني به الى  
 اي شاطئ حتى ولو كان صخرة عارية يتملکها غراب، الى ارض  
 يابسة متشقة، لا تدعينا واقفين تتصادم أجسادنا لنجد مطامحنا  
 الأخيرة وامتحي هذا الرفيق الغريب برకتك الفاسية، لانه بلا قلب.  
 - يلتفت اليه ويتحقق فيه ويقول -  
 اعتقد ان تلك اللحظة التي جمعتنا تولدت طبيعيا، ام ان المدن  
 الساحلية تلتف معرفة البعض على البعض بلا مقدمات.

الثاني - لا افهمك جيدا

الاول - كنت مدينا بنصف هذه السفينة الى مراب في المدينة وكان يربد  
ببعها، لماذا أتيت واشترىت حصته؟

الثاني - لاني كنت اريد الرحيل عن مدينة مللت طرقها وأبوابها القديمة  
وبيست من أسوارها وشعر بناتها المجدول ورجالها المزيفين :  
مدينة الافواه الزجاجية التي تتحر الخبار، انها تعشق أسوارها التي  
تصد زهور البحار الزاحفة : انها تخاف من الشمس.  
تبأ للمدن التي تخاف من الشمس.

انني ابحث عن مدينة حقيقة في هذا العالم، ولهذا أتيت معك.

الاول - بدأت تتلخص بقلبي ايها الرفيق، انك الظل الذي يتقهقر في جنبي  
الخفى، والذي تنحسر اليه نفسى المنكهة.

الثاني - وانت ايها الرجل المرهق، ما مطافك؟

الاول - لم اعصر عمري كما ينبغى، بل تركته يسرب دونما رجعة. كنت  
اتتبع رنين الدراما تقدوني الى كنز، كان الكنز وجودي، ولم أقل  
أخيرا الا سنوات ياسة تكلست على وجهي، وسارة دين مفرغة  
تشبت في المركب ومزقت نصفه. والآن نجوت من وهم رجوعي  
ثريا. انفع بين قومي البسطاء سامضي لأحيا، ولا اجر هموما  
زانقة.

الثاني - اخالك ألقيت الخوذة الثقيلة عن رأسك ان بعض الناس يجهدون  
رؤوسهم لان تصنعن طبقات من الجد يطلون بها هيكلهم بلا احتياج  
او مبرر، يمرون في طرقات المدينة بوقار وتودة، وجوههم صلدة،  
عيونهم حجارة. وحينما يلتفون الى منعطف يذلون القرفة فظهور  
أجسادهم الحقيقية، انها الغلطة التي لا اغفرها ان يملك الإنسان  
جسدين، واحد يتعامل به مع الناس والأخر يتعامل به مع نفسه.

الاول - لا تغذني معهم،انا صنعت نمطي باختياري النام، كنت أؤمن ان  
الفرد ذو اندفاعه وعليه ان يبدأها باتقان ونهجت تحديدي حتى  
افقدني البحر اراده الماضي.

الثاني - إذن سنبداً سوية، نجعل هذا الجسم الخشبي طائرنا ونكون نحن جناحية.

الاول - الا تعتقد أنتا تأخرنا كثيراً، الا تحس الجناحين يتهشمان.

الثاني - لا ادري ماذا تخبيء الدقيقة القادمة، ولكنني أؤمن بان هذا الوقوف المربع يخلع العزيمة والاصطبار.

الاول - انظر الى الاقداح والوانى، انها جافة تبعث رائحة هجر الطعام والشراب.

(يدبر رأسه في الافق الاحدب ملئاً عينيه المهمومتين من السماء المطبقة على البحر والمكونة زرقة لا مطاف لها)

الثاني - انظر اليك هذا طائراً، انه يحيء من بعيد، يرتفع وييهوي على جلد البحر، انه يقترب من مركتنا انظر : انه يحط على المؤخرة : هذا الطائر الاسود.

(يجلس الرجالن وهما ينظران الى الطائر الذي بدوره ينظر اليهما).

الاول - ان صدره يكاد يتمزق من التفس، انه يحدق فيما مرتعباً ايها الطير العزيز من اين أتيت، اخبرنا، ماذا وراء هذا الافق؟

(ينهض ليمسك الطير فيقعده صاحبه).

الثاني - لا تذهب اليه فتفزعوه.

الاول - كلا سيمنعني الجواب الذي اتمناه، ايها الطير دلنا على الطريق.

(يفلت من أصابعه صاحبه وينطلق الى مؤخرة المركب حيث الطير

وينحنى ليمسک به فينقلب الطير مضطرباً ويحرك جناحه لكنه

يسقط في البحر)

(الاول ينحني من فوق ويتحقق في الطير الذي مات).

الثاني - لا بد انه وافانا من مكان ناء فهو مرهق جداً.

الاول - لا تمني ان دفعته الى هلاكه، اريد مرفأ ينساق اليها يكتفى لنا وراء ذلك الافق الراكم في أغوار البحر.

الثاني - لا تشغلي فكرك بهذا الامر ، انه لو بقي يختلج لمات.

فالنضال الثاني يورث الحسرة.

(يقرب الرجل الاول من الثاني).

الاول — انك نزعت عني جلداً غليظاً، أقيمه عن بسرعه لم اكن اتوقعها.  
الثاني — الحقيقة غالباً ما تنسد ما يبنيه الإنسان في خلوته من امان بهيجه وأحلام رخية، الحقيقة دائماً صلفة لا تقيم وزناً لأية سلطة.  
الاول — أخذت ارى الهواء الذي اتنفسه، آه، وصلت عيني الى آخر نقطة في عري الأشياء.

الثاني — يولد أولئك الناس ليقذروا من فوق الأسوار عراة ويلبسون أحذنتهم في روؤسهم اذا طلب منهم: من اجل بقعة ضئيلة لا يأبه بها الآخرون، إنما يدوسون عليها بعد أيام وربما يبصقون عليها.

الاول — أوقف جدول حديثك هنديه، وانظر : اما زال الطائر طائفاً  
الثاني — (يجرجر خطواته) : اجل، انه مقلوب على ظهره. منقاره يابي الغرق.

الاول — انشلله، فقد ينفعنا هذا الباس في ركتتنا الميتة هذه ويوجل نهش احتنا للآخر.

الثاني — يابي ظلنا الا ان يثبت خلف الأسوار صاماً في وجه عدو موهوم يحارب بالف سيف، ظل وجهه يكره قفاه، ظل وجهه يقاتل قفاه، اذهب بعيداً واغرب عن عيوننا ايها الطير الأسود، اذهب، فعندما نفتحت عيني وأبصرت الشمس وقال لي صاحبي — ها قد وصلنا الأن.

تيقطلت وأبصرت جسي الظمآن مونقاً في البحر ينتظر الموت :  
الآن اسفرت الرحمة عن وجهها المرائي.  
(ينحنى متقداً عن الله يتلقط بها الطير الأسود فلا يجد شيئاً ويعود).  
لم اجد شيئاً ما ارفع به جثمان صديقنا الغريب.  
(ينظر ثانية ثم يصبح)).

الاول — تعال انظر، انه يبتعد عن مر Kirby، ينزلق على رعشة الامواج.  
((يقف الرجل الاول ويسحب جسده الى الحاجز)).

- انه ينجاً كثيراً.  
الثاني — (بفرح) : البحر يتحرك

الاول : انه يضطرب فيهز مركبنا الثائم ويدفعه، يندفع، يتمايل، البحر يتشنج والشمس التي تلقي الافق على البحر تفك القيد عن مركبنا، يا الهي دعني اسجد لك سجدة تلقي بتحنانك.

الثاني — لم فرحك ايها المتهالك : ايها الشقي، البحر يسحبنا الى رغبته السرية.

الاول — ماذا تقول ايها الغافل.

الثاني — اين نمضي ايها البحار الماهر ! ان رغبة البحر المجهولة تسيرنا.

الاول — لا تأبه، فهذه الامواج التي لا عقال لها قد تدفعنا في غسل صاف الى جزيرة او شاطئ ما، وقد تدفعنا الى ارض متوجحة.

آه لقذفنا الى اي مكان غير البحر، فعلى الأرض تستطيع ان تقائل ونحيا، ولكن هنا في البحر، تلطمها الموجة فتنحنن لها وتنصرع.

لطالما جال بفكري سؤال هو — ماذا بعد وصولنا الى نتيجة عبرية مذهلة؟ فرح، تنفخـر، نكتشب، ماذا؟

هل تستطيع أجابتـي؟

الثاني — لماذا يولد الإنسان ليموت؟ هذا هو الجواب الشرة.

الاول — ان الكلمات لتشتـرـج وهي تخرج من فم ميسـ، افضل لو نرقد قليلا حتى نتدبر امرـنا عـدـنـما يـلـوحـ لنا سـبـيلـ نـجاـةـ يـمـددـ الاـشـانـ على ظـهـرـ المـرـكـبـ وـيـاخـذـانـ مـقـطـعاـ طـوـيـلاـ مـنـ النـومـ، وـبـعـدـ سـاعـاتـ يـرـفـعـ الاـولـ رـاسـهـ وـيـهـزـ الثـانـيـ فيـجـلـسـانـ.

الاول — لا شـارـةـ تـؤـمـنـاـ بـالـنجـاهـ، لـكـنـاـ سـنـجـدـهاـ...ـ سـنـجـدـهاـ. هـكـذاـ تـحدـثـيـ هـذـهـ الدـقـاتـ المـتـنـهـةـ.

ـيـقـرـعـ اـضـلاـعـهـ

الثاني — .....

الاول — سـابـيعـ حـصـتـيـ فيـ هـذـاـ المـرـكـبـ وـانـطـلـقـ فيـ البرـ مـبـتـدـعاـ عـنـ هـذـاـ الـوـحـشـ، فـهـلـ تـشـتـرـيـ؟

الثاني — اـناـ؟ـ كـلـاـ بـالـطـبـعـ، فـقـدـ تـورـطـتـ وـأـعـطـيـتـكـ رـقـبـتـيـ.

يـظـهـرـ فـيـ خـتـامـ الـاقـفـ صـارـ بـحـمـ الـاصـبـعـ ثـمـ يـكـبـرـ وـيـكـبـرـ حـتـىـ تـظـهـرـ باـخـرـةـ كـبـيرـةـ، يـفـتـحـ الرـجـلـانـ صـنـبـورـ حـنـجـرـتـيهـماـ بـصـرـخـاتـ

إلى الباحرة التي يقف على ظهرها جمع من البحارة ينظرون  
البيهـا، ينزل تجاهـها زورق إنقاذـ كبير، يلتصـق الزورقـ بـمركبـها،  
ويقولـ الأولـ لـرئيسـ الـبحـارـةـ، أـينـ هـيـ وجـهـتـكـ؟ـ  
ـ رئيسـ الـبحـارـةــ سـنـعـبرـ الـبـحـارـ إلىـ الـجنـوبــ.  
ـ الأولــ خـذـانـاـ مـعـكـ وـاتـركـونـاـ فـيـ اـولـ مـرـفـاــ.  
ـ يـنهـمـكـ الـبـحـارـةـ بـربـطـ المـرـكـبـ إـلـىـ زـورـقـهـمـ لـيـوـصـلـوهـ إـلـىـ الـبـاحـرـةــ.  
ـ رئيسـ الـبـحـارـةــ أـقـرـبـ مـرـفـاـ يـبعـدـ مـائـيـنـ وـسـبعـيـنـ مـيـلاــ.  
ـ يـاتـقـتـ الرـجـلـانـ اـحـدـهـماـ إـلـىـ الـآخـرـ ثـمـ يـتـصـافـحـانـ وـيـقـولـ الـأـولــ:  
ـ وـداعـاـ أـيـتهاـ الـأـيـامـ الـكـدرـةــ.  
ـ يـلـفـتـ الثـانـيـ إـلـىـ الـبـحـارـ وـيـقـولـ:  
ـ لـنـاـ وـحـدـنـاـ الـحـقـ فـيـ أـنـ نـكـبـ ماـ نـشـاءـ عـنـ حـيـاتـنـاـ، فـنـحنـ الـذـينـ  
ـ خـلـقـتـاـهـاـ وـهـيـ لـنـاـ بـذـافـيرـهــ.

\* \* \*

## الرصف.

كانت الغرفة نظيفة وخالية، لها باب رفيع ينحضر فيه الداخل ليتمكن من العبور، وكان رجالان أولهما يحمل عصا، والثاني يترنح وكان يدا خفية ترفعه وتمنعه من السقوط قال الأول - سبباً من جديد، دوماً نبدأ من جديد، وبيدو اتنا لن ننتهي هه؟

- الثاني لا يجيب -

الأول - افتح هاتين الشفتين، أعلن صوتي واحداً!

- ينقل إلى مقدمة الغرفة ثم يعود إلى مكانه -

- ماذا تجد في الصمت؟

- الثاني لا يجيب -

الأول - لن يكسرني صمتك. ليس الصمت دائماً قوة المغلوب. (يتوقف ويقول بسخرية) : مغلوب!

- يمسه بالعصا -

- كلمة واحدة من فضلك!

- صمت -

الأول - لن نتكلم. هاه؟ ساحولك إلى تيار من الكلام. (متحدثاً مع نفسه) سؤال صغير ينزلق إلى ذلك المكان السري الذي تخفيه فيه المعلومات ويرفع الحاجز فتتحرر الإجوبة متذكرة. جواب السؤال الأول هو المفتاح الأساسي، ثم تبقى أضاءات صغيرة تكشف تلقائياً. إن قيمته تكمن بالمعلومات التي ستظهر حتماً، ستحل المعلومات في الأوراق وتخفي قيمتها). صدى لجوفة يرجع - تخفي، تخفي، تخفي.

الأول - هل تسمع النداء؟ أصوات تتفجر من صوتي.

الجوفة - انه لا يتكلم، انه لا يتكلم.

- يضيء الأول نوراً أقوى على المقيد ثم يمسكه من شعره ويرفع سوطه إلى الأعلى ويضربه فيترنح ويسقط على الأرض.

\* نشرت هذه المسرحية في مجموعة القطار الثاني، 1974.

الاول - اللعبة غير المجدية تتكرر . يسقط ثم ارفعه، يسقط ثم ارفعه.

- يدخل ظل الى الغرفة -

الظل - الام ستضربي؟ انه لا يتكلم .

( لا يلتفت اليه، يجبيه وظهره نحوه، بتقرير ) :

الاول - كلهم يتكلمون في النهاية ويعالجون تاريخا فات.

( يستدير ببطء ويضيف ) :

- التاريخ : عين مزورة غير موجودة في الحاضر .

الظل - لكنه سيموت.

الاول - لن يموت. انهم يمسكون اللحظة البارقة بين الحياة والموت،  
فتقضي لهم مستقبلهم. انهم بحاجة الى هذه اللحظة ولذا ندفعهم، وندفعهم،  
فيسقطون بين ايدينا.

- ينسحب الظل -

الاول - بين ايدينا تفتح حياتك ايها الرجل، تفتح اياما جديدة.

- يذهب الى جانب آخر ويحضر دلوا من الماء يصب على الرجل  
الملقى، فيرفع رأسه:

الثاني - اين أنا؟ آه. آه.

( يصب عليه من جديد).

الثاني - اين سأذهب؟ كيف جرى ذلك؟

( يتحقق في الغرفة ويتذكر).

الثاني - لا جديد، لا جديد لها الرجل.

( ينهض وبواجه الاول متضرعا):

- لا اعلم شيئا، لا اعلم شيئا.

الاول - لا تقل لا اعلم شيئا، من يصدق؟ (الى جمورو ما:) هل تصدقون  
ان رجالا مثل هذا لا يعلم شيئا بالمرة .

( يتحول الى الثاني) انك تعلم شيئا. ولنقل شيئا ما على الاقل، فحدثنا  
عنه.

( قبل ان يكمل حديثه، يتداعى الثاني على الأرض، فيسرع الى الدلو ويصب عليه فيفيق).

الاول - هل تصعب عليك البداية؟ ابدأ من اي موضع وساربط الحديث.

الجوفة - انه يجيد ربط الكلام، يجيد ربط الكلام، ربط الكلام، الربط.

الاول - وانا أمين، سلطلك على حديثك ثم تصدق عليه (يطلع اليه الثاني، ويقول بهدوء) :

- لا شيء لدى.

الاول - اذن ما زلتنا مختلفين.

( صمت )

الاول - لن شوت، اطمئن، لكتك ستتوسل الى الموت.

( يرفع سوطه ويضرب بقصوة، يسقط الثاني على الأرض )

- يطفأ النور لحظة -

-2 -

- نثار الأضواء قليلا، الرجل الثاني وحده.

يرفع رأسه:

- الجدران تتقدم نحوني وتستثير (يغطي عينيه ويدفع به تجاه الجدران: - ستكون علي (يصرخ) : ققي. يفتح عينيه) : ألم تراني أنا الذي أدور؟ انت جميعا ندور، آخ. عشت مليون سنة. انتي اخرج من عتمة العصور محطما، يدي في بطني، وأصابع في رقبتي، وعيني في كفني.

- يدخل الظل -

الظل - لقد اختصرت العالم الى جروحك، لا شيء داخل الغرفة وخارجها يتحرك سوى جروحك. والنتيجة انت ستوجد مع جروحك ولا شيء خارجك، اين رحل العالم. الى اية نقطة ابتعد عن نظرك؟

الثاني - العالم في جروحي -

الظل (بحميمية) - بالتأكيد لأنه هو الذي اوجدها، العالم الرديء طبعاً.

الثاني - انك جاسوس.

الظل - لست جاسوساً، لكني صوتك الخفي الثاني - انت تهذى.  
الظل - اين تكمن الحقيقة؟ وهل تأخذ شكي نهائياً؟

وكيف يسقط الإنسان ويقف ازاء نفسه والآخرين؟ وآية مبادئه على  
الإنسان ان يتحدد بموجتها ليكون واقفاً او ساقطاً في زمانه؟ الأرض واسعة  
فيها آلاف المدن وملائين الأفكار. وكل إنسان مده، لقد تهم التاريخ ولم  
يبق الا حطامه. ستفت وحده فوق الاطلال المحرقة، ولن تفلت ابداً. التاريخ  
انتهى و اذا اردت فابداً من جديد فقد نفضوا الحطام عنك واخر جوك.

الثاني - هناك كثيرون. سنجتمع ونبني من جديد.  
الظل - انت احمق، تصرخ في الفراغ، تمزق خطيبك.

الثاني - ستبني من جديد.

الظل - لكنك لن تنجو من هنا.

(يصمت الثاني )

الظل - اذن كيف ستبني من جديد؟  
الثاني - لن تنتقمي الهزائم.

الظل - انت مهووس بالتاريخ المجرد، التاريخ المتكلون وفق قناعاتك.  
الجوفة (تردد) - قناعاتك، قناعاتك، قناعاتك، قناعاتك.

الظل - ماضيك لن يتلوث لانه انتهى.

وسيحولك الحاضر الى اتجاه آخر، الى فعل آخر.

الثاني - وضميري؟

الظل - هنا الاشكال الأخير!

الثاني - لن اخون موافقي.

الظل - تستطيع ان تتغلق على ماضيك لكنك ستفقد حاضرك، و اذا اردت  
العمل فتستطيعه. تستطيع العمل بطريق مختلفة.

الثاني - أرسلوك للتزيقي سهلاً اليهم ايهما الجاسوس (يتصق تجاهه):

خرج  
(يدخل الاول).

الاول - ما بين اللحظتين يكون الفراغ، لكنه فراغ متحرك، ايها الغرير.  
تهياً للوقوف بين اللحظتين، بين الحياة والموت. بين الموت والموت.

- تطفأ الانوار قليلاً

يدخل شخص معناً للرجل الثاني:

- بعد ان عدت الى صوابك !! انت مطلق السراح.(كان الرجل الثاني يستند بظهره على الحائط فيعتدل وتنضاء الغرفة مجدداً ويصبح في مكان واسع).

- يمر شيخ عجوز -  
العجز (يتمتم): انتهى، انتهى، لم يعد الا القطار يلائمه وحده وانا احوم.  
من هنا؟ من انت؟

الثاني (متبايناً): انا عابر.

العجز - وهل تحوم مثلي حول القطار؟  
الثاني - اي قطار؟

العجز - ذاك الذي يعبر مثل الريح، قطار من ضوء يشق الهواء انتي  
ابعه، اسافر خلفه منذ زمن طويل، هل تحييء معى؟  
الثاني - انصرف خلف قطارك ايها الرجل قبل ان يبتعد.

العجز - انه يقف عندما اقف.

الثاني - اذن ابتعد.

(ينصرف العجوز وهو يحملق في قطاره غير المرئي).  
(تمر امرأة زاهية، تتوقف أمامه ثم تسأله)  
المرأة - هل انت هنا منذ فترة طويلة؟

الثاني - آه. اي.

المرأة - ماذما تفعل هنا؟

الثاني - انتي ابحث عن مدينة جديدة.

المرأة - مدينة جديدة؟ لا بد ان تكون بعيدة.

الثاني - الا تعرفين طريقاً الى أقرب مدينة؟

المرأة - الطريق الذي جئت منه.

(ونقترب منه وتهمس)

تعال معي، سنجوب غابات الجمال الكثيفة ونطفو في هدوء الذهن ولن  
نقف أمامنا جدران المدن.

- تصمت ثم تصيف:
  - ستصعد درجاً أخذاً وتحل بك دفء الأمل.
  - الثاني - انتي اركز اتعابي على الأرض، انها وحدها تتحملنا الى النهاية، انصرفي.
  - (تبعد المرأة بعد ان يؤكد اصراره على البقاء - أصوات وانطفاءات، ثم يظهر طفل صغير جميل).
  - الثاني (ينادي) - ليها الطفل، ايها الطفل.
  - الطفل (متفتة) - نعم، ماذا تريد؟
  - الثاني - لا تراي؟
  - الطفل - لا اراك.
  - الثاني - انا هنا، ابصر وجهي، وهاتان كفاي وهذا جسدي.
  - الطفل - لا اراك، انت بعيد جداً بين اوراق شجرة كثيفة تطفو على الماء، لك قدمان مثل نهايات الجزر.
  - الثاني - تعال الي، انقذني.
  - الطفل - المسافة بعيدة لا استطيع، لا استطيع.
  - الثاني - اكاد اغرق، امسكتي من يدي، خذها.
  - الطفل - ان يدك تطفو وحدها.
  - الثاني - (يتسل) : انقذني.
  - الطفل - لقد تأخرت، ساذهب الى المنزل (ثم يبتعد).
  - الثاني (وحده، الضوء يتسع ويكبر، الأرض الجرداء. يهتف الرجل):
  - كل إنسان ينتمي الى أوهامه وشجاعات أحلامه. وبين الأوهام والأحلام يأخذ العالم شكله، والإنسان لا يأخذ شكلاً واحداً. ولا يمكن ان يجمد ضمن تحطيط يضعه إنسان يجيد صياغة النصائح.
  - (يصمت قليلاً ثم يضيف):
  - أناس يرتحلون الى عدمهم، عليه. والآخرون يغدون من العدم بطرق مختلفة، لكنهم يلتقطون فوق الماوية ويدحذون على فرعهم الذي لا ينتهي. ليس للإنسان قانون حقيقي الا الثورة، او لا يبقى للإنسان الا انهياراته التي تفترس أفراده.
  - يطفأ الضوء نهائياً -
- \* \* \*



# \* خواطر\*

---

\* نشرت هذه الخواطر في جرائد ومجلات أوروبية مختلفة في السنتين وتم تصنيفها حسب عام النشر وبشكل تسلسلي، أول خاطرة أستطعت إيجادها نشرت والكاتب عمره 18 عاماً. ومن أهم المواضيع التي تتناولها هي مسألة الشرق ونظرة المجتمع إلى المرأة العربية والمعيار المزدوج الذي يستخدمه الرجل الشرقي في تقديره للمرأة وأعطاء الحرية المطلقة لنفسه في ممارسة كل الأمور المختلفة. بالإضافة إلى ذلك، يتطرق الكاتب إلى صراعات الحرب الجسدية محاولاً تارة إيكارة وتارة أخرى الاستسلام عليه للوصول إلى الحب الروحي. ويلاحظ الروح الثورية الجامحة التي ترفض قيود الماضي محاولة كسر الجمود والتبعية والنهوض بالواقع الرجعي للشرق عموماً وللغرب خصوصاً، وحظيَت المسألة الفلسطينية بجل اهتمام الكاتب حتى في لحظة مناجاته لحب ( .. ر.)



## خاطرة

مرت على الإنسان فترات يحس بالوحدة المرة تطبق عليه مع أن لديه العديد من الصحاب.. هذه حالاتي.. كثيراً ما أشعر بالوحدة تكتفي فأحسن بوطأتها القاسية تخيم على.. فلا أستطيع لها دفعاً سوى أن أفرج إلى قلبي أبئه لوعجي.. ييد أنه طالما نحبه عنى لأغرق في التأمل والتفكير.. وطالما هام بي فكري فاعيش لحظات تتبوا بي عن هذا العالم مليء بالأدران والرزايا.. ورفاقى أين م؟.

بعيدون عنى.. لا يحسون بقدسية الخيال والتأمل وأحياناً تقع أبصارى على شخص أطنه جديراً بسماع همسات ذاتي.. وقبل أن أبوح له بشجني.. أفتح صفحة طويتها فاقرأها وسرعان ما ترتد أبصارى عنه محسورة.. فارتد إلى قمم وحدتي.. أغلق فوره علي وأنا أبتهل أن أجد من أتبادل وإياه الأحاديث الرفيعة والمناجاة السامية.

(1962)

## إلى مسافرة

لا لن أدعك تذهبين وحيدة إلى بعيد.. إن الذئاب الجائعة تسرح في الدروب وهي تهش الصخور.. لن أدعك تذهبين وحيدة فأنا هنا.. انظري إلى جيداً وضععي يديك في يدي ولنمض معاً.. تهوى عظامنا التلوج ولننسعنا لفحات الريح ولتمزقنا الوحوش.. إنما دعيني أسمع صدى وقع أقدامي مع أقدامك وهي تتردد من بين الأرصفة.. تدوي أن الخطى سائرة معاً على الدرج البعيد.

(1963)

## خاطرة

الريح تصفع شبابيكنا.. بجنون.. والمطر.. ينهر.. عواصف..  
تجتاح النخيل.. تهزم.. في حقد مريع.. الليل.. مهلوبي مرعبة.. تتكسر  
فيها الأماني.. والخيالات اللذيدة.. والبرق يضيء.. يومض بعنف.. الرعد  
يمزق السكون.. بشق مهوم.. الدروب لفتها الظلمة.. وراحت أوراق  
الأشجار.. تتدفق.. وقصاصات الورق.. والفضلات.. تزوم.. تتكسس عبر  
الدروب.. والسحب.. ادلهمت.. تكاثفت.. كانها.. نيران جيش محصور..  
غاب القمر.. ما عاد شعاعه إلا شحوبا.. هلاميا.. وارتقت دقات لا يسمع  
لها منحي.. تنقف.. كانها نعيق أشباح.. تقل على ألف سفود.. في أغوار  
الجحيم.. وعم الصمت الرهيب.. الأكواخ الطينية.. انطفأت كل أضوائها..  
لتربق الليل.. ما سيأتي به.. يرقبون في هلع.. وتتкорن الكلاب.. وتموء  
القطط.. وعلى الأرض تسقط بيوض العصافير.. ما عاد الغرباء إلا عيونا  
واجفة.. تتنظر العاصفة المجنونة.. تعثي بهم.. يرقبون في صمت.. الموت  
يزحف إليهم..

## كلمات لي

الأمواج الثائرة تتكسر على صخور الجرف.. كما تتحطم أمني اليائس  
على صخور الحياة.. ليحصد كل إنسان شوكه بيديه.  
القدر فقهة ساخرة بالمرصاد لكل جبان..  
- جمال المرأة في عينيها.. وأنوثتها في صوتها..  
- أهول لحظة في عمر الإنسان حينما يفكر في الانتقام من حبه اليائس  
- ما العمر إلا قشريرة من خيبة ورعشة من فرح وسرعان ما تخبو  
ونتبلا كأوراق الخريف.

- الحب سيل هادر يجرف بلا هواة أدران النفوس.. والحب الأعمى يجرف الأدران والعقل.
- من يشعر بالحب يدرك سر الحياة.
- الأم مشعل يتبرأ درب الأطفال.. والمحببة حزمة باهرة من الأضواء تثير للفرد ذاته.

(1964)

### همسات

قال لها.. عيناك بحيرتان من عسل.. يوموج فيهما.. الأمل البعيد.. لخد سعيد.. وتنسب في رحابها.. ساعات الأفق.. التي ترنوا أبدا.. إلى المدى الساكن.. فيا حبيبتي.. دعيني أعبد عينيك.. وأغرق في جمالهما.. تمضي الأيام.. وتعدو السنون.. وتتزغ الشمس.. وتزحف الليل.. والذكريات تتطل أبداً ذكريات.. يتهي بها الهايمون.. السارحون في الفرار.. ينقبون عن غدهم.. وراء الصخور.. ويفتشون عن نبع صغير.. يقعون بجنبه.. كأشباح تائهة.. يمجدون الماضي البليد.. ويرثثون آيات الهوى السحيق... .

(1964)

### خاطرة

البقاء الجميلة.. تبدو نضيرة.. بلا ضياء الشمس.. فالجمال لا يزهو بالمؤثرات الخارجية عليه.. بل سمة الجمال تبدو جلية للعين ذات المرأة العميقة.. فالمطلع لا ينبع عن العمق.. والموت لا يعني الانتهاء.. والوجوه الباسمة لا تعني الترحاب بك.. فثمة ابتسامة واسعة تحمل أتراجاها مهوى قناء.. والدرب حين ينفتح أمامك.. مهدأ.. لا تنطلق فيه بكل قواك.. أفترى ماذا يضم لك المنعطف؟ والفتاة حين تبتسم لك.. لا ترم نفسك.. وإلا

سيأتي اليوم الذي تتبع فيه نهارك بعئمة الليلي.. وذلك الوجه الأصفر الذي  
مر بك.. إنه يمضي.. إلى الانطفاء.. والحمد يهشمه على الدنيا.. وضحكه  
ملاي بالفحيح تنطره منه.. يخدع بها الأنظار.. يزين بها وجهه الكالح..  
والغيوم حين تترقب مطراً.. لا يعني أن الزرع سيفياً وينمو.. ويعلم  
الأغصان الأخضرار.. وتتفتح الزهور.. بل ربما تجلب الصدأ.. فالبقاء  
الجميل.. تبدو نصيرة.. بلا ضياء الشمس.

(1964)

### خاطرة

حبيبي، الي أنتي.. أنتي بقرارة اسماعلك.. كي أناجيك.. وأسمعك  
مزموري الخامس.. وأشدو لك أغامي الخفية.. إنك إن سمعت.. فلن تسمعي  
إلا صدى.. يلاحق صدى.. وهي تردد.. أحبك.. أحبك..-  
حکی لی الشیخ التحیل.. قال.. هنّاک علی الربوّة.. فوق الوادی  
العمیق.. وحيث الليمون والزیتون.. کان کوخي الصغیر یهجع ثاویا.. وفی  
احد الأيام.. ارتقی اليهود الربوّة.. وطردوني من المنزل.. وصرخت بهم..  
ایها القساة.. لم ترمونی عرض الطريق.. الا أني عربي یجري فی  
عروقی لهیب الباذیة وتصدح فی أذنی عاصفة الرمال.. أیها الرعید.. لن  
أهاب نیرانکم.. سأضمد جراحی.. لاقیکم فی البحر.. الذي أتیتم منه.

(1964)

### خاطرة

إننا في العراق.. نشتري الحزن.. نفوسنا قائمة.. تبحث في كل  
المتاحي.. في المجالات المختلفة.. عما يثيرها ويهزها.. و يجعل الدموع..  
تدرج من العيون..  
إننا نهوى الحزن.. لما يحمله من مرارة وألم..

إن لم ينبع الحزن.. الذي يزخر في جوف كل منا.. أسباباً عديدة.. وكل نتيجة تملؤها الذكريات الوبيطة.. إننا لو نسينا الحاضر.. وتقينا جدار الزمن.. ونفينا منه إلى الماضي.. لرأينا السبب.. في الاستعصار الطويل.. مزرعة الظلم والقسوة.. والاستعباد والرشوة.. وفي الكوارث العصيرة التي مني بها العراق.. وفي الفقر الأسود.. الذي ضيق دنيا الناس.. أمداً طوالاً.. فعمت النفوس.. واسترروح الناس إلى الحزن.. وجد الناس لذتهم في الحزن.. فطابت ليالي سمرهم في حكايات الماسي المخيفة.. وحتى أغانيها.. لا تنفع بها.. إذا لم تكن متعلقة بالواقع الحزين.. والموسيقى لا تشدها إلى آذاننا.. أنغامها البهيجية.. إنما تنهض حبوراً وطرباً حين تعلو نغمة ناي حزينة.. أو مجموعة من الأنعام.. متربعة بالجرس الآليم.. إن الغروب حين يزحف.. لا تطيب نفوسنا لمراته العذبة.. إنما تهفو إلى قرصه القاني الذي يتعمل في أعماق نفوسنا..

(1964)

### خطارة

لا تقرئوني.. أيها الأصدقاء.. إن أوسع ما في الوجود.. السماء.. إننا لو غرقنا في الظلام.. سنحس.. أن السماء فوقنا.. واسعة تحضن الأفاق.. كيان طويل هادئ.. أزرق شاحب ليس صفة جامدة..  
إن العابرين لا يرون السماء تتبعض.. لأنهم يمضون سريعاً.. يختلطون وجودهم.. ينظرون إلى الأرض.. يبحثون في قماتها.. عن أشياء تلتقط.. وحين تتفجر هوة تحت أقدامهم.. حينذاك يصعدون أنظارهم إلى السماء.. بعيون تملؤها الدموع.. ولكنهم لن يروا شيئاً.. إلا دموعهم.. فتحترق عيونهم.. يموت رواها.. فيضيق الخناق.. وعندئذ يصرخ الإنسان ملء أعماقه.. يصرخ.. والصدى صامت.. لا يحركه الآلين.. ولا الرياح.. وبظل الصراع عالقاً.. يرن في أذنيه.. كفرع الأجراس.. وينظر إلى السماء.. فتمر السحب كثيفة.. فيرفع أظافره ليمزق عقله.. بيد أن قواه

تلاشي وتلاشي.. فيسقط على التراب.. وحين يسري الانتباه فيه ثانية..  
يكون قد بكى كل ماضيه.. وحيثنا برى السماء..  
اما الإنسان الذي لا يبكي.. فيمضي متخططاً.. بين الصخور.. نحو  
الانجاماد..

(1964)

### خاطرة

على حدود.. أرض فلسطين.. في ليلة شتوية.. سمعت صوتا طفوليا..  
ينادي.. من حوف خيمة.. من أين نحن.. أماه؟.. وخيمتنا العتيقة..  
الممسوحة الأركان.. يبصقنا فيها النهار.. تلعق أطرافها، والغبار.. خيمتنا..  
تنزف منها الليلي.. حبات تلّج.. ودفقات من الأمطار.. والدنيا السمراء  
هذا.. دنيانا الثانية.. مصدورة يوجهها المخاض.. من أين نحن.. أماه؟.. ما  
خطب الفجر يومه.. وللليل يمزقه الريح، والسعال.. والغد يزحف على  
ركبتيه متبعاً هذه الفرار.. يصفع قلب الخيمة.. باحتصار.. وأخاله، أماه،  
دوماً.. بل المس كفيه الشاحبين.. تفتح عيني.. تغمس فيهما حفنة من  
ضياء.. وأسمعه يقول.. أي صغيري.. تلك هي.. ويحملني على كفه  
الطويل.. ويطلق الأخرى للأمام.. تلك هي.. غابة الزيتون.. وذلك ساحلak  
القديم.. وذلك هي الدروب، التي لوثها الأفعوان.. وبهدري.. ستحمل  
الصخرة يوماً.. وتدق رأس الأفعوان..  
من أين نحن.. أماه؟ ولم نحن.. في هذا القفار..؟

(1964)

### خاطرة

هو الذي خبر كل شيء فغنى بذكرة، يا بلادي..  
ويصعد النشيد عالياً.. إلى أعمق السماء.. ترته الآلهة.. بين لحون  
المزمير ..

ذلك كالкамش.. لا تعرفه.. ساحكي لكم.. حين كان كالكامش يمر في دروب أوروك.. يفتر الناس.. لم يغليه أحد.. وأصاب البابليين الذعر.. فاختبروا الآلهة.. هات لنا رجلاً يصارع كالكامش.. فجاء أنكيدو يسعى إلى أوروك.. وتصارع البطلان في أسواق بابل.. أياماً طوالاً.. لم يفز أحد منهما.. فقبل بعضهما بعضاً.. وأصبحا رفيقين.. أخوين.. لا تصددهما قوة.. قتلا ثور السماء.. مخلوق عشتار.. حين التهم أفراداً من أوروك.. وقطعاً أشجار الأرض وقتلا حارسها العملاق خباباً.. قطعاً الفيافي والقفاري.. اصطادا كل الحيوانات..  
 ومرض أنكيدو.. فأخذ كالكامش يبكي عليه.. وحين مات أنكيدو.. هرع كالكامش يبحث عن الخلود.. قطع جبل ماشو الذي يقف على بابه البشر العقارب يحرسون مشرق الشمس ومغاربها.. وعبر مياه الموت برقة أور-شناibi.. ووصل إلى جده أوتو-تبشتم.. فدله على الخلود.. وأخذ كالكامش نبات الخلود..  
 وحين عاد.. متقدلاً بالتعب.. جلس قرب نبع يشرب.. فسقط منه النبات.. وسرقته حية.. فأخذت تجدد به شبابها.. هذه الملحة العراقية الملفوفة بالضباب.. أنشودتنا العظيمة.. هل قرأتوها يوماً؟

(1964)

### خطارة

في الجنوب.. حيث الأرض الواسعة.. وسنابل القمح.. وعيadan الحلفاء اليابسة.. والفلاحون المعروقو الأبدان.. والأكواخ الطينية العتيقة.. في الجنوب.. من بلادي.. تطا تقى الأرض.. المستنقعات الشاسعة.. المليئة بالشلوب.. والبردي.. والأسماك.. والأفاعي.. وتولد ملايين الحشرات.. وتنمور الأفاق بأجمل الطيور..  
 في تلك المستنقعات.. حيث تطفو البيوت فوق المياه.. وتموت الدنيا في الليل.. فقصمت المجايف وتسكن المشاهيف..  
 في تلك الأصفاع.. يا أختي.. يمضي الرجل يومه.. غاطساً في الطين.. تحت الماء.. يزرع الشلوب.. ويرعاه..

ويوماً بعد يوم.. تهers رجلاه.. يأكل الطين عنفوانهما.. وحين  
يَنام.. تحرسه زوجته.. لئلا تأكل الكلاب قدميه التائختين..  
ذلكم أبناء بلدي في المستنقعات.. إنهم أخوتنا.. إنهم لا يعرفون  
الدنيا.. فلنر جانباً منها.

(1964)

### خواطر

إلى أين تمضي؟  
ناداه.. لم يأبه.. استعطافه.. لم يلتفت.. فصرخ به من أعماقه.. إلى أين  
تمضي في هذا الليل البهيم.. وتحت هذا الوابل المجنون من المطر..  
إلى أين أيها الصامت..  
إن كنت تبحث عن مرفاً يضمك في رحابه.. فالمرافق بعيدة عن هذه  
البراري الفاحلة.. وإن كنت تبحث عن النجوم فإنها لا تظهر هنا.. الليل هنا  
طويل.. طويل.. والبرد هنا كالثلوج.. إنك تمضي إلى المقابر العتيقة التي  
تراكم فوقها الغبار ونهشت حوافيها الرياح..  
أنتي اهقـ.. مهما سقينا الصخور من دماء قلوبنا فلن ينبت فيها  
زهور..

### لن تذبل الزهور

همسات الليل تصل إلى خافقة مشوشبة.. الهمس المرتعش.. إنه  
يدفع أسماعي.. فيمر الوجيب متتفقاً في عروقي.. متخطيأ كل أحلامي  
الندية.. فتصرخ سيدة وحوش أسطورية في خيالي..  
إن (...) لا تأبه بقلبك الصغير الذي يحقق كدفع ذهني محسو  
بالقابل..  
ويسرخ آخرون.. إليها الواهم إنها ترميك بأطراف عينيها..

سأحمل لك يا فتاتي خمسين باقة زهر .. بيضاء.. أتفى من اللولو عند كل غروب وأصفها في حافة نافذتك.. ثم أمضي.. فان فتحت نافذتك فستجدينها.. ربيعاً كبيراً.. وإن تركته موصداً.. فستذبل الزهور.. باقة إثر باقة.. وهي تذرف دموعها بصمت عميق..

### قال لها

قال لها.. تعالى يا حبيبتي نمضي وسط الحقول.. وعلى الصفاف نجول.. ونمضي بعيداً.. إلى التلال.. نطفل الزهور البرية ونشم النسيم الطري.. فالعيون المجدورة.. التي كانت ترصدنا قد فقاها الثوار.. فهاتي يديك.. لنمض..

(1965)

### العطر والرحيل..

-1-

حبيبتي، إلى أقصتي.. بقراررة أسماعك، كي أناجيك.. وأسمعك مزموري الهاوس.. وأشدو لك أغامي الخفية. إنك إن سمعت، فلن تسمعي إلا صدئ.. يلاحق صدئ.. وهو يردد - أحبك.. أحبك..

-2-

أنت يا محارتي الذهبية.. إن طغى المد الرهيب.. وجرك بأذرعه المعروفة.. معه إلى الأعماق المجهولة.. فلن أنساك يا محارتي الذهبية.. سأقعد أبداً على صخرة الشاطئ، وأنظر هنالك.. وأنا أنشد من أغوار أعمقى.. لن أنساك يا محارتي الذهبية.

(1965)

## الهجرة الثانية\*

الدنيا لحن عذاب يقمع صدري.. دنلن فيه الخراب.. النهار راح  
والاشراح.. ويدور الناعور يغرف من قلبي يصب في حفر ظلماء..  
المعاول ما زالت تصك الصخور منذ ما بدأت تمشي الدهور.. وعلى  
أطراف السهول الحزينة تتجمد الخيول والمسافرون وتتخرم سحب  
العزيمة.. وستظل الدنيا والسماء.. والناعور يغرف من قلبي ليصب في  
حفر ظلماء..

\*\*\*\*

ارتطممت على شاطئ عينيك.. وكانت الجسور قد تهدمت كلها..  
وصرخت وحوش قلبك.. أليها الآتي من أقصى الخريف مغطى بالغيار.. لن  
تصل.. ولن تفلح في تخطي الجدار.. وحين نرحل.. سترتحف عليك أفاعي  
الوحشة.. ويكون الليل أذاك.. أغلق شبابيك السماء..

\*\*\*\*

جبيتك النصائح بالهوى.. مر من فوق الغسق.. يحمل الصمت.. يسحب  
باقية من أنظاري الذابلة.. وكانت متعلقاً بهاوية اللفة.. شرعت أمدد قلبي  
المتيس.. لكنك تمضين.. وصوتي المدمي يعبر الجدران - هتفت: يا  
بسنتي الحجرية.. يا ناعوراً صب الطمي على جثتي المسكينة.. يا ناعوراً  
أغرق أعماقي ودحرج انتظاري إلى سورة من ضباب.. من جرف إلى  
جرف.. من غربة إلى غربة.. من لففة إلى لففة.. ثم أشر شراع رحلتي  
إليك.. أمزق تيار المحال.. لاتسلق الزهرة وأموت بين أوراقها..

(1965)

---

\* نشرت هذه الخاطرة لمرة ثانية عام 1966 تحت عنوان (ثلاثة أصوات مذبوحة).  
(المحرر)

## كلمات النهاية

-1-

حين يكتمل النصر. وتحقق أهداف المهمة. أعود بالمعنى.. فإذا  
أخفقت. ساجمع لشلائي في قارب قصبي. وأنترك صديقي النهر يحمله. يلقى  
تحت أنظارك. ولو حلما. لنறعفي أن الرجال يموتون بجدوى. ولن أتورع  
حيذناك عن الصراخ. بأني أحبك...

-2-

من صمت الغفوة المفرغة. من رؤاه الحزينة المتنقلة بعناقيد الآلام..  
ينسج أحلامه العذراء الحية، المحاطة بالعنفوان البريء.. فيتخطى العجز  
ومناعة المستحيل، ويصل مهدود القوى.. مغلق المحجرين.. مرتفعاً  
بالغراء ثم الحطام.. ويلفى الليلي مقابر سرمدية.. طويلة، فيبدد أحلامه  
النبيلة.. يشنق أنظاره على ربوة النهاية، سور المدينة الإلهي.. فيصرخ في  
أعماقه الحيرى حس مريع أملئ مسافر مرتعب، أطاش صوابه عواء  
الذئاب، نعجن جينا ونخizه للسراب.

-3-

أيها الصياد الهرم، عبئاً تطوح شباكك، في هذا البحر الأزرق الطويل.  
وستنارتوك الصدئة يفوح منها العفن، دع الأسماك تغوص في الجوف الأصم.  
تأكل عيون بلوطون. ذلك الإله الحقير. الخائر في قيعان البحار. يزدرد  
بيوض الحيتان، وبخنق الأسماك الصغيرة. أيها الصياد. ضع شباكك. على  
كتفك الواهن. وانصرف إلى خيمتك البالية. وارقد إلى الأبد. على أذرعة  
الشياطين.

## خاطرة

قال لها.. لو تريدين الشمس جوهراً تزين جيدك لجلبتها لك وعلقتها  
بخيط الأفق.. ومن النجوم لنسج وأبني قصراً لك.. فنظرت إليه وأغمضت  
عيينها.. وتاتها في أحلامها..

(1965)

## **خواطر**

سألته يوماً ما.. هل تعرف ما هي أعمق قلبي.. ف قال لها.. من بسمة الشيطان.. ورقص الخمرة في قعر الفدح.. وركوب الملائكة البيض في العربات الذهبية وهم يمجدون الله.. ومن قهقهة الغربان.. ووداعة الشالب حين تنصب الكمائن.. جبل قلبك الصغير.. يا حبيبتي الحسناه ..  
(1965)

## **كلمات للأرض**

-أصوات الدم العربي الذي تفجر في 59 ولم يهدأ-

-1-

لم تصررين على العبور أيتها الأماني القاسية.. تخلفين آلاف الناس يخونون في قلائع المدينة.. تدعين العصافير المجردة من الريش تهزم الأجراس، وتتصبّح الجنون في الرؤوس البيضاء.. إنك تهرين حتى من الأحلام.. تنزلقين ذاهبة في النهر بلا رجوع.. لكن اسمعوا أيها الأصدقاء.. أيها المختبئون في الأرقة المعتنة.. وخلف الجدران.. يا من ترتجف قلوبكم من نقل النسمة.. اسمعوا.. إن العصافير لن تهرب من أنفاسكم المكتومة ولا من عيونكم الخبيثة في الظلام.. اخرجوا إلى الدرس.. فالمدينة ستعود لكم.

-2-

تريددين أيتها المحزونة العينين أن أكتب لك عن الحب والدنيا الحلوة.. والنار تنهب في الموقد وانا أمدّ قدمي على سجادة وثيره وعطرك يملأ صدري.. الا تسمعين العاصفة تزمر في الدروب.. والعسس تصطاد كل عابر.. والأصدقاء تشدّهم نواعير الفرسان الى المذبح.. ابتعدى عن خطواتي.. فلن أبصر بعد اليوم إلا الموت.

-3-

سالني عن الشاعر فلان.. أستاذي الذي جعلني أكتب فوق الوجوه الخلفية

سخط الحقيقة.. فقلت له: هو في السجن.. قال: عجباً - إنه لم يسلم منه في كل العهود.. وقلت: لأنه لا يعرف أن يبتسم للذين يصفعونه.. لا ينحني للريح التي تداهمه.. ولا يمد يده إلى مائدة الطغاة.

-4-

تكلائي أيتها الدموع في الماققى.. فالدم يزحف من تلك الدروب الناقمة..  
وايיתה الجروح كفى عن التزف.. وفقى الخذلان واطرديه خارج الأسوار  
ولنمض جميعاً بعزم.. فالنسر قد هرم ولن يستطيع الغرار.

(1966)

### من دفتر الخيبة

-1-

يا حبيبي السمراء.. أرسلت بالآمن نقولين - ابتعد.. فأهلي سيف..  
غارقون في صرامة السنين المتعصبة.. والزهور المزروعة خفية في أرض  
صمتى لم تتفتح بعد.. فلا أريد أن تتدوس في دربي.. قلت لها - كما  
تشائين.. وإن أردت أن أغيب عن عينيك إلى الأبد فسافل.. ولن أحطو  
أمامك ثانية.. لكنني سارقتك من بعيد.. أجعل دمي ظالك.. عيناي اللتان  
تختبئ عليك لن تغضضا إلا عليك.. يا حبيبي السمراء الصغيرة.. سانتظر  
الشمس الضالة عليها شرق يوماً على قلبك.. سانتظر إلى آخرتي..

-2-

حين ابتدأنا الرحلة.. ملأنا قلوبنا بالعزيمة.. وكانت الخلجان ترتجف  
تحت أقدامنا.. ونظرنا إلى المدينة الساقطة في العتمة وقال لنا الربان  
المهnik - ما ضركم لو انتظرتم الفجر ثم تبحرون.. وبقينا واقفين نمد  
أبصرنا في جوف البحر حيث يتقصص القمر الجاف.. وقال رفيقي - لن  
يزبح الفجر على هذه المدينة.. حتى الفجر يكرهها.. وحتى الفجر يبقى  
صامداً وراء البحر بعيداً وجلاً.. ماقت.. فأنت أيتها المدينة الملعونه تسدين

أبوابك بوجه الشمس والسلام والحب.. توغلين الغبار والجفاء في عيون  
شبيتك.. لكن البحر سينتفض يوماً ويجرفك من جذورك إلى النهاية..

-3-

حبيبي.. أيتها الكلمة الطيبة.. لقد أمات صفاوتك عسکر هذه المدينة..  
نزعوا عينيك ورموا هما في الصحراء.. وبنوا ألمامي سداً من صخر الجفاء..  
حبيبي لو سمعت يوماً.. لو سمعت.. عن فارس خب حصانه مع الريح في  
روحه لا عودة منها.. وعن مرافق ذايت خطاه في البحر ومات.. فهو أنا..  
أنا الذي بنيت في عينيك كوكسي ومرفأي.. وكانت لي الشمس والأرض  
وال المصير.. لكن أهل هذه المدينة لا يفهمون إلا الموت.. وما دامت النهاية  
قد حتمت علينا فلتنتبها مرغمين..

(1966)

### أسفار

-1-

جر رغباتك المتأكلة أيها الفارس المنذر.. اسحب همومك وصباوتك  
وابجلس خلف التلال بعيداً وتترعرع كأسك وحيداً، فالمدينة لا يدخلها إلا  
الأقوباء.. ولا تفتح زهورها إلا للمنتصررين..

-2-

امتدى أيتها السحابات في أعماقى وتكدسي على جبيني أيتها الغربان..  
فأهلاً بالرحلة إلى الأمام.. حيث الضباب يلطم بطون عيوننا.. أهلاً  
بالمجهول في الرحلة الختامية.

-3-

أيتها الحاملة فوق جمجمتك شارة الزهو.. الأيام تنهار أمام الجليد يا ذات الوجه الها رب.. تلکي وانظرى هذا الواقع على الحافة يحدق الى نبوتک.. ألقى إليه نظرة خاطفة.. سينتفهها ويموت سعيداً..

-4-

لو أصبح الفارس صديقي في يوم ما.. لجئت وانتزعتك من هذه المدينة العفنة.. وجعلت البحر بيتي، حيث المحاذير تساقط إلى القاع وتنتهي..

-5-

لو كان قلبي زهرة لزرعه على باب بيتك لكنه دم ثائر أخشى أن يبطش بالعايرين..

-6-

لتنوقف يا رفيقتي.. لقد أتعبني التجوال.. سأقول لك.. إذا كان ثمة لقاء فسيحدث في يوم حارق، سأدخل غرفتي وأغلق الباب.. ولن يهمني بعد ذلك إن كانت الشمس شارقة أو الرعد تمزق السماء.. أليس هذا هو الصواب يا؟..؟

(1966)

### أصوات

-1-

حين فقدنا الإرادة.. توجبت علينا الهزيمة.. لكننا تعقدنا بظل الالتهاب.. ومضينا نبني المدن ونغسل الجزر بالسحاب.. وعيوننا تمتلئ بالدخان وهي تنفذ القواقل تبحث عن مراقي.. نستلقي عليها ثم نذوب..

-2-

ما أسوأ أن تبحث عن أعين نلقي فيها أيامنا الجدية.. نلقي فيها قرح مدینتنا الهرمة.. وأغانياتنا القديمة تصليت في أفواهنا.. إننا نطرح الكلمات

في الدروب الوسخة الموحشة.. ولا من باب ينفتح يدعوه.. ولا من قلب  
يلهف لنا.. ستدخل المغارات ولتصب السماء النار..

-3-

ان خياراتنا تدق الاندحر في وجوهنا المغيرة التي تكلس عليها صدأ  
الايم الصحراوية.. والتوج يظل يصرخ فينا.. انتم إليها المنكمشون على  
وجوهكم.. ستظل النواعير تصب فوق جث قلوبكم زيت الخذلان اللاهب..  
فأنتم أنهتم الطريق بمشيئتكم..

### قصة

أيها الملاح القاسي الوجهة.. اضرب هذه الموجات الشرسة بمدافنك  
الثقيل.. فالبحر أسود الطوية.. لا يرحم ولا يقلم لراكبه أي ترحب.. فترصد  
لما تبقى في ساعديك من فتوة.. تلك المدينة التاهدة.. تزرفان خطاك الثابتة  
وحاشك الذي لا يبني.. إنك قبلت الرهان في ليلة الخميس في حانة - الأمل  
- على الإبحار الى الجانب الثاني من البحر.. ومضيت والآن ارتفع صدر  
البحر.. والليل وشيك السقوط.. وها أنت تجأر.  
- أنا الأحمق، أيها العالم، قذفت وجودي في الضباب، بعد أن تيسّر  
عقلي.. آه لو أعود.. لكننا نحن الحمقى عندما نموت نعرف أننا كنا أحياء..  
قفزت سكمة رفيعة ثم غاصت.. وبدأت ريح سريعة تتطلق فوق  
(1966) الموج..

### البحث عن المرفأ الصانع

-1-

جبت المدن وجزائر الورق المهجورة.. أحمل يأس الثنائي المفرغة..  
أبحث عن عينيك الغائبتين.  
الأمني تقحها الأرض المتيسرة المصير ودقّات الأنهر عند النداء  
الختامي ترن.. أنا وأنت أو لا كلامنا.. نخت طواف القافلة.

-2-

وجه المدينة النائي لاح أمامي في جبهة الضباب.. ناديت مدینتی.. أنا هنا مقرور في الغربية. الأشواك.. الحجارة.. الأبواب.. تومي الى.. أيها الغريب.. أيها الغريب.. أيها المرتحل لن تعرفك فتاة عذراء ولا درب له نهاية.

-3-

زهري الجميلة إنك تنتلين في مرآة الشمس.. هل سمعت بالومضة الأخيرة.. إنها ومضتك النهاية.. إنني أرقها من وراء النافذة.. ستنتلين ويغدو شذاك تبنيا.. وبهصرك بين أصابعه المتشنجـة.. يفتـ وجهك الداكن ويطـوح بهـيكـالـ الـبـالـي خـارـجـ البـسـتانـ..

(1966)

### الفارس والنهر\*

المنظر: فارس، طريق

صوت الأرض: أنت أيها الراحل في نهر الظلام.. عالم تقذف بمركبك على غير هدى.. إنكى على الشاطئ برها.. واستمتع إلى صوتي.. صوتي أنا الذي تبiss من الهرم وغاصت الحكمـة إلى قرارـي..

الفارس: ....

صوت الأرض: إنك تترك المدن العاهرة.. تسوقك الهزيمة الأزلية، حيث لا قلب يخفق لك في هذه المدينة.. ستقـ أبـوابـ الشـمـسـ المـوـصـدـةـ تـنـوـهـ فـيـ صـحـرـاءـ عـيـنـينـ لاـ نـهـاـيـاتـ لهاـ.. وـتـسـقطـ أـخـيرـاـ.. تـجـنـدـ لـكـ آـهـدـاـيـاـ مـتـرـفـعـةـ..

الفارس: ....

\* نشرت هذه الخاطرة في جريدة صوت العرب، 13/1/1966 وفي مجلة جمعية الطيران العراقية، شباط 1966، العدد 2.

**صوت الأرض:** انكرنى وامض.. ولتحفظك مشيتي النادرة والامتثال..  
(الفارس يسير في طريق طويل.. ممتد إلى القيامة)

**صوت القمر :** ليغسل ضوئي الصافي دربك أيها الفارس.. ولم يمح الشر عن مواطن خطاك.. لكنك تمنحك وجهك للغيب.. الظامي لا يرويه ماء البحر.. والميت لا يحيا مهما كانت الصرخات حزينة..

**الفارس:** ...

**صوت النجوم:** تقدم أيها الفارس التائه.. تقدم إلى الجانب الآخر من الظل.. حيث يهوي التائه والحاير والخائف.. تغترفهم الجدران الألبية..

**صوت الحجارة:** تقدم.. فصلابتي ستجوس يقينك.. وعلى قبضاتي ستحط نهايتك..

**صوت القدر :** أيتها اليوم حومي على هذا الفارس وأغرقيه برفيق أجنحتك المهلكة.. واملأني أيتها الأشواك بربة أحلامه..

**الفارس :** أيتها الأصوات دوّي.. دوّي.. زعزعني.. اخترت.

**(1966)**

### كلمات إلى الغد

- إننا نخلق حياتنا القادمة.. ولنا وحدنا هذا الحق.. وحينما يصل الغد سنقرر أشياء أخرى.

-1-

ها أنا مطروح في الصحراء معزق الصدر.. يلغيوني سراب عينيك القائل.. أرثي اللحظات المتقدمة التي ربطت في ظلها قلبي.. إنني المحك من على.. تمنحين وجهك لكل عابر.. تبحثين عن وجه دافع السريرة.. وعن أصابع تخرج عمودك الفقري من فمك بشره مميت.. فتملاً بسمة السخرية رأسي.. وأحزن ضحكتي المتشنجـة.. وأغرق هزيمتي في البحر..

-2-

على شاطئ عينيك حام غراب أسود.. وكانت العاصفة تجتمع على  
جبهتي.. هتفت.. يا بحر عينيك.. يا مدفني المحترم.. لقد مضيت في العتمة  
تتلع عظامي البائسة إغماسة عينيك.. لكنني توقفت.. وصرخت بالمدينة..  
أيتها الشاحبة.. دادعا.. فغدا ساطر وجهك الريفي وأحمل قلبي إلى خليج  
صف، أجد فيه ذراعاً مريحة، أتكى عليها، وأموت..

-3-

صوتي المجرور من السنين العاجزة.. أمد كفي إلى الأيام الآتية..  
وناعور هرم يسحب منابك الماضي على صدري.. وأظل أهتف في مدینتنا  
المهجورة.. وأطرق أبوابها المغلقة.. ومن درب إلى درب تهوم نداءاتي..  
والعيون يابسة والقلوب موصدة..

-4-

الغد يحيى.. قال قلبي الذابل.. ونحو لوعات الترقب.. في الغد  
تصطدم على ضفة بسمة صادقة فتسترد أنفاسك الجافة.. وتلتج في عينين  
امحت منها الضلال.. ولن تجثو متطرداً من يحفر لك قبرك.. فالخطوات  
داست وجه الحقيقة..

-5-

يا غداً.. يا صيفاً غيبت ماذنه الشمس وامتد إلى أقدام القيامة.. يا لوحًا  
سأخط حروف مشينتي عليه.. افتح بابك لأدخل..

-6-

أيتها الأمانيات البائسة، لا ترتحلي، فلن أدع خيتي تطفو على أسوار  
الإرادة.. امكثي بين أضلاعي وانتظرني المصير..

(1966)

## **مفاعلات متنافضة**

-1-

في شمس عينيك أزهار حزني يا معذبتي.. الرحلة مضنية والفارس  
أنهكه الصبر.. الغيت المسافة ما بين قلبي وقلبك وكان يحتم على أن أغير  
غاية اليأس.. نقشت في أول الطريق علامات عزيزمي.. ثم فقدت حضوري  
عندما أغلق التناسى عيني.. هب لي يا رب القلب طريفك لازرع لك زهرة  
أبدية ثم أموت.

-2-

بحث عنك في المدن المختلفة.. وطرقت الأبواب المغلقة.. وحين  
وجدتك وضعت القيد في يدي ثم انطلقت هاربة.. وكسرت زجاج السماء  
بقيودي قلم أجداك.. يا فتيات الأرض.. من من肯 تزيد قلبي؟ فلتات وتأخذه..

-3-

حين انحدرنا من الجبال الجليدية.. سمعت صوتك في قلبي مبعداً  
الوحشة.. مالئا أعمامي.. حبيبتي: الأشجار ميتة والثلج يحطم خطانا.. وأنا  
أنكفي في العيون الغربية.. ولا من باب أستطيع قرهعه ولا من كلمات تسقط  
شمس الحب في شطائهما.. ليتني أعود لأعانق عينيك الدافترين وأسلخ تغريبي  
الشريد..

-4-

خذ وجه الأرض في سفرك.. وارم الحظ في وطن المؤس.. وتحرر..

-5-

اغرس نارك في قلبي وقطع عني كل الأبعاد..

-6-

أيها العابر الى أقصى الأرض المهجورة.. خذ زهرة قلبي وازرعها  
تحت الجليد..

-7-

اسمع صوتي يا موت.. يترنح في أقصى الرؤيا خوفي.. ترتعش  
الأغصان المكسورة فوق جليب القلب الهابط للحب.. ما من جدوى.. ما من  
جدوى صوب مرافتنا تحدّر السفن المنهوبة.

-8-

في بئر الخيبة ساقنف يوماً تهدأني.. وأتحرر..

(1967)

### جدار الساعة الثالثة

-1-

أه حبيبي.. القرصنة يملكون الأفق.. بيتعون جسدي ليوثقوه في  
البحر.. إنتي أحملك في دمي ولن أدخلك الغابة السامة.. سأهدم جدار هذه  
الأرض.. ونعبر الحراب والمحارات السحرية.. آه.. آه.. أعبدك.

-2-

ما أضيق هذا البحر.. زورقنا السهل لا يمر.. وعلى الجانبين يرصدون  
توحدنا.. المياه تعجب.. ونعلق في أعماق النهاية.. سأمد جسدي في الشمس..  
أصبح: انصت ليها النسر الجائر.. سأغرقك بدمي لأنحرر..

-3-

ذلك الطير .. وتلك الورقة الخضراء في الخريف .. والقناديل المطفأة على البحار .. تبحث عن الغريب .. المنفي داخل وعيه وذلك الغريب .. وتلك الثلوج التي لن تمحوها شمس .. ترتجف في العيون .. وسماء لا تنتهي .. قفي يا بغداد: ولن تصارع حتى الموت ..

(1968)

### خطارة

لدى كل امرأة شيء ما يلفت نظر الرجل .. قد يكون الأنف أو العينين أو الشعر أو الشكل العام .. والمرأة الجميلة هي المرأة الرقيقة التي تثير في الأعماق حففة عند النظر إليها .. أنا أ Merchant مواد التجميل لأنها تزييف المرأة ..

(1968)

### الشجاعة هي الجنون أو الموت

-1-

لأننا نمارس التزييف في كل لحظاتنا .. نمارسه حتى مع أنفسنا .. كان البحث عن الصدق والنظافة هو المصباح الذي يضيء أيامنا الغائبة .. وعندما نجد الصدق نشك فيه .. لأننا لم نتعود عليه .. إننا نخادع ونخدع .. وهي اللعبة التي تشدنا إلى البقاء في المبارأة .. عندما تتحدث لي فتاتي عن الآخرين .. وتبتسم لهم أكون مقتولا .. وعندما تروي لي عن حبهم لها .. أهرب .. لئلا أموت مهانا .. وتقول لي: لو لم أكن صادقة معك .. لما تحدثت لك عن علاقتي بعالم الآخرين والأشياء .. إنها صراحة مخيفة .. إنها شمس جديدة تضيء نهاية أعماق الشرق .. وأرتعب من كوني ملامسا لبشرتها .. وهي تقسم لي بأنها في .. أه يا فتاتي .. إنني رجل باش من الشرق رجل صحراوي فأغفرلنـي ..

-2-

أنا أرحب فيك.. وأنت ترغبين في.. وترتعد هذه الرغبة على السطح فقط.. ثم تنتهي محسورة في أعماقنا، متشنجـة، متعقدة لماذا تكون حركاتنا رغبات فقط.. إله السجن الأزلي، الذي نصرخ فيه؛ ونذع أنفسنا.. إن الزمن الذي تكون فيه متلقيـن.. هو الزمن الذي نحوال فيه رغباتنا إلى أفعال.

-3-

الشجاعة هي الجنون أو الموت. والاستمرار الطبيعي في الحياة هو الجنـون فكيف يمكن أن تكون شجاعـنا بدون أن نموت أو نجن وكيف نستمر بدون أن تكون جيناـء.. هنا يكمن التوتر النهائي الذي يخلق الإزدواج: وجه يبتسم ووجه يعبـس.. إننا ملزمون بأن نحيا في هذا التراكم.. وتتضاعف حياتـنا من خلال وعيـنا بحقيقةـه.. وتكون مسألـة إفراج الفعل رجوعـاً بالوعـي ومدى ارتباطـه بالظروف الخارجية أو الداخلية.

إن تفاعل الإنسان داخلـياً - فقط - يؤدي إلى أن يقفـز ببـحرـه السري إلى العالم.. وفي هذه الحالة إذا عـكسـ فعلـه مع الظروف الخارجية.. فحينـذاك سيدركـ أن أي فعلـه بقدرـ ما يحملـ من رفضـ للعالم يحملـ رفضـه لنفسـه.. وتكون سلبيـاته القشرـة التي تغـطي وتمطرـ عـلاقـاته الإنسـانية.

(1969)

### انهـيارـات مـضـينة الـبـداـية

أفكـك جـسـدي فـتسـقطـ أجزـائـي في الانـعطـافـاتـ والـقـنـواتـ الـغـامـضـةـ.. خـرجـتـ منـ أـرـضـ آـشـورـ: كـنـتـ غـاصـبـاـ لأنـ الـأـرـضـ فـقـدـتـ زـهـوـهاـ وـعـقـوبـيـتهاـ.. أـرـضـ مـشـقةـ حـرـةـ.. أـرـضـ غـاصـبـةـ.. أـرـضـ تـحرـرـ مـحتـنـتهاـ

للخوف.. الأرض - هناك - واحدة.. الجبل والوادي والسهل.. كلها تصلح  
 للوقوف.. إذن لن تكون شجرتنا الوحيدة هي التي تمنحنا حمايتها، فكل  
 أشجار العالم تيسر لنا سقوفًا.  
 آشور يا آشور.. أيها القوي، الإلهي السطوة، أيها القيد الذي يسيطر  
 الجميع: ستمت سطوتك وعناقك.. ستمتك.. فخذ بلاك واتركني،  
 أرض تمد لك المشنقة وتحبني وترفع عنقك الى الموت.. بيت تدخله  
 وتنغلق عليك ظلمته الى الأبد.. امرأة تعانقك للتلاشي..  
 أرض تنشق، تلغز أغاثتها طلasm لتغفر فيك جروحاً مدمرة.. أيها  
 الماء النقي الذي يخترق الأعشاب المخضرة العطنة.. أنت وحدك الممجد  
 لأنك تمضي بصمت دونما عنف يؤخذ..  
 خذوا أرضاكم أيها الأنذال.. خذوها وجاوروا جثثكم وهياكلكم العظمية  
 واقضوا سهرة ممتعة.

### السفر

عندما أنهيت بلاد آشور.. أخذت الأرض تفتح لقدمي.. ضربت الهواء  
 بمرح سرت مع سبع أشجار مزهرة.. كان الظل الذي تركه جسدي في  
 آشور يكبر ويمتد خلفي ويسير أمامي ويحيط بي ويغطيبني.. وكنت أسير مع  
 سبع أشجار مزهرة..

- ثقيلة هي الأفراح.. وثقيل هو الحزن  
 - خفيفة هي الأفراح.. وخفيف هو الحزن  
 الفرح يساوي الحزن.. لكن الحياة لا تتعادل بالموت.. الموت نهاية  
 فاشية لجسدنَا الذي يمتنع بالأرض ويحمل بصبها ورعبها وعنفها  
 وجمالها..  
 - يا ظلي.. يا جسدي الثاني الميت ابتعد.. انقطع عنِي..  
 - مدن جديدة.. مدن أخرى يعمق فيها خزي مدينتنا العتيقة.. أربع  
 شموس جديدة تتكئ  
 في زوايا المدن الأخرى.. تخلق حيوانات فارة معمرة تقبلك ضمنها  
 دون قوانين.. أيتها المدن

الجديدة.. هذا جسدي وبيده مصباحه الذي حمله من مدینته الملغية..  
أخضعي شموسك الأربع  
له..

### هوامش

-1-

أيتها الرغبات التي استمرت بحدتها.. ثمة غلط جوهري في البقطة  
للحياة..

-2-

طيور سوداء تهناج عند نافذتي.. وحية سرية ترصدني من رف  
علوي.. فهل ينهي هذا الليل حياتي؟.

-3-

حية تطير، يصطدم ذنبها ولا تلتقط.. حية بيضاء ذات أجنحة حمر..  
الموت يقظ خلف الجبل الصخري.. صحراء شاهقة ينزل عليها خروف  
ضئيل من السماء.. ينزلق والموت يقظ.. وأنا يقظ..

-4-

تنبض الحركات والسكون.. لم أعد أرى شيئاً: رؤوس خلفية تسحب -  
وأنصاف وجوه توسي ثم تخفي.. ووجوه كاملة ساكنة..

-5-

أيتها الرفيقة التي سرت معى، إنك متيبة تحمين تقدمي بتصعيباتك..  
أنزلي بطينًا في قلبي ودعيني أتفشل وأحرك حياتي بك.. فأنت آخر ما  
تبقي لي بعد أن سقطت الأشجار والشموس والأنهار والأرض لمنتزج  
ونضيء دون توقف..

(1969)

### **نصائح للميت**

ان إنكسارنا مرده تمكننا من وصف القمر وتربيته وما تحويه وفرازتها  
دون ان نملك واسطة للوصول اليه!  
ان مسيرتنا مع حضارة العالم لا تكون بوضع قيعات فاخرة فوق  
رؤوس منخورة: انها تتم بوضع العمل في السواعد المصممة والمسؤولة..  
إن الميت لا يستطيع ان يصف للحي كيف يحيا!!.

### **رياضيات وهمية**

رهين هذه الأرض التي تفتح أزهارها لقناعات دورها البشري.. أرض  
ابغى نفسها وتقويسها في نهايات غير مرئية لا يمكن مسها.. رهين أرض  
الموتى: كيف لي أن أكسر خطوطي المتأتية المحسوبة بعد؟؟.  
إن هذا شأني ولا أحد أحدا يستطيع تبخير بركي الطينية.. لا أحد  
 يستطيع فك قدمي من غلها الأرضي: سواي أنا.. إن فولاذا نافذا يسكنى  
ليحفرني في القاع.. حلقة سيزيف الخاوية.. حجة البشر المقدسة للموت  
المجاني.. لحساب لن يتم: إنني أرفض سيزيف.. إن رغباتي هي إنهاء  
حساني مع الرياضيات الميتافيزيقية الهزلية: إنسان يحيا مرتين: مرة للموت  
في الحياة: ومرة للحياة في الموت.. هذه الرياضيات أرفض جملها.. أرفض  
جدل بؤس بليارات البشر الذين تملأ جثثهم الأرض منذآلاف السنوات..  
تارىخي يتحرك معى..  
إن الموت لا يخلق التاريخ.. التاريخ هو المستقبل: أيها الشجعان!!

(1969)

## \* نصفنا الآخر\*

-1-

فجأة.. سمعت صوتك.. مهلا.. محظاً..

ثم سمعت الصوت ثانية.. وقرأت كلمات طويلة..

لم أصدق الصوت والكلمات.. وكانت أشكاك بالآخرين بعد قناعة  
مريرة..

الثقة: وجود الإنسان، لا تمنحك بنزق، لا تمنحك أبدا إلا في أضيق حد..  
ويحاسب عدم الخسارة المؤذنة..

عندما تعاملت معك على أساس من توقف الثقة عند نقطة معينة.. تكون  
اعتقادك الأليم: بأنني لا أريدك.. وأن كل شيء.. يجب أن يتلاشى..  
وعدت قائلًا: من الغباء أن تمنحك ذائقتك لإنسان لم تره.. لا تعرف إلا  
صوته التلفوني..

أشد الاحتراق أن تمنحك الآخر عاطفك الجدية.. ثم يفوج بك من  
مرقبه.. وقد يقودك في لعبة تتسطح فيها أمامه.. إن المواجهة هي الطريق  
الوحيد لاكتشاف الأشياء.. ولكنك اكتشف قنواتك ومدىك وعظمتك.. قد تنفك  
ونتوحد.. أو تفرق مبعدين كما ابتدأنا.. إن التصالب والتكافف المأزوم لا  
ينبغي أن يبقى معلقا.. فسيلهب بحميته الإحساسات المنخفضة ويسقط الإنسان  
ضحيتها..

والإنسان هنا ضحية علاقاته الخارجية.. فمهما كان يبقى علاقاته  
الداخلية معافاة إلى درجة ما.. معافاة بعاطفتها ودرجتها الموازنة لشعوره  
بموته الخارجي..

إننا محضرون في لهاثنا الأخير.. فلا تزيد أن يجهز علينا أحد.. لأننا  
اخترنا موتنا منذ البداية.. اخترناه خلاصاً.. اخترناه حياة تقية..

---

\* نصفنا الآخر هي مجموعة مقالات كتب عام 1969 على شكل حلقات أسبوعية في  
مجلة الشباب التابعة لوزارة الشباب. وقد اختارت منها تسعة مقالات ذات طابع أدبي.  
(المحرر)

-2-

ترسخت ألماني والى الأبد حقيقة  
كنت أعرفها لكن لم أملك تطبيقها هي:  
إن الإنسان لا يقدر قيمة الأشياء إلا إذا فقدها..

هذه الأشياء - رغم اسم الأشياء الجاف، غير الإنساني - تتبعث كبيرة،  
تغرق الإنسان وتغلق عليه بواباتها عندما تبتعد وتعود مستحيلة؛ إنها تتنزعه  
في توحده وتقتله ملايين المرات.. تحرقه عبر المسافات، إنها موت لا  
يلتهي..

في البداية يدهش الإنسان بالعلاقة ثم تغيب دهشته بعد استمرار  
العلاقة.. وإزاء علاقة داهشة فقدت حيويتها ينسحب الداخل فيها ويضحي  
خارجها.. وبعد أن تثبت الفجوة تبدأ العودة للدخول المجدد..  
ضوء ينتهي وضوء يبدأ: لقد كنت لينا في اتخاذ موقف حاسم وهو إني  
أتفق نتائج تلك الرخاوة المجرمة..  
لقد اكتشفت نفسي إلى نهايتها فيك..

اكتشفت قوتي وأنسانيي ورذائي: اكتشفت قنواتي ومجاهلي والعالم..  
أسقطت أولئك الأكواخ من البشر - الأوراق، التفهـة.. الأكواخ من السفلة  
الذين لا يملكون إلا تناحرات بدنية يومية، وحمقات.  
ليس بمقدوري الآن أن أدخل.. ومن مسافة مستحيلة متمثلاً أمامك لكي  
أحرك إلى موقع لا أرتضيه.. ويخيل إلى أنه لن تغيري تهاؤني.. وهذا ما  
يفتح جروحي ويوقف طلباتي إليك..  
إني مقتول: أجعليني هكذا أمامك دوماً..

-3-

نفت إلى قلبي: من كل الاتجاهات غزا حضورك جسدي..  
امتلأت بك وأصبحت لي قوتان مضاعفتان وانتشرت في لاتهيا..  
جسد يلغى الحدود: يعبر مضينا في أقواس الكون المشعة...  
يلتمع متوحداً بشعلته على ساحل وعلى قمة نائية مطلقة، متداً في  
شموس ملونة، ومقدسة.. ورياح الأقمار تحمل حضورك إلى غرفي السرية

في البحر .. يتلاطم إنسان حديدي آتيا عبر زجاج البحر .. آتيا من مراقي العالم الصاجة .. يتوقف ويتحقق بعينيه المفسوريتين ويدفع الحائط داخلاً .. ضربت بدنـهـ الحـديـديـ بيـنـدـقـيـتيـ: أفرـغـتـ عـلـيـهـ الرـصـاصـاتـ الـجـاهـزـةـ.. أمسـكـ بالـبـندـقـيـةـ وـرـمـاـهاـ فـيـ الـظـلـامـ وـقـالـ:ـ  
 - الآن جـرـدـتـكـ مـنـ سـلاحـكـ آيـهـ العـاجـزـ،ـ سـلاحـكـ الـذـيـ لـاـ يـجـدـيـ..ـ وـثـبـتـ عـلـيـهـ بـصـفـةـ فـانـكـسـرـتـ يـدـيـ..ـ وـعـدـتـ مـقـهـورـاـ إـلـىـ الزـاوـيـةـ..ـ  
 - يا سجينـ الـبـحـرـ..ـ آيـهـ الـموـتـقـ فيـ الـخـضـمـ..ـ دـعـنـيـ أـحـرـكـ إـلـىـ الـأـبـدـ..ـ أـمـسـكـ بـيـ وـشـلـنـيـ..ـ تـقـدـمـنـاـ فـيـ الـمـاءـ وـتـخـطـيـنـاـ السـفـنـ الـذـاهـبـةـ..ـ وـقـنـفـيـ  
 إـلـىـ السـاحـلـ:ـ كـنـتـ عـارـيـاـ فـيـ شـمـسـ الـأـرـضـ الـبـرـقـالـيـةـ..ـ وـكـانـ النـاسـ الـمـلـوـفـونـ بـبـهـجـةـ يـرـفـعـونـ قـلـبـهـمـ لـيـ..ـ وـكـنـتـ أـنـتـ تـأـنـيـ وـحـيـدـةـ،ـ مـتـائـيـةـ مـنـ خـارـجـ الـمـرـفـاـ..ـ وـقـنـفـيـ  
 وـالـقـنـيـنـاـ وـحـيـدـيـنـ قـرـبـ الـمـيـاهـ..ـ فـقـلـتـ لـكـ:  
 - لقد انتـرـعـتـ إـلـىـ الـمـدـيـنـةـ..ـ فـنـفـيـ إـلـهـ حـدـيـديـ:ـ إـلـهـ أـنـاـ صـنـعـتـهـ..ـ وـلـمـ  
 نـماـ ضـجـرـ مـنـ إـرـهـاـقـيـ فـرـمـانـيـ هـنـاـ..ـ إـنـهـ مـخـتـبـيـ هـنـاـكـ،ـ صـغـيرـاـ،ـ بـرـصـدـنـيـ..ـ  
 - وـأـنـاـ غـرـيـبـةـ مـثـلـكـ..ـ اـنـتـبـتـ فـجـأـةـ فـيـ الصـحـراءـ فـحـثـتـ إـلـىـ الـمـدـيـنـةـ..ـ  
 هـبـطـنـاـ جـرـفـ وـقـفـنـاـ فـيـ زـوـرـقـ صـغـيرـ..ـ قـطـعـنـاـ مـرـسـاتـهـ فـتـحـرـكـ مـبـعدـاـ..ـ  
 غـبـنـاـ فـيـ عـنـاقـنـاـ..ـ وـكـانـ الـزـوـرـقـ يـقـتـحـ الـبـحـرـ بـعـدـاـ..ـ

-4-

الحـبـ فـيـ الشـرـقـ يـبـداـ مـنـدـفـعاـ...ـ  
 ثـمـ يـتـوـقـلـ فـيـ الـحـزـنـ..ـ وـمـرـجـعـ  
 هـذـهـ طـبـيـعـةـ أـنـ الـأـشـيـاءـ كـلـهـاـ سـاـكـنـةـ فـيـ  
 الشـرـقـ:ـ أـجـسـادـ خـامـدـةـ وـأـذـهـانـ كـسـولـةـ وـطـبـيـعـةـ فـاتـرـةـ.  
 إـنـ الـحـبـ حـرـكـةـ تـخـرـجـ إـلـإـسـانـ مـنـ وـضـعـيـةـ سـاـكـنـةـ..ـ وـحـرـكـةـ الـحـبـ  
 تـتوـهـجـ فـيـ الـرـجـلـ..ـ فـإـذـاـ كـانـ طـرـيقـهـ إـلـىـ الزـوـاجـ فـانـهـ تـمـضـيـ وـبـعـدـ ذـلـكـ  
 يـقـرـ قـانـونـ الـأـمـتـلـاكـ فـاعـلـيـةـ الـحـرـكـةـ وـغـالـبـاـ مـاـ تـخـبـوـ بـعـدـ فـتـرـةـ..ـ

وإذا كانت الحركة محفوفة بالرصد الاجتماعي البوليسي فإن المرأة هي التي تقرر مسار الحركة. واحدة ترفض هذا الرصد وتنيس حبيبها بالعالم وتنضنه مكافأة له ..

والآخرى وهي التي تخرج مقللة بالقيود والرعب من الرصد وتضع نفسها نتيجة لأنشارات وتوجيهات الآخرين فإنها تغلق كل إمكانات النمو والفتح وتسقطه في السكون ..

لا لسكون العذاب البائس الذي يهبط فيه الشرقي، إنما سكون الانهيار الوعي الذي يفرقه تمزيقا - الواقعون فقط! - الحب الحقيقي - لا الحب المبتذر النفيعي - يفتح الإنسان وينشره نافيا به لحل الحدود الواقفة...  
ان النفعية بأنواعها إذا كانت شرطا في العلاقة فإنها تحيلها إلى توجس ثم طعنة قاتلة ..

فينبغى الانفتاح من خلال الوعي والخروج من حالة السكون الشرقية وإسقاط القناعات الراكدة والسعادات الصغيرة التافهة التي تساق إلى الإنسان لا التي يخلقها وعيه ..  
إنني أرفض الحب بالعذاب ..

#### -5-

#### ثمة صوت سمعته بوضوح كثيف:

لدي أفكار تبدو لي في بعض الأحيان مستحيلة على الرغم من أن أي شيء لم يعد يهمني على الإطلاق (ليس لدي القوة الكافية لاكتبه بالتفصيل) .. إنني أجد نفسي في رؤية مستمرة تجتاح كل الأشكال المريرة للوجود الإنساني، هذا الوجود المأساوي الذي ما ان نحس به حتى نجد أنفسنا في حالة عبر عنها أحدهم: ليس هناك طريق إلى الخلف أو إلى الأمام .. وليس هناك توقف .. فعندما تتواجد البداية كشيء تحاول أن تكمل مسيرتها بصورة مستمرة ومستمرة إلى حيث لا نعلم: إلى الأجواء المجهولة .. هذه الأجواء التي لا أكاد أكتشف جزءا منها حتى أحس بالرعب يغمر كياني لأن كل شيء فيها مرrib .. ليس للفرح معنى، فحتى لو انبثقت

لحظة فرح فرعون ما تموت وتتجدد لأننا لا نجرؤ على أن نخوضها بحرية تامة..

حقاً ما تقولين.. إننا بقدر ما نتطلع برغبة إلى مباحث العالم ونحاول رمي أنفسنا فيها: نشدها قواعد ثابتة في أعماقنا لنوافذ بين صفاتنا ونفاثنا وما يمكن أن تستنزفه تلك المباحث منها.. وبقدر ما أربأنا وكشفنا الأشياء.. كانت تسقط كلها.. ونجد أنفسنا وحيدين للنهاية.. لا نملك إلا البقاء لنحفظ رفعتنا.. إن وجودنا غير مبرر.. ولكن ما دمنا لا نملك إلا التواجد.. وما دمنا مقصورين على الاستمرار في الحياة.. فعلينا أن ننعم بأضواننا الداخلية ووحدنا، لأنها تعوضنا عن البشر الملغيين والعالم الملغي..

ولكن هل يعني هذا أنني بالضرورة يجب أن ألغيك أنت أيضا؟ انطلاقاً من نعمتي على الآخرين الذين خلقو القوانين المجرمة.. وأفسدوا الإنسان.. لا أستطيع أن أجد الجواب في السلب أو الإيجاب.. لأنهما لا يمكنان من مواجهة الموضوع.. إنك الآن تملأين يدي ورأسي وعلمي الالامحسوس.. ضوءاً صاعقاً يكتفي.. يكشف حضوري..

لا أستطيع إلا أن أتمثل.. فلتسقط الاستئتمات والأجابات الوضيعة.. دعني أحملك في غرفة قلبي وأقربك..

-6-

ماذا يبعث توحد الإنسان؟

في البدء ينحصر إلى الأعماق بلذة مهووسة منها ارتباطاته وعلاقاته وانتفاء للأرض والأخرين ولجسمه..

وعبر حرارة الانقطاع ترتفع قوة حركة إيجابياً: إنتاجاً وتجدیداً برويته للأشياء..

وترتبط هذه القوة وأمدها بعلة التوحيد.. فإذا كان السبب استياء خارجياً أو انكفاء من قواهر تعاملية.. فإن التوحيد يسقط عند أول مصالحة مع تلك الطواهر.. ويتميز هذا الإنسان بالمزاجية والترجج..

أما التوحيد الحقيقي فيكون ناتج اكتشاف سر أفعال الآخرين والأشياء  
وعيا بلا جدليتها بعطفه كابسان.

هذا الإنسان الوحيد.. الإنسان الخاص.. ما هي علاقته بالمرأة؟ اثناء  
احتدام فعل التوحد تسكن المرأة كشيء: كباقي الأشياء.. وتصبح موضوعاً  
خاصّاً للكشف وحسب..

إن عاطفته تتحجر تجاه وضعية خاصة.. قبلة كيان محدد.. وتكون  
علاقته بوضع شامل، غير ملموس على الأغلب.. شمول يغمره للحظات  
كاملة.. ثم ينطفئ العالم وتتحول أنواره إلى الداخل. هذا الإنسان الخاص  
الذي يشك في كل شيء: من جدواها ودفعها لنموه.. تكون علاقاته بالنساء  
قابلة للانقطاع والانهاء في كل لحظة لأنهن السبب.. فالعلاقة التي لا يرزح  
بها الإنسان ويبداً بها عبرة.. تمضي في عورها إلى أن تهيا لها فجوة  
الانقطاع فتسقط في فراغها..

امرأة واحدة فقط هي التي تنهي العلاقات المبددة لهذا الإنسان وتقدر  
على احتواه من الداخل والخارج - مهما كانت المدة - .. امرأة يمنحها  
أشياء من غربته وأنواره وشلله وعنفه لتملاً هي أشياء من تماثلاتهما تحركه  
للوشوب إلى الأفراح..

-7-

الغيرة جنون الحب ونهايته عندما يغار طرف يكشف افتقاده الثقة  
(بوجوده) لدى طرفه الآخر. فيكون هو المزعزع أولاً، فيعمل على اكتشاف  
قلبه وحسبما تقرر قناعاته يضع النتائج.. إن اختيار الطرف الثاني خاتم  
نصال عسيرة.. عليه أن يجهد ليد ساحله وبحره وبآخرته فيه، وعليه أن  
يفحص الثنائي بمنطق صارم ولا يعلق بزاوية أو بواجهة واحدة يبني عليها  
مصلحة: يغطي بذلك الزاوية أو الواجهة التي شدته إلى الطرف الآخر  
الزوايا والواجهات التي تقتلع حياته.

إن الزاوية التي تبرر الزوايا الأخرى سرعان ما يسقط دماغها فتهجم  
الزوايا الأخرى بمساواتها ونفائضها لم، مما يحدوها إلى أن يتخذ موقف  
الدفاع عن نفسه: من هنا يبدأ انهايار الحب..

لقد فرأتك.. إن الغيرة بالتحليل النهائي دفاع عن النفس.. أبصرتك بخيال فعرفتك بليجياتك وسلبياتك.. وقلبك ككل.. ولقد اخترت قلبي وديمومته لديك.. كنت أجهد لأريك سيناتي.. فلست ذلك الرجل الذي يرهق بتزويجن جسده ووجوده أمام فتاة ما ثم تكتشف أليافه العفنة بعد انتهاء التمثيل.. أنا أمامك بضوئي وظلامي.. وأنا سالت اليك واكتشفت ماذا تحتوي عظامك.. وأنت ارتضيتي..

حسناً كسرنا وجوه التمثيل منذ البداية.. ووقفنا محددين بوضوح.. لم يرغم أحذنا الآخر على اتخاذ موقف زائف، ولم نرتفع بعضاً بخجل.. وأنا واثق بنفسي إلى النهاية، لذا لن أتيح للغيرة أن تجرني.. فأساساً لست سيداً عليك ولا ملكاً أحكمك: في الوقت الذي تكتشفين أنك أخطأت في طريقك معى تمدين يدك إلى ونفترق.. ول يكن دم الحزن المقدس مغرقاً لا الغيرة.. إنني أحرص عليك في حدود ما تتيحه المحافظة، لكن إذا فككت أنت المحافظة معى: لن أحافظ عليك.. إن حفاظي مرهون بحافظك معى..  
وخلال الصراعات والتناقضات والفجوات والإغراءات التي تحرك حياتنا، لا أملك إلا أن أقول لك.. وبأقصى ما يمكن من نقاء صادق: إنني أحبك..

-8-

تضيء علاقات القلب بقوه ووضوح حين صحوت فجأة، وفي يوم واحد وإذا بالمكونات التي رسمت حجر - كما خلت، وإلى الأبد - قد تهدت وارتخت.. صحوت على وثائق ملموسة تربط الجميع.. وجوه تفيض.. روابط تتنفس.. حميمية تسر مرتبطة في أجساد الجميع، شمة مشابك ومتعرك يلتقي دونما انتهاء..  
الحصوة في الأعماق تتوى وتتنفس ثم تتبعر وتنتمي بالحرارة والتتجدد.. قنوات جافة تزدهر وعيون تثير في جسدي للخارج: جنينا أكون - مندهشاً ومضررياً: هذه المجرمات التي كنت أحقرها.. أنا أتلمسها بحنين جهوري ومدوم..

أيتها المرأة.. أيها الجانب الخفي الذي نكتشف فيه ظلمتنا.. إن الإنسان بتوحده لا بد له من أرض يستند عليها أو حدار يتكئ عليه - لا يمكن أن يتعلق بتوحده رغم كل الإعصارات التي تهب عليه وتجعله ينكمش داخلها في دخله..

أنت راسخة كأرض وجدار ، تكيفين الخطوات والوقف حسب توينك ،  
من الذي يحدد قبل وبعد؟  
كنت أنا أحدد باختياري متقبلا النتائج ..  
وحتى لا تتعقلي أنتي أصبحت ظلام لك: أبقى منظرًا: فالحصاة القديمة  
ما زالت تعذبني بضبابها وتقلل ترسيبها ..  
اكتسحي بتوحدك معى شخصياتي الهرمة وانفيها ..  
فهل تستطعين؟؟

-9-

في السبت كنت أتهيا لسماع صوت بعيد.. كان صوتاً مجهولاً مليئاً بالحياة.. والتقيينا ذات يوم واكتشفت أنني أعرف الصوت جيداً.. لكنها أرادت أن تذكر نفسها.. ولم أنحها فرصة للكذب.. ثم قالت: سمعت أنك تحب غيري..

فشرحت لها: عندما يكون الإنسان نقى: لا يزوج وجوده في علاقات زائفة قد تقام له لذات آنية - لذات يلهبها في لحظات ثم تفننه لتمزيق ينوي نقاوته..

لا أريد أن أقوم بدورين متناقضين. أن أصرح بحبى وأحميه وأن انكر حبى والفتاة..

الفعلان هنا مضطربان: أن أموت وأن أحيا في وعاء واحد.. لا أستطيع أن أحми حتى لأسباب مانعة في الوقت الحاضر.. ولا أستطيع أن انكره والفتاة لأنهما ضئي وقاربي في بحر العالم المظلم.. أية سنابك حادة تتغزز في كياني.. وأية شظية تثبت من الظلام لنقسمني إلى كيانين: كيانين ضعيفين واحد للنور وواحد للعتمة..

هذه الحيرة تدفع للنصيحة التالية: ليس أسهل من التخلص من هذا الانقسام من اختيار طريق واسقط الآخر..

هذه النصيحة السهلة، والمدمرة مخيفة: لبساطتها وسهولتها.. وأخيرا جاء حل مسموم: الصمت.. لقد اشترطت عليها أن نطرح سرية العلاقة.. لكنها صمتت..

فهل الصمت حل لارتباط؟

إذا صمت أنت ورحلت.. فهل أصمت أنا وارحل في الطريق الآخر..  
هل يمنح الصمت إطفاء للنار التي تلتهب في داخلي.. ويجعلني أقف بحزني  
أنطلع إلى العالم الضاح، السعيد بفرحه.. كلا: إنني لن أصمت.. ولن أجعل  
وجودي أرضاً سقط عليها بقايا الأفراح والتطلغات المنشية..  
ولن التنس فرحي أبداً في قوانين الآخرين..

### كيف نقيس الوهم بالسانتميتر

-1-

الزمن يفتح ليقينكم فغوصوا. انفخوا بابواقكم عالياً، عالياً، لقد  
اعتدتم التواطؤات. الأيدي اللينة المموهة لا تؤدي، لكنها تنفسح بالمطر.  
الخيانة تنزلق على الأكتاف فتتمو أشتاب زرقاء تسدل على الأذرع.  
وتبرز أصابع من الحنجرة تتغضّن على العشب. وتخرج من ثقوب الكتفين  
عصافير ملونة تحوم حول الرأس. وتبتعد من الجسد أشرطة ملونة. لا  
تغضبو لا تفروحوا. فالرجل يذهب باشرطته وعصافيره خلف الجدار.  
وتسقط الأمطار عنيفة لتسعني تماماً.

-2-

كيف نقيس الوهم بالسانتميتر؟ إنه يفتح يوماً جديداً متألقاً أمام أصواته  
المكثرة: يختلس من الهواء مزماراً سرياً. التراب والرجال والأعشاب  
يرتفعون في الفراغ منتسبين بشوهة مزيفة رنانة. ثم يسام فيم كفه ويغرسه  
في الأرض: ادخلوا في القلب أيها المحترمون. ادخلوا.

-3-

من الذي يفتح قميصه في الهواء. من الذي يكشف صورته الجميلة في النار. من الذي يرفع بندقيته ويسددها إلى معدنه. من؟ لا أحد. إذن فلنلعن هذا اليوم. ولبيأ الزجاج بإخراج راقصاته المشاعات.

-4-

عاطفتي تستعصي. فلتقدم متلوجاً أحنني فوق مدن العالم أبحث عنك. أنت التي أصبحت وهمية.  
وعلى أرصفة العالم وجدت ملايين النساء. وكانت كلما أمسكت واحدة  
أعطت نصفاً منها لي وغابت نصفها الثاني.. نساء مقسومات.. فأستدير..  
وانزلق في الهواء.. في الهواء.. في الهواء..

-5-

هذه الليلة الدائمة تجزئ زمنها منات الليلات: أصوات بعيدة ترشح من  
نجوم غائبة لا تلمس. وهواء أسود يقطّع بصمته المركز. وأرض تجدد  
امتدادها الصحراوي. أحنى وجه هائل، ذابل. نهضت وتسلقت حلمه  
المرتجف ودخلت في ججمنته.  
أبصرت من عيونه الألوان إليها المرهون بقاعكم. لقد حسبتني  
الجمجمة.وها أنا أصرخ من فمها: وداعا.

(1970)

### خاطرة

عندما بدأت تقتربين لم أكن واهماً في هواجس التاريخ وحولت أن  
أضع جداراً لكذاك أيها الطائر المفترس تعرفيين كيف تتفزرين فوق الجدار  
وتدخلين من الثقوب.

أردت أن أهرب لكنك أطبقت علي وسجنتني وصحت أنا أخافك.  
وحاولت أن تطير بي إلى الظلام وكلما أطلقتك عليك النار أصبت أنا، أيها  
الطائر المفترس إنك تقتلين قلبي، كم أود أن تذهب بعيداً لكن لا تخاف لا  
أريد ذلك.

( بدون تاريخ )

# أشعار



## لقد تكسرت الإشعاعات

ذات مساء.. والظلام مخيم والرياح العاتية تجتاح المدينة المهاجمة  
والنجوم اختبأت رعباً خلف أمواج الغيوم الغاضبة  
وعلى عمود نور  
استندت طفلة صغيرة  
أوصالها تهتز .. وأسنانها تتصطك  
والريح القاسية القارصة  
تلسع جسدها المتراري خلف الخرق  
الخرق المتهرئة  
كانت الطرقات خالية  
تصفر على ذاتها  
والأضواء الخافتة تترافق  
كالأشباح  
وارتعدت فرائص الطفلة  
وأفلقتها  
صرخة: أماه.. أماه..  
وأجابها صوت من قرارتها  
إني لك أم أيتها البائسة  
وتناهى إلى اسماعها حقيق  
الأغصان  
وهي تكسر في الظلام  
وسرت برودة الخوف وأحاطت بمداركها  
فركضت ومن تخال الألسنة حولها  
وعيونهم تبصق النيران  
وأيديهم تمتد إليها.. تجذبها  
فازدادت سرعتها.. وازدادت  
وعثرت قدمها بصخرة نائلة

فانكبت على وجهها مولولة  
وتراءت لها الشياطين ..  
فجحظت عيناهما  
وازداد القرع والضجيج  
وعلت صرخات الطيول  
فنهضت تحاول إمساك شيء  
(حيث لا شيء)  
وانقض بدنها وارتجفت حنایتها  
وأطلقت ضحكة معربدة ..  
ثم انشت وهي تبكي  
تهدد الظلام والبرد والأبالسة  
ثم اختفت في الظلمة الحالكة

(1963)

\* \* \*

## الجسر

على الجسر علقو أسماء المذبوحين  
وكان السفائن تحمل أحداهم  
إلى الميناء  
وعلى أبواب مطارح القبائل  
نقش الغزاة حروفهـم المسئولة  
وفي الفجر كان اللصوص  
يببعون للحانات ثمار بساتيننا الكادحة..

هل تسمعين

الصوت من وراء الثلة عاد يلهب ظهر الوداع  
والعينان جاعتا من خليج الصيف مسومني الشراع  
الصيف الآتي ابن الصيف الماضي  
والشتاء هو الشتاء  
وفي بحر الدفء ركضت وفي يدي راية المستقبل  
حين نامت المدينة  
هل نلتقي..

(1965)

\* \* \*

## أجراس الزمهرير

جذر الزمن المغروس في الأن.  
حسر يحمل أعباء العصر المنتشج.  
يُقذف أنمار الماضي لفهم المستقبل.  
للحاملين دفنهم فوق جماجم أبنائهم..  
لن يصحو الميت على حزن الصرخات  
جئكم مستعيراً وجهاً فسيفسائي الصيغة  
حاملاً عباء السنين القائمة  
وحكايات مجدولة من ليف الفراغ  
أبحث عن قلب دافئ  
عن بيت أرمي على عتبته آهاتي  
وأدخل متحرراً.  
تعفت جثة الانتظار .. فتوقفت  
وكانـت أمطار الهزيمة تهطل بشدة  
وكانـ المـجوـفـونـ يـحملـونـ غـنـاءـهـمـ وـيـمـرـفـونـ  
وتحـتـ الجـدارـ وـضـعـتـ أيامـيـ المـنـتهـيـةـ  
جلـسـتـ أـتـفـرـجـ وـأـمـزـقـ قـلـبيـ باـسـنـانـيـ  
وـأـحـصـيـ دـمـائـيـ المـتـبـخـرـةـ.  
ثلـجـ الـوـدـةـ سـدـ نـقـوبـ عـلـىـ جـبـهـتـيـ  
حـجـرـ فـروـسـيـةـ قـلـبـيـ الـبـاشـيـ  
وـكـانـ نـدـىـ الأـسـىـ يـعـشـوـبـ فـيـ جـبـهـتـيـ.

(1965)

\* \* \*

## سقوط الاحتمال

جاب الموت مدینتنا الواهية الأسوار  
خط علامات فوق الحيطان  
علق شاراته في الأغصان وتسمر ..  
زرع الجندي حرابه  
في الجهة  
ضم مصيره  
وبكى ..  
أشباح ترفع رأيتنا  
ورجال من خوص غروا  
جبروت المستقبل  
رميت سلاحي ومضيت  
عاري الخطوة ..

(1966)

\* \* \*

## الخاتمة

عِنْدَكَ  
يَا نَهَرًا مِنْ صَمَتْ  
يَجْتَاهُ قِبَابُ الشَّمْسِ  
يَا نَارًا تَحْبُّ لِلثَّلَجِ الْمُسَاقَطِ  
مِنْ قَلْبِ الْمَوْتِ  
أَلْقَى فِي يَاسِيْ حَجَرًا مِنْ لَهْفَةِ  
عِنْدَكَ.  
إِلَهِيْ -  
مُونِيْ.

(1966)

\* \* \*

## الغياب في الضوء

أيها الضوء المختفي في نهاية كوني  
امنحي بعض شعاعك  
امنح قلبي اقترابك  
وضوءك العظيم  
أيها السر الخبيث في انقساماتي المحترفة  
اقتربي مني .. غببي في عيوني ،  
في رئتي ، في يدي  
ولتشكل قوة الأضواء وقوة الأرض  
امنحي قلبي اقترابك : يا نهرى  
الوحيد في العالم ..  
يا....

(1969)

\* \* \*

## أطلقني يأسك الكثيف

يحطمون ججمتي، عيوني، فسي، يدي، جسدي.  
هل ترضيك أجزائي؟  
انحنى وخذلي  
وضيفي يأسك الدائم  
إلى إنهايار حريري.  
إنني مقسم أيتها الملكة  
لأنك لاترين سوى وهمي  
ستهار رغباتك الأمارة  
عندما أتساقط عدداً لا ينتهي من الإشراقات.  
لقد شمعت عذريتك  
وسمعت نفسك المعتن  
يدور حولي بأقتعنه العتيبة  
إنني أخذت كسامهم إلى سماء الهزائم  
بدون أن أمس شهواتك المنصهرة.  
إنني مدعو إلى كهوف  
لاترى ولا تلمس  
إن هناك من ينتظر  
حالاتي التي لا تحد.  
أيتها الملكة إنك ترزيين  
بحبك اليائس  
وتتطوقين بجسلك الذي تبيس  
أبعدي طعناتك لأغيب في الأمام  
إلى الأمام  
اصطحبني ذراعي أيتها السيدة  
إنني أدخل الهواء  
أنقدم متوجلاً  
جزعي المتواضع

الى جزر ومحاور لا توجد  
 اتنى ألقى رغباتي المتواحشة  
 الى قدرها المجهول  
 ثم أنتظر  
 ازهاراً حمراء تتوجه من قدر  
 مضاد  
 أمامي كل شيء وخلفي لا شيء  
 وعندما أستدير ، تستدير الأشياء ،  
 وبعد لا يتغير  
 من يدي الصاجتين  
 أي تحبيب يعطي كافي  
 في هذه الليلة  
 إني أترك لكم أشيائي  
 وأرحل متجرداً بجسدي المحطم .  
 عاطفي تحتشد في أجزائي  
 تراوغ شهونك المصطفين  
 إنكم تتكلمون بصوت موحد  
 مطالبين بخلع أقنعتي الحقيقة  
 عشرات الأيدي تتكدس في يدي ولا أعرف يدك  
 إنها مشاعة بين الأيدي التي  
 جلبتها  
 إنك تستعبرين أصواتاً متعددة  
 وأمام يقيني الذي تخرب إزاءك  
 ارتجفت غاضبًا  
 وامتنقت سيفاً لأقطع أصواتهم  
 لاقلعهم عن جسدك  
 لكنهم يكرون كالحرائق التي لاتهدى .  
 لم أعد أميزك .

(1970)

## عواطف

لم يبق للقلب إلا أوعيته النازفة  
هناك في قمة الجسد ،  
غابات من ماء ،  
زهور صفراء متارجحة ،  
تنزل كثافتها اللينة ،  
وتبدأ في الجلد ،  
يتجرد الجسد من أفراحه ومباهجه  
وأحزانه وضوابطه  
يتعلق برئته الدائم  
إذاء خطوطه المنتفية على سطح الصخب  
من الذي يدعوا في هذه الصحراء ؟  
ومن ذا يجيب ؟

(1970)

\* \* \*

## حزيران

انهيارات دامية  
لتوحيد اليقين  
إنهم يبعثون مصالحهم  
وكيما يربّيهم وأثابيهم  
ل瘋تنا، وخلقنا من جديد  
لا يهم أن تكون كلباً أو حداءَ  
او كرسيأ حجرياً مكسوراً قرب الشاطئ  
لا يهم أن تكون إنساناً أو بقرة  
فالأشياء تتساوى بعد مغادرة المصنوع  
بعد مغادرة المصنوع، مغادرة المصنوع، بعد مغادرة  
المصنوع.  
مغادرة.  
بعد.

حزيران

تفنين في: فنائي  
نسر يحرق: أرض معادة  
أيتها الأنثى: الحسد: الكون  
الحقيقة هي الوطن المخيف  
جحود لم تبق إلا أسماؤهم في الجرائد  
مياه أبدية في الأفواه، وفي ساعة الديمومة  
أشباب تتيس: مدن تخنق  
شمس سقط، رجال، نساء  
بيوت، حجرة قارب  
مسافات تنهض: تعجب  
تأثير لا يعرفه أحد يموت في النضل  
أو يتجمد في قمة معزولة

ماذا يتبقى للأبطال والخونة: لا شيء  
مقدمي يحرقون: أقدام تحرق: أنهار تذبل  
أجساد يابسة تطيرها الرياح  
وفي عري جثثنا الشفافة نظم بالنصر المستحيل  
أيها الغريب ارفع شراعك: لا تنف ..

(1970)

\* \* \*

## ليست قصيدة\*

-سما-

أخذت الحمامنة قلبي وطارت الى الله  
يا حمامتي الجميلة  
آه أيتها الحمامنة الذهبية  
طارت الحمامنة بعيداً  
ترى هل يستطيع رجل راح قلبه أن يقف إلا مثل قصبة؟  
وهل يستطيع أن يواجه عاصفات الريح والوحش الكاسر؟  
هل يستطيع ذلك رجل أخذت حمامته قلبه  
طارت به الى الله.

\* \* \* \*

يتنفس الرجل مثل الرمل وبصيح:  
آه من قسوة الحب.  
ترى هل يمكن للرجل أن يعزي نفسه؟  
وكيف له أن يعزي نفسه؟  
وقد أخذت حمامته الذهبية قلبه  
طارت به الى الله.

(1994)

\* \* \*

---

\* كتب خالد الرواوى هذه القصيدة عام 1994 تحديداً بعد ثلاثة أيام من وفاة ابنته سما على أثر حادث مؤسف. وقد أثر به هذا الحادث تأثيراً بالغاً وأضحي أكثر صمتنا والعزال من ذي قبل. (المحرر)

## قصيدة\*

-1-

أنطوي  
أطابر  
أكاد أزول  
هل أبحر في الوهم من جديد؟  
من أين يجيء كل هذا الحب؟  
من أين تتبثق هذه الشعلة؟  
لماذا تحيي الميت يا إلهي  
دعا يذهب.  
أوقدت لك شمعتين  
الأولى في بداية العالم  
والثانية في نهاية  
ساحوطك من كل مكان.

-2-

من أي قمّم خرجت أيتها الطفلاة الساحرة؟  
كيف خلقت هذا الفردوس في هذه الصحراء المميتة؟  
أيتها الطفلاة - المرأة، إنك تأتين مثل النسمة وتذهبين؟  
تدخلين مثل الحمامَة وتخفين كائطفاء الضوء.

---

\* كتب خالد هاتين القصيدتين في أواخر التسعينيات قبل وفاته بحوالي عامين، ولم يحدد هوية المرأة فيها. ومن الممكن أنه وقع في حب امرأة، خاصة وانه وقع القصيدة الثانية باسم محمد موسى بدلاً من اسمه الحقيقي. (المحرر)

وتركين السنة النار تلتهب.

أيها الوهم الرائع - أيها الوهم النقى الصافى.

اغفرى لي كل حماقاتي وسيئاتى، فهى كثيرة لا تحصى:

فانت إلهى.

لا تدعينى أتلاشى.

(1997)

\* \* \*

**ملحق - 1**

**كتابات نقدية**





## حول قصة ناعور في نهر يابس\*

تصادم التيارات الأدبية في هذه الفترة من حياتنا وبيئتها السؤال: أين هو الأدب الملائم في بلادنا؟ وعندما تفتش عنه لا تجد إلا لمحات سريعة ونائية من هذا التيار... يعرض خالد في هذه القصة صوراً وأحداثاً متتابعة متلاحةة مر بها الكثير من شباب ورجال العراق الذين عاشوا أعواماً، سياسية منفعلة فواررة الواقع والأحداث. ناعور في نهر يابس سبك خالد الرواذي خيوطاً حقيقة لا زلت تتراءى أمام ذهاننا التي لم تنس - وكيف تنسى - تلك الأيام الهانجة قبل سنين. ونقطة أخرى أود تسجيلها أن تلك الفترة العصيبة من الزمن لم تدفع أحداً من الكتاب العراقيين ليكتبوا عنها مع أنها دخلت الأجساد إلى العظام، تعطينا نتسائل: أين هي المعاناة إليها الكتاب النحارير !! تجية لخالد حبيب الرواذي ونأمل من الملحق نشر المزيد من أمثل هذه القصص الجيدة.

\* \* \*

---

\* بلا مؤلف، ملحق جريدة الجمهورية، 21 تشرين الأول 1966.

## **الجسد والأبواب: وضوح بين الأصوات المدغمة\***

كثُرت في الأيام الأخيرة المنثورات العراقية، فترة خصيبة جداً، كتب صدرت وأخرى ستصدر، دواوين شعر، مجتمع قصصية، روايات، ولكنها فورة غير منظمة، اختلط فيها الجيد بالهزليل، ومات فيها البريء بذنب القاتل، إذ انه - وكما يبدو - ان كل من يملك ثمن طبع كتاب يفعل ذلك بلا شعور بمسؤولية العمل الخطير هذا، المهم النشر ليس الا، ولذا قرأنا ثرثرة وتفاهات سببها قصصاً او روايات .. الخ. ولذلك اطالب زملائي بمقاطعة كل المنتجات الهزلية واهتمامها تماماً لئلا نمدحها بوسائل الحياة حتى يشعر أولئك الفارغون الذين سطروها بفداحة الجرم الذي أقدموا عليه.

ووسط هذه الفوضى تجد بين حين واخر نماذج طيبة ومعافاة منها المجموعة القصصية الأولى (الجسد والأبواب) للزميل خالد حبيب الرواوي. ولنساءل اولاً: لماذا هذا الاسم (الجسد والأبواب)؟ لماذا وضعه المؤلف على مجموعته دون اسم اخر مع انه ليست في المجموعة اي قصة تحمله .. والذى يبدو لي ان المؤلف - وكما فعل زملاء آخرون له - قد التقط هذا الاسم ليضم بين دفتيه المضامين التي تدور حولها اقصاصه، وما دامت قصصه لا تدور حول الجنس كأحدى الازمات التي تواجه المثقف العربي اليوم، فلذا ان كلمة جسد هنا تعنى الإنسان الذي يأكل وي��ح ويفكر ليعيش، أما الأبواب فهي هنا الحرية المنشودة من أجل ان يتعتنق هذا الإنسان وتفتح له الأبواب ليتنفس ويغير موكبه .

فقصص خالد حبيب الرواوي هذه تدور اذن حول نقطتين هما الإنسان والحرية وقد اكدها عليهما جميع القصص التسع التي تحتويها المجموعة،

---

\* عبد الرحمن مجيد الريبيعي، مجلة الفباء، 9 نيسان 1969.

الإنسان البسيط وكده اليومي من أجل الحرية والخبز، فهو تارة زبال وأخرى سياسي وثالثة عامل عجوز لا يجد قوته وهكذا، ما عدا الحواريات الثلاث التي تحويها المجموعة أيضاً جوار الفصص فهي تدور عن الحرية ببساطات ميتافيزيقية مدغمة.

إن (الجسد والأبواب) أيذان بميلاد كاتب اجتماعي جديد يملك ملامحه الخاصة به والتي تتركز في التقاطه لحوادث بسيطة جداً وخلفه لقصص منها تذكرنا بأعمال القاص السوري وليد أخلاصي مع الاختلاف في المنطق، وهو يختلف أيضاً عن زميله العراقي خضير عبد الامير مثلاً الذي يملك نفس الاهتمامات الاجتماعية ولكن في الوقت الذي يعطي فيه خضير عبد الامير للعبارة استمراريتها ولل فعل مواصلته نجد خالداً يميل إلى الجملة القصيرة المكتففة المحافظة على الملحمة الشعرية، ويميل أيضاً إلى تكثيف الحدث وانهائه بطريقة تقاجيء الفارىء وتجعلها قريبة من القطع في غير اوانه، وهذه هي في رأيي نقطة الضعف في بعض قصص المجموعة التي حاول تلافيها في قصص أخرى وذلك بانهائها بجملة شعرية تترك الخيال هائماً وتبعده عنه صفة القطع مثل (والرياح ما زالت تحمل معاطف الليل للأرض والحياء) كما في قصة (الرصاص: البيوت) ومثل (استدار واضحى نقطة في الأفق) كما في قصة (الحائط) ومثل (كاثارت الرعد والمطر أخذ يشتد) كما في قصة (رجفة في الضوء).

وعندما نحاول تقييم البناء الفني لقصص الرواوى نجد أنه لا يلتجأ إلى التجديد المتطرف، والسبب في رأيي هو بساطة الموضوع الذي يطرحه، انه اضاف اضافة بسيطة دون ان يلغى قيمة قيمة (نحن نسير بسرعة فائقة ولكننا ايضاً نحمل امتعتنا القديمة الصالحة للسفر) على حد قول توفيق الحكيم، ولذلك فالرواوى لم يلغ شيئاً بل اضاف للقصة هذا الاختصار المفرط الذي يجعلها تؤدي مهمتها باقصر وقت، ولكن هذه عملية خطيرة فقط تؤدي إلى قتل القصة وتحويلها إلى خاطرة ولذلك فإن عليه ان يحذر قبل اعطاء القصة وجهها الأخير.

\* \* \*

## خالد الروي: العلاقة والتجربة\*

الإنسان المطرد المغلوب الذي لا يملك مقومات الصمود، هذا الإنسان هو الموضوع الاهم الذي يصلح اطاراً ويصلح صورة داخل الاطار ايضاً لقصص خالد الروي (الجسد والأبواب). محمد الذي يبحث عن مأوى للاختباء وربما مكان آخر لمواصلة المعركة، وعامل الطين الذي يحلم بالعمل والذي تندفعه يد صاحب العمل الى البطالة مع نظرات التشفي والشماتة، والمطرود من الخان الذي لا يملك ايجار الغرفة .. وللذان يبحثان في بحر راكد عن مرفا الحقيقة، والباحث عن الخيانة في (الانزلاق) الذي يكتشفها فيه مؤخراً، يقول خالد على لسان احد ابطاله الثاني في "الجبار وزهور البحر" ..

- انها الغلطة التي لا اغترفها ان يملك الإنسان جسدين، واحد يتعامل به مع الناس والآخر يتعامل به مع نفسه.. ولكننا في الحال نجد هذا الإنسان الباحث عن دراجته المسروقة والذي يجيء الى الدار البعيدة عن المدينة لاسترجاع الدراجة التي ابتاعها صاحب الدار من السارق يترك موضوع الدراجة ليتحول الى صاحبة الدار محاولاً اغتصابها.. وفي الانزلاق، نجد الشارب نموذجاً للخيانة مختبئاً تطارده عيون الشرطة، يلعن الخائن ثم يتحول الى زوجة صاحب الدار التي تؤويه.

اراد خالد ان يتمرسد على فرضيات الفلسفة معتبراً الانتهازية غلطـة، ومن خلال هذه النظرية نجده يسلط العبارة شارحاً للتداوـج المقدمة.. . ومع انه - اي خالد - يملك المضمون الدسم، الا انه أحياناً (رجمة في الضوء) نجده مرتبكاً في الحوار وفي الانتقال الى الحديث، ومع ذلك فإنه يقدم المضمون الاكثر مأساوية، صياغة الاحنية المطالب بدفع الاجر والذى يطارده البرد وصاحب الخان، وفي (المتربيـون) يكاد ينعدم التوصيل في اللغة التي تجسد الحديث وتصل الى لحظة الانفجار، وفي الاعتـار الاكثر انصافاً ينبغي

\* شريف الريـعي، مجلة الاذاعة والتـلفزيـون، نيسـان 1969، عـدد 7.

ملحوظة ان مجموعة خالد هي اول مجموعة قصصية خلال هذا الموسم تسلط الضوء على الانسان المنسحق المطارد بعيدا عن حزنات المقلدين، بمعنى انك تقرأ قصة تحمل ملامح الارض التي دارت عليها احداثها والشخصيات الذين يطرحهم خالد موجودون بيننا.. ومع ان خالد لم يلجأ الى العالمية في حوار الاشخاص الا انه استطاع الى حد كبير ان يتغلب على حرارة التصرف عند ابطاله.

ملحوظة أخرى، خالد يبتعد عن التفاصيل التي ترهق القصة القصيرة أحيانا، وهو بالضبط يعني مسؤولية ان تكون القصة قصيرة، والى جانب اعتماده الصور الشعرية أحياناً فهناك العبارة التجريبية ايضاً، وفالله يمشي الى النهاية في قصصه بشكل يعطي القارئ فرصة المتابعة اللذينة، فهو يصل الى النهاية من خلال الملامة الدقيقة في جريان الحدث وبعيداً عن المجاملة - خالد الرواذي في (الجسد والأبواب) يمنحك فرصة ان نطالب بقصة قصيرة تستوعب تجربة الإنسان العراقي وتتفق عند جزئيات هذا الإنسان لتملك بعد ذلك لغة مميزة، مجموعة خالد تترك لنا فرصة ان نتفاعل بمجيء قاص اصيل، ولا بد ان نفهم ايضاً ان هذه المجموعة هي الاولى، وفي قصصها ما يمثل ابعاداً زمنياً بالنسبة لزمن صدورها. ان الذي يجعل لقصص الرواذي نكهة خاصة ومذاقاً خاصاً في المضمون وأسلوب المعالجة هو انها تبتعد عن التكلف الذي يلزم الافتراض ولغة معفدة، ورغم ان البساطة تلغي في احيان كثيرة بوادر التفصيل والكشف، الا ان الرواذي استطاع ومن خلال هذه البساطة ان يمررنا بتجارب ابطاله عبر التنمر وعبر الانزلاق وعبر الحلم. وهذا لا يمنع ايضاً فقصص الرواذي تنتهي الى الواقعية.

\* \* \*

## أبواب الجسد المعمى\*

يقينا ان خالد حبيب الرواи، كان يدری اي موضع سيحث بنهجه للتنكين الواقعى، ففي الوقت الذي أخذت فيه أصوات الطالبعة من كتابنا الشياب تتجه للبحث عن اراض اكتر ملائمة لهمومها واتعابها يأتي صوت: خالد الرواي كرافض لكافة التطلعات الفنية والمناهج العديدة، رافض بين الرافضين، وهو لا يكتفى بقناعة شخصية فقط، بمدرسة تشيفوف وموباسان بل بالتأكيد عليها سواء في تناوله للمسرحية او القصة القصيرة (ثمة ثلاثة مسرحيات في مجموعة الجسد والأبواب يمكننا الحديث عنها على انفراد)، اقول هذا بمعرض الحديث عن الكتاب الذي صدر للزميل خالد حبيب الرواى في الآونة الأخيرة، لقد قرأت قصة: ناعور في نهر يابس عام 1965 في ملحق الجمهورية، بينما كان زمن قصه، الرصاص: البيوت هو عام 1969 في مجلة العمل الشعبي، فما هو يا ترى الشوط الذي يلغه كاتب الجسد والأبواب خلال المسافة الزمنية تلك، وما مدى تطوره التنكيني؟

يبدو ان كتاب المدرسة الواقعية لا يحملون بصياغة الواقع كما يجب، بل كما هو عليه وكما هو في قصص الجسد والأبواب، واذا كانت ثمة مساوىء في هذا المنهج، فهي مدى التصاقها بتراب الأرض، حيث يتحول الكاتب الى مجرد راو وحيث تسقط عملية التحويل الفني من يديه، ولن يجد ثمة ضرورة أخرى لتدخله كفنان الا في حالات قليلة كالذى حدث في قصة: ناعور في نهر يابس، اذ نجد ان المتهم يتغير ليحل محله رجل بريء، لا يدرى من السياسة اي شيء، لكنه يلقى عليه القبض بحجج توزيع المنشورات السرية، وما عدا ذلك فلا نجد ثمة تطور، واذا ادركنا ان القصة المذكورة هي سابقة لقصة الرصاص: البيوت او غيرها من القصص، تأكد لدينا ما تعنى الضرورة الفنية بالنسبة لخالد الرواى، وأخرين غيره ينهجون نفس النهج - الواقعى - بمعنى ان الكاتب لم يكن (في القصصتين والقصص الثلاث) اكتر من

\* أحمد خلف، مجلة ألف باء، 18 حزيران 1969، عدد 50.

عدسة كاميرا تمتلك عاطفة النقل والتصوير مع حسن اختيار الزوايا التي يجب تصويرها .

ان الخط العام لقصص المجموعة بصورة كلية، هو التوتر الواقعى الملموس، فمن حالة شخص ما، يحمل حقيبة مناشير سرية، الى شخص آخر في المظاهرات، او بيت يعاني محاصرة السلطة، او رجل يبحث عن عمل فلا يوجد، ولكن ما تتطليه حالة المواجهة والحالات الشعورية لكل طرف من الطرفين، فقد اذخر خالد نفسه من ذلك، مستعيبضا عنه بما قدمه من جرأة صادقة، قد يتختلف عنها العديد من كتابنا الشباب، فيما جاءت القستان المذكورتان بنفس الحدة والتفاعل الصادق، كثفت قصة: - القطار الذي لسن يعود - عن تحدي الكاتب لواقعه المعاشى، فهذه القصة تقدم نموذجها بالحمة ودمه، مواطن يحمل حقيبة كي يسافر، الحقيقة تحمل ثم السلطة السابقة، مناشير لكن الرجل المناضل لم يفلت من احد الوجوه التي تراقبه، حيث يقع في الأخير بين ايديهم.

حتى الان، تأخذ القصص طابع السرد بالتعاون مع الحوار الخارجى، اما ما تتطليه حالة الشخص من عمق واستقصاء لا شعوري لهم، وما يجب الكشف عنه من نقاط ضعف، فلم اجد هناك ما يمكن الحصول عليه، فقد اهمل الكاتب كافة الكشوفات الفنية والفكريه للمحاولات العظيمة السابقة، من تداع واع وتداع لا شعوري، او استغلال الرموز والايحاءات، وتناول الحلم مثلا، او الاسطورة.

ان خالد الرواى، مطالب قبل كل شيء باغناء عنصر المحاكاة في القصة اغناء، فنيا لتجاوز المرحلة السابقة لكتاب الحدث الواقعى المشدود لارض الواقع والاعراق في مناخ المحلية، وبذلك يستطيع (وهذا ما اراه وقد لا يتفق معى الكثير، ذلك ليس مهمما البتة) تخطي الاساليب السكونية الرتيبة، التي سنها تتبعها ويلزاك وموبيان وغيرهم لنا، من ملامح القصة الواقعية.

ولكن ثمة شيء آخر حول المسرحيات، انها لم تأت بالصورة المطلوبة، في بينما تدرك المنهج الواقعى في القصص القصيرة، نجد ان المسرحيات تتجاوز هذا كله الى الشعر والحالات الاعترافية السريعة ذات اللهجة

الخطابية، ولكن ربما جاءت المسرحيات لفراً فقط، هذا مهم من ناحية، ولكن تسميتها بالسرعة يظل محل اعتراض بسبب من عدم تحميلاً عناصر المسرحية ومقوماتها ... اني اجد فيها تلك اللوحات الفنية المترادفة بين الحالة التجريدية والتعبيرية، في بينما تتمي المسرحيات الاولى تلك المنهج، تجد القيمة تختلف عنها بشكل خاص - تقريباً -

ثمة نقطة مهمة اريد تسجيلها، لمجموعة الزميل خالد الرواوى، وهى ان واقعية الجسد والأبواب، ليست واقعية الحدث النامى تدريجياً ليتجذر في الأخير ، تاركاً نقطة ضوء على جسر العبور الفنى، انما هي واقعية رامية بسبب من فقدان الحدث ثم تلاشى الزمن الواقعى، بمعنى انها تعيش على حافة خارج وداخل الزمن المعاش دونما السقوط في شراكه المغربية.

\* \* \*

## الى القاص العراقي خالد حبيب الروا<sup>\*</sup>

مودة، وبعد..

"الجسد والأبواب" قصص فيها طعنة صائبة من قلم علم سطر الوعي، طالعتها بسرعة، لأن الكلمات تترافق كالقطعة التلجزية الطالعة من كانون النجح، كنت جيد الاحدوثة، معاصر للفظة، حساسا في التعبير، تعرف كيف ترجع إلى السطر من جديد، وكيف تناسب، الحق اقول لك انك احسنت، واصبت، وتوقفت .

انتم يا جيل المتمردين، بتمردكم تفتحون أبواب التحول العصري، من اعمالاكم ومن روادكم وجداولكم، وينابيعكم تولد أصوات المياه تحت اغصان السيدان والتخيل .

احسست ان شفarti البراءة، قد تحولت في يدك الى ضوء يهدي الناهرين الباحثين عن نار القرى. مع فائق مودتي واخلاصي .

\* \* \*

---

<sup>\*</sup> الأب يوسف سعيد، مجلة الأديب اللبناني، سبتمبر 1969.

## مع خالد حبيب الرواوى في (الجسد والأبواب)\*

لن تكون مدھوشاً أمام مجموعة (الجسد والأبواب) لزميل خالد حبيب الرواى، إلا إنك سوف تقرأها برغبة، تتبعش لكل ما جاء فيها، يمكن ان تحلم وانت تقرأ، يمكن ان تتحسر وانت تقرأ، غير ان هذا كله لن يجعلك مدھوشاً أمام القصص، لأنها لم توضع بعد معاناة مفروعة كما لو كتبت فيها تصنع برجاً من البيض او تحرف بثراً بايرة عوجاء، وإنما سوف تحس ما يبتغيه المؤلف من اياض ذوات أبطاله في سياق يتلطفه الشعر في أحيان كثيرة (البحر لا يعرف لهفة الفرحة)، ولا نشوة الخطوة الواقفة ولا تمنعه الصرخات المسرحية من فن مشدود متكامل (لا تدعينا واقفين تصاصدم أحسادنا لنبدل مطامحنا الأخيرة). ثم ترى العالم وهو يبدأ في الصغر على طول الصفحات - عملية تتفقة هادئة مدروسة - تتركب من طموح يتبدى الى خوف الإنسان العادي من طقوس العالم الغامضة، ومن هنا يقف الرجل المسحوق وجهاً لوجه أمام الشرطي وهو يخفق بأصابعه ساعد الرجل للتحفيف ليصرخ فيه ان تحرك، وحين يبدأ السير يمكن ان تحس تخاذله، ورعاه، وحين يأخذنا المؤلف داخل القبو في قصة (القطار الذي لن يعود) يمنعا من الكشف عن بقية الحقيقة، فقط لأنها معروفة من التعب الاول، منذ ولادة هذا الجيل، بل منذ وطأنا وجه الأرض: العذاب، السخرية المريرة، التكيل، ومسيرة أقدام. ثم نقع على قصتي (الحانط) و(الكلب) وكنت احسهما اقصر نفساً مما يجب. ان ثمة خاصية في هاتين القصصتين وهو كونهما بحاجة الى دراية بمفهوم المضمون، ليس في أن نعرضه على القارئ ونتهي منه كتسجيل جنائي سريع، او حملًا قصيرة مبتورة، انها بحاجة الى شيء من الوصف، ان لم نقل العمق، فما ذنب البطل في القصة الثانية وهو ينظر تارة الى الكلب ثم الى سيده ويكتفي بالقاء ضوء بسيط على القصة بان يقول (وكان ثمة خط متعرج يتعرى بين التراب خلفه) لماذا؟ الا يستحق مضمون هذه القصة - على ما فيها من كابة حقيقة - ان تأخذ من جهد الكاتب اكثر

\* عرض: عبد الستار ناصر. لم استطع تحديد فيما لو تم نشر هذه المقالة أم لا، لكنها موجودة في مكتبة القاص خالد الرواى. (المحرر)

ما رأينا ؟ وهل يجب - اذا حاولنا ان تكون اكثر قسوة - ان ننتهي من القصة في يوم واحد.

إذن فقد أصبحت القصة لدى الزميل خالد مجرد عرض ليس غير، وربما نقول مثل هذا في قصتي (الانزلاق) و(المتربيون) وربما (الشاحنة) ايضا، غير أن الفاصل في المسرحيات الثلاث المعروضة كان قد أعطى أهمية ادق في طرح المواضيع وبشيء بسيط من الرمزية الواقعية رغم ان مسرحياته قد تميل الى هيكل القصة القصيرة .

ان (الجسد والأبواب) مجموعة من القصص تعبر عن مرحلة دقيقة من حياتنا في اطار أضيء من قبل على يد الكثيرين من القاصمين الشباب، الا ان خالد الروyi جاء بالجديد الخالي من الكلفة والبالغة وقد اكتسبنا من المجموعة لمحات سياسية كادت القصة القصيرة في العراق ان تغفل عن طرحها الا في مناسبات متباudeة، وفي الوقت الذي تشن فيه جهد المؤلف تتوقع ان تكون مجموعته القادمة اكثر من هذه كرما في طرح المضمون وان نرى قصته ابعد من كونها (قصة قصيرة - مختصرة) ذلك ليس بالعطاء الوافي، ما دمنا بحاجة الى ادب اكثر جودة.

\* \* \*

## القناع بين الصوفية والوجودية\*

(1)

قرأت هنا وهناك، الصفحة الأولى، الأخيرة، عنوانات غريبة وليسَت غريبة جداً فيما أصبح معتاداً من العنوانات، وقرأت: الخيسول ترکض والفرسان يضحكون طريفة، ايجابية، أما مسألة الغموض فلم تعد مسألة، ثم أما ترى الباحث عن منفذ لثرته.

ولنعبر هذه وهذه .. ولنقرأ لنقرأ "أصبحت أقدامي طوراً". إن المسألة التي يعرضها الكاتب غير واضحة الحدود ولكنها لا تمر من نفس إلى نفس دون اثر من مشاركة بالمسألة، ولتكن بعد ذلك المسألة ما تكون .

ولنقرأ "100 ذراع" فنحس بان الرجل يكتشف أكثر وأكثر ويدلنا على أشياء من وجودية في المسؤولية والحرية، ولتكن فإنه يحسن امتلاك الأشياء ويحسن ان يكون قوياً في فنه.

والكتاب يقرأ، والمؤلف فنان، خذه مأخذ الجد - ان شئت - تجده معرباً عن ضيقه وضيق جيله وقد استحال الضيق كابوساً، وخذه مأخذ الهرزل، فلك ذلك، ولكنني لا ارى الى الهرزل سبيلاً ان اللعبة تجاوزت حد الطرافة.

(2)

ولنبدأ بالبداية، ولنقرأ، ليس بين القصص - او الاقصيص - السبع عشرة ما يحمل عنوان المجموعة: القناع، ولكن الدنيا التي تعيش فيها هذه الاقصيص مقتعة، لها ظاهر ولها باطن، والاسرار تكن وراء القناع، وعلى سكان هذه الدنيا ان يبحثوا عن الاسرار ويعملوا على تمزيق القناع لأنهم

---

\* الدكتور علي جواد الطاهر، مجلة الفباء، 1970/9/2، العدد 110.

يريدون ان يتخلصوا من الزيف ومن العرف ومن القواعد التي وضعها العقل وقيدها بالمنطق.

ولا يكون هذا القناع على رأس فقد يكون في الرجل، وقد يكون في اليد وقد يكون تحت الأرض .. ومن هنا انبثقت حرية لا بد منها، لا تلبث ان تؤدي الى كشف ما يؤدي الى راحة ما، راحة يقرها اهلها ولا يراد منها ان تقر من قبل الآخرين الذين يريدون لانفسهم ان يبدوا طبيعين وقريباً - اي مبترین عادة.

ولا يكون التمييز هينا لينا، وإنما هو شاق رهيب يخشى الكثيرون السبيل اليه، أما نحن، فيجب ان نسير ونسير، ول يكن من الرهبة ما يكون.

(3)

القناع: مجموعة اقصاص، صغيرة المدى الورقي، وحسبك ان الـ 17 كلها لم تستطع ان تشبع الـ 75 صفحة الصغيرة الحجم القليلة الكلمات، ولكن العبرة في المدى العميق، مدى ما وراء الورق، اذ انت في جو، واذ انت مع "الشخص" تفهمه وتتابع حركاته وسكناته كأنه طبيعي وكأنك رأيت امثاله. انه ليس طبيعياً بالمعنى المألوف، ولكن الفاصل يعيش معه عيشة عجيبة وينقل ذلك اليك في يسر ولفة .

ليس في الـ 17 قصة 17 بطلاناً وإنما هي الـ 17 صفحة من حياة "بطل" واحد لا اقول انه المؤلف، حتى لو كانه، لأنك لا تراه، ولأنه لا يعترضك، فقد امتنزج بالكلبي وأصبح قطراً في بحر .

(4)

هذا "البطل" ضائق بالحياة حتى "القرف"، مشمسٌ حتى الثورة عليها، ساخر منها حتى الكفر بكيانها المكون ..  
نقول: رأينا امثاله في قصصنا الجديدة.

وأقول: لم أر مثله حتى في هذا القصص الذي تعنيه.

- وكيف كان ذلك؟

- كان: انه قوي، ليس سالبا وليس واهيا متهاويا ضائعا سخيفا، ضعيفا يفرق في الغانط حتى اذنه ولا يخرج منه الا البصاق، انه قوي ويجمع الى ذلك الخفة والذوق واللباقة، انه وجودي، ولكنه ليس من هذا النموزج المتهريء الذي تتباها قصصنا فيلوك كلمات، المسئولية والحرية والرفض والاختيار والغرابة كالادرد الذي يعلك "المستكي" ثم انه يختار النهاية التي يتغلب بها على ميزة ويعرف معنى الانتصار على الخصم بسلاح الخصم، ولا بأس في ان يروض نفسه طويلا كي يصل الى ما يريد ان يصل اليه.

وقد استعرت كلمة "يروض" من الصوفية، ولا غرو، ففي بطل القصاع اشياء من الصوفية، وفيه من الوحودية، وفيه من المسيحية، الا ان المهم فيه انه قوي - وليكن بعد ذلك او قبله ما يكون، ويدخل في القوة الجانب الايجابي في الحياة .

(5)

وانى، اذ اتكلم على "البطل" كأني اتكلم على المؤلف عبر فنه، اناك في جملة الـ 17 قصة، ازاء فنان ليق، شاعر خفيف الظل، يجعل الواضح على شيء من غموض يجذبك، ويعور وراء الغامض حتى يقرب من الوضوح ويبقى منه شيئا يروقك، انه يكتب غالبا عن موقف يحس به واضحا في نفسه فيمر منها الى نفس القارئ، كأنه غير غامض وهو متمنك في ذلك لا يتكلف ولا يقتل ولا يتعقلن كأنه ينطلق من دفق شاعري تفتح أمامه الطريق فينبغ منه ما ينبع ويبقى تحت القاع ما يبقى، وفي هذا الذي يسفل على الحافة دلالة على ذلك الغائر .

ثم انه لا يفقد سيطرته فيدع قسما يطعني على قسم وموجة تنظم موجة، انه يدير مجموع الهيكل بمهارة منذ البداية مارا بنبضات الحدث المعنوي حتى النهاية، وكثيرا ما يترك هذه النهاية مفتوحة على مداخل من وميizen. الفاظه وتعبراته انيقة، كل شيء سهل من دون ابتذال، سهل راق.

(6)

والبيك امثلة من امثاله:

"هذا الزمن الذي فقد الناس جرأة التصدي لضررية غامضة" - ومهمـا فتحنا أبواب قلاعـنا لندخلـكم منها فـهـنـاك أبوـاب سـرـية تـظـلـ مـعـلـقةـ: شـتـىـ اـمـ اـبـيـناـ"ـ لـكـنـيـ اـغـرـمـ،ـ أـحـيـاـنـاـ،ـ بـعـرـفـةـ النـتـائـجـ"ـ،ـ العـلـاقـةـ لاـ تـبـدـأـ مـنـ جـوـازـاتـ السـفـرـ وـالـدـيـنـ،ـ اـنـمـاـ مـنـ التـطـلـعـاتـ الـإـنـسـانـيـةـ الـعـامـةـ"ـ،ـ لـقـدـ اـنـتـهـىـ زـمـنـ الـإـمـتـالـكـ،ـ إـلـإـسـانـ يـسـعـيـ لـأـنـ يـمـلـكـ نـفـسـهـ وـحـدـهـ،ـ كـافـةـ الـأـشـيـاءـ لـكـافـةـ النـاسـ دـوـنـ اـحـتـكـارـ وـدـوـنـ اـمـتـالـكـ اـيـضـاـ"ـ.

وفي لـغـةـ ماـ تـخـلـ الـبـلـاغـةـ الـجـدـيـدةـ مـنـ اوـسـعـ اـبـوـاهـاـ،ـ وـمـنـ ذـلـكـ:ـ "ـ دـخـلـتـ الجـتـةـ فـيـ جـمـجـتـيـ"ـ،ـ "ـ الـقـحـوفـ ..ـ عـلـامـاتـ الـحـضـارـةـ"ـ،ـ اـسـتـحـالـتـ قـمـايـ الـىـ فـضـاءـ صـلـبـ تـصـدـعـانـ وـتـهـبـطـانـ عـلـىـ صـحـراءـ شـاسـعـةـ"ـ.ـ وـورـاءـ الـتـعـبـيرـاتـ حـيـاةـ وـمـشـاعـرـ وـذـكـاءـ،ـ وـاـوصـيـكـ خـصـوصـاـ بـ "ـ سـاـمـوـتـ قـبـلـ خـمـسـةـ الـافـ سـنـةـ"ـ .ـ وـتـجـدـ مـنـ مـفـرـدـاتـهـ مـاـ كـانـ عـلـىـ الـغـالـيـةـ مـنـ الـفـصـاحـةـ وـلـكـنـهاـ تـمـرـ فـيـ سـماـحةـ مـثـلـ سـواـهـاـ،ـ مـنـ ذـلـكـ:ـ تـزـجـجـتـ،ـ الـفـوءـ ..ـ

(7)

انـكـ تـتـحـدـثـ عـنـ "ـ الـقـنـاعـ"ـ وـكـانـهـ كـلـهـ مـحـاسـنـ،ـ وـقـدـ بـالـغـتـ ..ـ

- اـمـاـ بـالـغـتـ،ـ فـلاـ اـنـيـ لـمـ اـقـصـدـ الـىـ شـيـءـ مـنـ ذـلـكـ،ـ وـاـنـمـ هـوـ اـهـتـازـ الـاعـتـازـ،ـ وـمـثـلـ هـذـاـ قـدـ يـطـيـرـ بـصـاحـبـهـ الـىـ سـمـاءـ اـبـعـدـ مـاـ يـرـيدـ لـهـ الـآخـرـونـ،ـ وـاـبـعـدـ مـاـ يـرـيدـ لـنـفـسـهـ أـحـيـاـنـاـ،ـ وـلـكـنـهـ يـرـىـ انـ يـتـرـكـ الـأـمـرـ تـجـريـ عـلـىـ رـسـلـهـاـ.ـ

- اـمـاـ كـلـهـ مـحـاسـنـ؟ـ

- اـمـاـ كـلـهـ مـحـاسـنـ،ـ فـلـمـ اـقـلـ ذـلـكـ،ـ وـلـيـسـ مـنـ الـمـعـقـولـ فـهـنـاـ وـهـنـاكـ مـاـ لـاـ يـدـخـلـ فـيـ هـذـاـ الـبـابـ اوـ ذـلـكـ،ـ وـالـاـ فـانـيـ كـنـتـ اـتـحـدـثـ عـنـ الـمـجـمـوعـ،ـ وـلـاـ تـخـسـرـ اـذـاـ قـرـأـتـ الـمـجـمـوعـ كـلـهـاـ،ـ فـقـيـهـاـ فـنـ،ـ وـدـعـكـ مـنـ الـتـفـصـيـلـاتـ اـمـاـ اـذـاـ اـرـدـتـ الـخـصـوصـ قـابـداـ مـنـ الـمـجـمـوعـ بـ"ـ الـقـارـبـ"ـ اـمـاـ قـبـلـ ذـلـكـ فـقـدـ يـطـفـوـ عـلـيـهـ نـوـعـ

من التقريرية والخطابة الوعائية. كان الكاتب يقصد الى ان يدخل الموضوع الفلاذى جنسياً مرة ووجودياً مرة وفلسطينياً مرة، والى ان يمزج المعالجة بالكتابيس والأحلام، وما الى ذلك من مستلزمات السريالية .. ولم تخل اللغة من خطأً كان يقول "عشرة عيون" و "هاتان الفتاتان تریدانی" و "بطنها منتفخة"، "تعلم متى يطلقوا" .. والصحيح عشر، تریدانی، منتفخ، يطلقون ..

(8)

- اذك، عندما تهتز، تطوي العيوب.
  - لا ولكنني استصغرها الى جوار المحسان.
- وتنقى الحقيقة هي هي، ان اثراً جميلاً يجب ان يهز، وان العبرة في اثار الشباب بالاستقرار فلا تكفي ان تجعل من صاحبها قصاصاً بمعنى الكلمة، وانما هي علاقة تغرسه على اول الطريق، ولا بد لنا من ان نقف عند هذه العالمة ونعجب اذا كانت مثار اعجاب، اما العالمة الثانية فهو المسؤول عنها وهي التي ستوضح موقفه ايجاباً وسلباً، ولا بد للثانية من ثلاثة ورابعة - في مجتمعنا.
- اجل، فرأت "القناع" وساعدت قراءة عدد من قصصها، وفي طليعة هذا العدد: "القارب" و "سهرة تحت غيوم الصباح" وقد تكون الاولى اجمل، وقد تكون الثانية اجمل.

\* \* \*

## عرافي ايضا لغته صورة\*

### " تلك الحفنة تأبى ترك البشر يعيشون في مسراطهم الصغيرة "

تصورت وانا اقرأ قصص العراقي خالد حبيب الرواوي، بالإضافة الى صور أدبية كثيرة في الذاكرة آخرها تلك التي قدمتها لجامعة الامم... وكانت مكتوبة في اشكال مختلفة كزهرة او كصلب او كمسدس، وكذلك روايات مصطفى ابو لبدة، تصورت وانا اقرأ وانتظر تلك وكل المحاولات الكتابية الجريئة التي بدأت في هذا القرن، انتنا على وشك ان نوسع عصر الكلمة، الكلمة هذا الرمز المجرد، لنبدأ دخول عالم المرئيات الحسية، عالم الاشكال الفنية التي تخطّط كل الحواس، وتحسرت، اذ اي صير بعد سيجر قارئ المستقبل على مراجعة التراث الأدبي الإنساني في تاريخه الطويل.

لكن تصوري هذا بالطبع سابق لأوانه، فالقصاصون الجدد، ومن ثم الشعراء، لا يزالون ايضا تحت سيطرة الكلمة وضمن اطار دائريها، وان كانت محاولاتهم تتقدّم من القلب الى اطراف الدائرة، فالصورة السينمائية قامت بقفزة رهيبة قواماها هذا الاستعداد الكبير لانتقال الذهنية الحالية الى الإحساس العصبي حيث تمكن العودة الى البدائية، بعد كل التعقيد الحضاري، والى البدائية الرافقية.

في المجموعة القصصية التي تحمل اسم "القناع" يبدو واضحا جدا هذا التدرج من السرد الروائي الى السرد السينمائي، وليس خالد الرواوي الاول، لكن قصصه هي الاقرب الى ما يسمى السيناريو السينمائي من حيث التقليع المشهدى، والتعليق، والحوار والجو. هذا الجديد ليس هو ما يضع هذا القصاصون بين الطليعين الشباب بل ايضا المحتوى، اى نظرته الى العالم وال العلاقات الإنسانية، وهو ينتهي الى خط زكريا تامر (السورى)، وجمال ابو حمدان (الأردني) وان كان تأثيره بالرائد السوري اوضح: "ملا بندقيته بالرصاص، وأخذ يطلق على النار، سقطت أخيرا على الأرض البيضاء

\* عصام محفوظ، جريدة النهار اللبنانية، 13/11/1970، صفحة 11.

قتيلاً، ولم تخرج من جسدي قطرة دم". وهذه ليست المرة الأولى حيث يتحدث الميت عن نفسه، كما يفعل أبطال تلمر في مجموعته الأخيرة "الرعد"، وان كان الرمز هنا يفقد بعض توترة الموجود هناك لعدم تخلص العراقي الشاب من الشرح الزائد، برغم اتباعه أسلوب السيناريو حيث الاعتماد على الصورة، اذ كثرة الصور ايضاً يقتل بعضها ببعض، خاصة ان الشرح الموجود عند الاردني يشفع له الشعر، والمصورة اذا لم تدخل رواق الشعر، او اذا لم تكن ذات ايجاز نثري عنيف وصارم، تضيع الكثير من قدرتها على لفظ القارئ الى النهاية، وهذا يبدأ مع اول كلمة في اول جملة في اول قصة موجهة الى القارئ.

والقصاص الجيد من يستطيع ان يضع اصبع القارئ على الحبة الأساسية في المساحة لتكرر الحالات من ثم في سهولة مرية ولذذة، لكن القاسم المشترك بين هذا الكاتب ورفاقه السابقين هو اصالة التعبير الذي يدل عليها التصاق المضمون بجو الأرض التي يعيش عليها الكاتب، الأرض وناس هذه الأرض، ومحنتهم.

هناك جو من الرعب يغلف كل انتاج هؤلاء الحسليسين، فيجعل احاديثهم بسبب هذا الرعب، اقرب الى الرمز، وبالتالي الى الشعر، وبالتالي الى الحقيقة المطلقة، وهذا ما يجعل هؤلاء الشبان يعالجون من خلال تفصيل وافعي رهيب، كل المعانى التي هي ابعد من الواقع، او التي قد تكون اكثر واقعية من الواقع على الصعيد المستقبلي .

"الخيول تركض والفرسان يضحكون" ، "أصبحت أقدامى طيورا" ، "رجل له سبع أقدام" ، "سهرة تحت غيوم الصباح" : انها عناوين شاعرية لوقائع لا تمت الى الشعر بصلة، يظل يعلوها حتى يصيرها مزيجاً من كل العواطف الإنسانية ورغباتها، من كل ما يقيد هذه العواطف او يطلقها عبر احساس إنساني قوي التأثير. يقول في احدى قصصه: "عندما ترفع البندقية لتكون حراً لن تخشى السفاكيين، وإذا كنت حراً تضطر الى القتل او الفرار، تلك الحفنة من سفاكي العالم تأتي ترك البشر يعيشون في "مسراتهم الصغيرة" ". ربما هذه الجملة مفتاح فهم قصص الرواية شكلاً ومضموناً.

## \* القناع

في - القناع - مجموعة القاص الثانية، فإن العالم المرفوض هو امتداد النفس العالم الذي استهلكه الكاتب في مجموعته الأولى، غير أن طغيان الخيبة السياسية والهزيمة الفكرية والجذب الجنسي هوالخط الهمارموني الذي يحدد الملامح الأساسية لمجموعته الجديدة .. والكاتب هنا يطرح نفس البديل الأخلاقي لعالمه المرفوض .. لذلك نراه سليباً في موقفه إزاء العالم المثالي الذي يحلم ببنائه وتائي قصصه السبع عشرة في لوحة متقدمة ذات خلفية متماثلة لتصب في ذلك النهر المتتفق الكبير من عشق عظيم للإنسان .. والحرية .. والعالم .. إن التأكيد المفرط على الشكل المجرد يحول دون الغوص بعيداً في أعماق الشخص الداخلية، وهذا التأكيد الحاد هو الذي يحدد صورة القلق الكبير الذي يعيشه الكاتب خالد حبيب الرواи في عالم يفتقر إلى النظافة. ولعل مما يشكل ثغرة كبيرة في قصص المجموعة هو تأكيد القاص على استعمال الجمل الجاهزة والتعميمات والشروح - "التاريخ طبقات من تراب متراكم" و "لكي نولد دائمًا ومجدداً ينبغي المضي وحدنا فلا فائدة من الكشفات، إذا كان هناك من يراقب .. الخ".

\* \* \*

---

\* يوسف الحيدري، مجلة الكلمة، نيسان 1971، السنة الثالثة، العدد الرابع.

### **الفطار الليلي\***

يواصل القصاص خالد حبيب الراوي في مجموعته الجديدة ما بدأه في مجموعته (*الجسد والأبواب*) و (*القناع*): إنما القصة القصيرة جداً الجامعة بين مطالب الصحافة والبناء القصصي، ويضيف إليه عودة جديدة إلى الموروث، وإلى منهج همنغوي خاصه: *الفوتوغرافية* *القصصية الصحيفة الرمزية* *البلية*: (زوجة المحارب، الالتحام، الشاحنة، أضواء) أو إلى الواقعية الخمسينية العراقية وقد أمست أكثر دقة وتهذيباً واحتفاء باسرار البناء ومطالب الجمال الداخلي: (*القوس*). وقد يجنب في قصة (*العصافور الأسود*) إلى محاكاة زكريا ثامر هاجساً وتشكيلاً: شريحة واقعية مصنوعة في ضربة صحفية مقالية حوارية باللغة التركيز وإن لم تكن كاملة الإشاعع .. ووراء اغلب القصص نزوع دقيق واضح إلى التفاصيل ببعد الواقع السياسي والطيفي الاجتماعي وأضاءة تناقضاته المتباينة عبر دراما واقعية ناضجة المحتوى بلغة الشكل تتخذ من اللغة الصقيقة الدقيقة الموقعة هدفاً وادة في آن واحد. "ان قصص الراوي ذات (تفاطيع صارمة) وانشعاع رمزي سهل: (*البنادق*). ووراء الاستفاضة المallowة المبررة تناقضات أكبر وواقع اشمل ونظرة اهداً. ان (*الفطار الليلي*) كسب لقصة العراقية المعاصرة نبذ فيه القصاص تغير الإنسانية الدخيلة وغموض الرمز، لقد أمست قصص الراوي اسهاماً في واقعية صقيقة معاصرة وانيقه".

\* \* \*

---

\* بلا مؤلف، مجلة الفباء، 31 كانون الأول 1975، العدد 380.

## **القطار الليبي\***

بمساعدة وزارة الإعلام ومن منشورات مكتبة التحرير في بغداد، كانت قد صدرت مجموعة "القطار الليبي" القصصية، للقاص خالد الرومي، وفيها يقدم القاص صورة لأسهامه في القصة العراقية، بلون نستطيع أن نسميه قصة "اللقطة" أو "الموقف"، التي سبق وقدمها في مجموعته: "القناع" و"الجسد والأبواب".

ففي هذه المجموعة .. أقصاص قصيرة جداً، تكاد لفصرها تقرب من الموقف الواحد أو اللقطة الواحدة، لكنها رغم صغرها هذا، تأتي محكمة من الناحية الفنية بكتافتها .. ورغم أنها تطرح رؤى محددة للubit واللاتساونز في حركة الشخص و الواقع من جهة أخرى، إلا أن إنسانية رواها وامتلاءها بأحساس قوية، منحها القراءة على البقاء في ذهن القارئ، وإن كانت الأقصاص في بعضها الآخر تبدو وكأنها مبتورة أو غير مكتملة أو أنها صورة درامية صغيرة فقط. وتتجه هذه الأقصاص: "الفرح"، "الاشراقات"، "العنكبوت"، "آه"، "تمور من ورق"، "العلبة"، "العصافور الأسود" في طرح موقف احتجاجي نابع من موقف إنساني عام.

وفي قصة "رجل ما .. دون التقاء" يرصد الكاتب حركة تشير إلى وضع إنساني طلما عرضه الكاتب في أقصاصه، وهي عزلة الإنسان ومحاولته إقامة الصلة بالعالم، رغم سقوطه في العجز "الرجل يعياني لحظات الموت" .. والجدير بالإشارة هو تأكيد الكاتب لعلاقة الإنسان القوية بالامل. فهذه الشخصية التي تعيش لحظة موتها، تمتليء بالرغبات فهو يخاطب أهله: "التم متبعون .. تعالوا وناموا بجنبي". وهذا ما يمنح هذه القصة إيجابيتها رغم صفافة العالم حوله. وفي قصة "الاختفاء" يطرح الكاتب صورة الصدق عند

---

\* عبد الرزاق المطلي، جريدة العراق، 27 كانون الأول 1976، العدد 257، صفحة 8.

الشخصية الفصصية على مستوى الفعل الدرامي، ولكنها تبدو لشدة كثافتها غير مكتملة، وهي من اقتصاص الموقف او اللقطة.

وفي قصة "الفوس" وهي ليست اطول قصة في المجموعة فحسب، بل انها قصة طويلة، ولكنها تأتي ممطولة، يعززها الكثير من الضغط والتكتيف، فهي تستغرق الكاتب في نقاشات مجرد، وتطرح تصورات ذهنية، لا يبرر لها كونها ضمن المناخ الذي تبحث فيه الشخصية عن القناعات او اساسيات الصدق في الفعل وفي الموقف الإنساني، وهذا ما جعل الرموز فيها كرم السيدة، وكالايحاء الرمزي للشخصوص يشحب كثيراً على مستوى التحقق الإنساني للشخصية، ولكن ايجابيتها تمنحها شيئاً من النجاح الفصصي.. خاصة في نهايتها وفي حركة شخصها، فقد طرحت القصة في حركتها الاولى بحث البطل عن نقل إنساني لوجوده في مقابلته لشخصية المرأة التي كانت اكثر تماسكاً وقدرة على رؤية خلاصها، ثم في حركة النهاية التي انتهى البطل من خلالها الى وجود تقله الإنساني في الانتقام للضال الساخن في حركة الإنسان العربي بانتمائه الى حركة الفداء العربية .

\* \* \*

## **العيون وتغيير التناقضات\***

على الرغم من انقطاع الكثير من القصاصين عن كتابة القصة القصيرة جداً، فإن القاص خالد حبيب الراوي ظل مواطباً على كتابتها، وفي الوقت الذي كانت القصة التصويرية جداً مجرد موضعية عابرة لدى القصاصين الآخرين، فإن خالد حبيب في الوقت الذي يمتلك اسبقية الكتابة فيها، حيث أنه سبق الغالبية من كتاب القصة، فإنه أيضاً بقى حريضاً على أن تكون الأقصاص الصغيرة هي المسيطرة على اهتماماته وعلى جميع مجموعاته القصصية .

ولم تخرج عن هذا الخط مجموعته القصصية التي صدرت مؤخراً عن وزارة الإعلام بعنوان "العيون"، فهي تواصل الحفاظ على النهج ذاته حيث تسجل أكثر الموضوعات تعقيداً وسعة في العلاقات إلى قصص قصيرة جداً، مضغوطة بكثافة وقوة تركيز ، وحيث يحتفظ القاص بالتناقضات التي تتلوى عليها الموضوعات دون التضحية بأي جانب منها، ودون أن يقوده الشلل إلى الاستسلام للسكن في التعامل مع التناقضات، وجعلها معزولة عن أرهاسات الحركة، والصبرورة والتاثير .

ان اعتماد شكل القصة القصيرة جداً يؤدي بالقاص إلى الابتعاد عن الاهتمام بالتفاصيل ذات المحتوى النفسي والشعوري، وإلى التركيز على الأوصاف والحركات الخارجية للشخصيات وذلك ما حصل فعلاً، بيد أن القاص حاول التعريض عن ذلك بالقطط الوصف الأكثر قدرة على تجسيد وابراز الحالات الشعورية كما أنه يضع الشخصيات وفق إطار ملائمة لطبيعتها، وهي تمارس أفعالها ومواقعها اطلاقاً من الوضع الخاص بها، ولذلك فإن القارئ لا يتعجب كثيراً في التعرف على هذه الشخصيات رغم ضيق المساحة المحددة لها في النص التصصي .

وبهتم القاص خالد حبيب بالتناقض والتضاد لكشف شخصياته وتحديد نوعياتها، وإن هذا الاهتمام في الوقت الذي يتخذ فيه شكل وسيلة الكشف، فإنه أيضاً يشكل القراءين الداخلية لمجرى حركة وتغير الشخصيات، ففي

---

\* بلا مؤلف، مجلة الإذاعة والتلفزيون، بلا تاريخ.

قصة "العيون"، يبرز التناقض كمحنوى أخلاقي، وكذلك في قصة "مسافات" فيما يتحدد التناقض في قصص أخرى مثل "الرجل" و "رجل الممرات" و "التصاق" في الحقيقة والوهم، حيث تتفصل الأفكار والمشاعر والموافق عن التوقعات والحقائق، وحيث تذكر الشخصيات بعكس ما يحيط بها من مظاهر وعلاقت .

وأضافة إلى ذلك فإن التناقض في بعض القصص مثل "شرفة في بيروت" يتحدد في التباين بين البراءة ودموية الحرب، والتناقض بين الواقع والأحلام، أو التناقض في تفكير شخصيات تنتهي إلى موقع طبقية متناقضة مع بعضها.

ويعتمد القاص خالد حبيب على عنصر المفاجأة في قصصه القصيرة جداً، حيث تنتهي خاتمة كل قصة بمفاجأة معينة غالباً ما تكون ممتعة بسبب كونها تسير بالشخصيات إلى نهايات غير متوقعة، والتي نهايات متناقضة مع بدايات كل قصة، والمفاجأة هنا في الوقت الذي تعمّل فيه على تغيير التناقضات أو حلها بشكل غير متوقع، فانها العنصر الذي تتجسد فيه مضامين ومحنويات القصص، كما انها تقوم بتحديد مصائر الشخصيات وتوجهاتها وتحديد المصائر في قصص "العيون" من اسباب متعددة، وغالباً ما تستسلم الشخصيات إلى مصائر لا تنافق مع مطامحها وأحلامها كما ان هناك شخصيات أخرى تمارس حضورها وإرادتها في تحديد مصائرها الشخصية . وعلى العموم فإن هذا التحديد مرتب بالحدث ونوعيته، وعلاقته بقوى خارجة عن إرادة الشخصية، او بقوى الشخصية ذاتها .

ان شخصيات خالد حبيب بسبب صدق المساحة المرسومة لها ضمن اطار القصة القصيرة جداً لا تعطي كل ما تملكه من طاقات وعلاقات ولا تقدم من حياتها سوى لحظة آنية ليست بتلك الأهمية من الثراء، ولذلك فان ما بقي من طاقات هذه الشخصيات ظل دفينا، وربما بقدرة القارئ على تخيل حياة هذه الشخصيات خارج اطار القصص، او تخيل وضعها ضمن هذا الاطار .

\* \* \*

## قراءة في قصص خالد الرواذي القصيرة\*

لقد أصدر القاص خالد حبيب الرواذي مجموعة الأولى (الجسد والأبواب) عام 1969 .. وقد تيزت قصص تلك المجموعة بالطبع الاجتماعي والإنساني والسياسي، وكشفت عن موقف القاص الواضح والثابت والتعميقي في عملية الصراع الطبقي .. غير أن تلك القصص كانت ذات نفس قصير اقرب إلى اللحمة الوامضة، والقطعة السريعة، والصورة التخطيطية الحادة منها إلى القصة الكلاسيكية ذات الحدث والبناء الدرامي والشخصيات الأساسية والثانوية واللغة السردية .. الخ، ولذا فإن جملها هي الأخرى قد جاءت ذات طابع تغرافي ويرقى سريعاً بمنزلة وحدة، متشنجة، وصادمة!

اما قصص مجموعة خالد حبيب الرواذي الثانية (القناع) الصادرة عام 1970 فانها اعتذرت ايضاً التخطيط السريع، الحاد والسامض، اكتفى من اعتمادها على النمو الطبيعي لابعاد القصة التكينية والفنية .. وقد تناول القاص في تلك المجموعة القضية العربية الفلسطينية وظروف القتال والكفاح المسلح، وخاصة في قصتي (الحقيقة) و (مياه)، ولكن تلك القصص قد تناولت الجانب السلبي والمعتم من تلك القضية والظروف .. حتى وإن كانت واقعية وموضوعية !! ولذلك فإن القارئ لا يحس بانجذاب روحي أو ذهني نحو القصة، ولا تستطيع هي بدورها ان تعمق وعي القارئ او تنتزع تضامنه السياسي والروحي والأخلاقي مع القضية الفلسطينية .

وقد عاد القاص خالد حبيب الرواذي إلى تناول ومعالجة القضية العربية الفلسطينية في مجموعة الثالثة (القطار الليلي) التي صدرت هذا العام بشكل أوسع وأعمق .

ومع ان القاص من اكثـر القصاصـين العراقيـين تـناولاً للقضـية الفـلسطينـية في قصصـه القـصـيرـة كـكل - فـإن قـصصـه تـلك لا تـختلف عن باقـي القـصـصـ

\* مؤيد الطلال، جريدة العراق، العدد 287، 2 شباط 1977، صفحة 6.

العراقيه الضعيفه، ونطلل قريباً من الوجه السلبي والتجريدي لهذه القضية .. اي تعبير عن **الخصائص السلبية** في القصة العربية التي عالجت هذه القضية. واكثر تلك **الخصائص السلبية** وضوها في قصص خالد حبيب الرواـي - اضافـة الى الضعف الفني - التجرـيد المـحـض الذي يـحـول القـصـة الى تـصـور خـالـصـ، الى فـعـالـيـة ذـهـنـية وليـسـ تـجـربـة إنسـانـيـة حـيـة وـمـعاـشـةـ، حتى وـاـنـ كـانـتـ هـذـهـ القـصـصـ تـتـنـتـلـوـلـ فـعـالـيـاتـ العـمـلـ الفـدـائـيـ وـاشـكـالـ النـضـالـ الشـعـبـيـ، كما هو الحال في قصة (الجدران ) مثلاً!

فالمحارب او الفدائـيـ او المناـضـلـ العـرـبـيـ الفـلـاسـطـينـيـ، يـبـدوـ هـنـاـ كـماـ لـوـ كانـ رـمـزاـ مجرـداـ خـالـياـ منـ الـاسمـ وـالـدمـ وـالـلـحـمـ. وـالـهـوـيـةـ الشـخـصـيـةـ، خـالـياـ منـ الـحـيـاةـ .. وـكـذـاـ الحالـ بـالـنـسـبةـ لـلـأـرـضـ اوـ الـقـرـيـةـ العـرـبـيـةـ، فـانـهـاـ تـظـهـرـ فيـ القـصـةـ كـمـاـ لـوـ كـانـتـ مـكـانـاـ غـرـيبـاـ، مـجـهـولاـ وـغـيـرـ مـأـنـوسـ .

ولعل هذا العيب في القصة العربية عامة، وقصص خالد حبيب الرواـيـ خاصة، يـظـهـرـ اـكـثـرـ ماـ يـظـهـرـ فيـ القـصـةـ القـصـيرـةـ جداـ اذاـ صـحـ مـثـلـ هـذـاـ المصـطـلـحـ .. فـمـثـلـ هـذـاـ اللـونـ الأـدـبـيـ (الـذـيـ يـمـيزـ أـعـمـالـ خـالـدـ حـبـيبـ الرـوـاـيـ مـثـلـ) لاـ يـتـحـمـلـ التـعـبـيرـ عنـ قـضـيـةـ مـهـمـةـ وـمـتـشـعـبـةـ كالـفـضـيـةـ الـفـلـاسـطـينـيـةـ، مـهـمـاـ كـانـتـ زـوـلـاـ النـظـرـ وـالـصـورـ الـتـيـ يـسـتـطـعـ انـ يـلـقـطـهاـ وـيـكـفـهاـ القـاصـ، وـمـهـمـاـ كـانـتـ التـوـاـيـاـ طـيـةـ، حـيـثـ انـ اـسـتـدـارـ عـاطـفـةـ الـفـارـقـ الـعـرـبـيـ لـيـسـ سـبـيلـاـ فـيـاـ نـاجـحاـ لـامـتـلـاـكـ نـاصـيـةـ اوـ ثـبـيـتـ مـوـقـعـ سـيـاسـيـ وـاعـ، كـمـاـ فيـ قـصـةـ (زـوـجـةـ المـحـارـبـ) مـثـلـ .

وـمـنـ هـنـاـ تـصـبـحـ الجـمـلـ الثـورـيـةـ الـبـلـيـغـةـ وـالـاقـكـارـ السـيـاسـيـةـ وـالـفـلـاسـطـيـنـيـةـ المـجـرـدـةـ نـافـلـةـ، انـ كـانـتـ مـتـخـلـلـةـ قـصـةـ قـصـيرـةـ جداـ اوـ قـصـةـ مـسـرـحـيـةـ الطـابـعـ، كـمـاـ هـوـ الـحـالـ فـيـ (الـرـصـيفـ).

وـمـعـ انـ القـاصـ خـالـدـ حـبـيبـ الرـوـاـيـ يـسـتـطـعـ انـ يـكـتبـ قـصـصـاـ مـكـاملـةـ، وـمـعـ انـ قـصـصـهـ القـصـيرـةـ جداـ هيـ بـمـثـابةـ لـقطـاتـ مـكـاملـةـ تـمـتـلـكـ العـنـاـصـرـ الـأـسـاسـيـةـ لـقـصـةـ الـجـيـدةـ، كـالـحـدـثـ وـالـمـوـضـوعـ وـالـعـنـصـرـ الـدـرـاميـ وـالـأـثـرـ الـنـفـسيـ .. الخـ، غـيرـ اـنـتـاـ لـاـ نـسـتـطـعـ انـ نـفـهـمـ سـرـ وـلـعـهـ الشـدـيدـ فـيـ اـخـتـرـالـ

قصصه الى حد غريب وغير مألوف في القصص العالمية، مهما كانت قصيرة، كما هو الحال في قصة (أفراح) من مجموعة (القطار الليلي 1975). تلك هي القصة كاملة، وكان من الممكن ان تكون قصة جيدة وذات دلالة إنسانية رائعة لو ان القاص وسع من ضفافها واكساها باللحام والشحم اللازمن ليستوي هيكلها العظمي كيانا حيا .. ومع ذلك فان هذه اللقطة الحساسة الذكية قد وفت بالغرض من كتابتها .. حتى وان كانت بهذه الطريقة التلفرافية السريعة!

وكل فان أعمال (خالد حبيب الراوي) تتصيد اللقطة السريعة الوضاءة او الحادثة الصادمة او المفارقة الغريبة .. في حين يظل أسلوبه واحداً، متميزاً، ونفسه القصصي قصيراً ولاهذا: جمله متشنجه وبرقية، وحواراته، مختزلة، تقترب بعض قصصه من الاداء المسرحي أحياناً ومن الصورة الفوتografية أحياناً أخرى، وان كانت تلك اللقطات والصور الخاطفة مشبعة بالمحتوى الإنساني والفكر التقديمي.

ومع ان القاص يستخدم أسلوباً واحداً في جميع أعماله، غير انه يعالج موضوعات متعددة تتراوح بين القضايا السياسية الكبرى (كالقضية الفلسطينية) وبين قضايا المجتمع الحياتية والعاطفية .. الخ . وقد تجمع قصة واحدة الاهداف السامية والامور الشخصية الثانوية في آن واحد، كما هو الحال في قصة (القرس)!

والقاص خالد حبيب الراوي ميل ايضاً لمعالجة الموضوعات الاجتماعية المأساوية الطابع وابطاله غير متميزين وغير واضحى الملامح: انهم علامات عابرة في مجاهيل الحياة .. رموز تجريبية بحتة.. انهم بلا أسماء، بلا ماض.. بلا مستقبل، شهيب خاطفة، ولكنها سريعة الزوال.

\* \* \*

## \*العيون\*

لم يبتعد القاص خالد حبيب الروي عن الاتجاه القصصي الذي اختطه لنفسه، منذ بداية رحلته الأبداعية، وهي كتابة القصة-الحالة أو القصة- الموقف عبر رؤية مكثفة للواقع الإنساني ونظرة فاحصة دقيقة، تجهد في فحص العلاقة الجدلية بين الإنسان والواقع، وبين الفرد والمجتمع، وبين الحرب والحب والموت والحياة وذلك من خلال ضربات حادة، ولقطات سينمائية مستفزة دوماً .

و(العيون) آخر مجموعة قصصية صدرت عن وزارة الإعلام لقاص خالد حبيب. وهي تمتاز بالتنوع، وبسعة العالم الذي يتحرك ابطاله فيه، فهناك حالات اجتماعية تعيش وضعاً إنسانياً مازماً وتعاني من ظروف اقتصادية واجتماعية فاسية وتمزقات ذاتية مريرة وهذا مقاطع من مأساة الحرب اللبنانية جسد القاص من خلالها وغير تقاطع مكثف صمود الإنسان العربي ازاء الموت المجاني وازاء عبث الفاشية الجديدة في تلك الأرض الطيبة .

وعلى الرغم من اقتصاده في رسم شخصيات قصصه الثلاثين وفي بناء الاحداث فإنه استطاع ان يعطي أضاءات سريعة، اشبه بالأسلوب البرقي، عن شرائح اجتماعية مختلفة، ومصائر إنسانية مسحوفة .

ومن خلال ضربات قصيرة اوجز القاص حياة بعض ابطاله الباحثين عن الحياة والمرأة والسعادة . فهناك رجل الميراث الذي يصاب بالشلل تتركه زوجته و(الرجل) الذي تركته زوجته لطول سفراته ومسألة الهرب نجدها في أكثر من قصة؛ هرب زوجة او هرب رجل سياسي خوفاً على حياته كما في قصة (الهروب) وهرب فتاة من رجل يطلب اكثراً من صدقة .

وتتسم لغة القاص خالد حبيب بالإيحاء وبالعنف فهي قصيرة متواترة خشنة وحادة، وهو يمتلك قدرة حيدة في اختيار نماذج ابطاله من الواقع، كما ويكشف عن مصائرهم بوعي، وبخصوصية متفردة .

---

\* بلا مؤلف، جريدة الثورة، 1977/10/16، العدد 2827، صفحة 6.

## رحلة القصة عند خالد حبيب الرواية\*

عالم القاص خالد حبيب الرواية متواتر دائماً، يبحث بدأب عن الصور التي تعطي حالات متعاكسة لتنضيء حالة أخرى ناشئة عنهما لكنها لا تكون متهمماً، قد تكون أكثر كشفاً لفسوة البشر مثل تصرفات محمود وافكاره في "السواحل المظلمة" وقد تكون أكثر إنسانية مثل حدث قصة "الجسر الضوئي" الأخير ولكن لماذا تدخل في عالم مجموعة "العيون" الأخيرة مباشرة؟ لنتحدث أولاً عن قصص خالد الأولى:

اصدر القاص عام 1969 مجموعة القصصية الأولى "الجسد والأبواب" ثم اصدر بعد سنة واحدة مجموعة الثانية "الفناء" والمجموعتان مترابطتان مع بعضهما، تحملان تلك اللغة السينية الحادة المتواترة والشكل فيها يستفيد بشكل واضح من آخر مبتكرات فن القصة القصيرة (القططيع السيناريوهـي، المواقـفة، الفلاـش باك) لكن الذي يميزها عن سائر المجامـيع التي صدرت آنذاك، ان أهم القصص فيها ليس فردـيا ولا رافضاً للحياة بشـكل عـدمـي، فالمجموعة الأولى تعـيش واقـع المقاـومة الفـلـسـطـينـية التي عـاش القـاص جـزـءـاً من حـيـاته في خـضـم اـنتـصـارـاتـها وـهزـائـمـها، اـما مـجمـوعـةـ الثانية (الفنـاءـ) فـتـعرـض صـورـاً لـلـقـهـرـ السـيـاسـيـ المـلـازـمـ لـبعـضـ اـجزـاءـ الـوطـنـ العـرـبـيـ مـقـدـمةـ نـمـاذـجـ متـعـدـدةـ تـسـعـىـ لـانـ تـجـدـ حـيـاتـهاـ تـحـتـ شـمـسـ حـرـةـ، وـلـذـاـ فـانـ القـصـةـ عـنـدـ خـالـدـ هـمـ عـامـ تـنـطـلـقـ خـصـوصـيـتهاـ الـحـدـيـثـةـ مـنـ كـوـنـهاـ جـزـءـاـ مـنـ وـاقـعـ يـجـبـ انـ يـسـيرـ إـلـىـ أـمـامـ، وـحـالـاتـ الرـفـضـ الـمـوـضـوعـيـةـ لـمـاـ هـوـ مـوـجـودـ وـالـقـسـوةـ فـيـ تصـوـيرـهاـ اـيـضاـ لـاـ تـعـنيـ عـنـدـ القـاصـ الـوقـوفـ عـنـدهـاـ بـلـ تـجاـوزـهاـ إـلـىـ اـفـضلـ.

في قصص خالد حبيب الأولى تجد الشكل لا يتخذ مساراً واحداً فهو يميل للتسجيلية في قصص مثل (الرصاص) و(البيوت) و(اشراقات) ويتحذّل شكل

\* باسم عبد الحميد حمودي، جريدة العراق، العدد 508، 26 تشرين الأول 1977.

التقطيع السينمائي في (الجدار و زهور البحر) و (انقسامات الزاوية) التي لا تتميز بذلك فقط بل اعتمادها الفلاش باك بين مقطع وأخر .

وللتاريخ عند خالد مكان واضح في مجموعته الاولى، لا يعني انه يكتب القصة التاريخية، بل يعني انه يستثم منه ضرورة التغيير وهو هنا يوافت التاريخ مع ذلك الاستخدام الجيد لعملية البناء الجماعي كما في قصته "سهرة تحت غيوم الصباح" و "ناعور في نهر ياسيس". واذا اعتبرنا هنا مجموعته القصصية الثالثة "القطار الليلي" مرحلة اعادة بناء جديدة فانتا نجد في المجموعة التي صدرت له مؤخرا "العيون" احتفالا غير عادي بالإنسان لا ينطلق عن الحماس الذي صاحب المجموعة الاولى، انما عن الوعي بشكل التغيير الاجتماعي الحادث في القطر وفى الوطن العربي.

واذا كانت عبارات من هذا النوع تبدو كبيرة وتطلق جزافا احيانا فانتا تشير الى مجموعة من الشخصيات القصيرة التي ضمنتها العيون منها خمسية "القفرة" ، رمال ، الطيور الجبلية ، مسافات ، الجسر الضوئي" ، انها قصص خمس تصوّر الحرب كحالة اجتماعية لها سلوكها الواضح على نفسية المقاتل الإنسان الذي يعي قضيته ، وهي تحمل تفجراها الداخلية الایجابية على السطح ايضا ، فيبدو النصرف الخارجي رد فعل الشعور الداخلي ، والقصاص في هذه الخمسية وغيرها يحسن استلال الصور والتاكيد على هذا التوافق ، وقد يستعمل او يعطي للقارئ موافق تدين بعض التصرفات والمشاعر التي نعدها لا إنسانية ولكنه حتى في ذلك يكشف جزء من نزعات الإنسان وتصيرفات بعض شرائحه تجاه الواقع ببروده أفعال لا إنسانية كما في "المنحنى" و "الوهج" و "السلام" و قصة "السواحل المظلمة".

ان القاص الرواوي لا يقف عند هذه الصور والمواصف فحسب بل يضيعك أمام صور إنسانية تبدو رومانسية احيانا وتوصلك بعالم الخمسينات الأخلاقي ولكنها تتحدث وتصور وتؤكد فعلا إنسانيا يحدث الآن كالذى يعطيه جو قصص مثل: (شرفة في بيروت) و (زوارق) و (اوتداد) و (المزلاج) و (العказرة) التي تشبه في ادائها الواقع موجود عند بعض الشرائح الاجتماعية ما يصوره القاص من اى لاق نماذج من شرائح أخرى متعددة في قصته الاولى (العيون)

رغم طول الحدث في الأولى وقصره وسرعة ضرباته في الثانية وأختلاف التفاصيل في كليهما.

ولا يمكن أخيرا هنا الحديث تفصيلا عن مجموعة (العيون) لخالد إلا ان الذي يجب ان يقال ان القاص يعمد أحيانا الى استخدام المرح استخداما غير موضوعي كما في قصته "عزيزتي سميحة" والى تقطيع حدث واحد ونشره على قصتين قصيرتين جدا مثل (التصاق) و (التصاق، التصاق) بحيث تحس ان القاص يبدو متبعا في هذه القصة او تلك .

ان هاتين الملاحظتين لا تعنيان ارتداها او ضعفا في الجو العام وفي مهارة التناول وفي قدرة هذا القاص على التقاط الأشياء الحياتية الصغيرة وتحويلها الى نماذج موضوعية، وبذلك فان القاص خالد حبيب الراوي قاص يملك جوا متقدرا يحسن توظيفه بادهاش ويقود قارئه الى توتر لذذ ومستقر لمتابعة ما يحدث صانعا من القصة فعلا اجتماعيا متفوقا وجميا.

\* \* \*

## العيون - خالد حبيب الراوي \*

بلغة لا تتعبد قدر ما تتعبد الأفهام والبوج عن كينونتها، وهو أذ يعي ويتعبد ذلك فلان شرط كتابة القصة (العيون) التي احتوت على ثلاثة قصص، تراوحت بين القصة القصيرة جداً، محاولة أن تستبطن حالات وشائع إنسانية عديدة تتهيأ للكشف عن نمطيتها الاجتماعية من خلال اللقطة السريعة والذكية التي تتميز بها قصص المجموعة .

إن القاص يعي بأنه يكتب عن شرائح معينة من المجتمع هم فلاحون، بحارة، موظفون، جنود، ... الخ ولذلك فهو يطرح علاقتها بعضها ببعض وفق منطلق فني يلقط الصورة السريعة الدالة والموجية عن تلك النماذج المحملة بشرط كينونتها. وهو أذ يعي ويتعبد ذلك فلان شرط كتابة القصة القصيرة جداً، القصة - الحالة - اللقطة - الموقف، تستوجب وتنطلب تلك الارهاسات التي يحس القارئ من خلالها انه ازاء قاص متمنك من شروط العملية الابداعية في هذا الميدان من ميادين القصة الذي يتتميز بطرح حالات اجتماعية مازومة تتحرك ضمن دوائر فعلية وتعاني من مصائرها الاقتصادية والسياسية الحادة والمريرة. والقصاص حين يقصد في الرسم والمعالجة فإنه يعطي أضاءات برقة متوترة تستبطن الآيماء والدلالة والعنف، وتكشف عبر تفاصيل مكثفة عن تلك الشرائح الإنسانية المازومة، معبرة عن سخط وصمود الفرد العربي ازاء الاحداث والتلاقضات التي تقتضي وجوده في كل مكان .. فلسطين .. لبنان ... وازاء العبث الرجعي والفاشي بصيرورته ووجوده .

ان قارئ (العيون) يشعر حقاً، انه يتجلوب تجاهوا كبيرة معها، لأنها كتبت وفق رؤية شمولية وفاحصة لعلاقة الإنسان بالواقع، وعلاقته بالكونية وعذمهما والحب والموت معاً.

\* \* \*

---

\* بلا مؤلف، مجلة الطليعة الأدبية، كانون الثاني 1978، السنة الرابعة،  
العدد 1.

## روية

### خالد حبيب الراوي في قصته "رمل" من مجموعة "العيون"

#### أقدار الإنسان وصراعاته\*

تبدأ القصة بوصف لخروج الشاحنات من المدينة، وهذه البداية تشكل لاتجانساً بين المدينة والشاحنات، بينما ستنتهي القصة بالتجانس بين جنود الشاحنات وال الحرب. ويعتمد تطور القصة عبر البنية السردية على الكلمات المتعلقة بالحرب: شاحنات، جنود، طائرات، قذائف .. الخ، وكذلك على الأفعال القوية المعنى والتاثير والمناسبة مع موضوع الحرب: يمرون، يحذفون، يلوحون، يستطعون .. الخ، أما عن الصفات، فهي قليلة، وأغلب الأفعال في النص تتضمن صفة واحدة أو مفعولاً، لا تزيد من جمالياته بقدر ما تضيف إلى البنية السردية بعض التوتر: سمعوا أصوات الفدائيين بعيدة، رفع الجنود أذرعهم .. الخ. ويتعلق هذا التوتر، بالطبع، بتالي الأحداث، على إيقاع الشاحنات الذاهبة إلى الحدود بسرعة، وعلى الرغم من قصر القصة (صفحتان) – إذ يمكن دعوة هذا النوع بالقصة المكتفة – إلا أنه يمكن تقسيمها إلى وحدات أربع: الجنود في الشاحنات المغادر للمدينة – الشاحنات تتوقف دون سبب معروف قبل الحدود – الشاحنات تخترق نقاط التقسيش وتقف في النقطة الأخيرة – ثم هبوط الجنود على الجبهة.

وللتعرض للأنثى السردية، يجب البحث عن المتكلم في القصة، انه الراوي الذي يحاول ان يؤكّد ابعاده عن القصة حين استعماله ضمير الغائب (بصيغة الجمع هنا)، وانه لا يعرف عن القصة والابطال اكثر مما يعرفه القراء. ومن الملاحظ انه أقل كلاسيكيّة من زميله في قصة "الامواج" لкатظيم الاحمدی، فهو لا يغوص في صدور الابطال واذهانهم، ولا يعرف ما لا

\* افنان القاسم، مجلة الطليعة العربية، 13 كانون الثاني 1986، العدد 140.

يعرفونه، اي ان الراوي في سرده يعتمد أسلوب "التحقيق" فهو لايسعى الى رؤية داخلية لعناصر القصة وابطالها، ولا يرمي الى سير أغوار حياتهم الداخلية، بل يعتمد على طريقة "الرأي" ويسجل ما تراه عينه وعين القارئ معا.

ومنذ البداية، تقى عناصر القصة مجهلة لدينا، فلا المدينة لها اسم، ولا الجنود، ولا الحدود، ولا الضابط، ونحن لا نعرف المصدر الذي اطلق منه شيد الثورة في آخر القصة، ومن القصة نستتاج ان الوطن في خطير ، وهو الذي ينادي الجنود للدفاع عنه، انه اذن المنادي والمنادى، الطالب والمطالب به .

اما الفاعل فهو الجنود الذين يسعون وراء موضوع معين انتظروه، وأرادوه، وهو الذهاب الى الحدود حيث الحرب تدور، فيشاركون فيها، لا ليحموا الوطن فقط بل وليرحظوا الثورة.

عنصر الزمان التاريخي غير محدد، ولكننا نستطيع ان نحدس ان حوادث القصة تدور في المنتصف الثاني للقرن العشرين نظرا لاستخدام مصطلحات تقنية حربية حديثة مثل شاحنات، قنابل، طائرات، كما ان مدة القصة، اي المسافة الزمنية القائمة بين بدايتها و نهايتها، لا يمكن تحديدها، ونحن نعتقد انها لا يمكن تحديدها، ونحن نعتقد انها لا تتجاوز بضع ساعات من الزمن الواقعي، اما زمان الفص، فهو يمضي في تسلسل زمني دون اي قطع يعود بما الى الماضي.

اما الجملة الأخيرة "ودوى نشيد الثورة قويا"، ففيها استباق للاحاديث التي ستقع في المستقبل حيث النصر محتم، حتى ان الراوي حين استخدامه للأفعال بصيغة الماضي، يضمنا على حافة هذا الاستباق للاحاديث، لأن كل فعل يشكل تحولا الى فعل آخر اكثير قوة، كما ان الزمان يأخذ صورة الجو الشخصي، فهو بطيء لحظة التوقف والانتظار، سريع لحظة اقترابه من مكان المعارك، وعندما يسود الجو التراجيدي .

لقد لعب الزمان الشخصي دورا هاما في البنية السردية، وابدى انه احد العناصر الأساسية في الحرب وفي نفس الشعب العربي، فبإمكانه ان يقلب المعطيات التاريخية، ويجعل من الهزيمة انتصارا.

اما بالنسبة للمكان، فنحن نجد منقسم الى ثابت ومحرك، المكان الثابت هو المدينة، يصفها الرواية بـ "قيمة" وهو المقاهي، والطرقات، وكلها ثابتة تلوح لفافلة الجنود، تتصرف بضيق الافق ودون هوية. المكان الثابت ايضا هو الصحراء التي ترمز الى تقهقر الاعداء: "الشاحنات تمر فوق الشريط الممتد في الصحراء، انهم يصلون في اي منعطف الى الحرب"، وهذه العبارة الأخيرة حاسمة في ما يخص عزم الجنود وتصميمهم على كسب الحرب، والصحراء هنا ثابتة، ولكنها واسعة، ممتدة، حاضنة لتقدم الجنود فيها، لا تحدوها جبال، الصحراء هنا رمز للحرية. الحدود مكان ثابت، ولكنها رمز الثبات، فهي الأساس الذي ستبني عليه باقي الرموز والعناصر القصصية منها يجب دفع الاعداء، وعليها تتم حماية الوطن وحفظ الثورة.

وفيما يخص المكان المتحرك تشخصه الشاحنات كعنصر حربي، لولاها لما انتقل الجنود ببنادقهم الى الحدود، فهي، اذن وسيلة وضرورة، وأحيانا لها شكل البطن الذي يلد ويعرض، لولاها لما تحقق للجنود املهم بالمساهمة في القتال، ومن ناحية ثانية، تكمم ما بين الشاحنات والطائرات علاقة متانة، فعندما تقف الشاحنات، يجري البحث عن الطائرات وعندما تسير الشاحنات يذهب خطر الطائرات، هذا يتبلل على ان الحركة على الأرض ايجابية وفي السماء سلبية، وللانصار لا بد من درء خطر السماء وعندما نعرف ان واقعة الطائرات في القصة لم يذكرها الرواية سوى مرة واحدة، فهذا يعني ان خطرها ليس جسيما، او انه، على الاقل، خطر مدروس، لمواجهته اتخذت كل الوسائل المناسبة. وعلى كل حال، تبقى السماء للطائرات المكان الواسع اللالهائى للتزروع التفاؤل والامل (اذا كانت صديقة) او الموت والالم (اذا كانت عدوة).

اما الفدائل، فلا تسمع الا أصواتها، وهي تضيء وتتطهف في الجهة الأخرى، تساهم في هزيمة الاعداء، وتنهي الجنود الذين وصلوا الى الجهة نفسيا، ليقوموا بواجبهم.

اما الجنود، فلأجسادهم ابعد المكان المتحرك: جلسوا على المقاعد .. أخذوا يمدون سيفائهم ولديهم ... أنزلاو قباعتهم على جياثهم .. الخ، وهم يرمزنون بدورهم الى جسد الشعب العربي الذي ينتظر منذ سنوات الانتصار

على الأعداء، ومن ناحية أخرى، يرمي الجنود إلى الجيش العربي الذي يسعى لحماية الشعب من قabil الأعداء. وهنا يكسر الرمز ارتباط الجنود بالحكومات العربية البائعة للوطن، فهي ستبقى في مكانها الضيق وعدم التفتح على الشعب. إنهم المجنون تحت رمز الجيش الذي من الشعب وإلى الشعب.. وكل هذه العناصر الزمانية والمكانية تشكل فواعل القصة حسب جريماً.

اما العنوان "رمال" فله رمز سردي يوحى بالتكيف، عندما نعرف ان المكان الذي تحمله القصة في المجموعة لا يتجاوز الصفحتين، وله رمز معنوي يوحى بامتداد مسافة الحرب، ووعي صعيتها، الى جانب العزم والتصميم على قطعها ويمكن ان تكون "الرمال" اقدار الإنسان وصراعاته.

\* \* \*



**ملحق -2-  
قصص للأطفال**



## القبضة الوهيمية

في الصباح، ذهب حسن الى مدرسته حاملاً كتبه التي تمزقت اغلفتها  
وهو يضرب الحصى والحجارة المرمية على جانب الطريق بقوة، كانت هذه  
عادته وطالما استخدم (التنك) الفارغ الموضوع أمام الأبواب ككرة قدم  
فتدعى الأصوات في الشارع.

ورفع حصاة صغيرة ليهدف بها على مصباح النور الموجود ليضيء  
الطريق فسمع صوتاً ينهره ويمنعه من تحطيم المصباح لأنَّه يضيء من  
أجلهم، فترك الحصاة تسقط من يده.

ثم تذكر أمه وهي تقول له - يا ولدي لا تعذِّر على الآخرين.. لأنَّهم  
سيعذرون عليك أيضاً.

وابتسم حسن وهو يفكير بقوته.

دخل إلى الصف متأخراً، وكان المدرس يقف على الباب وحين توجه  
إلى نهاية الصف حيث يجلس، شاهد قدم أحد الطلاب بارزة في الممر فداس  
عليها بقوة.

صرخ التلميذ وأمسك بقدمه وهو يولول.. فسأل المدرس:

ـ ماذا جرى؟

فأشار التلميذ إلى حسن وصرخ باكيا:

ـ داس على قدمي.

ـ توجه المدرس إلى حسن وسأله.

ـ لماذا دست على قدمه؟

ـ تصنع حسن الاعذار وقال:

ـ لم أشاهدها، العفو.

---

\* مجلة المزار، 6 نيسان 1972، العدد 68.

رجع المدرس الى بداية الصف، وأخذ حسن يضحك ويختفي وجهه بين كفيه وحين انتهى الدرس وخرج الطلاب وقف التلميذ وانتظر حسن وحين مر بجانبه، أمسكه من يده وسأله بغضب:

- لماذا أنيتني؟

دفعه حسن وأسقطه على الأرض ثم خرج من الصف.

ركض وراءه احد الطلاب وقال له:

- لماذا اعتديت عليه؟

تأهّب حسن لل العراق معه وهو يقول:

- لا تتدخل ببنينا. انتي اكرهه، لماذا يضحك عندما سأله المدرس ولا اجيب؟

وحين غادر حسن مدرسته بعد الظهر وجد التلميذ الذي اعتدى عليه في الصباح يقف في الطريق، قال له:

- تعال.

تقدم منه حسن وهو يشدد قبضته، وهنا ظهر ثلاثة تلاميذ كانوا يختفون وراء شجرة ضخمة وأمسكوا به وأخذوا يضربونه بقسوة، فمزقوا ملابسه واسالوا الدم من انفه وكسروا احد اسنانه ثم تركوه.

عاد حسن الى البيت وجسمه يؤلمه من الضرب. فتحت له امه الباب، هتفت به:

- لماذا صنعت بنفسك. ماذا حدث؟

مشى حسن صامتا ودخل الى غرفته وتمدد على الفراش، لحقته امه وهي تسأله من جديد، أمسك حسن بيديها ودموعه تسقط من عينيه.

- لن اعتدي بعد الان على أحد.

نظرت اليه امه بحنان وانحنت على وجهه وقبلته في جبهته.

\* \* \*

## \*الدراجات\*

أمسك نبيل بدراجته الجديدة ونظر اليها .. انه فرح بها لانها توصله الى مدرسته البعيدة عن البيت، وقد خلصته من تعب المشي صباحاً وظفراً، ولا سيما عندما كان يعود جائعاً بعد انتهاء الدروس .  
لقد أمسك بمقودها عندما اشتراها له والده وطاف بها أمام ابناء الجيران واصدقائه متباهاً .. وعندما اقتربوا منه سمح لهم ان يلمسوها ولكنه انطلق بها بعيداً عندما طلبوا منه ان يركبوها ويجربوها .. وقد اشتري قفلاً للدراجة لكي لا يستطيع غيره ركوبها.

كان يخرج في الصباح معلقاً حقيبته بالمقود .. وكان ابناء الجيران يمشون بسرعة ليصلوا الى المدرسة .. وكلما مر واحد منهم سمعه ينادي : -نبيل ... نبيل .. انه لا يلتفت الى الأصوات التي تتاديه ... لأنهم - كما يقول - سيطليون منه ان يوصلهم معه الى المدرسة.

وعرف ابناء الجيران نبيل يحب نفسه فقط ولا يريد ان يساعدهم .. ولپذا امتنعوا بعد فترة من الوقت عن مناداته عندما يذهبون الى المدرسة ويدبرون وجوههم الى جهة أخرى عندما يشاهدونه .. وفي الصباح الذي ابتدأت فيه الامتحانات .. اعد نبيل الادوات التي يحتاج اليها في الامتحان وتتأكد من وجودها ثم خرج وركب الدراجة .

وفي منتصف الطريق شاهد من بعيد ثلاثة طلاب وقد انهمكوا في اصلاح دراجة كانوا يركبونها جميعهم . وحين رأوه ، أشاروا له : - نبيل ، توقف ، اتنا تحتاج الى منفاخ .  
ونظر نبيل الى منفاخ دراجته وقال لهم وهو يسوق مسرعاً . - انتي مستعجل ، لا تستطيع ان أعطيكم المنفاخ .

---

\* مجلة المزمار ، 25 ايار 1972 ، العدد 75 .

فقال له أحدهم.

ولكننا سنمتحن جميعنا مرة واحدة.

ولم يهتم بهم وعبرهم وهو يضحك.

وفي استدارة الطريق سمع نبيل صوتا:

-فتش ش ش

وأخذت دراجته تهتز وتترفع، فتوقف وأخذ ينظر الى العجلة الأمامية  
وقد فرغ هواؤها. وحين ادارها بيده وجد فيها مسمارا كبيرا فاخرجه ورماه  
بغضب وتساءل مع نفسه.

-كيف سأصل الى المدرسة؟

وبعد قليل من بجانبه الطلاب الثلاثة وقد ركبوا جميعهم على الدراجة  
التي أصلاحوها ويجانبهم طالبان يركبان دراجة أخرى.  
فنظر اليهم نبيل وقال مستعطفا:

-هل يوجد لديكم لحام أستطيع به اصلاح العجلة؟

فأجابه احدهم:

نعم، يوجد لدينا، لكننا لن نعطيك منه. تذكر ما فعلته بنا قبل قليل، ان  
التعاون ينفع الجميع فلو تعاونت معنا لكان الان جميعنا نصلح لك دراجتك.  
وتركوه.

وأخذ نبيل يقود دراجته مشيا.. وعندما وصل الى المدرسة.. كان  
الطلاب قد بدأوا في الامتحان.

\* \* \*

## \* الناعور\*

كانت بقع الشمس تلمع من بين اوراق الاشجار الكثيفة وتهتز متماوجة مع النسيم البارد.

رفع احمد مسحاته ونظر الى عناق العنب التي بدأت تتضخم وود لو امسك بحبة وذاق طعمها.. ولكن ردد ما كان يسمعه: سيدبل العنقود لو قطفت حبة منه.

مد عنقه الصغير وهو يحدق في الماء الذي يندفع في الساقية الضيقة ثم ينساب تحت اشجار العنب، ورفرف المساحة بين يديه وغرزها غرزة خفيفة في مجرى الماء وأخذ يراقب انشطاره وتتحوله السريعين واتبه فجأة الى ان الماء قليل، همس لنفسه مفسرا.

ربما ابطأ الناعور، او تسرب الماء في سوافي جيراننا المفتوحة، كانت البساتين الصغيرة المجاورة تعتمد جميعاً في سقيها على الناعور الذي سمع صوته من بعيد يئن وهو يدور.

اكد احمد:

-اذن لا بد ان الماء يتسرّب الى بساتين أخرى.  
اقتلع المساحة وخرج من باب البستان متبعاً بصيره مجرى الساقية، وأخذ يراقب فتحات السوافي الممتدة الى البساتين المجاورة وكانت جميعها مقللة بسدواد صغيرة من الطين ولا تتسرب منها قطرة.

اندهش احمد واستمر يرصد المجرى الى ان وصل الى الساقية الرئيسية التي يصب فيها الناعور وأطلق بصيره الى ذلك الدوّلاب الخشبي الهائل ورأه يدور كعانته.. لكنه لمح بعض الاكواز التي ترتفع الماء وهي محطمة.

---

\* مجلة المزمار، 24 آب 1972، العدد 88.

تسلل بجانب الحائط الذي يهبط الى محور الناشر، خفيفاً ومحاذراً  
اصدار اي صوت، واختباً خلف البناء الحجري الضخم الذي يرفع المحور،  
فشاهد غلاماً يحمل بيده عصا صلبة يقف متوازناً على حجر في الحافة  
يتأمل الاكواز المحطممة وهي تغوص في النهر السريع ثم ترتفع راسة رذاداً  
متظاهراً.. ثم أبصر احمد قبضة الغلام وهي تتجمع على طرف العصا حين  
ارتفع من اسفل كوز جديد ورفع عصاه وهو يها على الكسور فتساقطت  
حجارته المفخورة وانثال الماء منسرياً الى النهر. غضب احمد بعنف وهو  
يتصور عناقيد العنبر الزرقاء ستبيس وتصفر الاوراق الخضراء في  
البساتين.. فتقمم وصرخ باعلى صوته وبعنف:

لماذا تكسر الاكواز؟

بوغت الغلام بالصوت القوي الذي انبعث من ورائه.. فلتفت متحركاً  
بذعر، واختل توازنه فانزلق.. واصابه طرف كوز مكسور في اعلى ذراعه  
ورمته حركة الناشر الى وسط الماء وهو يصرخ متألمًا.. هتف احمد  
ـلت ما تستحقه ابها الشرير.

وكان الغلام يمسك بذراعه المصابة وهو يحاول جاهداً البقاء طافياً،  
والماء يدفعه بعيداً.

\* \* \*

## المدرسة الليلية\*

كان جسده يتوسط الزقاق المظلم الضيق وهو يمشي متنهلاً في الصباح.. وحين أصبح في الطريق العريض الكبير كانت الشمس ساطعة والضياء يحدث لمعاناً إضافياً على المخازن والبنيات الجديدة.. انحرض الصبي إلى جانب الحيطان: كان نحيلًا، يرتدي قميصاً وبنطلوناً ملطخين بالزيرت الأسود.. ويشبه بمجموعه قطعة طينية ملوثة..

نظر إلى الأولاد الذين يماثلونه عمراً وهم يحملون حقائبهم واحس بضيق من ملابسهم النظيفة ووجوههم المغسلة.. وواصل سيره إلى أن دخل في شارع (الشيخ عمر) ثم اتجه إلى محل الذي يعمل فيه.. كانت حركة السيارات بطيئة وشمة محلات لم تفتح بعد. لم ينظر إليه صاحب المحل ولم يكفه بعمل بعد أن أمسك (بمكتasse) وأزاح التراب المجتمع أمام الباب.. ثم تمدد وأسند جذعه إلى الجدار وكانت الصور تمامًا عينيه بحزن وألم.

في نهاية الزقاق المظلم كان بيته.. وكانت أمها، وأخته الكبيرة، تنتظرانه عصر كل يوم فتأخذ أمه الدraham التسعة التي هي أجره لتدير بها حياتهم. وكان ذلك منذ خمس سنوات حين دهست سيارة والده الذي كان عاملاً في أحد محلات تصليح السيارات في شارع الشيخ عمر. لقد كان والده يردد دائمًا عندما يعود من عمله:

سأدخلك المدرسة في العام القادم.  
ثم يستمرد.

-ساجيء بمصباح كهربائي لكي تستطيع القراءة والكتابة في الليل أيضًا. وكان ينظر إلى الفانوس المعلق وهو يضيء بخفوت ولكن قبل أن تبدأ السنة الدراسية: سمعوا عصر أحد الأيام طرقاً عنيفاً على الباب، وعندما فتحت أمه كان أربعة رجال يحملون جسد أبيه المدمى. وبعد شهر من موته أمسكته أمه من كتفه وقالت له:

\* مجلة المزار، 16 تشرين الثاني 1972، العدد 99.

لم يعد لدينا نقود، اذهب الى (الاوسته عباس) وتعمل عنده.  
أراد ان يقول لها انه سيذهب الى المدرسة ولكنه صمت اذ رأى الدموع  
من عيون امه واخته.

وعندما عاد في اليوم الاول من العمل كانت بعض نقاط من الزيت على  
ملابسها وأصبحت ملابسها مثقلة بانزاع الدهون والزيوت وامتدت البقع الى  
وجهه وأصبح بلون ملابسها.

احس بكفه ينضغط تحت أصابع كبيرة قاسية.

(ها شيك اليوم؟)

نظر الصبي الى صاحب عمله، ثم قال وهو ما زال في استرخائه:

-اريد ادخل المدرسة

ضحك صاحب العمل متفقها

ـلن يسمحوا لك بالتسجيل لأنك ستتوسخ المقاعد.

وارتفع ضحكه مجدداً واقترب منها صاحب المحل المجاور قائلاً:

-اتريد الدخول المدرسة؟

وازداد ضحك صاحب العمل وهو يظن ان جاره سيشاركه في  
السخرية.. لكن جاره كان جاداً.

-لقد فتحوا مدرسة ليلية هنا.

وأشار بيده الى المنطقة المقابلة واضاف:

-اذهب اليها بعد ان تنتهي من عملك.

انتقض الصبي واقفاً وشعر بقرة مفاجئة تضج في داخله وكان يردد  
بهمس:

-ساشتري اليوم ملابس جديدة واغتنسل ثم اذهب الى المدرسة.

وأخذ يتحرك نشيطاً وقوياً وهو ينظر الى صاحب عمله وكأنما يقول

له:

-(غصباً عنك سأذهب الى المدرسة)

## المياه\*

كان الرمل الحار الذي يمتد على الشاطئ يجعل الأطفال يقفزون على مؤخرات أقدامهم ويطلقون صرخات فرحة وهم يهبطون إلى النهر.. ثم يتركون أقدامهم تغوص في الطين البارد وحينذاك يستردون بشاشتهم ويتحدثون بهدوء..

نظر أحمد إلى أصدقائه الثلاثة وهم يرفعون الماء في أكفهم ثم يحذفون في القطرات التي تتسلل من بين أصابعهم وتعود إلى النهر .. قال له أحدهم:

- لا يمكننا البقاء على الجرف.. لم لا تعلمنا السباحة؟

ابتسم أحمد وقال:

- لقد وعدت أهلكم أن لا أعلمكم السباحة .. ولكنني لم أعدهم بأن أمنعكم من النزول إلى الجرف.. فضحكوا.. وتلفت أحمد إلى مجموعة من الصبية يمرحون على مقربة منهم فأمسكه أحد أصدقائه من ذراعه وأشار إلى أحدهم ثم قال:

- إنه سليم الذي ضربك بالحجارة قبل خمسة أيام. ما رأيك في أن تنقض عليه من فوق بالحجارة وتأخذ بثأرك؟

انحنى أحمد ومد يده في الماء وأخرج قبضة من الطين السائل ومسح بها يده الأخرى ثم عاد وغسل يديه ولم يجبه.. ثم قال:

- إن كانوا هم جبناء فلا تزيد أن تكون مثلهم. إنتي أستطيع مسكي في الطريق وأجعله يندم على قنفي بالحجارة.. ولكن، لا ترى أن بنبيه ضعيفة؟

قال له صديقه:

- دعنا نضر بهم مرة واحدة حتى لا يعيدوا الاعتداء علينا .. وتعالت صرخة من المجموعة الثانية، ثم أخذ الصغار الذين تراجعوا إلى الجرف يولولون ويسيرون باليديهم إلى الماء دون أن يقدموا. ركض أحمد وتبعه الثلاثة الذين كانوا معه متوجهين إليهم .. هتف أحمد:

\* جريدة فارس (عمان)، 7 آذار 1973، العدد 6.

- ما بكم؟

أشاروا جميعهم إلى الماء وقالوا بصوت متقطع:

- سليم.. سليم.. يغرق.

وارتفع رأس سليم فوق الماء ثم هبط.. فلسرع أحمد إلى البقعة التي غطس فيها ثم غاص.. وأخرج رأسه من جديد.. وحين استطاع المشي رفع يد سليم فأحاط به الجميع وسحبوه إلى الجرف.. وضع أحمد أذنه على صدر سليم فسمع دقات قلبه... وقال لرفاقه:

- سينهض بعد قليل.

ثم ترك أحمد المكان وأخذ يرتفق الطريق الصاعد. وفتح سليم عينيه وأخذ ينظر إلى أحمد والدموع تبل وجهه.

\* \* \*

## العبورِ

عندما خرج صباح من بيته صباحاً ذاهباً إلى المدرسة لم يكن في ذهنه شيءٌ مما سيفعله بعد قليل.. لكنه كان يعلم شيئاً واحداً هو أنه لم يحضر دروسه ولم يكن على استعداد للإجابة على أي سؤال يطرحه أي استاذ وكانت هذه المسألة محيرة حقاً، لا يدري كيف سيختارها.

في الطريق حدث ما جعل مشكلة ثانية تخلق لصباح، ذلك أنه صادف مسيرة للطلائع تتطرق صباحاً لممارسة تدريب فوق متفرجاً مع النساء والرجال بينما أسرع رفاقه إلى المدرسة، ذلك لأنهم يدركون أن دوامهم أمر مهم وأن الطلائع الذين يتربون الآن سيداوون في الوجبة الثانية.

وصل صباح المدرسة فوجد ساحة المدرسة خالية لأن جميع الطلاب كانوا قد دخلوا المدرسة ولم يبق في الساحة أحد.. تسلل صباح إلى الصنف ودق الباب مررتقاً وكان الاستاذ قد غطى السبورة كتابةً وهو يتحدث عن الأولى المستطرقة.. اضطرب الاستاذ إلى التوقف عن الشرح وسمح لصباح بالدخول، ثم أكمل الدرس مستعيناً بالطلاب الذين كانوا متحمسين للمناقشة والشرح.

في نهاية الدرس طلب الاستاذ من صباح أن يلخص له الموضوع وقف الولد مررتقاً لا يدري ما يقول وتمتم بكلمات اعتذار فقال له الاستاذ (لا أريد أن أقول شيئاً كثيراً فقد أخطأنا عندما تأخرت وعندما دخلت الصنف وقاطعتي وعندما لم تفهم ما قاله أصدقاؤك عن الموضوع بحيث إنك لم تجد كلمة واحدة للحديث عنه.. إنك مطالب بأن تغير وضعك هذا والا تختلف عن زملائك) ودق الجرس عند ذلك معلنًا انتهاء الدرس الأول.

خرج جميع الطلاب إلى الساحة يغزاون رغم أن الفرصة خمس دقائق وبقي صباح جالساً على رحلته وقد أمسك القلم ليخط على ورقه أمامه رسوماً وكلمات وهو في حالة من الحيرة والالم يحدث نفسه قائلاً: لماذا

\* مجلة المزمار، 5 كانون الأول 1974، العدد 203.

تأخرت، لماذا لعبت كثيرا امس الجمعة ولم استغل ساعة واحدة للدرس..  
جميع اخوتي كانوا يقرأون الا انا ماذا سأفعل الان؟

في الدرس الثاني بدأ جميع الطلاب الأجابة على اسئلة امتحان الجغرافية، كانوا جميعا منحنين على اوراقهم يكتبون بفرح لأن الاسئلة كانت واضحة وقد وقف الاستاذ على مقربة من باب الصف ينظر اليهم ببهجة وهو يرافق يكتبون، كان سعيدا لأن طلابه قد استوعبوا المادة لكنه لمصح صباحا لا يكتب شيئا.. اقترب منه فوجد ورقة أجابته بيضاء الا من الاسم.. لم يتحدث معه وظن انه يفكر في الأجابة.. لكن صباحا سلم الورقة بعد خمس دقائق وخرج الى الساحة.

في الساحة صادفه المدير ووجهه وحيدا.. واستغرب ان يكون صباح قد أجاب بهذه السرعة.. أخذه معه الى غرفته ودار بينهما حديث طويل.. ووجد صباح نفسه ينفجر باكيا ويعرف للمدير بتقصيره وشعوره بأنه لا يستحق هذه المدرسة.. لكن المدير قال له: "ان شعورك هذا دليل على استعدادك لبناء مستقبلك من جديد.. وانا ساساعدك في ذلك، سأطلب من معلم الجغرافية ان يسمح لك بامتحان آخر في صف آخر في وقت تحدده سوية على ان اجدك منذ الغد الطالب المجتهد الذي لا يتاخر عن الدوام او عن اداء واجباته".

ابتسم صباح وقال للمدير (اعاهدك يا سيدى ان اكون عند حسن ظنك وان اكون الطالب الذي يفخر به اهله واسانته ) وصافحة السيد المدير مبتهاجا.

عندما خرج صباح من غرفة المدير كانت الساحة قد امتلأت بالطلاب من جديد وكانت العصافير تزقزق على شجرة في جانب من الساحة.. كان يشعر انه قد عبر الجانب المظلم والقلق من حياته وانه قد غدا في الجانب الآخر من الحياة، جانب الثقة بالنفس والعمل الجدي من اجل النجاح والتقوّق.. وامتلا قلبه الصغير بالسعادة والامل وسار بخطوات واثقة مندمجا مع طلبة صفة.

\* \* \*

## **الولد الذي فقد ساقه\***

كان الولد يسمع أصوات الأولاد الضاجة في الطريق وهم يركضون او يقفون الكرة، وينصت الى صوت الكرة وهي ترتطم بالجدار او الباب، ويود لو يكون بينهم، لكنه يتذكر ما حل به عندما لعب مرة معهم، لقد تکأ في الوصول الى الكرة وأخذ رفاته يحثونه لكنه سقط على الأرض، وسمع صوت ضحكة مزقته كالسكن، وعندما ثفت اليهم كانوا يعرضون بوجوههم عنه، وأخذوا يعنفون الولد الذي ضحك، وهكذا ترك اللعب.

انهم طيبون، بلا شك، فقد دعوه للعب معهم، لكن حركته محدودة، وهذا يكفي لأن يجعله يتبع عن لعب الكرة.

وهم يلحوذون عليه بين حين وآخر عندما يكون جالسا على عتبة الباب، لكنه يشكرهم ويفضل مرافقتهم وتشجيعهم.

ويتذكر في جسته داخل البيت، السيارة المسرعة التي دهسته قبل أربع سنوات وحطمت رجله، كانت السيارة قد خرجت من منعطف، سريعة للغاية، وتراجعا بها، ولو لم يقف بأقصى قوته، وكانت قد قضت عليه، ورقد ثلاثة أشهر في المستشفى، خرج بعدها وهو أعرج.

ان الحادثة مغروزة بعمق في داخله، لأنها غيرت حياته كلها، فقد كان يهوى كرة القدم ويصرخ معظم وقته بلعبها ويقود في الوقت المتبقى دراجته في الشارع القريبة من بيته، وفي الليل كان يجلس أمام التلفزيون يشاهد البرامج كلها، وبالطبع كانت معدلاته في الدروس ضعيفة، ولم تخلج معه نصائح والده، واكتشف بعد الحادثة ان قوة الإنسان لا تكمن في عضلاته فقط، إنما قوته العظيمة هي عقله.

وكانت المفاجأة الكبيرة التي تلقاها اهله ورفاقه انه نجح في نهاية السنة اولا على مدرسته، وارتاد مدير المدرسة في درجاته، فقد كان يعرفه

\* مجلة المزمار، كانون الثاني 1975، العدد 210.

متهاونا في دروسه، وطلب تصحيح اوراقه وامتحانه شفهيا أمامه، وحضر  
الولد الى المدرسة غير سارط على هذا الاجراء الاستثنائي، وتم امتحانه أمام  
المدير الذي لم يتمالك نفسه وأخذ يردد متعجبا بهمس:  
-انها معجزة، معجزة.

ثم سأله:

-لماذا لم تتجح هكذا منذ البداية.

وابتسם الولد ولم يجبه.

وأخذ المدير يتحدث عنه في مختلف المناسبات ويضربه كمثال للطالب  
المجتهد الذي يستطيع ان ينجح بتفوق.

وعندما اقيم احتفال توزيع الجوائز لل الاولاد.. احس الولد الاعرج ان  
عديدا من الاولاد كانوا ينظرون اليه بحب، اما رفقاء فقد صفقوا وهتفوا له  
بحرارة.. وأصبح مألوفا ان ينجح اولا في السنوات التالية.. وصار مفخرة  
لرفاقه الذين يلعبون الكرة أمام المنزل.

انه يسمع أصواتهم الضاحكة وارتظام الكرة.. ويبتسم بفرح لأن رفاقه  
يتمتعون بوقتهم.

\* \* \*

**ملحق -3-**

**خالد ... الإنسان**

500



## خالد

خالد، أيها الإنسان الذي يعرف كيف يغرس في جذور العالم  
نبعاً من ورود الأرض الحزينة  
أحبك صافياً  
أحبك لأنك إنسان  
والإنسان في مدینتي يفقد حتى ظله  
فلتبق أنت  
لأنني أحبك فيك أنت

إنسان  
عبد القادر العزاوي

\* \* \*

\* ولدي خالد  
بغداد الجمعة - 1944/5/26

هاندنا أخط هذه الرسالة بعد ميلادك بساعتين فقط، لقد ولدت في الساعة الثالثة والنصف بعد الظهر من يوم الجمعة الموافق 1944/5/26.

ولدي: لقد أشرفت على السادسة والعشرين من عمري، فاضلت في هذا العام على نافذة الوجود الذي ملأني، لأنه عاش في مجتمع يموج بالفوضى، والاضطراب؛ وما كان ظهورك إلى هذا العالم رغبة مني ولا اختياراً، وما كنت أود لك أن تشهد هذه الحياة التي مثل فيها أبوك دور البطل من المسافة، فقد تتابعت عليه أحذائها، وطوطحت به نكياتها ولكن الله شاء أن يسير حتى الآن في الطريق، وهو لا يدرى إلى أين سينتهي هذا الطريق به وبك. إنني ذرفت الدموع حين بلغني خبر ميلادك، وفكرت في مستقبلك كثيراً، ولا أدرى إلى أين ترسو السفينة من بحر هذا العالم المصطخب الذي جن جنونه، وهو الآن شعلة تلهب في أنتون الحرب التي لا يعلم مداها إلا الله.

لا أعرف كيف سيكون نظام المستقبل، حين تكون قد بلغت السن التي تستطيع أن تكون فيها عضواً اجتماعياً نافعاً؟ وهل سيكفل هذا النظام حياتك وحقوقك كما يكفل حياة الآخرين وحقوقهم، أم إن السفينة التي نمططتها الآن، سوف تسير في طريقها قدماً، فلا يحدث تغيير ولا يطرأ تبدل.

---

\* الأستاذ حبيب علي عبد الراوي (1920-1988)، حصل على شهادة البكالوريوس آداب لغة عربية عام 1944 من دار المعلمين العالية ودرس بعدها اللغة العربية في ثلوبيات الكاظمية والكرخ والأعظمية للبنين. وبعد حصوله على شهادة الماجستير في الأدب العربي من الجامعة الأمريكية في بيروت عام 1954، قام بتدريس اللغة العربية في كلية الملكة عالية للبنات، التي صارت اسمها فيما بعد كلية البنات. أصبح حبيب الراوي رئيساً لقسم اللغة العربية ومن ثم عميداً لها. وبعد إققاء الكلية، عمل أستاذاً مساعداً في كلية الآداب، جامعة بغداد في قسم اللغة العربية والإنجليزية وكتب العديد من الكتب والبحوث المتخصصة باللغة والأدب والتحقيق مثل "رأي شاعر أو المعتمد بن عباد" (بغداد 1965) و تحقيق كتاب بالمشاركة تحفة الوزراء لأبي منصور الشاعري (بغداد 1977). (راجع، حميد المطبعي، موسوعة إعلام العراق في القرن العشرين (الجزء الثالث)، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، 1998).

وما دمت قد جئت الى هذا العالم، فلتكن محبأ للحياة، ممثلا قوة، واثقا بنفسك، معتمدا على إرادتك، فقد رأيت أن الضعف جريمة في هذه الحياة، ومواكتب الناس لا تسير إلا وراء الأقواء.

ولتكن شجاعاً مقداماً، ولكن في سبيل الحق، فإن الظلم مهاوي يندفع اليها الظالمون حيث لا رجعة ولا نصبة.

وعليك بالصدق والاستقامة فهما القوام الذي ترتكز عليه شخصية الإنسان. ولتكن قادراً على النسمة والكيد لمن تشعر أنهم يريدون أن يكيدوا لك، ويتربيصوا بك.

إذني أكرر القول بأن تكون قوياً، معتمداً بنفسك، كما أريدك أن تتبع عد عن الهموم والأحزان، ولكن ضاحكاً في جميع الأحوال؛ أضحك من الكوارث حينما تدهشك، وأضحك من الناس حين تظهر لك سفاراتهم ولؤمهم، فما تلك إلا دلائل الضعف الإنساني وما الابتسامة إلا السلاح الذي تستطيع أن تنتصر فيه من هذا الكفاح، ألا وهو كفاح "الحياة".

وجسمك ذلك الهيكل المقدس ، إياك أن تدعه نهايا للأمراض والأسقام، فحافظ عليه ما استطعت بوساطة الرياضة، وباحتساب كل ما يؤدي إلى هدم الصحة. ولتكن نقى الفكر، فابتعد عن حمل الأحقاد لآخرين، والحسد، ولا تذكر إلا بما هو صالح ومربي لنفسك وعقلك.

وعليك أن تتمتع بالحياة البريئة، فتأمل الطبيعة ومشاهدها الرائعة ، وبالموسيقى والغناء، والأحاديث الطيبة والاختلاط مع الناس الطيبين. وفي الأخير، أتمنى لك حياة سعيدة، ومستقبل زاهراً، فما حياتك إلا امتداد لعمرى، وما جسمك إلا بقية جسمى، فإن بلغت ما تصبو إليه، ففي ذلك لأبيك عزاء وسلوة، وما أنت إلا بقية روحي وكمي على هذه الأرض.

أبوك: حبيب علي الراوي

\* \* \*

من هو...؟  
خالد حبيب الرواوى\*

أبوه كان وسطاً في حبه وكرهه، وعمل في الجامعة وحاول أن يتوسط في كرم بين تلاميذه وأساتذة الدرس، فأحبه الجميع بلا إسراف، فيما أحبوه عن قناعة تذكر، وروح تسربت اليهم عن طريق نعومة وجداه.. وكان خالد ابنه في توارث المزايا الروحية، لكنه أعنف منه في تشخيص الحالات. كان يرمي بنظراته المدببة إلى الناس، فيقول: تعال أنت مشاكس من الداخل، تعال أنت مختال أو أنت (معداني) الطبائع أو أنت مرعب لأن وجهك عذبه الخرافه. وفي يوم سأله: أية صفة توارثتها من مدينة (رواة)، قال: حنان الأنهراتى روادها. وأية صفة توارثتها من أهلك، قال: إنني ابن طيف يتغذى على روحه. وابتسمت فاكتأب، لأنه كان يكره أن يبتسم الناس بلا معنى، وهو صريح وأنا أكثر منه صراحة، وهو يلتئم مع صمته، وأنا لا أحب صمت المبتسمين، وكلانا ابن تجربة مرة. هو عاش ثائراً على الأنماط، وأنا لا أجده في الأنماط إلا الموت. ويوم تعارفنا في أواسط السينينات، قلت له في مقمى البرلمان، أنت من أي اليسار، فضحك عالياً، وكان خالد في ضحكته العالية يبرر لوناً خاصاً من السخرية على القمر الذي جعل اليسار محنته. وهي محنة (أبو الهول) وهو يحاور رياح القدر، وكانت في سري أحفظ لخالد براعته في صيد السذج من المتفقين، وفي ملاعبتهم بالنكت البغدادية الطريفة. وأحفظ له أيضاً، مهاراته في شد اللحي بعضها ببعض، حتى إذا تعركت هذه اللحي، تنف الشعرات التي يريدها ويمضي إلى سبيله البريء. وكان الناس كلهم يحبون خالداً، لأنه يملك داخلاً أشبه بداخل سقراط، يحركه السؤال الغريب ويملك ذاكرة تستطع الحياة على طريقة المنجمين، لكن الناس أولئك تخافه حين تجرح كواهنه، فينقضن كأسد بابل على دانيال النبي اليهودي، ويخرج وجهه مزمراً. فالويل لمن يمد أصابعه إلى داخله والويل

---

1 نشرت هذه المقالة في جريدة الزوراء، العدد (38)، 26 شباط 1998.

لمن لا يعرف التناور مع أشواقه الداخلية. ولحظة لمست دواخله، عرفت من أين تكونت، من (رواة) خيط السلالة، ومن كبت الزعامة التي حرم منها، ومن واقعيته التي لا تقبل على أي الأحوال. هل هو يشبه العراقي تماماً، أظنه هو العراقي الذي كله تصلب، نصفه يشبه الوهمية الخامضة، ونصف آخر قد من أنسنة مجربة. وسألني مرة هل أنت أنت؟ ويقصد هل تكشف لي سرك في الحياة؟ أجبته: مثلك تماماً.. يغرق في رحيله ويستمتع في لذة الأسئلة، وما عليك الآن إلا أن تسأله، هل أنت مثلك أنت يا خالد؟ وأظن أنه سيفجيب، هذه مهمتكم في اكتشاف النوايا، وأظن مرة أخرى أن نواياه هي أن يمتد ويمتد، فإذا التفت شهق وتلك مأساته. أما ملهاه فهي أن يستريح من تعب الرحيل، فقد غض في بحر وجاب في النفوس، وطرق على الأبواب التي عصت على جل جامش القديم، عصي خالد على الفهم والإفهام، وعصى على أساندة قسم الإعلام بالجامعة، ليس في قلبه ولا في عينيه، وليس في درجات الامتحان ولا في تعامله مع الأطروحتات الأممية التي يقرأها للطلبة، إنما هو عصي في عمقه، ولا بد أن يكون عصياً على الناس، ما دام خلق ليربح الحياة، فأولئك الواضحون كل الوضوح يسيئون دائمًا في بناء المفهود الهش في الحياة، ويركرون الحياة تحت أقدامهم، إن كانوا هم المسيطرین على مقاليدها. وليس الغريب أن أرى خالداً يشبه ويتربى كلما مر زمان على وجودينا في الحياة، أراه مزيجاً من مرارة ونقاء، ومزجياً من تصادم الحي بالحي. لهذا صارت أخلاقه، أخلاق أبناء، وتصوفاته تصرفات الأمراء، حتى إذا شاهدته يمخر في صفة ويتخيل في بعد، تراه معطباً الحياة بلغة أشبه بلغة المتصوفة، ويقول: تبا لهؤلاء يحررون كربلاء الزمان، وتبا لأولئك يحررون الحقيقة، ويصحو بعد غياب الصفة، ويلتفت وإذا هو ثورة متدققة على على نفس سباقه في السخرية على الحياة، وهو يسخر بلذعة القاضي، وإنما أسرخ مثله بلذعة الشاعر، وكلانا نحب أن نسخر من تراكيم الخطايا في لوحة الوجود، هل هو بحاجة إلى وظيفة؟ ليس هذا حلمه، فقد طوحا بكل المغزيات عندما انتهى إلى الحياة. هل هو مذنوب، وسخريته تعويض عن ذنبه؟ ليس هذا أيضاً، إنما خالد عاش ليدين القبح في كل ذرة سابحة في التيار المعاكِس لحيوات البشر الحقيقية، هو مثلي كثيُّر إلى الأبد، حزين إلى

الأبد، يصارع الوجود، أينما رأى الوجود ينفتح تحت ضربات القسوة والعناد واللاعقلية. هو مثلي تماماً، حين يرى، يرى وقد فاض الألم وترابع الصحر وبلغ السيل الزبى، وخالد كله كتمان، حتى جوارحه لا تتنطق إلا بالكتمان، وهذه هي واحدة من غلطاته. وغلط آخر فيه، هو صمته في الكتابة، ولا يكتب إلا مرة في السنة، بينما كنا ننتظر من خالد أن يفرض حرباً في كتاباته، ويرسم في أفكاره طيراً أشهى بالحرية و يجعله يطير في سماءات العشق والسفر والمحبة، ونسأله ما فائدة الأفكار، حتى المقدسة، إنْ هي بقيت في الرأس أو في القلب، له عذر لكننا لا نجد له عذراً قوياً قوة الحجة في القوانين. وعوده خالد إلى الكتابة الأسبوعية، تزيد اللهم في خندق الحقيقة التي هي ترفس تحت أقدام أنصاف الكتاب الذين جاءوا على حين غرة إلى ميادين النشر. وهي دعوة لكل من ترك الكتابة، بأن يعودوا ويفكوا لغز الحياة. ومع كل هذا، فخالد من أصلاعنا، وشاهد ساخر مع لوعة مرفوضة، ومتتفق لكن على شاطئه غريب. ومنذ زمان سألني: كيف هي الصحافة؟ ولم أجده، فعرف أني مغمم بالصمت إزاء الصمت، وكلانا مغمم بالتناقضات وهي تسرع بغير هدى، وكلانا أحب أن يتموج داخل ذاته بالأسئلة التي ينفك بها، هو إلى سبيل، وأنا أحشى سبل الناس.

حميد المطبعي

\* \* \*

## صور وتداعيات من الداخل\*

يبدو خالد حبيب الرواى بسيطاً نفثة البساطة في أحيان، لكنه معقد التركيب هائل الإحساس، في كل الحظات، وأظنه منذ الطفولة خلق هكذا. ولعل الكثرين لا يعرفونه كما تقتضي *اللایفة العلمية*، ويشاهدونه هكذا، طيب السريرة، حلو الحديث، ضرب الدنيا بيد العبث. وعيب هؤلاء أنهم يتلمسون فيه شيئاً مهماً، وهو المزج بين العبث والساخرية وفكرة التلاشى، وهذه كلها تخدع الأبصار وتشوش على النظر فيته في النفوس ولا يستقر. إنه عكس ذلك حقاً، فهو وجودي من الداخل وصلب أخلاقي من الخارج. وإنسان يتصف بذلك هو حتماً إنسان يشاغب على الطبيعة ليقتضي منها الحكم المجنونة، ويسلل إلى الداخل ليكشف طبائع كل المراهنين، وأهم مزاياه أنه يدرك أسرار العلاقة الاجتماعية فيبر منها متعدماً، أو يختطف منها ما يوقف الآخرين عن التهور واللامبالاة، حركي اللفقة، منكِت اجتماعي بأسلوب السياسة، مع الرأي العام بأسلوب رجال الدين، والغريب أن كل السياسيين شرقاً وغرباً يعتقدون أنه معهم وهو ليس معهم، لأنَّ فهم لعبَة السياسة منذ اكتحالت عيناه يوميضاً اللعبة السياسية، وكل الذين جالسوه أحبوه بدقة المحامي الذي يدافع عن ضحاياه، وكل الذين زاملوه لم يبق منهم إلا نفر قليل لأنهم طمعوا فيه ولم يربحوا سوى سذاجتهم. هو إذن حكيم بثوب البهلوان، وطبيب يعالج المرض بسخرية عجائز السياسة الغربية، وقد تستغربون إذا عرفتم أن خالداً يملك في أعماقه جحيناً كبيراً يدخله لأولئك المسؤولين على موائد السياسة، وصمتَه الآن على أولئك حكماء أفريقياً على الاستعمار. يالهذا الجحيم المخبوء تحت ابتسامات بغدادية الأزل، فإذا انفجر لم يبق أليس يتجلو في ساحات العهر السياسي، كريم وشفاف، وفيه نفحَة من الفرات ونفحَة من دجلة إذا غضب، إنه صلب لا أقوى من أحد، لكنه يعالج صلابته بحسن القياسة التي تعلمها من العوليين الأشداء، ثقوا به فهو قاض رءوف، وتمسكون به فهو يعرف أنَّ يميز بين الشكران والعرفان،

---

1. لم يسبق لهذه المقالة أن نشرت ، لكنها كانت محفوظة في مكتبة خالد الرواى.

وخلق لكى يبرئ ساحة المتهم البريء، وإذا رأيتموه غاصباً فتجنبوا الغازه، فهو غامض في لحظات الحزن الوحشي، واضح في لحظات الثغر الطبيعية، صامت بأناد، جلدي ثائر كأبناء الملوك الشوريين، وإذا أراد كما يشتتهي الانتهازيون لصار في هرم أعلى وحكم عدة دوبيلات ، لكنه قبل ثلاثة سنـة آمن أن الانزواء عن الأضواء فرصة طيبة لمن يريد أن يسمو بنفسه، هو هكذا قانونه في البيت أو في منهج الدراسة أو في سلوكه مع العامة والخاصة.

حميد المطبعي

\* \* \*

## خالد حبيب الراوي<sup>\*</sup>

لم يستطع قلبي أن يخط كلمة (المرحوم) أمام اسم خالد حبيب الراوي، برغم أن الموت حق، وكلنا فانون ولن يبقى سوى مشيئة الله الواحد الأحد. فالصديق الراحل خالد في فكري، وحبيب إلى قلبي ولسن تسرق لحظات الموت وقدريته 35 عاماً... فيه العشرة الطويلة توأم لي وله.. والمقربون إلينا نحن الاثنين نعرفون عميق هذه العلاقة التي تأسست في مرحلة الصبا ثم امتدت حتى غزا الشيب راسينا.

ولج خالد حبيب الراوي، الصحافة مسلحاً بخلق رفيع، لكنها لم تسهله ولم تكن هوايته الأولى أو الحبيبة إلى قلبه، بل كان الأدب والقصة على وجه الخصوص هما هاجسه وتعلقه، فكان يفرح إذا أطلقت عليه لقب القاص أو الأديب على لقبه العلمي الرصين (دكتور..).

ولعل الذكرة لا زالت يقطة منتبهة وهي تعود إلى بداية السبعينات، حيث كان والده الجليل حبيب الراوي عميداً لكلية البنات. كنا ونحن في سواhir الحياة، نحت الصديق (خالد) بكل الطرق الملتوية والبريئة على الدخول إلى مبني هذه الكلية المحترمة على الرجال بحجة السلام على والده ظاهرياً، بينما الهدف الرئيسي هو التلاصص على أجواء كلية البنات! كانت الخطوة تنجح مرة وتفشل مرات، ولا زلت أتذكر (أم زينب) تلك السيدة التي تقوم على خدمة العميد، تغمس من قفالتها وتتمازح مع ابن العميد (خالد) بكلمات حلوة!

كان خالد حبيب الراوي، يمتلك طيبة متناهية، لكنها طيبة مسؤولة، مما جعله يبدو لغزاً أمام من لا يعرفه أو له معرفة سطحية به.. ويمكن للحكاية التالية أن تبين بعضاً من ملامح طيبته. ففي عام 1968، كنت أعمل محرراً في جريدة الحرية لصاحبيها المرحوم قاسم حمودي، ومن ضمن مسؤولياتي عمود يومي بعنوان (نافذة) يحرره عدد من الصحفيين والأدباء المعروفيين. وفي هذا العمود نشرت يوماً مقالة لخالد الراوي، وفي اليوم التالي للنشر

1. زيد الحلي، "فم مفتوح.. فم مغلق: خالد حبيب الراوي"، جريدة الاتحاد، العدد 261، 1999-4-13

زارني القاص عبد الرحمن مجید الربيعي حاملا معه رأياً معاكساً تماماً لمقالة خالد.. ولخلق حالة من المساجلة وتطليقاً لمقوله (الرأي والرأي الآخر)، سارعت إلى دفع مقالة الربيعي إلى النشر.. وعند صدور الجريدة، فوجئت أن مقالة الربيعي كانت تحمل أيضاً اسم الرواية، حيث نسي (مداور الصفحة) أن يرفع سطر الرصاص الذي يحمل اسم الرواية من مقالة الأمس واستبداله باسم الربيعي.. فظهرت المقالتان المتناقضتان في الرأي وعلى أساس أنها لكاتب واحد.. فلم يثر خالد حبيب الرواية ب رغم سيل الأسئلة والاستفسارات التي وجهها في حينه.. وقد تداركنا هذه الحالة في كلمة اعتذار في اليوم التالي.

إن الصحفيين الذين عملوا في أواسط السبعينيات مندوبين عن صحفهم لدى وزارة التعليم العالي يتذكرون كيف كان خالد حبيب الرواية يمددهم بالأخبار الوزارة أولاً بأول محظما حاجز الروتين عندما تولى مسؤولية الإعلام في الوزارة المذكورة.. فقد تعامل مع زملائه الصحفيين بمهنية عالية أتمنى أن يجد زملائي جزءاً منها هذه الأيام!

لم تتقطع جلساتنا.. وكان يشعر بسعادة غامرة عندما يلم شملنا الصديق الصدوق حميد المطبعي في جلسات ودودة بعيدة عن التكلف، فنراه يقهقه على غير العادة، مسروراً منتشياً، خاصة عندما يبدأ المطبعي في استفزازاته المحببة - وكان يميل برأسه هامساً (إن المطبعي أوعى وأتقن من عشرات من يسبق أسماءهم حرف الدال)! وفي جلسة حميلة، هيأها مشكوراً صديق الإعلاميين ليث الكبيسي على شرف الزميل العزيز أحمد عبد المجيد، كان من بين الحضور خالد الرواية وحميد المطبعي، فتحولت الجلسة إلى ما يشبه المنتدى الثقافي ولم أر خالداً سعيداً مثلما رأيته في تلك الأمسيات.. فقد ضحك كثيراً وبشكل عجيب.. وعند توصيلي له إلى باب داره أصر على أن ينالني بضعـاً من (الترات) من نخلة عزيزة عليه تتوسط داره قائلاً: (تذكر يا زيد، أن حلاوة التمر عندي هي أهم من كنوز العالم كله). كان حبه للعراق عظيماً. رحمك الله ياخالد.. يا حبيب.

زيد الحي

## هؤلاء عرفتهم

الغربة سفر، والسفر غربة... ولعلنا عرفنا... الغربة المشبوبة بالذار حين حملنا حقائبنا الصغيرة وسافرنا بها من حديثة للدراسة في بغداد... وهناك عرفت الرجل الدكتور خالد حبيب الراوي، وأنا أجد نفسي وحيداً في زحام بغداد، وكان نجدة لي من السماء، أستاذًا قديرًا في قسم الإعلام - ولم يكن كلية آنذاك - وطلاقة قصصية ممتازة لها من الذكاء والمهارة، وتنطوي على قدر ملموس من الحيوية والخصوصية، تترعرع في أحضان السبعينيات، وعاش على فتات مشروعها الأدبي. ولقد قامت بيننا صدقة وثيقة العرى ومنسجمة وراسخة تكفلت بتعويضنا - أو في الأقل - بتعويضي عن ذلك الشعور بالغربة، حين أتاح لي فيما بعد أن أستowب تلك الرابطة العميقـة الدقيقة، وأنا أعتقد بأنه لا ينتـزـرـ الرـيشـ علىـ جـنـاحـ، مثلـ شـمـعةـ قـدـرـهـاـ أنـ تعـطـيلـنـاـ عـطـراـ، أـحـبـيـتـ هـذـاـ الرـاوـيـ، الـذـيـ وجـدـتـهـ عـكـسـ أـسـاتـذـةـ آخـرـينـ كـانـواـ كـالـسـيـوـفـ المـعـلـقـةـ فوقـ رـقـابـنـاـ، وـجـدـتـهـ عنـ قـرـبـ، صـافـيـ الرـوـحـ، حـلـوـ المـعـشـرـ، باـسـمـ النـغـرـ، موـطـاـ الـأـكـافـ، عـذـبـ الـحـدـيـثـ، سـرـيعـ النـكـتـةـ، هـيـنـاـ لـيـنـاـ، بـعـدـاـ عنـ التـكـلـفـ، باـحـثـاـ عنـ شـيءـ يـقـدـمـهـ فـائـدـةـ لـزـمـنـ قـادـمـ وـجـيلـ لمـ يـولـدـ بـعـدـ. وـكـانـ يـرـيدـ أـنـ يـضـيـفـ وـيـغـطـيـ ثـغـرـاتـ ماـ زـالـتـ مـثـلـ تـقـوبـ الـفـضـاءـ مـجـهـولـةـ، وـلـاـ يـأـنـفـ أـنـ يـتـعـلـمـ حـتـىـ مـنـ تـلـاـمـيـذـ، وـيـعـتـرـفـ لـكـلـ ذـيـ مـوهـبـةـ بـمـوـهـبـتـهـ، لـاـ يـحـسـدـ وـلـاـ يـحـدـ، وـيـكـرـهـ الـظـلـمـ وـالتـسـلـطـ عـلـىـ عـبـادـ اللهـ، وـيـقـولـ بـصـرـاحـةـ: لـاـ أـحـبـ أـنـ اـسـلـطـ عـلـىـ أـحـدـ، وـلـاـ أـنـ يـتـسـلـطـ عـلـىـ أـحـدـ.

وـكـانـ كـلـاـنـاـ يـسـأـلـ نـفـسـهـ وـالـآخـرـينـ: مـاـذـاـ يـخـسـرـ الـإـنـسـانـ، إـذـاـ كـانـ رـفـيقـاـ، وـحـنـونـاـ، وـلـطـيفـاـ، حـضـارـيـاـ، وـمـهـذـبـاـ، وـخـفـيفـ الـظـلـ.. وـفـيـ بـعـضـ الـأـحـيـانـ كـنـتـ أـجـدـهـ يـخـتـارـ الصـمتـ عـزـوفـاـ عـنـ مـشـادـاتـ يـجـدـهـ إـهـدـارـاـ لـلـحـبـرـ بـلـاـ مـعـنـىـ، وـاسـهـلـاـكـاـ لـلـوـرـقـ دـوـنـ جـدـوـيـ، وـكـنـتـ قـادـرـاـ عـلـىـ فـهـمـ جـزـءـ مـنـ مـشـاعـرـهـ، كـانـ الـرـاوـيـ يـتـسـمـرـ حـتـىـ أـخـرـ قـطـرـةـ زـيـتـ فـيـ الـمـشـكـاـ، وـيـضـحـكـ فـيـ أـحـلـكـ السـاعـاتـ كـأـبـةـ، وـيـرـىـ أـنـ الـحـيـاةـ أـجـمـلـ مـنـ أـنـ تـضـيـعـ فـيـ الـعـلـمـ، وـأـنـهـ مـنـ دـوـنـ

1. نشرت هذه المقالة في جريدة "الوطن" 2005/6/23، العدد 248، السنة الثالثة.

الضحك تصبح الحياة مللاً لا يطاق، ما يسر أمامه سبيل العيش اللاهي العاشر. وكانت له فلسفة موداهما: إننا في قوة الخيل نجمع المال، وفي غباء الحمير ننفقه.. وبرغم شبته بالحياة وتفاؤله بها، فقد غادرنا متوجلاً ولم ينضر حتى يكمل خواطره التي بدأها بقوله: يادامي العينين، إن الليل زائل.. لكن ومع رحيل الليل رحلت روحه هو الآخر وتحول فراش نومه إلى فراش موته. وخالد حبيب الرواي - شئنا أم لم نشا - من الذين بنوا قسم الإعلام حبراً حبراً، وأضاعوا قناديل فضته المعتمة. وقد ترك لنا في كل زاوية من زواياه، ما يترك البليل على قمر عابر في القصيدة. ومثل هذا الاعتراف، ولو جاء متأخراً، وعلى شكل كفاره، هو تعويض أديبي بسيط نقدمه لاستاذ صحفة قدير أصبح خالداً في رحاب التاريخ. وأما الباقى وال دائم والمستمر، فهو إبداعه، وعطاؤه، وتلاميذه. هذا إذا لم نكن نسابر تقاليد بعض القبائل العربية التي كانت تقتل حصان الفارس حتى لا يركبه غيره! اذكر أن الرواي رحمة الله قال لي، وقد خرجنـا من كلية الأدب في بـابـ المـعـظـمـ قـاصـدـيـنـ شـارـعـ المـتـبـيـ: لن نفترق.. أـمـامـناـ الـبـحـارـ.. وـالـغـابـاتـ وـرـاءـنـاـ.. فـكـيفـ نـفـتـرـقـ؟ وـهـاـ نـحنـ اـفـتـرـقـاـ مـنـ دـوـنـ أـحـاطـيـ مـنـهـ بـنـظـرـةـ وـدـاعـ قـبـلـ الغـيـابـ النـهـائـيـ، أوـ أـقـولـ يـاعـزـاءـ الـمـيـتـيـنـ سـلـامـ عـلـيـكـمـ.

رباح آل جعفر

\* \* \*

## الى والدي

خالد ياسمة بحر دافئة تهب في ليلة شتاء فارسة  
توحظ الحس بفكك وتهب الروح بسماته  
مررت كشهاب في السماء وأنترت درب من أحبيت بالضياء

(لنا وحدنا الحق في أن نكتب ما نشاء عن حياتنا، فنحن الذين خلقناها،  
وهي لنا بحذافيرها)\*

الكتابة عن خالد حبيب الراوى صعبة للغاية، ليس لأنه والدي، بل لكثرة ما يجب أن يقال ولقلة ما يمكن التعبير عنه. خالد كان أباً مميزاً لأنه عنيف بحبه وشديد بحنانه وقاس بتعنيفه وسريع بغضبه. على الرغم من حدة أصواته وانفعالاته حتى في آخر يوم من حياته، كان يخجاني، وأنا ابني، من دماثة أخلاقه.

الحياة كانت بالنسبة له فرصة يجب استثمارها بالتعلم والبحث والمعنة والاستكشاف والمغامرة، والاستثمار هذا يعني التحرر في عوالم الكتب وتمحیص تفاصيل الحياة الدقيقة التي تدل على الحقيقة، سواء أكاديمياً أو صحيفياً. أما العلاقات الإنسانية، فيحيطها بهالة من القسوة يجب على المرء الحفاظ عليها ورعايتها على الدوام، فهو كثوم لأسرار أصدقائه، ومن بينهم طلابه وما أكثرهم، وتوفي ولم يكشف سر شخص انتمنه عليه. أما الحب، فهي عاطفة تحمل الإنسان يشعر بأدميته ولا يستطيع العيش بدونها أبداً. والحب لا يقتصر على المشاعر المتبادلة بين الحبيب وحبيبه،

1 خالد حبيب الراوى، مسرحية "الجدار وزهور البحر" في مجموعة الجسد والأبواب، النجف: مطبعة الغري الحديدة، 1969، صفحة 26.

بل تشمل العفو والتسامح والرحمة بين مختلف أنواع البشر. ولعل ماذكره أحد شخصيه يعبر بدقة عن رأيه في طبيعة العلاقات البشرية، فهو يقول: "العلاقة لا تبدأ من جوازات السفر والدين، إنما من التطلعات الإنسانية العامة". وكان مؤمناً أن الإنسان يفعل الشر لأنه لا يقوى في بعض الأحيان على فعل الخير، فهو مسير بظروفه الخارجية وطبيعته الداخلية.

واستمر بالضحك على المصائب التي يجاهي بها، وما أكثرها، ويضحك على القدر وما يخفيه كأنه يقول "سوف أغلب في النهاية". أصبح في سنواته الأخيرة متهمكاً وساخراً من غباء أدعية التقافة والعلم، ونافقاً على الزمن الذي تباع وتشترى فيه المبادئ والقيم.

كان نزيهاً مع نفسه، حراً بروحه وفكرة، ثورياً بميوله، خلاقاً في هواياته المتعددة التي شملت جمع المسيح والأقلام وزراعة حديقة بيته بالزهور العربية والنادرة. ربما أراد أن يجد له متفذاً من روتين الحياة ومن رتابة التدريس الذي امتهنه في السنوات الخمس عشرة التي سبقت وفاته.

أخبرني ليلة وفاته أن أجله قد حان، فصاح علي ليكتب وصيته. رفضت بشدة واستقررت منه، فقال: "حسدي كله بدا يضعف"، لكنني لم أجلب له الورقة التي أرادها لكي لاأشجعه على التفكير بهذا الشكل. قال لي بعدها: "لا أريد أن تقام لي مراسيم العزاء للميت"، لأنه لم يرد أن يحزن عليه أحد. لن تفارقني ذكرى اليوم هذا ما دمت حياً.

يقولون إن خالد مات، لكنني أجزم بأنه يعيش. فهو يعيش في اشتياقي وفكري، أحمله معي في صلاتي ومناجاتي ومسراتي ومصاني. هنالك أنساس يعيشون لكنهم أموات، وهنالك أموات لكنهم يعيشون مع الأحياء. لذا خالد لم يمت...

د. أحمد خالد الرواوي

بغداد 2005

\* \* \*

2 خالد حبيب الرواوي، "رجل له 7 أقدام" في مجموعة القناع، صفحة 78.

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد 295 لسنة 2006